

بقلم
عبد القدوس الأنصاري

الطبعة الاولى
بيروت ، ١٣٩١ هـ. — ١٩٧١ م.

بسم الله الرحمن الرحيم

إخـــواني :

- نَحْنُ أبْنَاءَ هذا البَلَدِ لنَا تُراثٌ، ولَنا تاريخٌ، ولَنا امجادٌ، فيَجب علَيْنَا أنْ نتَحرّى السُّبُلَ التّي تُوصِلُنا إلى هـذا التاريخ وهـذا التُّراثِ وهذا المَجْدِ .. فهاهي السُّبُلُ واضِحَـة .

- نَحْنُ لدَيْنَا أَعْظمُ وأَشْرفُ وأنْبلُ مِيراثٍ وهُوالْقُرآنْ. فَمَا يأْمُرنَا بِهِ الْقُرْآنُ يَجِبُ أنْ نَتَّبِعَهُ وَمايَنْهانَا عَنْهُ يَجِبُ أَنْ نَنْتَهِي عَنْهُ .

- نَحْنُ لَنا أَجْدادٌ، وأمْجادٌ وتَاريخٌ وتُراثٌ. فلِماذا نَتَنصّلُ مِنْ كُلِّ هـذا، ونَلْتَفِتُ يَمِيناً وشِمالاً، كأَنَّنَا لَيْسَ لنا أَصْلٌ أَوْ تُراثٌ أوْتَارِيخٌ، ونَتَلَمّسُ السُّبُلَ ونَتَلَمّسُ المَناهِجَ ونتَلَمّسُ المَبادِئَ؟

- نَحْنُ تُراثُنَا أشرفُ تُراثٍ، وتَارِيخُنا أشْرَفُ تَارِيخٍ، وأُمّتُنا خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ. إِنَّمَا الَّذِي يَنْقُصُنَا فِي ذلِكَ هُوَأَنْ نَدْرُسَ هذا التَّارِيخَ وَهـذا التُّراثَ .

« من خطاب هام لجلالة الملك فيصل المعظم »



حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود المعظم
ملك المملكة العربية السعودية ورائد نهضتها الكبرى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا « محمد » وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فهذا كتاب « بني سُليم » يتحدث عن تاريخهم ، ومجريات أحوالهم ، وتقلبات الدهر عليهم في رفع وخفض ، وفي تمدد وتقلص ، كما يتحدث عن شعرهم وأدبهم ، وعن عاداتهم وأعرافهم .

والكتاب – من حيث شموله لكل ما ذكر آنفاً – من الممكن أن يُتخذ مرجعاً ، في موضوعين هما : تاريخ هذه القبيلة عبر التاريخ ، وتاريخ الاسلام والعرب الذي له علاقة ما بها .

وقد بحثت فيما وصلت إليه يدي من المراجع ، لعلي أعثر على كتاب مؤلَّف في القديم أو الحديث في تاريخ بني سُليم ، فلم أعثر على ذلك ، اللهم إلاّ ما ورد من أن أبا القاسم بن بشر الآمدي المتوفي سنة ٣٧٠ هـ

كان ألف دواوين قبائل العرب ، ومنهــا ديوان عن شعراء بني سُليم وشعرهم – وقد فقد هذا الديوان – مما سيأتي الحديث عنه بتفصيل أوفى في محله من هذا الكتاب .

وقــد راجعتُ – لنسج خيوط هــذا الكتاب – كثيراً من المصادر التاريخية ، والدينية ، والأدبية ، والجغرافية ، والاجتماعية ، والسياسية ، مما أوضحت أغلبه في هوامش صفحات الكتاب . كما راعيت الانسجام بين فصوله ، ليبرز في حلقات مترابطة مع بعضها برباط وثيق .

والكتاب – يعرض على قارئه « أشرطة » متناسقة فيها كل الصيد – تقريباً – عن مراحــل تاريـخ بني سُليم منذ الجاهلية ومنــذ كانوا جميعاً مستقرين في ديارهم الأصلية بهذه البلاد ، إلى أن رحلت أفــراد منهم .. فجموع إلى المغرب والمشرق ، وإلى الشمال والشرق الجنوبي .. وهو يتتبع هجراتهم هــذه ، وحركاتهم ، وسكناتهم ، وأوضاعهــم الاجتماعية والسياسية الجديدة فيها ، وأحوالهــم العلمية والدينية والأدبية والحربية والادارية .

وقبيلة سُليم من أعرق القبائل العدنانية ، وهي معروفـة لها المكانة في الجاهلية وفي صدر الاسلام : في الجاهلية كانت معروفــة بقوة الشكيمة وبالصلابة والبطولة والجمال ، وديارهم محصنة تحصيناً طبعياً بالحرار والجبال المحيطة بها ، ومحروسة بسيوفهم ورماحهم ورجالهم ، وهي غنية بمواردها المعدنية وبمواردها الزراعية وبتجاراتها المستفيضة ، وكانوا معروفين باقتناء الجياد الأصيلة وركوبها في المعارك القبلية التي كانت تدور بينهــم وبين جيرانهم وخصومهم من القبائل بأتفه الأسباب تارة ، وبمهمها تارة .

أما في صدر الاسلام فكتب السيرة والتاريـخ طافحة بمجدهم .. تقدم منهم ألف بطل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبيل فتح مكة مسلمين ،

واشتركوا مع أصحابه في فتح مكة .. وكانت رايتهم حمراء اللون ، وكانت فيهم قوة وأيدٌ وإقدام ، وحماسة واضحة للاسلام .

ثم أسهموا مع الصحابة والتابعين في فتوح البلدان : فتح العراق وفتح الشام ، وفتح مصر ، وفتح ما وراء النهر ، وفتح المغرب ، وفتح الأندلس .

وفي العقد الأول من القرن الهجري الثاني ، رأت السياسة الأموية أن توجد منهم كثرة بمصر ، لتتساوى كفتا العدنانية والقحطانية بمصر ، فكان أن هاجرت أسرٌ منهم عديدة من موطنهم الأصلي بهذه البلاد إلى بلبيس ، فاتخذوها موطناً ، وبنوا لهم بها تجارة وزراعة واقتصاداً ، وتناسلوا هنالك ولما تدفق سيل القرامطة من البحرين إلى الشام ، كان بنو سُليم معهم ، لا اعتناقاً لمبادئهم العقدية الالحادية ولكن لنيل الفوائد المادية من وراء مسايرتهم بعد ان تغلبوا على البلاد . ولما أصيب القرامطة بالهزيمة وأُجلوا عن ديار الشام بالقوة رأينا بني سُليم يعودون معهم إلى البحرين أيضاً . وحينما ضعف القرامطة وذبلت سلطتهم أفاد بنو سُليم من ذلك فحلوا في بعض الأزمنة محلهم في الحكم والسلطة . ومعنى ذلك انهم أفادوا من فرصة اضمحلال القرامطة باثبات كيانهم السُّلمي .

وقد تتبعنا خطوط تحركاتهم هنالك .

وحينما أدرك العُبيديون بمصر قوة بأس بني سُليم ، أرادوا أن يستغلوا هذه الطاقة الحربية العربية التي أثبتت وجودها في البحرين .. فأغروهم وأغروا معهم بني عمهم (بني هلال) بأن يقدموا إلى مصر للمرة الثانية . ففعلوا ذلك تحت عوامل الإغراء والضغط . وحينما اقتضت سياسة الحاكم العبيدي بمصر في منتصف القرن الهجري الخامس أن يضرب بقوةٍ بني سُليم ، وبقوةٍ بني هلال ، قوةَ خصمه الذي كان تابعاً له في إفريقية

الشمالية ، ثم استنكف عن التبعية ، وألقى مقاليده إلى الخليفــة العباسي ببغداد ، وذلك الخصم السياسي الألد للحكم العبيدي في افريقية ومصر هو (المعز بن باديس) — زين له وزيره (اليازوري) أمر كيل هــذه الضربة المفاجئة المزدوجة لكل من بني سُليم وبني هلال والمعز بن باديس .. ففعل ذلك بحزم ودهاء وكياسة . وقد أنبأنا التاريـخ بأن (مركز) هذه السياسة الماكرة كان إشعار الوزير اليازوري لبني سُليم ولبني هلال ، بأن الخليفة المستنصر الفاطمي : (العبيدي) قد منحهم حق التصرف الكامل في شمال افريقية بدون قيد ولا شرط .. وهكذا تم نصب « الفخ » الذي قضى قضاءاً مبرماً على سلطة المعز بن باديس والمقوض لأركانهـــا من الأسس في شمال افريقية ..

وقد تتبعنا خيوط تحركات بني سُليم في هذه المرحلة المهمة من حياتهم الحربية والسياسية والاجتماعية .

هذا وقد سجلت في الكتاب ، كل ما أمكنني تسجيله ، من عوامل تمــدد بني سُليم ، وأسباب انكماشهم ، وبواعث تقدمهم ، ودوافــع تأخرهم . وأسباب كل ذلك ذات قسمين : قسم داخلي ، وقسم خارجي .

ويحوي الكتاب استعراضاً وافياً لأصولهم ولفروعهم .

كما أنه جمع وقائع وقعت لهم وعليهم ، في الجاهلية والإسلام .

وهو — أي الكتاب — يُعرف بديارهــم الأصلية في داخل هــذه البلاد ، وبديارهم الفرعية في خارج هذه البلاد .

وقــد تعرض لملامحهــم ، وفلسف أسماءهم ، وترجم للكثيرين من رجالاتهم ونسائهــم : ففيه تراجم الصحابــة والصحابيات ، والتابعين والتابعيـــات ، والعلماء والعالمات ، والشعراء ، والشاعرات ، والكتّاب والتجار والسراة ، والأمراء والأبطال ، والفُتاك .

وفيه صور لبعض آثارهم ، ولبعض حاضر ديارهم . وفيه « مُصور » يشمل ذكر بلادهم ضمن هذه البلاد ، وبعض الوثائق المتوارثة لديهم . وفيه ذكر لشعرهم العامي الحديث وبعض أمثالهم العامية وعاداتهم وأعرافهم القبلية .. الحاضرة .

هذا وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، فإنما قصدت بتأليفه والمعاناة في إخراجه ان أبرز صورة كاملة واضحة لبعض معالم تاريخ هذه البلاد ، والله الموفق .

عبد القدوس الانصاري

قِسْم المعلومَاتِ العَامة

ديار بني ُسليم الأصلية

إذا أردنا أن نحدد الأماكن التي استوطنتها بنو ُسليم – عبر التاريخ – قديماً وحديثاً ، فإن لنا أن نقول :

أولاً – إن الموطن الأول لهم كان بأعالي الحجاز ، بينه وبين نجد ، شرقي مدينة جدة الشمالي ، وشرقي المدينة المنورة الجنوبي . وكانت بعض القبائل العربية ، مثل هوازن ، ولحيان تجاورهـا . وكان استقرار ُسليم في هذا المكان ، في فترة الجاهلية الأخيرة القريبة من صدر الإسلام ، وقد استمر مقامهم به حتى العصر الحاضر ، مع تقلصٍ في بعض المواقـع . ولا تزال أسماء الكثير من أماكن هذه الرقعة في جبالها وأوديتها وقراهـا على ما كانت عليه قبل الإسلام .

ثانياً – في زمن لا نستطيع تحديده الآن ، انتقلت جالية أو أُسرٌ ، من بني ُسليم إلى الحيرة ، في الشرق الشمالي من بلاد العرب ، بأرض العراق . فقد ذكر اليعقوبي أن الحيرة هي من منازل آل بقيلة وغيرهم ، وأن علية أهل الحيرة نصارى ، منهم من قبائل العرب من (بني تميم) و (ُسليم) و (طيِّىءٍ) وغيرهم [1] .

---

١ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي ، ص ٢٢٧ ، الجزء الرابع ، طبع دار العلم للملايين في بيروت .

ثالثاً – وفي فترة لا نستطيع أيضاً تحديدها الآن حدث « تمدد » في منازل سُليم الأصلية ، فنزلوا شمالاً عنها وادي القري وخيبر ، وما حولها من حرار ، وجبال ، وأودية وقرى ، منها منطقة مدائن صالح . وقد يدلنا اهتمام السلميين بالتسمية باسم (الحُباب) بضم الحاء .. وهو الحية ، على أنهم ربما نزلوا على بقايا – ثمود – في شمال المدينة المنورة ، وربما كانت تلك منازلهم الأصلية ، ثم امتدت منازلهم إلى ما بين الحجاز ونجد .. وذلك لأننا وجدنا بعض ثمود قد سمت باسم (الحُباب) أيضاً .

وكون أصل مواطن سُليم شمال المدينة المنورة هو افتراض مني ، سببه ما ذكرته آنفاً ، وهو أمر يحتاج إلى مزيد من الدراسة الأثرية ، وإلى تنقيب في منطقة مدائن صالح شمال المدينة المنورة ومنطقة ديار سُليم جنوب شرقي المدينة المنورة ..

رابعاً – ازداد انتشارهم ، فانفصل من انفصل منهم عن سكنى « الوطن الأم » .. دفعة واحدة .. وذلك حينما تدفقوا مع المجاهدين من العرب ، في سبيل الله ، في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه .. وكانت وجهة هؤلاء المجاهدين فتوح شمال إفريقية ، ثم الأندلس . وقد استقر منهم جماعات هنالك بعد الفتوح ، وبعد استقرار الإسلام في شمال إفريقية وفي الأندلس[1] مع اخوانهم الذين استوطنوا تلك الديار النائية .

خامساً – وحينما تم تأسيس مدينتي البصرة والكوفة قبل ذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، رأينا جالية من بني سُليم تستقر هنالك ..

---

١ في كتاب « أخبار مجموعة » أنه لما نهض عبيد الله بن علي الكلابي ، ودعا في الجند إلى نصر العميل تقاعس ابن شهاب وابن الدجن العقيلي وأصفقت بنو عامر كلها على الخروج اليه : كلاب ونمير وسعد وجميع قبائل هوازن وسليم بن منصور .... فخرجت قيس كلها من الجندين ، والجندان متجاوران بالأندلس – ص ٦٥ و ٦٦ ، طبع مطبعة مجريط سنة ١٨٦٧ م .

وربما كان في أوائل من استقروا بالبلدتين الاسلاميتين الحديثتين المذكورتين من كان من بني سُليم مع المجاهدين في تلك الجهة .. وقد استوطن فريق من بني سُليم ، المدينة ومكة أيضاً ، وربما كانت لهم أُسرٌ سابقة فيها .. كما نرى انه ربمـــا يكون بعضهم دخل ديار نجد واتخذهـــا مقراً له ، إذ ذاك .

سادساً — ثم ارتأت سياسة الدولة الأموية — في عهـد هشام بن عبد الملك — أن تُرحل أُسراً كاملة من بني سُليم من ديارهم الأصلية ، إلى القطر المصري ، لحفظ التوازن هناك بين شطري الشعب العربـي : بني قحطان وبني عدنان .. فقد لاحظ له أمير القطر المصري رجحان الجانب القحطاني على العدناني في استيطان مصر . وقد نفذت هذه الخطة السياسية فعلاً بدقة متناهية ، فقدمت لهم الدولة الأموية كل أسباب الاستقرار في مصر . ووفرت لِنُزّاحهم اليها نفس الجو والبيئة والأعمال والحيـــاة التي كانوا يعيشون فيها بموطنهم الأصلي ، وبذلك ضمنت لهـم الاستقرار في مصر .. وربما كان وراء إجلاء هشام ، لبني سُليم من بلادهم ، هدف سياسي آخر ، ولعله منع تكتلهم وتجمعهم في ديارهم لئلا يقوموا بعمل ليس من مصلحة الدولة .

سابعاً — وحينما استفحل أمر القرامطة الملحدين ، واحتلوا بعض المدن والأقطار الاسلامية ، حاملين معهم مبادئهم الهدامة ، انضم اليهم بنو سُليم — سياسياً وحربياً ، لا عقديـــاً — وذلك بغية اكتساب المغانم السياسية والحربية . وقد نص المؤرخون على أن السلميين لم يعتنقوا مبادىء القرامطة إبان وجودهم معهم .

ثامناً — وعندما تم إجلاء القرامطة عن ديار الشام — عنوة — انكفؤوا إلى البحرين ، فانضمت اليهـــم سُليم ثانية . وحينما تسرب الوهن إلى القرامطة في البحرين احتل بنو سُليم البحرين كحكام ، وأقاموا بها شبه

حكم سلمي ، ردحاً من الزمن . وربما لا تزال بقايا منهـم هنالك اندمجت في بقية السكان .

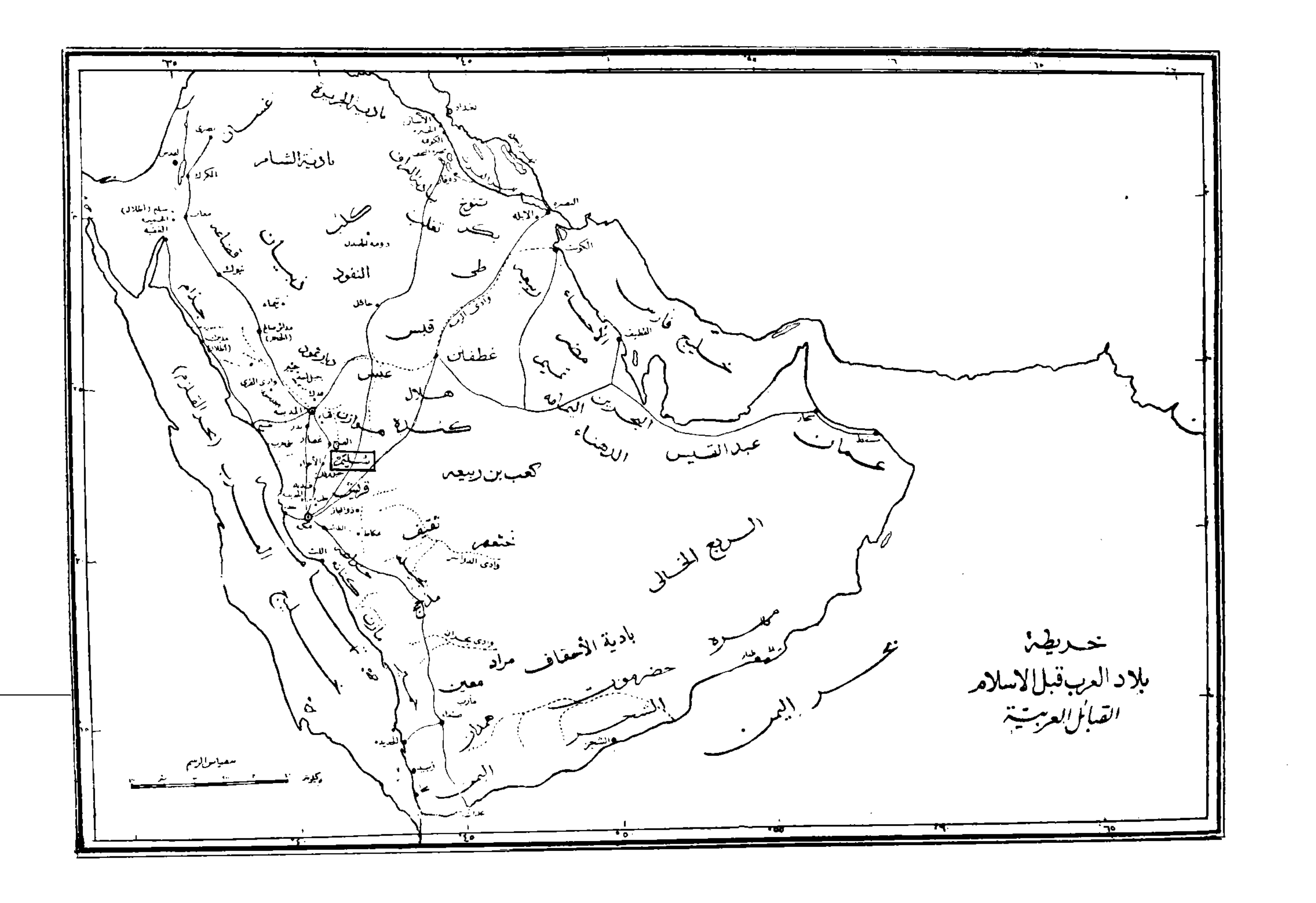
تاسعاً — وقد تسربت جالية من بني سُليم عامة ، ومن بني زُعاب خاصة — إلى رأس الخيمة[1] من مشيخات الخليج العربي ، ولسنا نعلم الآن الجهة التي دخلوا منها إلى « رأس الخيمة » ولا الزمن الذي دخلوها فيه ، ولا الملابسات التي أدت بهم إلى ذلك . وكلُّ ما اطلعنا عليه هو وجود جالية منهم في رأس الخيمة حتى اليوم .

عاشراً — أما في القطر المصري الذي اتخذوا — ناحية بلبيس — منه موطناً في عهد هشام بن عبد الملك الأموي ، فقد عرّفنا التاريخ بأنهم قاموا باستثمار الأراضي الخصبة التي مُنحوها ، وقاموا بتربية الخيل والإبل ، وقاموا بالزراعة فيها ، وأسهموا في الاقتصاد المصري بمجهوداتهم .. فلما لاح لهم النجاح ، وضمنوا الاستقرار ، استدعوا بعض بني عمومتهم من ديارهم الأصلية في هذه البلاد ، وأوضحوا لهم ما ينعمون به من خير وافر ، وما هم فيه من نعيم ، فوفدت اليهم أُسرٌ من بني عمومتهم ، وشاركوهم فيما يضطربون فيه من عملٍ واستصلاح وتنمية موارد خاصة بهم . واستقروا معهم في مستقرهم بمصر .

حادي عشر — وفي سنة ٤٤٠ هـ — ١٠٤٨ م دفعت (السياسة

---

١ اسم بلدة بني سليم في مشيخة رأس الخيمة هو : (جزيرة زعاب) نسبة إلى سكانها من بني سليم الذين ينتمون إلى « زعاب » من بني سليم . وتقع بلدة جزيرة زعاب على مسافة ١٩ كيلومتراً من « رأس الخيمة » ، ولهم بها مدرسة أنشئت سنة ١٩٦٠ — ١٩٦١ م . ويدرس فيها منهم (١٢٣) طالباً سلمياً . راجع ص ١٩٤ من كتاب (الجزيرة العربية) لمصطفى مراد الدباغ (الجزء الثاني) . ويبدو لي أن المؤلف لم يكن مطلعاً على وجود قبائل سلمية كبيرة تعد بالألوف في بلادهم بين مكة والمدينة حينما قال في كتابه المذكور آنفاً ، ص ١٨٩ ، الجزء الثاني ما نصه : « إن بني سليم المقيمين في مشيخة رأس الخيمة هم من البقية الباقية في شبه الجزيرة العربية » مكتفياً بذلك .



خريطة
بلاد العرب قبل الاسلام
القبائل العربية
بادية الشام
غسان
بادية الجزيرة
كلب
النفوذ
دومة الجندل
تغلب
بكر
تنوخ
طي
قيس
غطفان
عبس
هلال
هوازن
كعب بن ربيعة
ثقيف
خثعم
الربع الخالي
عبد القيس
عمان
خليج فارس
اليمامة
البحرين
الدهناء
مضر
تميم
ربيعة
الأحساء
بادية الأحقاف
مراد
معين
حضرموت
مهرة
همدان
الشحر
بحر اليمن
بحر القلزم
بحر العرب
كنانة
مذحج
قريش
الكويت
البصرة
الأبلة
القطيف
بغداد
تبوك
تيماء
خيبر
المدينة
مكة
بدر
الطائف
حائل
مأرب
صنعاء
عدن
مسقط
صحار
وادي الدواسر
مدائن صالح (الحجر)
وادي القرى
مقياس الرسم

العُبيدية) الحاقدة على عامل العبيديين بإفريقية : المعز بن باديس الذي خلع طاعتهم ، ومـال إلى العباسيين في بغـداد — دفعت تلك السياسة المحبوكة ، ببني سُليم وبني هـلال ، إلى الهجرة الجماعية ، إلى شمال إفريقية ، من مصر ، بقضهم وقضيضهم ، فنفذوا — حرفياً — مخططات هذه السياسة ، وطبقوا برامجها بكل دقة وتصميم .. والعربـي صريح في ولائه وعدائه .. وقد نال شمال إفريقية منهم عنت بالغ ، فترة من الزمن .. ولكنهم مع ذلك تمكنوا من نشر راية اللغة العربية في بلاد المغرب وارساء قواعدها بين جماهير من البربر ..

ثاني عشر — وفي أوائـل العصر الحديث رأينا جَوَالِيَ سُلميَّةً ، تنزح ، عائدة من شمال إفريقية إلى مصر ، التي سبق لهـا أن نزحت منها إلى شمال إفريقية في أواسط القرن الخامس الهجري . وقـد استقرت — ثانية — هذه الجوالي في مصر ، واعتبرت من أهلها الأعراب ، ولا يزالون مقيمين فيها حتى اليوم .

تلك « خلاصة » وافية لمواطن بني سُليم ، ما كان أصليـاً وما كان فرعيـاً ، في أقطار المعمورة وستأتي التفصيلات .

ومن كل ما ذكر آنفاً ندرك مدى نشاط هذه القبيلة التي وُصفت منذ عهد الجاهلية بأنها قبيلة عظيمة ، من قبائل العرب العدنانية . فقـد كانوا في الجاهلية والإسلام حركة قوية وذوي نشاط حربـي واقتصادي واداري مرموق ..

في الجاهلية كانت العرب تقدرهم وتقدر شجاعتهم ومواهبهم ، وتفيد من ثرائهم وثراء بلادهم ، فتتاجر معهم ، وتشاركهم في استثمار مزارعهم وتجاراتهم ، وذلك لا غرو أن نرى أفراداً منهم ذوي مكانة ، بمكة ، وبغير مكة . ولذلك لا بدع أن نرى بعض رجالات العرب يُصهرون اليهم .. ويسهمون معهم فيما يسمهون فيه من استثمار معادنهم الذهبية الثرة

والاتجار بناتجها الثمين . وديارهم الأصلية في وسط بلاد العرب ، ولكنها مع ذلك حصينة ، حصانة طبيعية ، مما مكن لهم ، وأثل لهم المجد ، ووقاهم إلى حد ما ، من استباحة حماهم .. وكانت لهم خيول وافرة . والخيل خير مطايا الحرب في ذلك العهد ، وإلى عهد غير بعيد .

وفي الإسلام كانوا حركة دائبة ، ونشاطاً حربياً وإدارياً متقداً ، وذكاءاً ولماحية ، وقدرة على تحمل أعباء الحكم الذي يضطلعون به نتيجة تولية زعمائهم ورجالاتهم الحكم من قبل الخلافة في شرق وفي غرب .. وقد بدأت تحركاتهم الجماعية في الإسلام ، بأن قَدِمَ ألف منهم شاكي السلاح ، جاءوا دفعة واحدة ، مسلمين إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم ، عقب فتح خيبر ، بعد ما اقتنعوا بصدق الاسلام ، وبمزاياه الروحية والنفسية والمادية ، والدينية والدينوية .. وكانوا إذ ذاك مستعدين لخوض غمار المعارك لنصرة دينهم الحق الذي دخلوا فيه زرافات عن إيمان واقتناع ، وكان طليعة أعمالهم البطولية أن شاركوا ، بحماسة ، في فتح مكة .. وكانت لهم رايتهم الحمراء وقوادهم الأبطال .. وكان لدخولهم الجماعي في دين الإسلام ، واقتحامهم ساحة الوغى تحت رايته الوضاءة — رنّة فرح وغبطة ، لدى إخوانهم المسلمين ، ودويٌّ هائل في أنحاء شبه جزيرة العرب ، لدى المشركين .. فقد كانوا معروفين بشدة البأس والمراس ، وقوة الشكيمة وبالبطولة والإقدام . وحينما دعا داعي الفتوح الاسلامية إلى خارج الجزيرة كان السلميون من أوائل من لَبّى النداء ، فأسهموا في فتح مصر وشمال إفريقية ، والأندلس .. كما سرى نشاطهم الحربي إلى حروب الردة قبل ذلك في خلافة أبي بكر الصديق ، فرأيناهم فريقين : فريقاً مرتداً يحارب المسلمين بعنف وضراوة ، وفريقاً يحارب مرتديهم بعنف وضراوة ، وأخيراً اتحد شملهم المتفرق تحت راية الإسلام . وفي حروب شرق الجزيرة بفارس كان السلميون مع المجاهدين ، وفي الفتوح بشمال العراق ، كانوا هناك أيضاً مع المجاهدين .. ويذكر

المؤرخون أن « نصر بن الحجاج » السُّلمي الفتى الجميل ، الذي نفــاه عمر بن الخطاب إلى البصرة حيث تقيم جالية سُلمية من بني عمومته .. َحنَّ إلى الجهاد ، فدخل في زمرة المجاهدين إلى الأراضي التي تقع بشمال العراق ، وامتشق الحسام .. فغسل ما قد يكون علق به من أوضار الشباب .. وحينما أشِبَ َ- اختلط - الأمر على العرب المسلمين ، واختلفوا أشد اختلاف وأمَرَّهُ ، فيمن هو أولى بمنصب الخلافـة : أعبدُ الله بن الزبير بن العوام في مكة رضي الله عنهما . أو مرشحو بني أمية من الأمويين في دمشق رأينـــا بني سليم العدنانيين ينحرفون عن حلفائهم الأمويين ، ويرشحون للخلافـــة عبد الله بن الزبير ويصرون على ذلك ، وكانوا في ذلك ضد الكلبيين اليمانين الذين كانوا إلى جانب خلافة بني أمية على طول الخط .. وقد نشبت فيما بين الفريقين بعد مصاولات سياسية حامية - معركةُ « مرج راهط » الضارية . وحدث أن هُزِم القيسيون ومنهم بنو سليم في هذه المعركة الأهلية ، وانتصر عليهم الكلبيون انتصاراً حاسماً . وهكذا تسنم « مرشحهم » الأموي منصب الخلافة . وكان نصيب مرشح القيسيين للخلافة : (عبد الله بن الزبير) ما هو معروف في التاريـخ . ولم يُسَلِّم « السلميون » بنتائج الهزيمة الساحقة ، فسرعان ما استردوا اعتبارهم السياسي ، وقد رأينا مِنْهُم مَنْ تُوليهم الخلافة الأموية المناصبَ الرفيعة في العهد الأموي ، في مشرق وفي مغرب كما كانوا يولونها خصومهم السياسيين والحربيين المنتصرين في مرج راهط ، سواء بسواء .

وقد رأينا فيما َبعْدُ من أنسال الجوالي السلمية في مصر والشام والمغرب والأندلس من كان في مرتبة الإمارة في العلم والحديث والفقه والدين ، مثل الإمام الترمذي ، والعز بن عبد السلام ، وعبد الملك بن حبيب .

ونعتقد أن بني سليم كانوا مع الجيوش الإسلامية التي غزت أوربة . ولا بد أن منهم من كان في جنوب إيطاليا وسويسرة مع الفاتحين . وكذلك

شأنهم في حروب الشرق الأقصى ، وفي حروب الهند والسند ، وارمينية وما وراءها .

وفي عصرنا الحاضر رأينا منهم من كانوا في جيش الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله ، على أثر الخلاف الذي نشب بينه وبين الإمام يحيى حميد الدين رحمه الله .

ومما تجدر الاشارة اليه ، ونحن في معرض هذا البحث ، أن عشائر كبيرة من سليم حافظت على البقاء في موطن أسلافهم بأعالي الحجاز ، وفي نواحي خيبر ومدائن صالح . وليس بصحيح ما قرره ابن خلدون في كتابه (العبر) من أنه لم تبق باقية من بني سليم في ديارهم الأصلية في زمن ابن خلدون . وقد رأينا ابن خلدون نفسه ينقض ذلك ، فيثبت ما نفاه اولاً ، ويذكر انه بقي منهم اناس في موطنهم الأول يقطعون الطريق على الحجيج . وقد رأينا القلقشنديّ يعتمد على ابن خلدون فيقع في الغلط الذي وقع فيه من اعتمده .

وجدير بالذكر أيضاً أن نقرر بصفة اجمالية هنا أن بني سُليم الجنوبيين المقيمين بجبال السراة والذين ربما انتشر بعضهم إلى اليمن ، ليسوا من بني سليم الشماليين في قبيل ولادبير ، فأولئك ازديون قحطانيون ، وهؤلاء قيسيون عدنانيون . وكل ما في الأمر أن جامعة العروبة والإسلام تجمع الجانبين معاً .

تحديد ديار سليم الأصلية

يبدو لي أن تحديد ديار بني سليم الأولى يقتضي سعة نظر ، فحدود بلادهم هذه مرنَة ، مطاطة ، تتسع وتضيق حسب الظروف والأحوال الاجتماعية السائدة ، لديهم ، ولدى من يجاورهم ويُصاليهم من العرب المماثلين .

ومن أوائل من قدموا لنا تحديداً واضحاً لديارهم ، الحسنُ الهمداني .. قال : (فمن وادي القرى إلى خيبر إلى شرقي المدينة ، إلى حد الجبلين ، إلى ما ينتهي إلى الحرة : حرة بني سليم — لا يخالطهم الا صِرَمٌ — جماعات — من الأنصار ، سيّارةٌ ، وقد يحالون طيئاً) [1]

وعند الهمداني أن « السوارقية » و « صفينة » داخلتان في ديار بني سليم [2] .. وقد تغير ذلك فيما بعد ، فقد حدثنا محمد بن بليهد — وهو مؤرخ ورحالة سعودي معاصر — بأن « السوارقية » و « صفينة » تغلبت عليهما بنو عبد الله بن غطفان ، كما تغلبت على جميع الحرار بهما [3] .

وقدمت لنا « دائرة المعارف الاسلامية » تعريفاً لديارهم فضفاضاً حينما قالت : « وتقوم منازل هذه القبيلة على طول حدود نجد والحجاز ، ويتاخمها من الشمال أرض المدينة ، ومن الجنوب أرض مكة ، وكان جيرانها من الشرق قبائل غطفان ؛ وهوازن ، وهلال ، وهي من بني عمومتها) .

وأضافت إلى ذلك وصف ديارهم بالرخاء الوافر حتى نهاية العهد الأموي ، فقد كانت مركز تعدين وتلال (وتلالاً) حافلة بالغابات ، وواحات استغلت استغلالاً حكيماً رشيداً) .

وجعلت « الرّبذة » من هذه الواحات ، وكذلك « فرّان » و « معدن البُرَم » وصفينة وسوارقية (السوارقية) وغيرها » وقالت : « إن

---

١ صفة جزيرة العرب ، للهمداني ، ص ١٣١ ، طبعة مصر .
٢ المصدر السابق ، ص ١٧١ .
٣ تعليقات محمد بن بليهد على كتاب صفة جزيرة العرب ، للهمداني . وقد حددت لنا البعثة الأمريكية الزراعية في تقريرها المطبوع بمصر صفينة وعرفتها لنا إذ قالت (ص ١٤٠) : « صفينة : هي قرية صغيرة واقعة تقريباً على بعد ٤٥ كيلومتراً من المهد وعلى بعد كيلومترين ونصف إلى جنوب مركز المضخة رقم ٣ » .

واحة سوارقية (السوارقية) تمتد مرحلة ؟ عدة أيام ، وهي عامرة بأشجار الموز والرمان والأعناب ، ناهيك بأحراج النخيل » .

وتحدثت عن خصائص بلاد سليم .. فقالت : إنها كانت تملك المصادر المعدنية ، وتشرف على الطريق الموصل إلى المدينة ، وينفذ منها من يريد بلوغ نجد والخليج الفارسي : (الخليج العربي)

وأضافت أن كثيراً من الأُسَرِ المكية تحالفت مع سُليم ، واشتركت معها في استغلال ثروات البلاد الزراعية والمعدنية . وأهم ثرواتها المعدنية هي — هو — الذهب والفضة . وقد استؤنف النشاط في ناحية التعدين بسليم ، في خلافة أبي بكر ، واستمر استغلال مناجمها في عهد الأمويين ، وكانت مورداً له قيمته من موارد الدولة .

ووصفت بني سليم بأنهم كانوا يملكون جياداً كثيرة . ويُعَدُّ ذلك آية من آيات النعيم الأخرى ؟ في الصحراء [1] .

وجاء في كتاب عرام السلمي ما يؤيد رأي دائرة المعارف الاسلامية من ناحية امتلاكهم لكثير من الجياد وغير ذلك قال : (ولهم خيل وإبل وشاء كثير) .. وأضاف قوله : (وهم بادية الا من ولد بها ، فانهم ثابتون بها ، والآخرون بادون حواليها ، ويميرون طريق الحجاز ونجد في طريقي الحاج) [2] .

ومنازل بني سليم في رأي الدكتور جواد علي : « تقع في مواطن حرار ، ذات مياه ومعادن ، عرفت بمعدن سليم ، وكانوا يجاورون عشائر غطفان ، وهوزان ، وهلال ، وخثعم ، وثقيف ، وقد صارت سليم

---

١ دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية بمصر ، ص ١٤٤ ، المجلد الثاني عشر ، طبعة مصر .

٢ أسماء جبال تهامة وسكانها ، لعرام بن الأصبغ السلمي ، ص ٦٥ و ٦٦ .

من القبائل الغنيّة بسبب خيرات أرضهم ووقوعها في منطقة مهمة ، تهيمن على طرق التجارة . وقال : إن صلاتها كانت حسنة ببلاد يثرب ، كما كانت صلاتها وثيقة بقريش ، وقد تحالف عدد كبير من رجالات مكة ، مع بني سليم ، واشتغلوا معهم في الاستفادة من المعادن والثروة في أرض سليم .[1]

وهذا الذي يقوله جواد علي ، لا يخرج عما ورد في دائرة المعارف الاسلامية .. حسب ما ذكرناه آنفاً .

وسيرد في الفصل الذي عقدناه بعنوان : (أمراء ومحتسبون وفرسان وقادة وولاة وموظفون من بني سليم) سيرد الحديث عن (قيس بن خزاعي السُّلمي) الذي ذكرت رواية أجنبية اسمه ووصفته بأنه شخصية عربية مرموقة ، وبأن نظر القيصر وقع عليه فاختاره عاملاً على قبيلة معد ، وأنَّ حكمه كان على أرض فلسطين .. فهل انتقلت قبيلة سليم وبعض قبائل معد ، في عهد قيصر الروم (يوسطنيان) إلى أرض فلسطين آنذاك فحكمتها تحت رعاية قيصر الروم ؟![1] .

ويذكر لنا الأمير شكيب أرسلان منازل بني سليم فيقول : (ومن منازلهم حرة سليم ، وحرة النار ، بين وادي القرى وتيماء[2] .

تلك تحديدات متعددة متقاربة لبلاد بني سليم في العهد القديم ، تناقلها الرُّواة والمؤرخون بحسب عهودهم أو عهود سبقت عهودهم .

أما تحـديد ديارهم الحاضرة ، فيختلف عما سلف . ويبدو لي أنها تقلصت عما كانت عليه فيما مضى ، حسب الظروف والحروب ،

---

١ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، لجواد علي ، ص ٢٥٧ و ٢٦٨ ، الجزء الرابع .
٢ الارتسامات اللطاف ، للأمير شكيب ارسلان ، ص ٢٧٤ ، طبع مطبعة المنار بمصر .

والأحوال الاجتماعية والاقتصادية السائدة لدى عرب المنطقة ، فقد وصفها لنا كل من (حسين بن هندي السلمي) رئيس قرية الكامل ، أمّ قرى بني سليم ومركز الأمارة فيها الآن ، و (عبيد بن محمد السُّلمي) الموظف بشركة الزيت العربية الامريكية بجُدَّة ، حسب ما يأتي :

قال حسين بن هندي :

يحد بلادَ بني سليم الآن من ناحية الشرق : القَرَى — بفتح القاف والراء المهملة — وهي حَرَّةٌ مرتفعة يسيل منها الماء إلى الغرب والشرق معاً .

ومن ناحية الغرب : الحُوَار .

ومن ناحية الجنوب : رُهاط .

ومن ناحية الشمال : جبالُ الحقو ، بشَمال وادي تمرة الواقع شمال ستارة .

وقال حسين بن هندي السلمي أيضاً : إن أرضهم الآن لا تقل طولاً : عن ثلاثمائة كيلومتر تقريباً من الجنوب إلى الشمال . وعرضاً : لا تقل عن مائتي كيلومتر ، من الشرق إلى الغرب تقريباً .

أما عُبَيْدُ بن محمد السلمي ، فإنه يقول :

يحد بلادَنا غرباً : وادي حُلَيْفَة .

وشرقاً : رأس القَرَى على جبل شمنصير .

وجنوباً : وادي رُهاط .

وشمالاً : وادي ستارة ، وذَرَة .

والتعريفان غير متباعدين . وقد أيد لي ذلك مبارك بن عبد التواب السلمي .

وكان الشريف شرف عبد المحسن البركاتي المكي حدد بلاد بني سليم بقوله : « تلي جنوباً منازل قبيلة بني عبد الله المشهورة بمطير » . وكان قد حدد منازل مطير بأنها : « تقع في الشرق شمالاً ، وتمتد إلى نجد » [1] .

وبلاد بني سليم قسمان : قسم طبيعي ، وقسم صنعي .

والقسم الطبيعي منها يشمل الحرار والجبال ، والمنابع ، والمعادن ، والأودية .

والقسم الصنعي يشمل : القرى ، والحصون ، والحدائق ، والحقول ، والعيون ، والآبار ، والعمارات ، والآثار .

وفيما يلي بيان واستعراض للقسم الطبيعي من تلك الديار ، بالقدر الذي توصلنا اليه :

فأولاً – الحِرَارُ *

(حرة بني سُليم) .. يقول عنهـا الحسن الهمداني : « وعرض حرة بني سليم ثلاثة وعشرون جزءاً ونصف » [2] .

وحرة بني سليم تحت قاع النَّقيع ، وفيها رياض وقيعان . ويدفع ذلك في النقيع .

وقال الهجري في تحديد حرة بني سليم : (تبتدىء هذه الحرة من ذات عِرْق ورهاط ، ثم تنقطع بِحبس عوال ، وراء تَيْب ، إلى قرب

---

١ الرحلة اليمانية ، لشرف عبد المحسن البركاتي ، ص ١٣٠ ، طبعة بيروت .

* الحرار ، بكسر الحاء المهملة ، جمع حرة – بفتح الحاء – وهي حجارة سود أو جبال بركانية سود ، محترقة . والأغلب أن لا تنبت شيئاً لأنها محترقة .

٢ صفة جزيرة العرب ، للهمداني ، ص ١٨٥ ، طبع مطبعة السعادة بمصر .

الطرف : المنزل الذي قبل المدينة ، وتليها حرة ليلى وتنقطع بجنفاء ، من ضفن عدنة وخيبر بحرة النار) .

وقال الثعالبي : (حرة النار) ، لبني سليم ، وتسمى أم صبّار ، وفيها معدن الدهنج ، وهو حجر أخضر يُحْفَرُ عنه ، كسائر المعادن ، وهو في عالية نجد .

ومن حِرَارِهِمْ : (حرةُ الحِذْرِيَّة) . وعد ابن خلدون حرة النار من حرارهم [1] ، و (منيحة) ، وهي لجسر وبني سُليم .

وثانياً : الجبال

من جبال بني سليم : (برْمة) ، قال عنه البكري انه : موضع مذكور محدد في رسم بلاكث ، وبمراجعتنا لمادة بلاكث وجدناه يقول ما ملخصه : (بلاكث موضعان ، فبلاكث الواحــدة بين المر وشبكة الدوم قرب برمة ، فوق خيبر من طريق مصر ، وهي عرض من أعراض المدينة . وبلاكث الأخرى بين عنزة ومدين ، وكلاهما على طريق مصر) (مادة بلاكث في معجم ما استعجم) .

ومن جبالهم : (ثَرْوان) أو (ثَرْواء) ، وجبل (النِّسار) ، وجبل (واهب) . وجبل (شمنصير) . وكنت كتبت عنه قبل أحد عشر عاماً : فقلت : « وأشهر جبال وادي ساية : جبل شمنصير الذي لا يزال محتفظاً باسمه العربي التــاريخي [2] » . وعن جبل شمنصير يقول عرام بن الأصبغ السلمي : (هو جبل ململم ، مستدير ، مجموع بعضه

---

١ العبر لابن خلدون ، ص ٦٣٩ ، المجلد الثاني ، طبع بيروت .
٢ تحقيق أمكنة مجهولة في الحجاز وتهامة .

إلى بعض ، لم يَعلُهُ قط أحد ، ولا درى ما على ذروته . بأعلاه القرود . ويقال : إن أكثر نباته النبع والشوحط . والمياه حواليه ينابيع ، عليها النخيل والحماط) . ويضيف قوله : (ويطيف بشمنصير من القرى : قرية كبيرة يقال لها : « رُهاط » بضم الراء .. وهي بِوادٍ يقال له : غُرَان – بضم الغين المعجمة . وأنشد .

فإن غُراناً بطن وادٍ أحبه　　　لساكنه عهـد عليّ وثيق

وبغربيه قرية يقال لها الحديبية ليست بالكبيرة [1] .

وقد أخبرنا حسين بن هندي السلمي وعبيد بن محمد السلمي ، بأن الناس الآن يرتقون ذروة جبل شمنصير ، وقد رقاه احدهما أو كلاهما كما عـلاه مبارك بن عبد التواب السلمي فليس الأمر فيه على ما قال عرام بالنسبة لهذا الزمان .. وأقول اذن : لربما كان عرام سمع هذا القول المبالغ فيه من بعض بني سليم في عصره ، فنقله من غير أن يتحرى الواقع من غير الذي حدثه بهذا القول .. وهذا – للتوفيق بين قوله والواقع . لأنه اذا كان المعاصرون يرتقونه فإن الأولين بامكانهم أن يرتقوه .

هذا وقد مر بنا أن قرية (رُهاط) تحد ديار بني سليم الآن جنوباً ، فيما اتفق عليه السُلميان المعاصران ؛ حسين بن هندي وعبيد بن محمد .

وتسكن بجبل شمنصير الآن ، ربيعةُ بن سليم .

وجبال (أُبْلى) من جبال سليم ، وهي قريبة من صَمَةَ – بالتخفيف . وليس لها ماء ، وانما هي مفازة بين قرن وصمة [2] .

وكذلك (عقر) هو جبل ضخم من جبالهم ، يشرف على معادن

---

١ أسماء جبال تهامة وسكانها ، لعرام بن الأصبغ السلمي ، ص ٢٧ و ٢٨ ، طبع القاهرة .

٢ معجم البلدان لياقوت الحموي ، ص ٥٥٠ ، المجلد الثاني ، طبع إيران .

الماوان ، قبل الربذة بأميال لمن كان مصعداً ، وهو جبل في ديار كلاب .

و (صِمَةُ) جبال في ديار بني سليم ، ليس لها ماء ، وإنما هي مفازة أيضاً [1] .

و (أروم) و (آرام) هما جبلان يقعان في قِبْلَةِ الربذة بأرض بني سليم ، والحفائر بناحيتها .. قال الشاعر :

ألا ليت شعري هل تَغَيَّرَ بعدنا أروم وآرام فشابةُ والحضر

و (شَرَوْرَى) من جبالهم . وتسمى اليوم (شَرَوْرَة) .. بالتاء المربوطة . قال الأعشى السلمي ، وكان حُبِسَ بالمدينة :

هاجك رَبْعٌ من شَرَوْرى ملبد

وتقع جبال شرورى بين قران والثمال .

و (ذَرَةُ) جبال كثيرة متصلة ، ضعاضع — أي صغار ، لا تسمى ، في ذَرَاها — أي في كِنِّهَا وظلها — المزارع والقرى وهي لبني الحارث بن بُهْثة بن سليم .

و (هضيب القليب) جبل بناحية من بلاد سليم . وقال العامري : هضيب القليب نصف ، بين بني عامر ، وبني سليم ، حاجز فيما بيننا وبينهم . والقليب الذي ينسب إليه هضيبٌ ، لهم — أي لبني سليم .

و (اليعملة) جبال بها مياهٌ كثيرة ، في واد يقال له : اليعملة . وهي في أرض بني سليم . وناحية أرض محارب . ومياهها مشتركة بين الحيين . وبين الربذة واليعملة ثلاثة عشر ميلاً .

و (الشراة) : جبل شامخ ، تأوي إليه القرود ، ويُنْبِتُ الشوحط

---

١ معجم البلدان لياقوت الحموي ، ص ٥٥٠ ، المجلد الثاني .

والنبع والقرظ ، ويشترك فيه بنو ليث وبنو ظفر من سليم . يقع دون عسفان في يسارها .

و (الحريطة) : تلي الشراة . وهي جبل َصلْدٌ أجرد ، ومنه يُصْعَدُ إلى « ساية » وفيه قرى .

و (جماجم أو حماحم ، والوسباء) : جبال لبني سليم ، وهي ِقنانٌ متصل بعضها ببعض .

و (الكبوانة) متعشى يقع شمال المسلح يميل نحو الشرق بغرب حرة كشب وشرق حرة بني سليم .

و (ذو الموقعة) جبل بحذاء (أبْلى) من شرقيها ، وهو جبل معدن بني سليم ، يكون فيه الأرْوَى كثيراً . وربما كانت كلمة (اللازورد) الواردة في معجم البلدان لياقوت الحموي – محرفة عن كلمة (الأروى) . وقد نقل الأستاذ رشدي ملحس رحمه الله ، في كتيبه : (بحث المعادن) ما ورد في معجم البلدان وذلك الصفحة ٤٢ من الكتيب المذكور ، باعتبار أن (ذا الموقعة) من جبال المعادن .

و (جبل ملحان) لسليم أيضاً وتنسب إليه معركة وقعت بينهم وبين غطفان .

و (جبل ميطان) لسليم أيضاً ، وتشاركها فيه مُزينة . ويقع جبل ميطان حذاء شوران .

و (السِّتار) : جبل بالعالية في ديار سليم .

و (قنة الحجر) جبل غير شامخ ، وهو بحذاء قرية الحِجْر الخاصة ببني سليم .

و (شعر) بالفتح ممنوعاً : جبل لبني سليم أو بني كلاب .

وثالثاً – المياه

والمياه تشمل العيون ، والنبوع ، والآبار ، والقلوت *

فمن عيونهم : (عيون الحِجْر) . والحجر : اسم مشترك ؛ كثرت التسمية به في بلاد العرب .. والحجر هنا قرية أو أرض بها مياه وعيون لبني سليم خاصة .

ومن عيونهم : (عين النازية) وهي عين كانت بالصَّعْبِيَّة التي هي أرض واسعة . وهي بين بني خُفَاف من سليم ، وبين الأنصار ، فتضاربوا ، فسدوها . وهي عين عذبة الماء وكثيرته . وقد قتل ناس بسبب ذلك ، وطلبها سلطان البلد مراراً بالثمن الكثير فأبوا ذلك .

ومن الغــدران – (غدير الحِواق) .. وهو غدير في أصل جبل (الحَراس) .. الذي هو جبل أسود ليس به نبات حسن ، والحواق هذا يمسك الماء من السماء كثيراً ، وهو لبني سُليم .

* * *

ومن مياههم : (صَمَةُ) – وهي ماء دون جبال صمة ، في إقبالها .

و (ماء الهَدّار) هو ماء حِسي ، في جبل مُغار ، وهو يفور بماء كثير ، ويقع في سبخ ، بحذائه حاميتان سوداوان .

و (الرَّفدةُ) ماءة ملحة في جوف إحدى الحرتين السوداوين اللتين بحذاء السبخ الذي يقع فيه حِسيٌ الهدار ، بوادي عريفطان . وعليهـا

* القلت – بفتح القاف وسكون اللام بعدها تاء مفتوحة – : هو النقرة في الجبل . ويعني به هنا الماء الذي في النقر جمع نقرة ، فهو من المجاز المرسل : من باب تسمية الحال – بتشديد اللام – باسم محله .. مثل : « واسأل القرية التي كنا فيها » .

نخيلات وآجام – جمع أجُم – بضمتين – بمعنى الحصن – يستظل فيهن المارُّ ، وهي – أي الآجام – شبيهة بالقصور ، وحواليها حموض . وهي لبني سُليم . وتقـع على طريق زبيدة ، يدعوه بنو سُليم : « منقا أو مغار زبيدة » .

و (أليَـةُ) : ماء من مياه بني سُليم . وقال البكريُ في معجمه : إنه موضع .. قال الشاعر :

كأنهمُ ما بين أليَـةَ عـُدوةً ونـاصفةِ الغراءِ هديٌ محلل [1]

و (مـُبـيهل) : مـاء لبني سُليم . ومبهل الأجرد : وادٍ لعبد الله ابن غطفان [2] فلعل مـُبـيهلاً الذي هو ماء لبني سُليم خاص بهم دون بقية الوادي الذي هو لعبد الله بن غطفان .

و (التـُّويمة) ماء لبني سُليم أيضاً [3] .

و (سبي) : ماءة لبني سُليم كذلك [4] .

و (المـُريـَرْ) : من مياه بني سُليم ، قال الشاعر :

هو « المـُرَيْر » فاشربيه أوذرى إن المرير قطعة من أخضر [5]

و (النـَّقـيشـَةُ) . ماء لبني الشريد . وبنو الشريد من سليم . قال الشاعر :

---

١ كتاب الأمكنة والمياه والجبال ، لمحمود بن عمر الزمخشري ، ص ١٣ و ١٥ ، طبع مطبعة السعدون ببغداد .

٢ المصدر السابق ، ص ٢٢ .

٣ المصدر السابق ، ص ٤١ .

٤ المصدر السابق ، ص ١٢٩ .

٥ المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .

خليليَّ قوما في العلاليّ فانظرا أبا لحم من وادي النقيشة حاضره ؟ [1]

و (أُفيْعيةُ) : منهل ماء يقع فوق (فران) ، بينه وبين مكة . ويطؤه الطريق .

و (قلَهى) ماء أو موضع به ماء بينهم وبين مزينة . قال الشاعر :

نحن بنو ذي التاج والقرم اللهَمْ المانعين قلهى وهي طُمَمْ

ومن آبارهم : (بئر معونة) [2] و (ذو ساعدة) و (جماجم) أو (حماحم) و (الوسباء) . والوسباء قنان متصل بعضها ببعض ، والماء ماء لهم فيها . و (الشقيقة) أو (الشفيقة) . وهي بئر في أسفل ذي الموقعة الذي هو جبل معدن بني سُليم من شرقيه . و (آبار الهدبيّة) وهي ثلاث آبار ، ليس عليهن مزارع ولا نخل ، ولا شجر . و (آبار سوارق) — وتقع في وادي سوارق بالسوارقية . وآبار (الصعبية) وهي آبار ينزع عليها ، وهي ماء عذب في أرض عذبة . و (ذات الغار) : بئر عذبة كثيرة الماء تسقي بوادي سُليم . قال عُزيزة بن قطاب السلمي :

لقد رعتموني يوم ذي الغار روعة بأخبار سوء ، دونهن مشيبي
نعيّم فتى قيس بن عيلان غدوة وفارسها تنعونــه لحبيب

وتقع (بئر معونة) في أرض سُليم ، وأرض بني كلاب ، بناحية المعدن — معدن بني سُليم . ويقول الزمخشري : إنها تقع بين أرض بني عامر وحرة بني سُليم [3] .

---

١ نفس المصدر ، ص ٢١٩ .
٢ عند هذه البئر نشبت المعركة بين أصحاب بئر معونة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين من أسهم فيها من بني سليم .
٣ كتاب الأمكنة والمياه والجبال ، للزمخشري ، ص ١٦٨ .

و (آبار كُلَيَّة) – هي آبار على ظهر الطريق ، وبهن يسمى وادي كلية [1] .

و (المَسْلحُ) منهل لبني سُليم .

و (غمْرة) منهل فوق المسلح لبني سُليم أيضاً . وغَمْرةُ تقع بواد يقال له العقيق [2] .

وأما (المعادن) فمنها : (معدن بُحرْان) . وبحران : موضع بناحية الفرع . وكان هذا المعدن مِلْكاً للحجاج بن علاط البهزي السلمي الصحابي ، وهو معدن ذهب .

و (فِرانُ) هو معدن ذهب أيضاً لبني سُليم . ويقع بحذاء السليلة . وإذا كان هو ما يعرف لدينا الآن بمهد الذهب ، فيكون قد أعيد فتحه واستغلاله في عهد الملك عبد العزيز آل سعود ، وقد استخرج منه كميات من الذهب فعلاً ، ثم أغلق ، لما ظهر من أن إنتاجه غير تجاري .

وكلمة (المهد) وردت في تاريخ بني سُليم ، عَلَماً على حصن لهم يقع في (جَبَلَة) إحدى قراهم الأثرية المهمة .. روى لنا البشاري ذلك [3] .

و (المهد) – بفتح الميم وسكون الهاء – بمعنى الأرض . وبضم الميم وسكون الهاء : النَّشْزُ من الأرض أو ما انخفض منها في سهولة واستواء . وإذا تذكرنا ما قالته دائرة المعارف الاسلامية ، من أن في بلاد بني سليم تلالاً فيها الغابات ، وأن بها منخفضات ، وأن المهد بمعنى الأرض – أدركنا صحة اطلاقهم المهد على بعض أنحاء بلادهم .

---

١ أسماء جبال تهامة وسكانها ، لعرام السلمي ، ص ٣٢ .

٢ بلاد العرب ، للحسن بن عبد الله الاصفهاني ، طبع بيروت ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ص ٤٠٤ و ٤٠٥ .

٣ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، للبشاري ، ص ٧٩ ، ط بريل بمدينة ليدن ، ١٩٠٦ م .

ويقول ياقوت في معجم البلدان : إن معدن (فِران) منسوب إلى فران بن بلي بن عمر بن الحاف بن قضاعة ، نزلت على بني سُليم ، فدخلوا فيهم ، وصاروا منهم .

ويقع معدن فران على طريق نجد ، وسماه السمهودي : معـدن بني سُليم ، ويقال له معدن فران ، به قرية كبيرة بطريق نجد ، بها بِركٌ وآبار على مائة ميل من المدينة[1] .

وتغيير أسماء أمكنة بلاد العرب سُنَّةٌ متبعة من قديم ومن حديث .. فقد غيروا اسم العِرْض بالجرفِ ، في القديم ، وغيروا اسم وادي ساية بوادي وبح في الحديث .

* * *

وأما (الأودية) فمنهـا (وادي كُلية) . وهو وادٍ بالقرب من خُليص ، وبه نحو سبع عيون ، على كل عين قرية . وكان بيد سُليم قبـل انكماش ديارهـم ، وتقلصهم . يقول القلقشندي : إنه « قـد خرب من مدة قريبة بعـد الثمانين والسبعمائة . ويقول عرَّام بن الأصبغ السلمي عن كُليَّة : (هو وادٍ يأتيك أيضاً من شمنصير وذَرَةَ . وكل هذه الأودية تنبت الأراك والمرخ – وهو شجر المُقل – والنخل . وليس هناك جبال[2] .

ووادي كُليَّة الآن : سنة ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠ – ١٩٧١ م عامـر وهو واد بالقرب من خليص به نحو سبع عيون . ومعنى ذلك أنه عمر بعد خراب . وقد جاء في « صبح الأعشى » للقلقشندي أن هـذا الوادي

---

١ وفاء الوفاء للسمهودي .

٢ أسماء جبال تهامة وسكانها ، لعرام السلمي ، ص ٣٢ .

كان بيد سُليم وقد خرب من مدة قريبة بعد ٩٨٠ هـ [١] ولعل من أسباب عمرانــه في الوقت الحاضر ، انقطاع غارات الأعراب على بعضهـم ، واستتباب الأمن ، فانصرفت البادية وتمكن أهـل الريف منهـم ، من الانصراف إلى قضاء مصالحهم ، واصلاح مزارعهم وقراهم ، بدلاً من التناحر وتبادل الغزو . ولسنا ندري متى بدأ عمرانه الحالي .

ومن أوديتهم : (وادي ساية) المعروف في كتب الأدب باسم : (وادي أَمَجٍ) على وزن (أَمَدٍ) . ويطلق عليه بنو سُليم اليوم ، اسم وادي وِبْحٍ على وزن (عِلْمٍ) ولم نجد اسم (وبح) هذا فيما لدينا من المراجع .

وصف ياقوت الحموي وادي ساية فقال : « ساية اسم واد من حدود الحجاز ... وهو واد بين حاميتين ، وهما حرتان سوداوان ، بهما قرى كثيرة مسماة ، وطرق من نواح كثيرة » .

وربما كانت تسمية السلميين له بوادي وبح ، من باب المجاز المرسل أي تسمية المحل باسم الحالّ فيه .. وذلك أن بطناً منهم بهذا الاسم يقيم الآن في هذا الوادي ، وتوجد قرية من قرى جبل آرة تسمى لديهـم (وبعان) .

ومن أوديتهم (وادي لَحْف) بفتح اللام وسكون الحاء المهملة – وهو وادي كل من جَبَلة ، والسِّتارة . واسم هذا الوادي : « لحف » على وزن (زحف) قـديم ذكره عـرام السلمي ، وقال عنـه : « وبه عيون » [٢] .

و (وادي رخيم) . وبه قريتان هما : (القعْر) و (الشرْع) .

---

١ ص ٢٦٠ الجزء الرابع ، طبع المطبعة الأميرية بالقاهرة .
٢ المصدر السابق ، ص ٢٥ .

وبأسفله قرية يقال لها (ضرعاء) بها قصور ومنبر وحصون . يشرك فيها هُذيلٌ وعامر بن صعصعة ، بني الحارث بن بهثة السلمين [1] .

و (وادي غُران) على وزن (غُراب) . وتقع قرية رُهاط في هذا الوادي قال الشاعر :

فإنّ غُراناً بطنُ وادٍ أحبه لساكنه عهدٌ عليّ وثيق

و (وادي تَضْمُري) يعتبر من أهم فروع وادي ستارة .

و (وادي النّقيع) من منازل بني سُليم . قال ناهض :

تركنا بالنقيع بني سُلَيمٍ ذوي ذلّ لنا وذوي خضوع
وقد نزلوا النقيع ولابيتَهْ فما نجا همو لُوبُ النقيع
نقبْنا الحرّة السوداء عنهم كنقب الرأس عن أم السميع

وقد حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، النقيع ، لخيل المسلمين وركابهم . وكان النقيع شديد الخصب ريّان . ويبتدىء من بُرَام .

و (وادي روذ) أو (ذو روذ) — من أودية بني سُليم [2] .

و (وادي ذات رفرف) من أوديتهم أيضاً .

و (وادي الغِرنق) من أوديتهم كذلك . وقال ياقوت إنه : موضع بالحجاز .

و (اللّوى) من أوديتهم .

ويقابل (وادي السّتارة) في ديار بني سُليم ، وادي ساية . وعلى كل منهما قرى ومزارع . واسم وادي الستارة : (لَحْفٌ) على وزن

---

١ المصدر السابق ، ص ٢٥ و ٢٦ .

٢ كتاب الأمكنة والمياه والجبال ، للزمخشري ، ص ٨٩ .

(عَرْفٍ) . ومر بنـــا أن وادي ساية يطلق عليـــه الآن اسم وادي (وبـح) . وبوادي لحف عيون ، وفيـــه قرية جَبَلَة الأثريـــة التي وصفتها المراجع بأنها من أقدم القرى .

وينقسم وادي الستارة اليوم إلى نصفين : نصف أعلى ، لبني سُليم ، ونصف أسفل ، لحرب . الأعلى هو الذي بالجهـــة الشرقية ، والأسفل هو الذي بالجهة الغربية .

ومن أوديتهم : وادي (حَقْلٍ) على وزن (عَقْلٍ) وهو من منازلهم . وهو واد كثير العشب . قال العباس بن مرداس السلمي :

وما روضة من روض حقل تمتعت عراراً وطبّاقاً ونخلاً توائما [1]

و « حقل) اسم مشترك ، يطلق على أماكن في بـــلاد العرب ، فهو من هذه الناحية مثل (الحِجْر) .

ونلاحظ أن العباس بن مرداس جمع في أبياته التالية بين وادي حقل بديار سُليم ، ووادي حقل باليمن . وقال العباس هذه الأبيات في رثاء أخيه الذي قتلته خولان في نواحي صعدة . قال :

فمن مبلغ عوف بن عمرٍ ، رسالة ويَعْلى بن سعد من ثَوْرٍ يراسله
بأني سأرمي « الحقل » يوماً بغارة لها منكب حافٍ تُدوي زلازله

---

١ يقول الدكتور أوغشت هفير شارح كتاب (النبات والشجر) للأصمعي ، عند ذكره (الطباق) ضمن نبات جبال السراة ، يقول : لم نجـد للطبـــاق ذكراً في كتب اللغة . وها هو ذا العباس بن مرداس يذكره في شعره ضمن أعشاب وادي حقل،وقد ذكره « القاموس المحيط» فقال : (وطباق) كزنار : شجر منابته جبال مكة نافع للسموم شرباً،وضماداً من الجرب والحكة والحميات العتيقة والمغص واليرقان وسدد الكبد ، شديد الاسخان (مادة طبق) .. فهل لهذا الشجر علاقة ما بالتنباك الذي اعتاد بعض الناس شربه عن طريق احتراقه؟نأمل من كلية العلوم بجامعة الرياض أن تبحث هذا الموضوع في معاملها العلمية وتنشر نتيجة تحرياتها في ذلك .

أقام بدور الغور في شرٍّ منزل   وخلَّى بياض «الحقل» تُزهى خمائله

فعلى ما أفادنا به ياقوت : إن (الحقل) الأول في الأبيات المتقدمة هو (حقل صعدة) باليمن ، الذي قُتل فيه أخو العباس بن مرداس مسلمي ، وقد تهدد أهله قاتلي أخيه بغارة شعواء لا تبقي ولا تذر .. فهل نفذ وعيده ؟ والحقل الثاني في الأبيات هو : (حقل بني سُليم) ذو الخمائل النضرة ، الذي غادره أخوه القتيل ، وذهب لسوء حظه ، إلى حقل اليمن حيث لاقى حتفه ..

وفي حقل اليمن يقول الشاعر ابن الدمينة الخثعمي :

وأشتاق للبرق اليماني إذا غدا   وأزداد شوقاً أن تهب جَنُوبُ
وبالحقل من صنعاء كان مطافها   كذوباً ، وأهوال المقام كذوبُ

ويقول الأستاذ محمد عبد الحميد مرداد : « حقل » يطلق على قرية بها نخيل ومياه وبساتين ، وهو بقرب أيلة ، خليج العقبة ، تحت نفوذ المملكة العربية السعودية . وبينه وبين أيلة ، مسافة قليلة . وكانت حقل ساحلاً لتيماء قديماً ، كما أثبته الكلبي . وكان لعزة صاحبة كُثير ، بستان في هذه القرية ، وأشار كُثير إلى ذلك بقوله من قصيدة :

سقى دمنتين لم نجد لهما أهلا   بحقل لكم ياعزُّ قد زانتا حقلا

وكان بهذه القرية علماء وفقهاء ، منهم : (ابن أعين الحقلي) مولى نافع رحمه الله ، كما حققه ياقوت رحمه الله [1] » .

فهل (حقلٌ) الوادي الذي كان من منازل سُليم ، وهو بقرب هذا الساحل ؟ أو هو واد يصب في الساحل ، أو هو غيرهما ؟ أسئلة تحتاج

---

١ مدائن صالح ، للأستاذ محمد عبد الحميد مرداد ، ص ٧٣ ، طبع دار الطباعة الحديثة بمصر سنة ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م .

الاجابة عليها إلى مزيد من التحقق العميق ، على أن التاريخ قد ذكر لنا أن قيس بن خزاعي السلمي قد تأمر لقيصر على فلسطين .

و (ذو رُولان) واد عال ، لبني سُليم ، فيه قرى كثيرة تنبت النخيل ، ويقال أيضاً : (ذو ورِلْان) بكسر الواو المتقدمة على الراء ، على ما ورد في كتاب (معجم ما استعجم) للبكري . والورِلْانُ : جمع وَرَل ، بالتحريك ، وهو دابة على خلقة الضّبِ إلا أنه أعظم منه [1] ..

و (وادي مَرْخ) — هذا الوادي السلمي قد استُصلح أخيراً ، وحفوت به الآبار ، وركبت عليها المضخات الرافعة للمياه من الأعماق . ويرى محمد بن صامل العليّاني السلمي — وهو معاصر — أنه ربما كان وادي مرخ هذا هو الذي عناه الحطيئة في قصيدته « الرائية » التي قدم بها أعذاره لعمر بن الخطاب حيال ما اقترفه من هجو بعض كرام الناس ، ليعفو عنه ، وليطلق سراحه من السجن .. يقول الحطيئة ، يخاطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

ماذا تقول لأفراخ بذي مَرَخٍ ... زُغْبِ الحواصل لا ماء ولا شجر
ألْقَيتَ كاسبهم في قعر مظلمة ... فاغفر عليك سلام الله يا عمر

وقد ظهر لي — بعد التأمل والمراجعة — أن — ذامرخ — الذي يقصده الحطيئة في أبياته السالف ذكرها من الراجح أن يكون غير (وادي مرخ) أحد أودية بني سُليم .. فما أكثر « اشتراك » أمكنة العرب في الأسماء .. وذلك للأسباب التالية :

أولاً — إن حديث ياقوت في التعريف بـ « مرخ » لا يخلو من

---

[1] أسماء جبال تهامة وسكانها ، لعرام السلمي ، وتعليقات محققه عبد السلام محمد هارون ، ص ٥٨ .

اضطراب وعدم تركيز .. فقد جزم في مستهل كلامه بأنه « ذو مرَخٍ » بتحريك الراء ، وبأنه واد بين فدك والوابشية ، خضِرٌ نضِرٌ ، كثير الشجر ، ثم عاد عن هذا الرأي ، وشكك فيه ، حيث قال بعد ذلك : « وقال الحفصي في كتابه : الخارجة قرية لبني يربوع باليمامة ، وفيها بمر (ذو مرخ) وفيها يقول الحطيئة – وذكر البيت المتقدم : (ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ) . وأخيراً نرى ياقوتاً يعرض عن كلا الرأيين وينبه على خطأ روايتها أصلاً ، فيقول : (والرواية المشهورة : (بذي أمر) .. وذو أمر ، فيما يظن ياقوت هو واد قرب فدك ، وهو نفسه ذو مرخ .

ثانياً – إن وادي مرخ ، بديار بني سُليم ، لم تكن قبله (ذو) .. على أنه من الجائز أنها حذفت لكثرة الاستعمال .

ثالثاً – إن ياقوتا أورد في « معجم البلدان » أن (ذا مرخ) هو واد باليمن ، واستشهد عليه بقول الشاعر :

من كان أمسى بذي مرخ وساكنه   قرير عين ، لقد أصبحتُ مشتاقا
أرى بعينيَّ نحو الشرق كل ضحى   دأب المقيد منّى النفس إطلاقا

ويبدو أن هذا اسم واد آخر ، فهو من ناحيـــة الاشتراك في الاسم شبيه باسم (حقل) . وقال كُثير في (ذي المرخ) الآخر :

بعزة هاج الشوق فالدمع سافح   مغانٍ ورسمٌ قد تقادم ماصح
بذي المرخ من ودانَ غير رسمها   ضروب النوى ثم اعتقتها البوارح

و (ودّان) بلدة قرب الأبواء سكنها الصعب بن جثّامة الوداني .

وذو المرخ هذا قال عنه ياقوت : (قالوا في شرحه : ذو المرخ ، من الحوراء ، وهو في ساحل البحر قرب ينبع . والحوراء خارجة عن ديار بني سُليم ، فهي في ساحل البحر قرب ينبع ..

رابعاً — ومما يجعلنا نميل إلى أن « مرخاً » ليس في ديار بني سُليم ، أن البكريَّ في « معجم ما استعجم » يقول في مادة (مرخ) : ذو المرخ — بفتح أوله وإسكان ثانيـه ، بعده خاء معجمة — موضع كثير شجر المرخ ينسب اليه ، وهو مذكور محدد في رسم (حورة) فانظره هناك . ويقول في مادة (حورة) : هـذا الموضع فيه قَتَل هاشم بن حرملة المري ، معاوية بن عمرو السلمي . « ولية » موضع هناك فيـه قبر معاويـة بن عمرو السلمي » . ثم يقول : « ثم غزا صخر السلمي (أخو معاوية والخنساء) بني مرة ، وهو يوم (حورة الثاني) فأصاب منهم ، وقَتَل دريدَ بن حرملة . وقد قال نصيب في حورة والمرخ :

عفا منقل من أهله فنقيب فسرح اللوى من ساهر فهريب
فذو المرخ أقوى فالبراق كأنها بحورة لم يحلل بهن عريب

خامساً — يقول الحفصيّ : إن مرخاً ، لبني يربوع باليمامة . وفيها نهر ذو مرخ — أي الوادي — . وفيها يقول الحطيئة :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ (البيت)

سادساً — جاء في شرح ديوان الحطيئة ، لابن السكيت ، والسكري ، والسجستاني ، (تحقيق نعمان طه) تعقيباً على ما نقله ياقوت عن الحفصي : (ولعـله أصاب ، فإن أولاد الحطيئة كانوا حين أُتي بـه ، في ديار غطفان ، وفزارة)[1] . ومن هـذا النص يستبين لنا أن « ذا مرخ » الذي عناه الحطيئة ، يقع في ديار غطفان وفزارة ، لا في ديار بني سُليم ، لأنه نصّ على أنهم يقيمون بذي مرخ ، ساعة تقديمه قصيدته لعمر ، وذو مرخ هذا في ديار غطفان وفزارة ، وذلك على ما نص عليـه شراح ديوانه المذكورون .

---

١ شرح ديوان الحطيئة لابن السكيت والسكري والسجستاني ، ص ٢٠٨ ، طبع مصر .

ويقع وادي ساية الذي هو وادي أمج قديماً ، ووادي وبح حديثاً — بين حرار سود ، ويشق قرية الكامل نصفين على ما شاهدناه في رحلتنا إلى ديار بني سُليم ، ويذهب إلى خليص غرباً ، فيروي خليصاً ، ثم يصب في البحر الأحمر — بحر القلزم . ومن هذا ندرك أن مدينة جُدة تفيد من مياه سيول وادي ساية ، في شرب سكانها .. وأن وادي خليص امتداد لوادي ساية .

ويأتي وادي سايــة من شرق (رأس القَرَى) بفتح القاف والراء بعدها ألف مقصورة — فالكامل . رطوله نحو (٣٠٠) كيلو متر على ما قيل لنا .

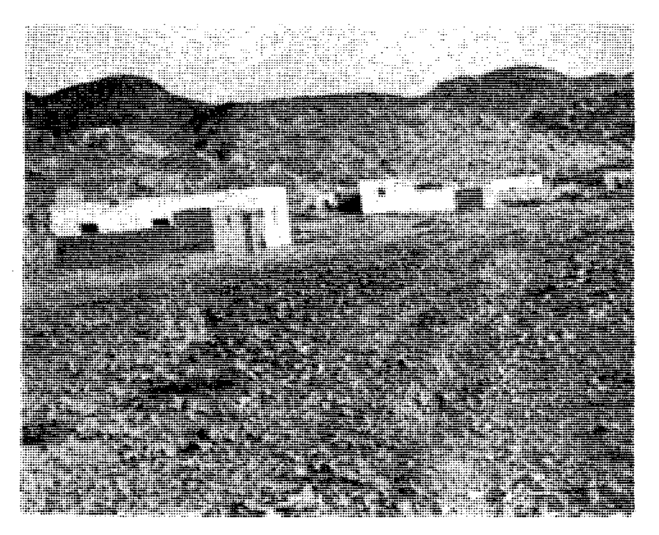
ويهبط وادي ساية من قنن حرة (بيْن) ومن سفوحها إلى قريــة الكامل ، ويفصل بين الحرار والوادي . ومسيله عريض جــداً . وهو قوي الجريان ، لأنه يهبط من أعالي الجبال ، وقد خدَّد الأرض التي يجري فيها ، وهي حَزنٌ تخديداً عميقاً ، يجعــل سير السيارات الكبيرة ذوات العجلات العالية الضخمة فيها في منتهى الصعوبة .. أمـا السيارات الصغيرة فلا تستطيع السير في هــذه الأرض المخددة المملوءة بالحجارة الصغيرة المستديرة التي تنطلق إذا ما وطئتها عجلاتها كالقذائف الصاروخية ، إلى السيارة .. والتي تكون تلالاً ممتدة على طول الوادي وعرضه .. مما يجعل إشادة جسور ضخام فوق مجرى الوادي هـذا ، أمراً مهماً جداً ، لتأمين اتصال سكان ديار بني سُليم بمدن المملكة التي تقع جنوبــاً عنها كجدة ومكة ولتأمين تطور العمران وتقدمه لديهم .

وبالجانب الشرقي من وادي وبـح ، ومن جوانب قريــة الكامل ، معاً ، توجد سلسلة جبال ضعاضع — صغار — غير شامخة . وفي سفح أقربها إلى حدائق نخيل قرية الكامل يوجد نبع ماء فياض ، وهو عذب زلال صاف ، أحيط من قديم ببركة حجرية حمراء اللون ، وقد عملت

لها فتحتان .. فتحة يدخل الماء اليهـا من النبع القادم من ناحيـة جبل شمنصير ، وفتحة ثانية لخروج المـاء الوارد وصرفه في حدائق النخيل المجاورة ومصالح أهل القرية .

عمران ديار بني سُليم :

أما وقـد انتهينا من استعراض القسم الطَّبيعي من ديـار بني سُليم الأصلية ، فها نحن أولاءِ نستعرض القسم الآخر الذي هو « العمران » بأوسع معانيه [1] وهو الذي صنعه بنو سُليم ، حسب ما لدينا من معلومات ومصادر ..



من مناظر قريـة الكامل
ويرى المستوصف وهو المبنى الكبير وبجانبه منازل

---

١ في كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، لجواد علي، أن بعض قبائل العرب ومنهم بنو معاوية بن الحارث بن بهثة بن سليم بن منصور ، نزلوا بيثرب بعد العماليق ، واتخذوا الأموال والآطام والمنازل . ومصدر المؤلف في هذا هو كتاب الأعلاق النفيسة لابن رسته . راجع ص ١٢٩ ، الجزء الرابع .

وهذا القسم يتمثل في « القرى » و « المنازل » .

فمن القرى (قرية الكامل) .. ولست أدري ولا يدري من سألتُهم من السُّلميين ، متى استحدث هذا الاسم لهذه القرية التي هي الآن أم قرى بني سُليم ، ومركز الإمارة ودوائر الحكومة السعودية . بل ولست أدري ولا يدري من سألتهم منهم متى أنشئت هذه القرية ، ولا من الذي أنشأها على وجه التحقيق المركز . قال لي ضيف الله بن هندي السلمي : ربما تكون هذه القديمة هي (خيف ذي القبر) الذي يقول فيه عرام ابن الأصبغ السلمي : (وأسفل من ذلك – أي أسفل من خيف سلاَّم أحد أغنياء الأنصار – خيف ذي القبر وليس به منبر ، (ربما يقصد جامعاً ذا منبر تُصلَّى فيه الجمعة) وإن كان آهلاً . وبه نخل كثير ، وموز . وسكانه بنو مسروح وسعد وكنانة وتجارٌ أَلْفاق . وماؤه فُقُرٌ وعيون تخرج من ضفتي الوادي كليتهما . وبقبر أحمد بن الرضا سُميَ خيف ذي القبر ، وهو مشهور به)[1] .

وبصرف النظر عن صحة وجود قبر أحمد بن الرضا به أو عدمها ، وبصرف النظر عن كون اسمه (محمداً) أو (أحمد) فإن هذا الاسم قد زال من الوجود ولم يعد معروفاً به هذا المكان أو غيره . وربما لو أجريت أحافير أثرية شاملة لجميع المنطقة لبرزت أسرار وحقائق مذهلة .. على أنه من باب الاستنتاج غير المؤكد أقول : ربما كان اسم (الكامل) اسماً لشخص معروف لدى الأوائل ، نسبت القرية اليه ، فقيل عنها : (قرية الكامل) .. وبتوالي السنين ، وبسبب الأمية المنتشرة هنا والفتن الدائرة ، والاضطرابات والقلاقل التي كانت تتوالى أعاصيرها على هذه لمنطقة عبر القرون نسي السكان الاسم المنسوبة اليه القرية ، وبقي الاسم

---

١ أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، ص ٣٦ و ٣٧ .

عالقاً بالألسنة وحدها .. حتى اليوم . وربما لو درست « الوثائق » الموجودة لدى بني سُليم دراسة وافية لظهر ما يفتح الطريق المسدود أمام البحث العلمي الذي به يُتوصل إلى معرفة سر هذا الاسم وتاريخه . وربما لو اطلعنا على مراجع أخرى ، ربما كتبها بعض رجال بني سُليم في عهود انفتاحهم على العلم ، لظهر لنا ما هو خفي عنا ، من أشياء كثيرة ، منها سر تسمية القرية هذه بقرية الكامل ، وموقع خيف ذي القبر لأنه حقيقة ثابتة إذ تحدث عنه بكل صراحة ، عرام بن الأصبغ السلمي ، في كتابه ، فهو إذن خيف معروف ، مسكون في زمنه ، مُسمّى بهذا الاسم المجهولة لدينا حقيقته اليوم . ونذكر بالمناسبة أن (أشرس بن عبد الله السلمي) قد ولي نيسابور سنة ١٠٩ هـ. * وتوفي سنة ١١٢ هـ. — ٧٣٠ م كان يلقب بالكامل ، وعصره ليس بعيداً جداً عن عصر عرام السلمي ، فإن عراماً توفي سنة ٢٧٥ هـ. — ٨٨٨ م ، فليس بين وفاتيهما سوى نحو قرن ونصف القرن . ولست أدري : هل لأشرس الكامل علاقة باسم (قرية الكامل) وببنائها أم لا ؟

وقرية الكامل كما شاهدتُها في ربيع الثاني سنة ١٣٩٠ هـ. — الموافق ليونيه ١٩٧٠ م ، هي ذات خيف كبير مجاور لها ، من النخيل الباسقة الريانة الغارقة في مياه النبع المجاور لها . وإضافة إلى ذلك نقول : إن أرض قرية الكامل قريبة المياه . وفيها آبار جوفية ليست بعيدة عن سطح الأرض ، وهي غزيرة عذبة المياه . وقيل لنا إنها لا تخلو من بعوض « الأنوفيل » ناقل حمى البرْداء : (الملاريا) إلى السكان .. وقد ارتوينا من ماء العين ومن ماء البئر ، فلم نُصب بأذى ولله الحمد ، مدة

* معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي للمستشرق زامباور ، ترجمة الدكتور زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود ، ص ٧٧ ، الجزء الأول ، طبع مطبعة جامعة فؤاد الأول ، ١٩٥١ م .

مكثنا بقرية الكامل الذي كان يوماً إلا نحو خمس ساعات . وماء النبع بقرية الكامل متدفق إلى بركته الحجرية بقوة ودويّ .

وتقوم قرية الكامل على سفح جُبيل (المُجمر) وهو جبل ليس شامخاً ، قائم هنالك ، نحاسي اللون ، أجرد ، صلد الحجارة ، حجارته من نوع حجارة الحرار .

وتوجد المستنقعات الكبيرة الرتيبة في داخل حدائق النخيل ، حتى في الصيف الحار الذي قدمنا فيه إلى هذه القرية [1] .

ويسكن قريةَ « الكامل » من بني سُليم في الوقت الحاضر ، وما قبله إلى أمد لا نعلمه – بنو نوال – السُّلميون وهي مقر أمير منطقة الكامل المنصوب من قبل الحكومة العربية السعودية ، ومركز الشرطة ، ومركز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفيها مركز للبريد واللاسلكي ومدرسة ابتدائية ومتوسطة للبنين ومستوصف ومحكمة شرعية ..

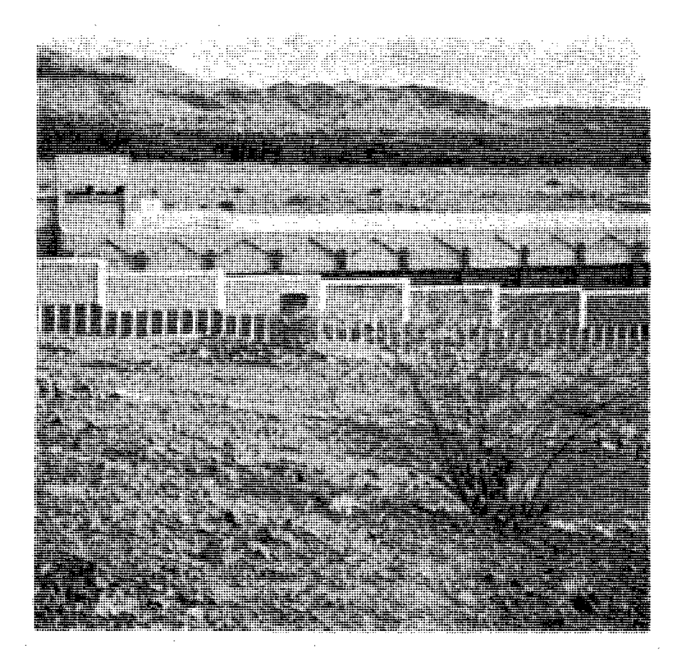
وأقرب قرى بني سُليم الآن إلى عسفان ، قريةُ الكامل . وكان في عسفان – بزمن عرام للسلمي – والٍ خاص ، وذلك لأهميتها الاقتصادية ، وربما الاجتماعية أيضاً . ولا ندري ما إذا كانت ولايته تنسحب على منطقة بنى سُليم كلها أو بعضها ، أو لا تنسحب .

ومباني قرية الكامل الآن ، ذات طرازين : طراز قديم ساذج ، وهو عبارة عن مبانٍ متواضعة بالحجر الدبش ، وهي من طبقة واحدة ، ساذجة التقسيمات الداخلية ، وأكثرها متداع ، وهي ما بين منازل ودكاكين ومساجد صغيرة . وطراز حديث مبني بالإسمنت المسلح .. وقد بني به مسجد القرية الحديث ، بجوار مسجدها القديم المتداعي .. وأكثر ما استعمل

---

[1] للاحاطة بوصف مشاهداتنا في قرية الكامل عليك أن تراجع عدد مجلة المنهل الخاص الصادر في شعبان سنة ١٣٩٠ هـ ، الموافق اكتوبر سنة ١٩٧٠ م ، تحت عنوان : « رحلة بني سليم » .

هذا اللون من العمارات في الجزء الحديث الشمالي من قرية الكامـــل المبني على أكمة جبلية غير شديدة الارتفاع . ومن هـــذا اللون الحديث البناء هنالك مباني الإمارة والشرطة والصحة .



مبنى المدرسة الابتدائية والمتوسطة
بقريـــة الكامل

والمباني القديمة مُبيَّضٌ داخلها وخارجها بالنورة البلدية .. وهنالك بيت مبني على هذه الطريقة ، ولكن ظاهره قد زخرف بالأصباغ المختلفة : أبيض وأصفر ، وأحمر ، وأزرق ، وكل لون في مربعات ، منسجمة ومتداخلة بصفة فنية مع بقية مربعات الألوان الأخرى .. وهو أيضاً من دورٍ واحد .. وربما لم يكن به سوى غرفتين أو ثلاث ..

وليس بين حجارة البناء القديم بقرية للكامل ملاطٌ .. هو من نوع

البناء بالرضم المتلاصقة حجارته مباشرة ، بأن يَرص بعضها فوق بعض ، بوضع محكم ثابت ، على ما رأيناه في منطقة الباحة في العام ذاته . ولعل ميل الجانبين إلى هذا اللون البسيط القوي الساذج يعود إلى أمور منهـا سهولة جعل الحجارة ، مطابقة ملساء مستعرضة لديهم .. وهنـاك مبان بقرية الكامل ، قديمة الطراز أيضاً ، لكنها مبنية بالحجارة (الدبش) السود وبالطين وقد بُيِّضَ ظاهرها أيضاً بالنورة البلدية ..

وفي قرية الكامل ، بالقسم الشمالي المستحدث ، البعيد نوعاً ما ، وأكثر عن مجرى وادي وبح أو وادي ساية أو وادي أمج ، شاهـدنا طرازاً فريداً من البناء الخشبي المجرد من الحجارة والطين والإسمنت أيضاً ، في مقهى صاحبه « مُنْعِم السلمي » وهو أخو ناعـم السلمي صاحب المقهى الحجري بعسفان على جانب الطريق المسفلت .. وهذا المقهى بقرية الكامل سقفه من الخشب .. وهو مزدوج : سقف خشبي ، فوق سقف خشبي . وبـين السقفين فتحة واسعة أوجدها صاحب المقهى ، ليتسرب منهـا السموم اللافح في فصل القيظ الكاوي ، فيدخل من أي جهة شاء اليها ، ليخرج منها من الجهة المقابلة ، بحيث يسمع دويه وزفيره وشهيقه المزعج وحده ، وتذهب حرارته معه من داخل الفتحة إلى خارج المقهى .. وهكذا يبقى المقهى في حالة متوسـطة من الحرور بحيث لا يؤذي كثيراً حرورُ الفصل الملتهب من يكون بداخل المقهى حتى في ساعات هيجان السموم المتقد وإلهابه لجو القرية بأجمعه .

وقد نصبت عُمُدٌ من أنابيب الحديد ، للمقهى .. لتحمل سقفيه بقوة واحتمال .. أما فرش المقهى فهي من حصير سعف النخيل المنسوج محلياً .. وهو ناعم أملس ولطيف وأبيض ناصع البياض .

ومقهى « مُنْعِم » السلمي تتمثل فيه بعض مظاهر التطور الحديث .. فهو يضاء ليلاً بالكهرباء المنبثقة من مكنة خاصة جلبها لهذا الغرض ، وفيـه

ثلاجة يوقد عليها بالغاز . وهو على نَشْزٍ من الأرض ملتصق بالجبيل الذي يسنده شمالاً منه . وفي هذا المقهى موقف للسيارات الكبيرة القادمة من جُدة ومن مكة إلى ديار سُليم ، والذاهبة من ديارهم إلى مكة ، وجدة . وهذه السيارات تنقل الناس وأمتعتهم والمنتجات الزراعية وما أشبه ، بالأجرة .

وشباب قرية الكامل يمارسون لعبة كرة القدم في الأصائل ، بالبَرَاحِ الذي يقع بين منطقة المنشآت الحكومية الحديثة ، وشاطىء وادي ساية .

وقد بدأ التعليم ينشط في سليم . ففي مدارس بلادهم وفي غيرها من مدارس الحكومة في المملكة كثيرون من أبنائهم ، متعلمين ومعلمين ، حتى إن بعض كبارهم شغفوا بالتعليم ، فدخلوا المدارس الليلية لمحو الأمية عن الكبار .

ومن قرى بني سليم الباقية منذ القدم على حالها واسمها ، قرية (مَهَايِع) على وزن (مَجَامِع) . ويصف لنا (مؤرخ بني سليم) : عرام بن الأصْبغ السلمي ، هذه القرية القديمة بقوله : « وهي قرية كبيرة غناء ، بها ناس كثير ، وبها منبر — أي جامع تُصَلَّى فيه الجمعة — ووالٍ ينتابه من قبل صاحب المدينة ، وفيها نخل ومزارع ، وموز ، ورمان ، وعنب . وأصلها لولد علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وفيها من أفناءِ الناسَ ألوانِهم — وتجار من كل بلد »[1] .

ويدلنا على عدم « وحدة » الإدارة الحكومية في منطقة بني سليم ، في العهد العباسي أو بعضه الذي كان يعيش فيه عرام السلمي ، والذي سجل لنا عنه أن لعسفان القريبة من قرية خيف ذي القبر صوب الجنوب ، والياً خاصاً ، وأن خيف ذي النعم بأسفل خيف ذي القبر ، كان تابعاً

---

[1] أسماء جبال تهامة وسكانها ، لعرام السلمي ، ص ٣٥ .

لوالي عسفان ، وأن قرية مهايع القريبة جداً منها ، كانت تابعة لصاحب المدينـــة [1] .

ولأهمية قرية مهايع نرى البِشّاريّ (محمد بن أحمد المقدسي) يُعْنَى بوصفها فيقول : (مهايع نظير جبلة على أودية ساية) [2] .. والبشاري (٣٢٦ – ٣٨٠ هـ) رحالة عربي دقيق الوصف والملاحظات ، وقد طاف بالبلاد الاسلامية وألف عن رحلاته اليها كتابه المعروف : (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) وعاش بعد عرام بواحد وخمسين عاماً .

وتقع قرية مهايع بأسفل وادي ساية ، في الشمال من قرية الكامل ، وبمقربة منها .

ومن قرى بني سُليم في وادي ساية : (قرية الفارع) بأعلى وادي ساية . يقول عنها محمد بن صامل العَلَيّاني السلمي : (روى لنا ياقوت الحموي أن الفارع قرية في أعلى وادي ساية ، وما زالت تعرف بهـــذا الاسم إلى اليوم . وبها مدرسة ابتدائية (وينقل لنا محمد بن صامل قول ياقوت : (إن فيها – أي في الفارع – تجـــاراً من كل بلد) ويعلق عليه بقوله : (وما يزال فيها كثير من الحضارمة يمتهنون التجارة ، وغيرهم من عشائر حرب الذين امتزجوا مع سكان هذه المنطقة) .

ونعلق على تعليقه من ناحية المراجع ، بأن عراماً السلمي كان قد سبق ياقوتاً إلى التعريف بقرية الفارع ، حيث قال عنها : (فأعلاها – أعلى قرى وادي ساية – قرية يقال لها الفارع ، بها نخيل كثير ، وسكانها من كل أفناءِ (ألوانِ) الناس ، ومياهها عيون تجري تحت الأرض ، فُقُرٌ كلها) [3] .

---

١ المصدر السابق ، ص ٣٥ و ٣٧ .

٢ أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ٨٠ ، ط بريل بليدن ، ١٩٠٦ م .

٣ كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها ، ص ٣٤ .

وهناك قرى أخرى في وادي سايـة : (شَوان ، والسبعان ، والمضحاة ، والمثناة ، وخيف الجنة ، وخيف السرحان ، وخيف الزاجة ، وخيف الزاجر ، وخيف العقلة ، وخيف العرقبة ، وخيف اللصب) . وبهذه القرى بساتين النخيل ، والمزارع التي تثمر الفواكه من موز ورمان وعنب ، وكلها تسقى من الآبار [1] .

ومن قراهم في وادي ستارة : (قرية جَبَلَة) على وزن (عَرَبَة) . وجبلةُ من الأسماء المشتركة ببلاد العرب . وفي جبلة السُّلمية يقول عرام الأصبغ السلمي : (ويطيف بِذَرَةَ ، قرية من القرى التي يقال لها جبلة ، في غربيه ..... ويزعمون أن جبلة أول قريـة اتخذت بتهامة . وبجبلة حصون منكرة مبنية بالصخر ، لا يرومها أحد) [2] . وقال عن ذَرَة : ذرةُ هي : جبال كثيرة ضعاضع ليست بشوامخ ، في ذَرَاها المزارع والقرى ، وهي لبني الحارث بن بهثة بن سليم ، وزروعهـا أعْذَاءٌ ، ويسمون الأعْذَاء : العَثَرِيّ ، وهـو الذي لا يُسقى ، وفيها مدر وأكثرها عمود ، ولهم عيون (ماء) في صخور لا يمكنهم أنْ يُجْرُوها إلى حيث ينتفعون) [3] .

ويصف (جَبَلَةَ) المواطنُ السلمي المعاصر : محمد بن صامـل العليّاني بقوله : (إنها تقوم عـلى شعب منخفض ضيق يبعد عن قرية السّليم بحوالي ستة كيلات ، وتقوم به الأطم والحصون المتهدم بعضها فوق بعض ، واكتشفت بها آبار عادية مطويـة بالحجارة ، ومياهها صالحة للشرب ، وهي نقية مائة بالمائة ، والماء قريب من سطح الأرض ، وفي

---

١ تحقيق أمكنة في الحجاز وتهامة للمؤلف ، ص ٦ ، طبع مطابع الاصفهاني بجدة .
٢ أسماء جبال تهامة وسكانها ، ص ٤٤ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (مادة ذرة) .
٣ أسماء جبال تهامة ، ص ٢٣ .

موضع من شعبها يوجد الماء ظاهراً على سطح الأرض ، ولم يعهد أن غار في أيام القحط الشديدة ، إذ تنضُب العيون وتغور المياه في الآبار العميقة ، ويبقى هو على حاله) .

ويقول : (ويحصون جبلة ومقبرتها الكبيرة التي تقدر بعشرات الآلاف من الأمتار ، آثار كثيرة ، منها الكتابية . وما عثر عليه منها حتى الآن كله إسلامي ، اذ تبدأ ببسم الله ، والحمد لله ، وشهد الله وهو خير الشاهدين . وقد أُخذ منها كثير من الحجارة الأثرية المشار اليها ، من بينها حجر الشاهد الذي أخذه مبارك بن عبد التواب من مقبرتها ، وأتى به الى مدينة جدة حيث تمكن الأستاذ عبد القدوس الأنصاري من قراءته، ونشر عنـــه في كتابه الجديد : « بين التاريخ والآثـــار » . وكذلك وجدت بها جـَرّةٌ فخارية مملوءة بالعملة التي كانت مستعملة ومتداولة في وقتها . ومع الأسف الشديد لم أتمكن من الاطلاع عليها . وهي على ما وُصفت لي ، قطع معدنيَّة مستديرة ، ليست بذات أهميـــة اقتصادية ، وإنما ترجع أهميتها الى كونها تحدد شيئاً من معالم تلك المدينة المطمورة) .

وقد أبدى محمد بن صامل العليَّاني السلمي أن (جبلة الآن لا يسكنها الا القليل من المزارعين الذين استصلحوا أرضها الزراعية ، وهي مـــع ضيقها خصبة للغاية) .

وقال : (إنها تقع على طريق الجادة المسمى بدرب الزائر ، الذي يسلكه قديماً زوار المدينة المنورة مشياً على الأقدام قبـــل وجود السيارات والطرق المعبدة) .

وقال : (والمنطقة على العموم أثرية ، وآثارها تنبيء عن عظم المنطقة وكثرة سكانها ، إبان ازدهارها ، والمدينة – جبلة – صناعية فقد تقدمت بها صناعة صقل المعادن وضرب السكة ، ولا تخلو المنطقة المحيطة بها من

المعادن والثروات الجوفية)[1] .

ومن قرى سليم أيضاً : (شعب القرية) أو (قرية الشعبة) وهي كما يظهر من اسمها موضع قرية قديمة مندرسة ، لم يبق إلا رسومها وأطلالها ، وبعض الأطم البسيطة والمتهدمة جوانبها وأطرافها . وآثارها كثيرة منها كتابات قديمة قد تكون عادية ، ومنها صور لوحوش وحيوانات كانت في هذه المنطقة[2] .

ومن قراهم المهمة حتى اليوم (قرية السليم) ... ويصفها محمد بن صامل العليّاني بأنها كبيرة جدّاً ، وبأن عينيها تسقيان حاليّاً ما يزيد على عشرة آلاف نخلة . وقال : إن الأراضي البيضاء التي قصرت العين عن سقايتها أكبر من ذلك بكثير . وبها القصر الأثري العظيم المبْنيّ بالحجارة، والبالغ ارتفاعه نحو أربعة أمتار ، وهو مربع الشكل يبلغ طول كل ضلع منه سبعين متْراً . وبداخله ثلاثون حُجرة ، تتوسطها أرض فسيحة فيها بئر مطوية للشُّرب ، ثم مَبْنىً يطوف على الغُرف ، وبه فتحات لفوهات البنادق ، وليس له الا مخرج واحد ذو ثلاثة أبواب ، واحدٌ بعد الآخر ... وهو في ربوة القرية ونُزْلتها ، وبالقرب منه آثار حصون قديمة عليها كثير من الكتابات الأثرية المنقوشة على الصخور ، ويقابله في قرية الشعبة على طرف الحرّة حصنٌ عظيم البناء ، صغير الحجم ليس به غُرف متعددة ولا ماء ، وهو متهدم ، بقي منه الجانب المواجه لـه . وبالقرية اكثر من عشر مقابر بعضها مندرس مما يدل على كثرة سكانها قديماً[3] .

---

١ مجلة المنهل بالعدد الصادر في المحرم ١٣٩٠هـ = مارس١٩٧٠م مقال : (بنو سليم ماضيها وحاضرها (لمحمد بن صامل العلياني السلمي ، ص ٧٣.وأضيف إلى ما ذكره محمد بن صامل : ان الآثار التي جلبت إلى جدةوعرف بها شيء عن ماضي بني سليم غير ذلك الحجر أكثرها مجلوب من جبلة ، من مقبرتها الكبيرة التي تدلنا على عظم عمران جبلة في الماضي .

٢ المصدر السابق ، ص ٧٤ .

٣ المصدر السابق ، ص ٧٢ .

ولست أدري أ (قرية السليم) هذه هي التي قال عنها عرام السلمي: (ثم خيف السلاَّم — بتشديد اللام وتخفيفها — والخيفُ ما كان مجنباً عن طريق الماء يميناً وشمالاً متسعاً ، وفيه منبر ، وناس كثير ، من خزاعة. ومياهها فُقُرٌ أيضاً ، وباديتها قليلة ، وهي جُشَمُ وخزاعةُ وهذيلٌ . وسلاَّم هذا رجل من أغنياء هذا البلد من الأنصار [1] وقد علق محقق كتاب عرام : الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، على ما ذكر بقوله : ويقال — سلام — بتخفيف اللام في قول ، ذكره ياقوت في رسم (لُوَيَّة) . وبمراجعتنا لمادة (لوية) في معجم البلدان لياقوت وجدناه يقول : (لُوَيَّةُ : تصغير (لَيَّةٍ) من لوى يلوي : موضع بالغور بالقرب من مكة دون بستان ابن عامر في طريق حج الكوفة كان قَفْراً قِيّاً — مقفراً — فلما حج الرشيد استحسن فضاءه فبنى عنده قصراً ، وغرس نخلاً في خيف الجبل ، وسماه « خيف السلام » وفيها يقول بعض الأعراب :

خليليَّ مالي لا أرى بِلُوَيَّةٍ ولا بفنا البستان ناراً ولا سُكْنا
تحمل جيراني ، ولم أدر أنهم أرادُوا وبالاً من لُوَيَّةَ أو طعنا
أسائل عنهم كل ركب لَقيتهُ وقد عُمِّيَتْ أخبار أوجههم عنَّا
فلو كُنْتُ أدري أين أمُّوا تبعتهُمُ ولكن سلامُ الله يتبعهم منَّا
ويا حسرتي في إثر « تُكْنَا » ولوعتي
وواكبدي ! قد فَتَّتَتْ كبدي « تُكْنَا »

وقد لاحظت أن هناك « تبايناً » بين كلام عرام ، وكلام ياقوت في أصل « خيف السلام » . فعرام يقول : إنه منسوب إلى « سلام » رجل من الأنصار ، وياقوت يقول : إنه اسم وضعه على الخيف بانيه

---

[1] المصدر السابق ، ص ٣٥ و ٣٦ .

وباني قصره : هارون الرشيد وسماه خيف السلام .

وكل واحدة من قريـــة جبلة ، والسليم ، وشعب القرية ، تقع في وادي ستارة .

وفي قرية السّليم أقيمت أوّلُ مدرسة في ديار بني سليم ، وبها قصر للإمارة ، ومستوصف صحيّ .

ومن قرى بني سليم في وادي ستارة : « قرية البْـبَرْهَـمِـيَّة »،وقرية المخمرة ، وقرية المُسَـمَّاة،وقرية المديد ، وقرية المعالي، وقرية الأبيار ، وقرية الدبيسية ذات البساتين الجميلة وحقول المزارع والخضراوات .

وبوادي ستارة ثلاث مدارس ابتدائية : نهارية وليلية .

ويقــدر سكان وادي ستارة بنحو عشرين الف نسمة . ويعملون في الزراعة والرَّعْي .

وكان أمير عامة بني سليم في أوائل العهد السعودي الحاضر : عبدالله ابن يابس ، وكانت إقامته بمكة المكرمة ، ومنهــا يدير شؤون الإمارة ولعله لبعد مقامه عن مكان إمارته لم يتمكن من إصلاح شؤونهم او ادارتها على النحو المرضي . ثم أُتْبِعَتْ منطقتهم لإمـــارة مدركة ، ردحاً من الزمن ، الى عام ١٣٧٥ ﻫ حيث أنشئت لهم إمارة مستقلة بداخل منطقتهم .

وتعرف الآن ديار بني سليم رسمياً بامارة منطقة الكامل ، نسبة الى أكبر قرى وادي ساية ؛ أقرب أوديتهم ومنازلهم إلى مدينتي جُدَّةَ ومكة .

ومن قراهم : قرية الحجر ... ذكرها القاموس المحيط في مـــادة (حجر) .

---

١ معجم ياقوت الحموي ، ص ٣٧١ ، المجلد الرابع ، طبع إيران .

٢ مقال محمد بن حامل بالمنهل بعدد ذي الحجة ١٣٨٩ ﻫ=فبراير ١٩٧٠ م ، ص ١٦٠٦ ، وعدد المحرم ١٣٩٠ ﻫ = مارس ١٩٧٠ ، ص ٧٤ .

تقسيم حديث لديار بني سليم

أولاً : منطقة وادي ساية ، أقرب المناطق إلى مكة وجُدة . وفيها أكثر من أربعين قرية ، وكثير من العيون والآبـار التي تسقي حدائق النخيل . وتقدر نخيلها بنحو ١١٥ الف نخلة . ويقدر سكان وادي ساية بنحو ٣٠ ألف نسمة يشتغلون بالزراعة والتجارة وتمور وادي ساية من أحسن التمور ، وهي بيضاء اللون ، يابسة . وتزرع في وادي ساية كافة الخضراوات ، وبه من الفواكه : الموز والليمون . وبوادي ساية ثلاثـة فروع مملوءة بالقرى والمزارع ، وهي :

وادي شُوَان ، ووادي الشبعان ، ووادي وِبْح . وعاصمة منطقة بني سليم كلها الآن (قرية الكامل) كما قدمناه .

ثانياً — منطقة وادي ستارة : (وادي ستارة واد طويل ، ينبع من أواسط حرة بني سليم ، ولكل جزء منه اسم يعرف به . يعرف أسفل الوادي) بِقُدَيْد ، على وزن (عُمَيْر) . وفي ستارة أكثر من عشرين قرية ، أسفلها قرية (الفُلَيْتَة) وأعلاها قريـة (البَرْهَمِيَّة) . وأهمها الآن (قرية السُّليم) . وهي مركز قرى وادي ستارة . وهناك قري أخرى هي : قرية المخمرة ، وقرية الفُروف ، وقرية المُسَمَّاة ، وقرية المعالي ، وقرية الشعبة . وتقابل من الشمال قرية السُّليم ، وقرية الدبيسية بقرب قرية الشُّعبة ، وقرية الأبيار ، وقرية المديد .

وفي قرية السُّليم وحدها ما ينيف على عشرة آلاف نخلة ، وقـد تقاصرت عينها عن إرواء الأراضي البيضاء الواسعة هناك ، فأصبحت هذه الأراضي الخصبة بوراً .

وبقرية السليم آثار مر ذكرها ..

ومن أهمها القصر الأثري المبني بالحجارة .. وقد كنت قبل أن أطلع

على ما أورده ياقوت الحموي عن بناء الرشيد في حجه ، قصراً بأرض بني سُليم سماه (خيف السلام) كنت قدرت وسجلت في مسوّدة هذا الكتاب : أن القصر الذي وصفه محمد بن صامل بقرية السليم قد يكون قصراً بُني في عهد العباسيين ، ثم أدخلت عليه تحسينات فيما بعد ، ومنها هذه الفتحات لفوهات البنادق التي قدرتُ أنها - بدون ريب - مما وضع بعد عهد العباسيين ، في الزمن الذي استعملت فيه البنادق في الحروب ، وذلك عهد جاء بعد انقضاء عهد العباسيين) .

ثالثاً - منطقة ذَرَة : سبق أن عرّفْنا (ذَرَة) حسب ما أفادنا به عرام ، وفي ذرة من الشجر : العفار ، والقرظ ، والطلح ، والسدر ، والنشم ، والتألب . وتُعمل القسيُّ والسهام قديماً من شجر النشم وهو خيطان لا ورق له . (ومعنى « الخوط » لغة : الغصن الناعم) . والإثرار له ورق الصعتر ، وشوك كشوك الرمان ، ويقدح ناره إذا كان يابساً ، فيقتدح سريعاً ، والعفار .. ووردُه أبيض طيب الرائحة كأنه السوسن .

رابعاً - (منطقة شمال المدينة المنورة) .. منها بِرْمةُ . قال معجم البلدان انها (من بلاد بني سُليم) وحددها ابن حبيب بأنها (عرض من أعراض المدينة قرب بلاكث بين خيبر ووادي القرى) .

هذا ومما تحسن الاشارة اليه - تاريخياً واجتماعياً - أن الأمن والاطمئنان كانا مفقودين في ديار بني سُليم ، قبل العهد السعودي الحاضر .. فقد كان الاغتيال والقتال معتادين فيها ، لأسباب موجبة وغير موجبة . كما أن مرض حمى البرْداء - الملاريا - منتشر فيها بكثرة ، لكثرة المستنقعات المتكونة من كثرة مياه المنطقة وعدم تصريفها أو تعقيمها صحياً .. كما أن الطرق إلى بلادهم وبداخلها كانت في منتهى الوعورة لأنها بين حرار وجبال .. وكانت الأمية سائدة في ربوعهم فلا مدارس ولا متعلمين ولا

معلمين . وقد عُنيت الحكومة السعودية باصلاح أحوالهم ، فأزالت عوامل الفتن والشغب فيما بينهم وبين بعضهم ، وفيما بينهم وبين جيرانهم .. وعُنيت بالأسباب الصحية ، فأنشأت لهم مستوصفات صحية .. وعبدت الطريق الرئيسي إلى بلادهم بالمداحل « الدركترات » حتى قرية الكامل .. وفتحت لهم المدارس ، ليتعلم فيها أبناؤهم وكبار السن منهم ، وأوجدت لديهم مقر شرطة لاستتباب الأمن ، وكونت لهم إمارة خاصة بهم ، وفي منطقتهم ، فساد الهدوء ، وانصرف الناس إلى ما يصلح شؤونهم ومعاشهم ، وأنشأت لديهم هيئة الأمر بالمعروف ، تهديهم وترشدهم إلى ما فيه خير دينهم ودنياهم .

وقد أعطانا شاعر بني سُليم المعاصر : (محمد الجبرتي) صورة شعرية ناطقة ، لعدوان البعوض الناشىء والمتنامي من البرك والمستنقعات التي تُخلفها الأمطار ، والسيول والعيون – عليه ، وذلك في قوله من الشعر العامي الملحون المعروف بـ « الحمينيّ » والنبطي :

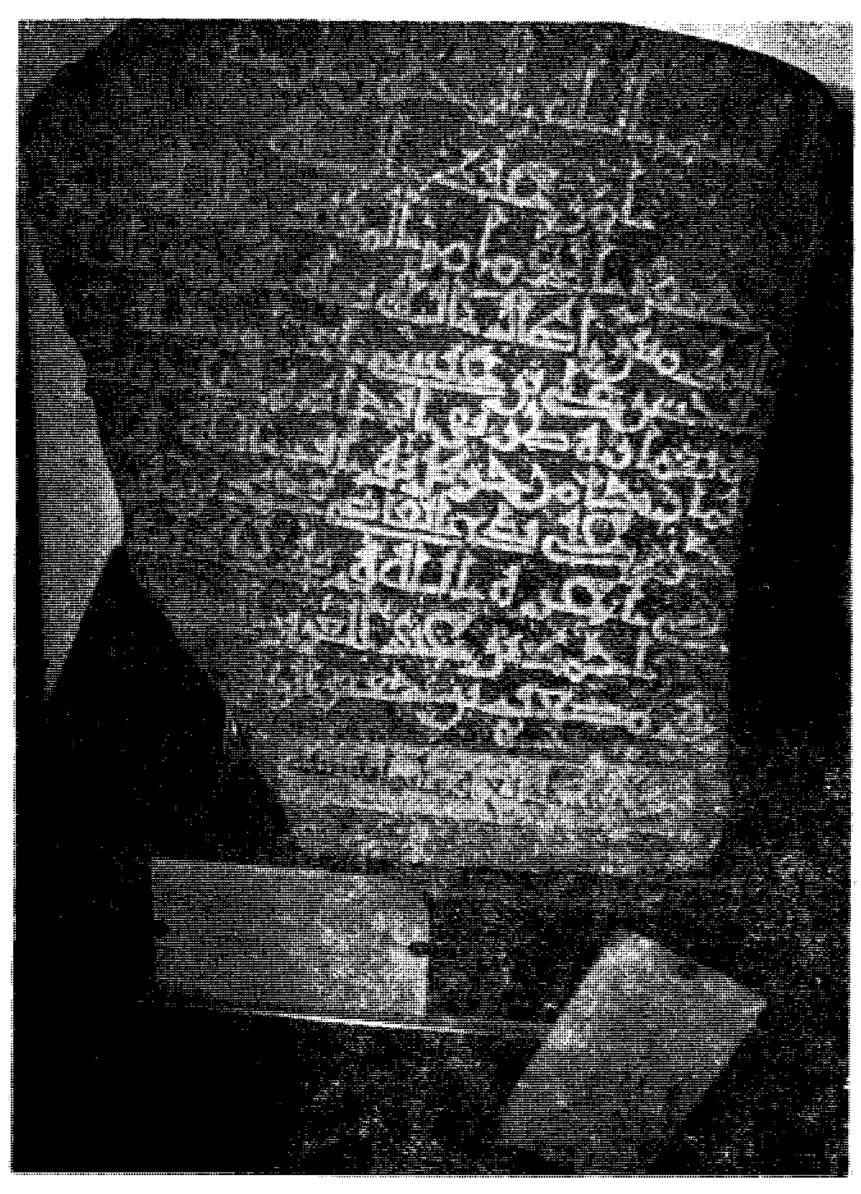
البارحَ الناموسْ سرى عليّهْ جاني بقواتُه وقومْ لظيّهْ
سهرانْ حتى الصُّبح توحي يَدَيّهْ وأصبحتْ من فعل النواميس سهران

و (الناموس) هنا بمعنى (البعوض) . ومن لازمه البعوض طيلة ليلته فلا غرو أن لا ينام وأن يقلق للسعاته ولذعاته ، ثم لا يأمن أن تزوره بعد ذلك حمى البرداء ، والعياذ بالله . فعسى أن تزول هذه الأسباب المؤذية فيرتاح سكان ديار سُليم من لذعات البعوض ، بتصريف مياه المستنقعات لديهم وتعقيمها والفتك بها بمبيدات الحشرات ، والمطهرات للأماكن منها ، بصفة مستديمة .

آثار في ديار بني سُليم

ديار بني سُليم الأصلية ، من أقدم الديار المعروفة في بـــلاد العرب منذ الجاهلية القريبة من الإسلام حتى اليوم .. وقد وصفت هـذه الديار بالخصب في التربة ، وبالآثار العمرانية .. ففي جَبَلة ذكروا أنـه كانت حصون منكرة ، وفي قرية السُّليم ، وفي غيرها كذلك ..

وقد كنتُ كتبت في كتاب : « بين التاريخ والآثار » عن بعض الآثار التي عثر عليهـــا في ديارهم وهي عبارة عن صخور منقورة بخط عربي اسلامي قديم . وأحد هذه الصخور — وهو أهمهـــا — أمرٌ من الخليفة العباسي المقتدر إلى وزيره علي بن عيسى بن داود ، وهو حجر من الجرانيت . ويقضي هـذا الأمر بعمارة طريق الجادة لحجاج بيت الله الحرام . ويرجع تاريخه إلى سنة ٣٠٤ للهجرة . وبمطابقتي لما في هذا الأثر مع ما ورد في التاريخ وجدتُ التاريخ المكتوب على الأوراق مطابقاً لما ورد في الحجر المنقور بالازميل وقد قرأت هذا الحجر ، وشرحت هدفه ، ونشرت كل ذلك في كتاب : (بين التاريخ والآثار) من الصفحة ٥١ إلى الصفحة ٥٩ . وهذه صورة ذلك الحجر :



هذا أمر من الخليفة العباسي المقتدر إلى وزيره علي بن عيسى بن داود منقوش على قطعة حجر من الجرانيت . ويقضي الأمر المنقوش على هذا الحجر ، بعمارة طريق الجادة لحجاج بيت الله الحرام ، ويرجع تاريخه إلى سنة ٣٠٤ هـ ويطابق ما ورد في التاريخ[1] .

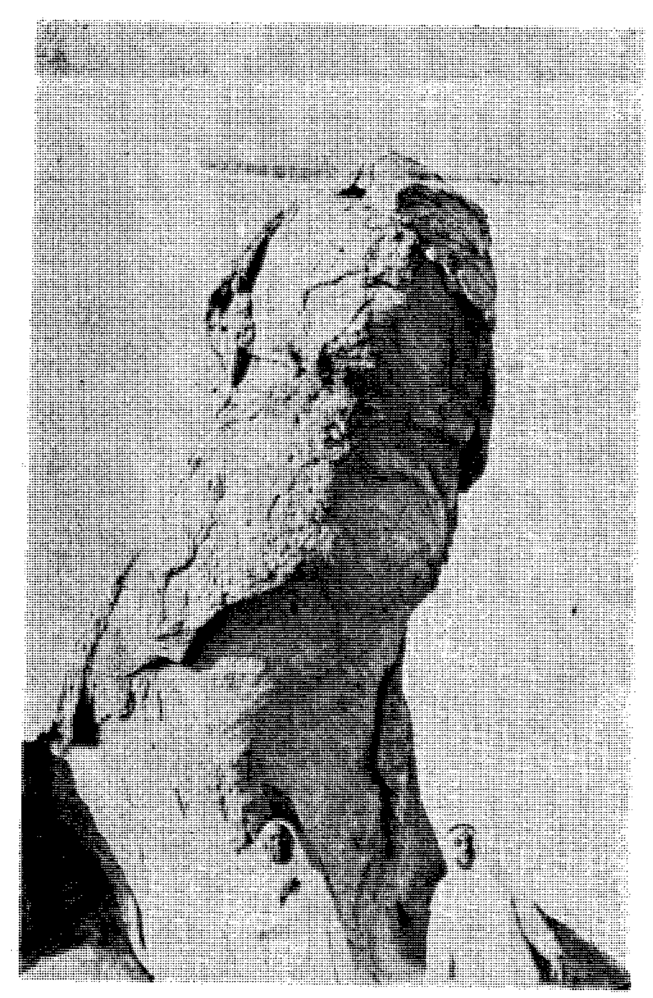
ولا بأس من إعادة نشر حله هنا مرة أخرى .

أمر عبد الله
جعفر الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين اطال الله بقاه الوزير
أبا
الحسن علي بن عيسى أدام الله عز
ه بعمارة طريق الجادة لحجاج بيت الله
لما رجا من جزيل ثواب الله و
جرى على يد القاضي محمد بن مر
تضى أعزه الله وثق له ذلك
... أحمد بن عبد العزيز العقيبي
ومصعب بن جعفر ...
... سنة أربع وثلاثمائة سنة

وقد كنت ذكرت في الكتاب المشار اليه آنفاً ان هذا الحجر وجد بمنطقة بني سُليم . وأخيراً اطلعت على صورة لهذا الحجر نفسه في كتاب تويتشل الموسوم بـ « بالمملكة العربية السعودية » ترجمة الاستاذ شكيب الأموي ، وهي مماثلة للصورة التي كنت أخذتها له تماماً .. وقد أيد تويتشل ما ذهبتُ اليه من ان الحجر وجد بمنطقة بني سُليم فقال ما نصه : (وجدت هذه اللوحة الحجرية — وجد هذا اللوح الحجري — بما عليها — عليه — من نقوش كوفية في نفايات منجم « مهد الذهب » القديم) .

كما أيد بطريق اجمالي موجز ، الحلّ الذي حللت به النقوش ، فقال عنها : (وكانت عبارة عن أمـــر تنفيذي لبناء طريق رئيسي للحجاج للتنقل بين بغداد ومكة [1] .

١ المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية ، تأليف ل . س . تويتشل ، ومساهمة ادوارد ج . جورجي ، ترجمة الأستاذ شكيب الاموي ، ص ٩٦ و ٩٧ ، طبع دار احياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي وشركائه بالقاهرة ، سنة ١٩٥٥ م .



الصخرة عنق الجمل .. واقفاً تحتها كل من
عبد القادر طاهر (إلى اليسار) وعبد القدوس الأنصاري (إلى اليمين)

* * *

كذلك هناك أثر آخر جاء بـــه إلى جدة الأخ (مبارك عبد التواب السلمي) من مقبرة جبلة الكبيرة التي يقول عنها عرام السلمي : (ويزعمون

أن جبلة أول قرية اتخذت في تهامة ، وبجبلة حصون منكرة مبنية بالصخر لا يرومها أحد)[1] والأثر الذي نشير اليه هذه صورته :



شاهد قبر من حجر الجرانيت وجد في مقبرة كبيرة في بلاد « بني سُليم » وهو مكتوب بالخط الكوفي المشجر الخالي من النقط والشكل . وقد حله وقرأه كاتب هذه السطور ، كما سيأتي في هذا البحث .

١ كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها ، لعرام السلمي ، ص ٢٥ .

وكنت قد نشرت هذه الصورة في كتاب : (بين التاريخ والآثار) أيضاً وعلقت عليها بما فتح الله علي به من قراءتها وتحليل خطه وقاعدة هذا الخط وخواصه .. وما إلى ذلك .

وهناك آثار نقدية ومعدنية وأوان ومجاري مياه تحتاج إلى مزيد من التحقيق . ولا بد ان باطن أرض المنطقة مليء بالآثار المتخلفة عن السكان .. والحفر عنها يكشف أسرارها وربما كشف أسراراً خرى ذات أهمية كبيرة للحضارة الاسلامية لا تخطر لنا الآن على بال ..

بنو سُليم أصولاً وفصولاً ، وهجرات وتنقلات

يقول محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري في كتابه : (لسان العرب) ما نصه : « والنسبة إلى بني سُليم وإلى سَلامَة : سَلاميٌ » — راجع مطبوعتي بولاق بمصر سنة ١٣٠٣ هـ ، ودار صادر في بيروت —[1] .

ومعنى ما ذكر أن النسب إلى صيغتي « سُليم » و « سَلامة » هما شيء واحد : (سلامي) .. لا « سُلميٌ » و « سلامي » كما يتبادر إلى الذهن ، ويتفق مع سير القواعد والوضع اللغوي المعروف نسبة إلى « سلامة » لا إلى « سُليم » .

ويبدو لي أنه ربما كان هناك « بَتْرٌ » في مطبوعتي لسان العرب المشار اليهما .. وآية ذلك هي النص الذي أنقله لك من « تهذيب اللغة » للأزهري ، قال : « وينسب إلى بني سَلَمةَ : سَلَميٌ . وإلى سُليم : سُلَميٌ . وإلى سَلامة سَلامي »[2] .

ومحل البتر المرجح وقوعه في مطبوعتي « لسان العرب » هو بعد

١ لسان العرب « مادة سلم » في مطبوعتي بولاق الأميرية بمصر ، سنة ١٣٠٣ هـ ، ودار صادر ببيروت .

٢ تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (٢٨٢ — ٣٧٠ هـ) ، الجزء الثاني عشر ، ص ٤٥٣ ، طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة بمصر .

قوله : « والنسبة إلى بني سُليم » . وإذا صح هذا التقدير المدعوم بما ورد في « تهذيب اللغة » يكون الناسخ أو الطابع الأول الذي نقل عن النسخة الخطية قد حذف كلمة « سُلَمي » عقب جملة : « والنسبة إلى بني سُليم » .. كما حذف بعدها : (وإلى سلامة) .. وبهذين الحذفين تداخلت نسبتا « سُليم » و « سلامة » فصارتا : « سلامي » حسب النص المطبوع .. وكان من المناسب أن تتميز صيغتا النسب إلى « سُليم » وإلى « سلامة » فيفرد لسُليم ، صيغة النسب التي هي : (سُلمي) ويفرد لسَلامة صيغة النسب الأخرى التي هي : « سلامي » .. ومع وضوح هذا الأمر ووجود ما يدعمه في موسوعة « تهذيب اللغة » للإمام أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (٢٨٢ – ٣٧٠ هـ) فإني لست بجازم بوقوع الغلط النسخي أو المطبعي المذكورين آنفاً ، وأرى أن يقوم بتحقيق أوسع لهذه المسألة ـ العلماءُ اللغويون الأثبات بما يميط اللثام عن الموضوع من كل نواحيه .

وقبيلة سُليم بن منصور ، تنتمي إلى قيس بن عيلان . وقد ظهرت على صفحات التاريخ العربي كقبيلة ذات كيان مرموق ومكانة مقدرة في نحو منتصف القرن السادس الميلادي [1] .

ويعطينا « ابن حزم » في كتابه : (جمهرة أنساب العرب) تعريفاً لنسب بني سُليم ، وتراجم موجزة لكبار رجالاتهم في الجاهلية وصدر الاسلام ، مع سلاسل أنساب بطونهم وعماراتهم ، وأحداثهم الكبيرة وزعمائهم وصحابتهم وشعرائهم وأبطالهم وقادتهم .

يقول : (وَلَدَ – بفتح الواو واللام وضم الدال المهملة – سُليم ابن منصور : بُهثةُ . فولد بهثة بن سليم : الحارث . وثعلبة : بطن

---

١ دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية بمصر) ، ج ١٢ ، ص ١٤٤ ، نقلا عن مصادرها العربية والافرنجية المدونة في هامش هذا البحث .

صغير ، وامرؤ القيس ، وعوف ، وكان كاهناً . وثعلبة ومعاوية . فمن بطون امرىء القيس بن بهثة ، بنو عُصيَّة بن خُفَاف – بضم الخاء المعجمة وفتح الفاء المخففة – ابن امرىء القيس بن بهثة ، لعنهم النبي صلى الله عليه وسلم ، بعد ما قتلوا أصحاب بئر معونة . وبنو عميرة بن خفاف ، أخو عُصية بن خفاف . منهم الفجاءة ، وهو بجير بن إياس بن عبد الله ابن عبد يا ليل بن سلمة بن عميرة بن خفاف المرتد ، أحرقه أبو بكر رضي الله عنه بالنار[1] ومن بني عُصية بن خفاف : الخنساء الشاعرة ، وأخواها صخر ومعاوية ، ابنا عمرو بن الحارث بن الشريد ، واسمه عمرو بن يقظة بن عصية ، ومالك ذو التاج ، وكرز وعمير ، وهند بنو خالد بن صخر بن الشريد المذكور .. كلهم فرسان . توجت بنو سُليم مالكاً المذكور ، وقتله وقتل كرزاً أخاه – عبدُ الله بن جَذْل الطعَّان الكناني . وأبو العاج كثير بن عبد الله بن بردة بن الحارث بن ختم بن عبد بن حبيب بن رئاب بن رواحة بن مُلَيْل ، قاتل ربيعة ابن مكدم الكناني . ومن بني مالك بن خفاف بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم : الضحاك بن سفيان بن الحارث بن زائدة بن عبد الله بن حبيب ابن مالك بن خفاف – له صحبة . وهو غير الضحاك بن سفيان الكلابي .. ويزيد بن الأخنس بن حبيب بن جزء بن زغب بن مالك بن خفاف – له صحبة . وابنه معن بن يزيد ، له صحبة ، وكان له مكان عند عمر رضي الله عنه ، وشهد « صفين » مع معاوية رضي الله عنه . و « المرج » مع الضحاك بن قيس .

---

١ جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، ص ٢٦١ ، طبع دار المعارف بمصر ١٣٨٢ هـ ، ١٩٦٢م . ويفهم من الكتاب الذي ألفه الدكتور عبد الجبار الجومرد عن أبي جعفر المنصور أن قصياً كان موجوداً في آخر القرن الرابع الميلادي واسمه (يزيد) وان بني سليم كانوا موجودين في حياته معروفين في القرن الخامس الميلادي ، راجع كتاب (داهية العرب أبو جعفر المنصور مؤسس دولة بني العباس) ، ص ١٣ و ١٥ و ١٦ ، طبع دار الطليعة في بيروت .

ومن بني عوف بن امرىء القيس بن بهثــة بن سليم ، ثم من بني يربوع بن سماك بن عوف بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم : مجاشع ومجالد ابنا مسعود بن عائذ بن وهب بن ربيعة بن يربوع بن سماك بن عوف بن امرؤ القيس بن بهثــة بن سليم .. مجاشع هــذا قاد ، ولهما صحبة [1] ، وعبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت بن حبيب بن حارثة ابن هلال بن سماك بن عوف بن امرؤ القيس ، صاحب خراسان . وعمه عروة بن أسماء بن الصلت من جلة الصحابة ، قتل يوم بئر معونة رضي الله عنه . وموسى ومحمد ونوح وخازم وإسحق بنو عبد الله بن خازم . وستأتي ترجمة موسى بن عبد الله بن خازم في فصل « شعراء من بني سُليم » . وكانت لبني عبـد الله بن خازم آثار في خراسان ، ولهــم بالبصرة بقية ، منهم النضر بن إسحق بن عبد الله . وكانت لهم بالبصرة رياسة . وموسى بن عمرو بن موسى بن عبد الله بن خازم ، قتل مع ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبـي طالب ، رضي الله عنه . وقيس بن الهيثم بن قيس بن الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن سماك القائم بدعوة ابن الزبير بالبصرة ، والربيع بن ربيعة بن أهبان ابن ثعلبة بن ضبيعة بن ربيعة بن يربوع بن سماك بن عوف بن امرىء القيس ابن بهثة بن سليم ، قاتل دريد بن الصمة ، يوم أوطاس . رعْلُ بن مالك بن عوف بن مالك بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم ، احدى القبائل التي لعنها رسول الله (ص) لقتلهم أهل بئر معونة ، منهم أنس ابن عباس بن عامر بن جبير بن رعل ، كان سيداً ، ويزيد بن أسيد ابن زافر بن أبـي أسماء بن أبـي السيد بن منقذ بن مالك بن عوف بن امرىء القيس من قواد بني العباس . ومن بني بهز بن امرىء القيس :

---

[1] يقصد ابن حزم أن مجاشعاً السلمي صار قائداً في وقت من الأوقات . وقوله : ولهما صحبة ، يعني مجاشعاً ومجالداً أخاه ، كما يدل عليه سياق الحديث .

الحجاج بن علاط بن خالد بن ثويرة بن جسر بن هلال بن عبد ظفر ابن سعد بن عمرو بن تميم بن بهز بن امرىء القيس — من خيار الصحابة رضي الله عنهم ، له كان المعدن الذي ببلاد بني سُليم ، وهو معدن ذهب ، نزل حمص . وابنه نصر بن حجاج هو الذي نفاه عمر رضي الله عنه عن المدينة ، لقول المرأة فيه :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ؟ أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج ؟

والمرأة هي « فُريعة » أم الحجاج بن يوسف الأمير الأموي ، وكانت زوجة للمغيرة بن شعبة ، ولذلك كتب عبد الملك بن مروان ، للحجاج في بعض كتبه : « يا ابن المتمنية » .

ومن بني الحارث بن بهثة بن سُليم : بنو ذكوان بن رفاعة بن الحارث ابن حُيَيّ بن الحارث بن بهثة بن سُليم ، منهم العباس بن مرداس بن أبي عامر (وقيل : ابن أبي غالب) بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة .. تزوج الخنساء الشاعرة ، فولدت له هبيرة ، وجَزْءاً ، ومعاوية [1] . ولعباس من الولد : كنانة ، وجلهمة أو جاهمة ، وسعيد ، وعبيد الله ، وغيرهم . ومن ولده : عبد الملك ، وهارون ابنا حبيب بن سليمان بن هارون بن جلهمة أو جاهمة بن العباس . ومنهم : أُبَيّ بن العباس بن مرداس ، روى عنه أبو عبيدة . وبكار بن عبد الله بن سعيد بن العباس ابن مرداس : محدث ، عابد ، مات بمصر ، وعتبة بن فرقد ، وهو بربوع بن حبيب بن مالك بن أسعد بن رفاعة بن ربيعة بن رفاعة بن الحارث بن بهثة ، وابنه عمرو بن عتبة من نُسّاك الكوفة ، من جلة

---

١ هذه هي الحقيقة .. فالعباس بن مرداس ، هو ابن مرداس من زوج غير الخنساء . وأبناء الخنساء من مرداس اخوة غير أشقاء للعباس بن مرداس ، لأن أمه غير أمهم الخنساء . وقد غلطت دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية بمصر) حينما جعلت العباس بن مرداس ، ابناً لمرداس من الخنساء . انظر ص ١٤٥ من المجلد الثاني عشر ، طبع بمصر .

أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه . ومن بني عمه : منصور بن المُعْتَمِرِ ابن عبد الله بن عتاب بن رُبَيِّعَةَ – بالتصغير – بن فرقد وهو يربوع بن حبيب الفقيه وأشرس بن عبد الله صاحب خراسان ، وهو من بني مطاعن ابن ظفر بن الحارث بن بهثة ، وبنو غضب بن كعب بن الحارث بن بهثة .. وليس في العرب « غضب » الا هذا ، ولا في الأنصار ، رضي الله عنهم .

ومن بني ثعلبة بن بهثة بن سُليم : حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة .. كان بمكة في الجاهلية ، محتسباً ، يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، وفي ذلك يقول بعض سفهاء قريش :

أُطَوِّفُ في الأباطح كل يوم مخافةَ أن يشردني حكيم

وعمةُ جَدِّهِ : عاتكة بنت مرة بن هلال ، أم هاشم ، وعبد شمس ، والمطلب ، بني عبد مناف ، وأبو الأعور السُّلمي ، وهو عمرو بن سفيان ابن عبد شمس بن سعد بن خائف بن الأوقص بن مرة بن هلال ، من قواد معاوية رضي الله عنه ، وعُبيد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الأعور ، ولي افريقية ، وعمير بن الحُباب [1] . ابن جعدة بن اياس بن حُذافة بن محارب بن هلال بن فالج ، ومن ولده : زياد بن يزيد بن عمير بن الحُباب ، والجحَّافُ بن حكيم بن عاصم بن قيس بن سباع بن خزاعي بن محارب ابن هلال ، البطلان الفاتكان . لحق الجحاف بأرض الروم بعد قتله من قتل من بني تغلب يوم البِشْر ، ثم استأمن ورجع ، وتنسك نُسُكاً

١ الحباب – بضم الحاء المهملة – : الحية أو ضرب من الحيات ، وحي من بني سليم . ولا تزال بنو سليم تستعمل اسم « الحباب » هذا .. فيوجد الآن منهم في قرية مهايع « حامد بن حباب السلمي » رئيس هيئة الأمر بالمعروف بقرية الكامل .. أعرفه معرفة شخصية وقد كان زارنا في رحلتنا إلى بلاد بني سليم في ٢٠ ربيع الثاني ١٣٩٠ هـ = ٢٥ يونيه ١٩٧٠ م . (فيما يتعلق بمادة حباب راجع القاموس المحيط للفيروزآبادي ، مادة « حب ») .

تاماً صحيحاً إلى أن مات ، والصاحب الجليل الفاضل صفوان بن المعطل ابن رخصة بن المؤمل بن خزاعي بن محارب بن هلال ، وفيه قال أهل الإفك ما قالوا ، (أفكا وزوراً) .

ومن بني مالك بن ثعلبة بن بهثة بن سُليم : الورد بن خالد بن حذيفة بن عمرو بن خلف بن مازن بن مالك بن ثعلبة بن بهثة ، كان على بني سليم ميمنة النبي صلى الله عليه وسلم ، يوم الفتح — فتح مكة — وعمرو بن عبسة بن منقذ بن خالد بن حذيفة .. كان صديق رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في الجاهلية ، وأسلم قديماً إثر إسلام أبي بكر ، وبلال ، رضي الله عنهما .. قال : « فكنت يومئذ رُبُعَ الإسلام » [1] .

هذا وقد ذكر جواد علي ، بني سُليم في كتابه : « تاريخ العرب قبل الإسلام » ونسبهم كما نسبهم ابن حزم الأندلسي في « جمهرته » وقال : (كان لهم صنم ، يقال له « ضماد » كان عند مرداس ، والد عباس بن مرداس ، فلما توفي ، مرداس ، وضعه العباس في بيت يتعبد له ، فلما ظهر الأسلام أسلم وأحرق ذلك الصنم) [2] .

وقد نزل بالاندلس ، كثير من قبيلة قيس بن عيلان من العدنانية . ومن هؤلاء من ينتسب إلى سُليم بن منصور ، كعبد الملك بن حبيب السلمي ، وكالقاضي أبي حفص بن عمر قاضي قرطبة [3] .

كما نزل بإفريقية من بني سُليم : بنو الشريد ، وكانت لهم صولة وشوكة . وبنــو زغب بن مالك بن بهثة كانوا بين الحرمين ، فصاروا

---

١ جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٦١ — ٢٦٢ .
٢ تاريخ العرب قبل الإسلام ، م ٤ ، ص ٣٢٣ — ٣٢٤ .
٣ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، لأحمد بن محمد المقري التلمساني ، ص ٢٧٢ ، المجلد الأول ، طبع مطبعة السعادة بمصر ، سنة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٨ م .

إلى إفريقية ، في جوار إخوانهم بني ذُباب بن مالك ، ثم صاروا في جوار بني هيّب .

ومنازل بني ذباب بني سُليم [1] في إفريقية ، بين قابس ، وبرقة . وهم ببرقة بجوار بني هيّب .

ومنهم بنو سليمان بن ذباب ، في جهة فزّان وودّان .

ورؤساء بني ذباب في عصر المقريزي — القرنين : الثامن والتاسع الهجريين — كانوا ما بين طرابلس وقابس وبَيْتُهم — رياستهم — بنو صابر ، والمحامد بنواحي فاس وبيتهم في بني رحاب بن محمود .

وبنو عوف بن بهثة السلميون منازلهم ما بين قابس ، وبلد العناب ، وهم : مرداس وعلاّق .

وبنو هيّب بن بهثة ، إخوة عوف بن بهثة ، منازلهم في إفريقية ، ما بين السدرة من برقة إلى حدود إسكندرية ، وبنو أحمد منهم باجدابية . ولهم عدد ، ويرجعون إلى شماخ ، ولها العز في هيّب .

ومن هيّب : سبال ومحارب . ورياستها في عزاز . ولهيّب في سُليم عزة ، لاستيلائها على إقليم طويل ، خرَّبَتْ مُدُنَه ، وصارت ولايته لأشياخهم . وتحت أيديهم خلق كثير من البربر ، وفيهم طائفة الأبطال الأنجاد . والإمارة فيهم ، في أولاد عزاز بن مقدم . وكان مزيد بن عزاز ، جليل القدر ، معظماً في الدولة .

وبنو زيد ، وحمدان ، وزيان — كلهم كرام أماجد .

وبنو مُعِزّ ، وعمير ومنهم عَلَوِيٌّ بن ابراهيم بن عزاز ، وسلطان بن

---

١ في معجم قبائل العرب ، لعمر رضا كحالة ، ص ٤٠٨ ، طبعة دمشق — : (ذباب بن مالك : بطن من بني سليم بن منصور ..... كانت منازلهم ما بين قابس وبرقة ، منهم بنو سليم ابن ذباب) .

زيان بن عزاز ، وعمر بن مشعل بن عزاز ، وجماعة بن مليح المنصوري، أصحاب غازي بن نجم ، وعليان بن عريف ، وبليوش – بلبوش – وكان قــد هرب من السلطان الملك الظاهر بيبرس ، فلحقه الجيش ، وآخذوه أسيراً ، فاعتقله مدة ، ثم أفرج عنه ، وهو والــد زيد بن بليوش – بلبوش – .

وعربان البحيرة في الأيام الناصرية (محمد بن قلاوون) فيهم فايد ابن مقدم ، وخالد بن سليمان ، وكانا أميرين سيدين ذَوَيْ كر وأمن (وأمر) وشجاعة [1] .

أما بنو سُليم في مصر ، فقد مر بنا أنهم استوطنوا – في زمن هشام ابن عبد الملك الأموي ، بلبيس ، وتكاثروا بها .

ويروي لنا الدكتور عبد المجيد عابدين أن بني سُليم بعد ما أقاموا في المغرب إثر نزوحهم الجماعي اليه ، أخذوا بعد بضعة قرون يعودون إلى مصر ، في موجات متتالية ، وكانوا حينئذ قد اختلطوا بالبربر ، وقال: « وتُعد هجرتهم في القرن الثامن عشر (الميلادي – الموافق للقرن الثاني عشر الهجري –) من اكبر الهجرات العربية التي وفــدت إلى مصر من طريق الغرب ، فملأوا الصحراء الغربية ، وبعض جهات من وادي النيل، والى الآن ينتسب جميع العرب الساكنين على الساحل ، غربيّ الإسكندرية ، إلى قبيلة بني سُليم هؤلاء » .

ثم فصل لنا بطونهم بمصر فقال : « ومعظم فروع بني سُليم ، تنتمي الى السعادي ، وهم أولاد أبي الليل ، من سليم بن منصور ، من القبائل العربية القيسية . ويتفرع السعادى الى بطون أهمها : (أ) البراغيث (أبناء

---

١ البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، للمقريزي ، ص ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ و ٧١ ، طبع القاهرة .

برغوث) ومنهم الفوائد ... (ومنهم أسرة لملوم) والرمـاح (ومنهم أسرة الباسل) والجبارنة (ومنهم الجوازي أولاد أبـي جازية) . وقد انتشرت هـذه البطون من غرب الاسكندرية ، إلى مديريات الفيوم ، والمنيـا ، وبني سويف . (ب) - العقاقرة (أبناء عقّار) ومنهم الحرابي ، وأولاد علي ، والهنادي (وبني) وبنو عونة ، والجبالية ، وقد انتشروا في أرض الدلتا شرقاً وغرباً ، وبعض مناطق الصحراء الغربية . وكان بين الهنادي وأولاد علي ، معارك في البحيرة .

وفي زمن الاحتلال البريطاني حيل بين عرب مصر في البادية ، وبين مناطق المنـاجم ، ومُنعوا من الوصول إلى مناطق النفط في الصحراء ، وأخيراً فتحت الصحراء للمشروعات المعدنية والزراعة [1] .

هذا وقد عدّ لنا أبو العباس أحمـد القلقشندي ، أفخاذَ بني سُليم المقيمين في عهده ببرقة . فقال : (أخبرني مخبرون من غيرها بعدة أحياء منهم ، وهي : أولاد حرام ، وأولاد سلاّم ، والبركات ، والبشَرة ، والبلابيس ، والجواشنة ، والحدادة ، والحوثة ، والدُّروع ، والرفيعات ، والزرازير ، والسوالم ، والسبوت ، والشراعبة ، والصريرات ، والعواكلة ، والعلاونة ، والموالك ، والنبلة ، والنـدوة ، والنوافلة ، والرعاقبة ، والبواجنة ، والقنائص ، وقطاب ، والقصاص [2] .

أمـا عرب سُليم في بلاد الجزائر ، فـ (كانت عوف بن سليم ، تجاور رياحاً ، على حدود عمالقة قسنطينة وتبلغ ناجعتها ، نواحي بونة ، ولها بطنان : مرداس ، وعـلاق . ومن علاّق : حصن ويحيي . ومن

---

١ تعليقات الدكتور عبد المجيد عابدين ، على كتاب (البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب (، ص ١٦٧ - ١٧٢ ، طبع مصر .

٢ (قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان) للقلقشندي ، ص ١٢٦ ، طبع القاهرة .

حصن : حكيم وبنو علي . ومن يحي : الكعوب : (بنو كعب) . ومن الكعوب : أولاد مهلهل ، وأولاد أبـي الليل . ومن أولاد أبـي الليل : الأعشاش .... واشتهر من شيوخ حكيم : أبو زيد بن عمر بن يعقوب ، وابنه خليفة ، ومحمد بن مسكين ، وخليفة ابن أخيه . وكان منهم ، أول القرن التاسع (الهجري) – الشيخ المرابط أحمد بن صعنونة ابن عبدالله بن مسكين [1] .

ويفهم من فحوى أبيات لأشجع السلمي أن جالية سُلمية كانت تقيم ببغداد في أيامه وكان ركنها ومرجعها هو احمد بن يزيد السلمي الذي توفي في جرجان .

وقـــد وصل بنو سُليم في استيطانهم الى أقصى نقطة في شرق شبه الجزيرة العربية على الخليج العربـي ، فاستقروا بمشيخة رأس الخيمة شمال أم القيوين وعلى مسافة ٨٠ كيلومتراً للشمال الشرقي من الشارقة ، وهؤلاء السلميون المقيمون في مشيخة رأس الخيمة ، هم من البقية الباقية في شبه الجزيرة العربية ، وهم يقيمون في قرية جزيرة « زُعاب » كما قدمناه . وسميت بهذا الاسم ، نسبة إلى سكانها الذين ينتمون إلى « زُعاب » من بني سُليم . وتقع هذه القرية على مسافة ١٩ كيلومتراً من رأس الخيمة ، وفيها مدرسة انشئت عام ١٩٦٠ – ١٩٦١ م – المدرسي ، وكان بها حينئذ (١٢٣) طالباً يعلمهم معلمان . ومشيخة رأس الخيمة تتفق في طبيعة أرضها الخصبة المتوافر فيها المياه العذبة مع طبيعة أرض بني سُليم الأصلية من هـــذه الناحية . ويزرع فيهـــا النخيل والليمون والحبوب والخضراوات [2] .

---

١ تاريخ الجزائر في القديم والحاضر ، للشيخ مبارك بن محمد الهلالي الميلي ، المجلد الثاني ، طبع المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة ، ص ٢٧٠ و ٢٧١ .

٢ جزيرة العرب ، لمصطفى مراد الدباغ ، الجزء الثاني ، ص ١٨٩ و ١٩٤ ، منشورات دار الطليعة ببيروت .

وبعد فإن من ذكرناهم فيما سلف ، هم أحيـــاء قبيلة بني سُليم في الجاهلية والاسلام ، حتى القرن الرابع عشر الهجري الذي نعيش الآن في عشرته الأخيرة .. وجميعهم ممن نزحوا عن ديارهم الاصلية بين الحرمين: مكة والمدينة ..

وفيما يأتي نثبت أسماء أحيائهم المقيمين اليوم ومن قبل اليوم ، صُعُداً ، إلى وقتٍ لا نعلمه الآن بالدقة ..

ومما لاحظته أن هذه الأحياء والبطون السلمية ، لا يوجد بينها اسم من أسماء أحياء أسلاف بني سُليم وبطونهم . ومثلهم في هـــذا ، الأحياءُ والبطون التي نزحت عن هذه الديار في غابر العصور الى برقة وغيرها : مثل : أولاد حرام ، وأولاد سلاّم ، والبركات ، والبشَرة ، والبلابيس ، والجواشنة ، والحدادة ، والحوثة ، والدروع ، والرفيعات ، والزرازير ، والسوالم ، والسبوت ، والشراعية ، والصريرات ، والعواكلة ، والعلاونة ، والموالك ، والنبلة ، والنـــدوة ، والنوافلة ، والرعاقبة ، والبواجنة ، والقنائص ، وقطاب ، والقصاص . وهذه الأحياء كلها تنتمي الى بطن لَبيد [1] .

وهناك ظاهرة اجتماعية ، لا بد لي من الإشارة إليها هنا ، وقـــد تكشفت لي أثنـــاء دراستي لسلاسل أنساب بني سُليم وغيرهم من القبائل العربية .. وتلك الظاهرة هي أنه بطول الزمن وتتابع القرون ، وتعاقب الأجيال كثيرا ما يحدث « تَغَيُّر » في أسماء الأفخاذ والأحياء والبطون القَبلية ، فينتسب كل جيل أو أجيال متقاربة في الزمن الى الجدّ أو العم الذي هو أقرب الى المنتسبين اليه ممن سبقوه من الأجداد أو الأعمـــام ،

---

١ قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، لأحمد القلقشندي ، ص ١٢٥ و ١٢٦ ، طبع مصر .

وذلك حسب المتعارف عليه ، وحسب الظروف ، والمناسبات .. وتستمر النسبة الى هذا الجد او العم أو غيره إلى مـا شاء الله ، حتى يأتي من الأسباب والظروف ما يُحِلُّ محله شخصاً آخر ، فيُعْزَى اليه الفخذ أو البطن أو الحي .. وهكذا دواليك .. فمتتبع أنساب العرب أو الأعـراب بأدق تعبير يجب عليه أن يضع في ذاكرته هذه الظاهرة وأن يلاحظها فيما يُدونه من أنسابهم ، حيث يجـد « تغيراً » ملحوظاً واضحاً في أسمائهم الشاملة لهم ، بين كل فينة وأخرى .. على أن اسم القبيلة الأصلي ، التي ينتمي اليها الجميع يبقى معروفاً لديهم .. وينتسبون اليه جميعاً ، وبـه تعرف مجموعاتهم المختلفة في الأسماء الفرعية .

وهناك ظاهرة اجتماعية أخرى لا بد لنا أيضاً من ذكرها .. وهي أنَّ كثيراً من سلاسل أنساب العرب ، خـاصة في القرون التي تلت القرن الهجري الخامس – في تقديرنا الخاص – كثيراً ما يعتريها السهو والبتر والنقصان ، لأسباب عديدة ، منها صعوبة محافظة الأجيال عـلى تدوين أسماء الآباء بدقة كاملة ، وفي سمط متسلسل كامل الحلقات ، طيلة القرون المتوالية ، وتحت وطأة تقلبات الظروف والهجرات والأزمـات العنيفة ، والاضطرابات الداخلية والخارجية التي تهب أعاصرها بين كل حين وآخر. وهَبْ أن بعضهم تمكن مع ذلك كله من تدوين سلسلة نسبه كاملة وبدقة ، فإن الاضطرابات والحروب والمعارك قد تجتاح المستندات وتفقدها ، فيضيع بذلك كل الجهد الذي بُذِلَ في المحافظة على عمود النسب . وهذه الظاهرة قد حدثت لرائد علم الاجتماع : (ابن خلدون) فسجَّل على نسبه هذا النقص الذي لاحظه فيه .. قال عن نسبه : (عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جـابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون) – لا أذكر من نسبي الى ابن خلدون غـير هؤلاء العشرة ، ويغلب على الظن أنهم أكثر ، وانه سقط مثلهم عدداً ، لأن خلدون هذا هو الداخل الى الأندلس ، فان كان أول الفتح فالمدة ،

لهذا العهد سبعمائة سنة . فيكونون زهاء العشرين ، ثلاثة لكل مائة ، كما تقدم في أول الكتاب الأول [1] .

وأعتقد أن هذه الظاهرة قد شملت أيضاً ، نسب عبد الرحمن الأنصاري ، مؤلف كتاب « تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب » فهو من أهل القرن الهجري الثاني عشر ، وقد سلسل نسبه حتى وصل به إلى أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي النجاري خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد عد آباءه اليه ، واحداً وعشرين أباً فقط [2] . وحيث إن الزمن الذي بين عبد الرحمن وأنس بن مالك هو أحد عشر قرناً ، فعلى قاعدة (أبي علم الاجتماع) : عبد الرحمن بن خلدون — التي طبقها على سلسلة نسبه : يُحسب لكل مائة عام نحو ثلاثة آباء ، وهذا أقل ما يحتمل .. وعلى هذا الترتيب يكون بينهما ثلاثة وثلاثون أباً ، لا واحد وعشرون أباً فحسب ، كما ذكر .

وأسماء أحياء بني سُليم وبطونهم المقيمين اليوم في بلادهم الأصلية بين الحرمين الشريفين قد كنت تلقيتها من حسين بن هندي السلمي ، رئيس « قرية الكامل » أم قرى بني سُليم الآن ، ومقر الإمارة في منطقتهم ، والتي هي أقرب قراهم وديارهم إلى مكة وجدة اليوم .

كتب لي حسين بن هندي السلمي ، أسماء أحياء هؤلاء السلميين وبطونهم المعاصرين ، في ورقة وقعها بيده باسمه ، ثم تلوتها عليه زيادة في التوثق

---

١ التعريف بابن خلدون ، لابن خلدون ، ص ١ ، طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر .

٢ تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب ، ص ٢٧ ، طبعة الشركة التونسية لفنون الرسم في جوان ، ١٩٧٠ م ، ص ٧ ، تحقيق الأستاذ محمد العروسي المطوي بتونس .

والتأكد ، فأقرها .. وهذه هي أسماء أحيائهم وبطونهم بموجب ما حوته تلك الوثيقة :

أولاً — بنو نَوال[1] .. يتفرعون إلى أربع عشائر : هي المطاردة ، والصُّدَّر ، والأذَنَات ، والزَّحمة .

ثانياً — بنو سَرِيّ .. يتفرعون إلى سبع عشائر : العَبَدة ، النَّقَرين ، العطاطيف ، المرَاهِين ، الشُّنُونة ، الحِسْنَان ، النُّمران .

ويسكن هؤلاء في « القُرَيَّة » و « شُوان » و « السِّبعان » و « العياب » و « الحُجْرة » .

وتجمع ربيعةُ ، بني نوال ، وبني سري ، والفُقَها الذين سيرد ذكرهم فيما بعد .

ثالثاً — البِقَلة .. ويتفرعون إلى عشائر هي : ذوو نبات ، وذوو مستور ، والجوامع ، وذوو علي .

ومنازلهم : ذَرَة ، وقرى وادي ساية ، ويختلطون مع غيرهم من قبائل سُليم ، ويجتمعون في بني راشد .

رابعاً — حُلَيل ، وتتفرع إلى عشائر هي : بني عَطَا ، وذوي (وذوو) جبرين ، والموسى ، والوعارى .

ومنازلهم بقرى وادي ستارة وتوابعها ، وهم مختلطون مع غيرهم ، من بطون سُليم .

خامساً — السَّوالم ، وتتفرع إلى : العِصَوي ، والذُّبيبات ، والدَّيسي ، والقُويسمي .

---

١ نجد في تاريخ ابن خلدون : (النوائل) من سليم..وهم بنو نائل بن عامر بن جابر .والاسمان : (نوال ونائل) من صيغة واحدة .

ومنازلهم في المَرواني ّ وضواحيه . ويشترِكون في بعض قرى ساية وستارة .

سادساً — بنو بُركة .. ويتفرعون إلى : الفقُهـا ، والجبَاريت ، والحُضَرة ، والرّزم ، والمساريـح .

وتجمعهم بنو بُركة .. أما الفقُها ، فكما قدمنا ، من ربيعة . وتنضم مع بني نوال وبني سري .



مبان قديمة في قرية الكامل ، ويرى وراءها نخيل قرية الكامل

وجميع الأحياء المذكورة آنفاً هم من بني نوال ، إلى بني بُركة ، والفقهـا ، وتجمعهم (فُتَيَّة) .

ومساكن ربيعة بجبل شمنصير .



مصب عين الكامل واقفاً فوقها (من اليمين) كل من :
عبيد بن محمد السلمي ، أسعد صبر ، عبد القدوس الأنصاري ،
ضيف الله بن عزيز بن هندي السلمي

سابعاً – بنو محمد .. يتفرعون إلى « الهمعان ، والتراجمة ، والحجرة ، والعجفان ، والقوعة ، والمرنة .

هؤلاء (أي بنو محمد) مساكنهم بقرى وادي ساية .

ثامناً – الجلاه – يتفرعون إلى : السرحان ، والشكرية ، والنجاجرة ، وذوي حمود ، والمقاعية ، والزراكنة ، والصوابر ، والزوانية .

ومساكنهم : قرى وادي ساية ، وهم مختلطون مع غيرهم من بني سليم .

تاسعاً – وديعة ، تتفرع إلى : ذوي عيد ، والبيسسة ، والعيلوان ، والمضيفرات .

ومساكنهم : الحنو ، ومهايع ، والحذذ ، ويشتركون مع بعض بني سليم في وادي ساية .

عاشراً – قريش : تتفرع إلى : الفهايدة ، وذوي عواض ، والعكالية .

مساكنهم : مهايع ، والشعبة .

حادي عشر – الضباعين .. ليس لهم فروع .

ومسكنهم : قرية ملح .

وهؤلاء من بني محمد ، إلى الضباعين ، تجمعهم حبش .

حلقات مفقودة

هذا وبإيرادنا لأصول قبيلة بني سليم وفروعها ، في الجاهلية الأخيرة ، وفي صدر الاسلام ، وبإضافة فروعهم اليهم في القرن الهجري الحاضر – الرابع عشر – الموافق للقرن العشرين الميلادي تبقى أمامنا حلقات

مفقودة في التسلسل النَّسبي الرابط لهؤلاء بأصولهم القديمة ، ثم منابع ارتباط بني سُليم المقيمين هنا في المملكة عبر القرون الحالية بأبناء عمومتهم النازحين إلى أقطار العالم الاسلامي في هجراتهم إلى ديار الشام ، فالبحرين ، فمصر ، فبلاد المغرب ، فمصر أخيراً في القرن الميلادي الثامن عشر – الثاني عشر الهجري . ولربما أماط لنا اللثام عن ذلك كله أو جله ، البحثُ العلمي المطرد المتتابع ، فالحقيقة بنت البحث كما يقولون .

ملامــح بني سُليم

أغلبُ ملامح (الأعرابي العربي) تتمثل في أنه : رشيق القوام ، قليل اللحم ، ووجهه معروق قليــل اللحم كسائر جسمه ، وله ذقن بارز ، وأنف دقيق ، وعينان براقتان ، وفم ظاهر . ورشاقة جسمه تجعله نشيطاً خفيف الحركة [1] .

ووجه الأعرابي في المناطق الحارة من بلاد العرب أسمر — وأكثرُ مناطق بلاد العرب حار .

وتقع بلاد بني سُليم في المنطقة الحارة ، لأنها من تهامة ، وهي ذات وهاد وأنجاد ، وجبال وحرار .

والصفات والسمات المتقدم بيانها تنطبق — من وجه عام — على من تسنَّتْ لي رؤيتهم من بني سُليم .. في ديارهم بأعالي الحجاز ، وفي غيرها من هذه البلاد .

ولا يعني ما سبق لي تقريره أنه لا يوجد فيهم أفراد بيض الوجوه ،

---

١ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، للدكتور جواد علي ، ببعض تصرف ، ص ٣٠٥ ، المجلد الرابع ، طبع دار العلم للملايين ببيروت .

أو ذوو لون قمحيّ يميل إلى السُّمرة أو إلى البياض .. ومن أمثلة أصحاب هذا اللون خاصة : « حسين بن حيا السلمي » أحد كبار قرية مهايع السلمية في ديار بني سُليم .

وكذلك يوجد بين سكان الجبال الباردة الطقس بأنحاء المملكة أفراد ذوو لون قمحي وأبيض ، لأسباب عامة أو خاصة ..

ويوجد عكس ذلك في المناطق الحارة .

وقلنا ، « إن اللون الغالب – قديماً وحديثاً – على العرب هو السمرة » بالنظر إلى ما سبق بيانه من أن أغلب مناطق بلاد العرب حار ، وبالنظر لما أورده الدكتور جواد علي ، نقلاً عن علماء اللغة العربية ، الذين بحثوا خصائص العرب ، ووصفوا حيواتهم ومجتمعاتهم ، من خلال بحوثهم اللغوية . يقول الدكتور جواد علي : (ويذكر علماء اللغة أن العرب تصف ألوانها بالسواد ، وتصف ألوان العجم بالحمرة [1] . وقد افتخر الشعراء بذلك ، في الجاهلية ، وفي الاسلام . من ذلك قول الفضل بن عباس بن عتبة اللهبي :

وأنا « الأخضر » [2] من يعرفني أخضر الجلدة في بيت العرب

يقول : أنا خالص ، لأن ألوان العرب ، السمرة . ومن ذلك قول مسكين الدرامي :

---

١ بالمناسبة أذكر انه دار نقاش بيني وبين عالم مصري في هذا الموضوع .. قلت له : إن معنى الحديث النبوي : « بعثت إلى الأحمر والأسود » أو كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم هو انه يعني ان رسالته تشمل العجم والعرب .. العجم يوصفون عند العرب بالحمرة وهي البياض ، والعرب بالسواد . وهذا هو الغالب الأعم ، ولا ينفي ذلك وجود عرب بيض الألوان أو قمحيوها .

٢ الأخضر لغة : بمعنى الأسمر أو الأسود .

أنا مسكين لمن يعرفني لوني « السمرة » ألوان العرب

قال الجاحظ : (والعرب تفخر بسواد اللون . وقد فخرت « خُضْر محارب » بأنها سود . والسود عند العرب : الخضر . ثم ذكر أمثلة من أمثلة افتخار بعض القبائل والأشخاص بكونهم « خُضراً » ثم قال : وخُضرُ غسان ، بنو جَفْنة الملوك ؟ قال الغساني :

إن الخضارمة الخضر الذين وَدَوْا أهل البريص ثماني منهم الحكم

وقد ذكر حسان أو غيره ، الخُضْر من بني عُكَيْم ، حين قال :

ولست من « بني » [1] هاشم في بيت مكرمة ولا بني جُمح الخضر الجلاعيد

قالوا : وكان ولد عبد المطلب العشرة دُلماً ضُخماً ، نظر اليهم عامر ابن الطفيل يطوفون ، كأنهم جمال جُونٌ فقال : بهؤلاء تمتنع السدانة ! وكان عبد الله بن عباس ، أدلم ضخماً ، وآل أبي طالب أشرف الخلق ، وهم سود وأُدمٌ ودلم . والدلم : الرجل الشديد السواد [2] .

ويقول المبرد : (وقول العرب : ما يخفى ذلك على الأسود والأحمر ، يريد العربي والعجمي [3] .

ووصف الطبري في تاريخه ، محمد بن عبد الله بن حسن (النفس الزكية) بأنه (كان آدم شديد الأُدمة أدلم جسيماً عظيماً وكان يلقب بالقاريّ من ادمته [4] .

---

١ يبدو لي أن الصواب هو حذف كلمة (بني) ليصح الوزن .

٢ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، للدكتور جواد علي ، ص ٣١٠ و ٣١١ . وجاء في القاموس المحيط : ان الدلماء : لقب بني ضبة لسوادهم (مادة دلم) .

٣ الكامل للمبرد ، ص ٦١ ، الجزء الثاني .

٤ تاريخ الطبري ، ص ١٩٢ ، الجزء السادس .

وكما قلنا آنفاً فانه يوجد أشخاص بيض الوجوه من العرب ، أو ذوو لون دون البياض .. ومن أولئك وهؤلاء سكان جبال السروات ، بجنوب المملكة العربية السعودية . والمعروف أنه كلما ارتفع موطن السكان ازداد لونهم صفاءاً وبياضاً ، وكلما انخفض موطنهم ازدادت سمرتهم .. وقد أشار إلى ذلك الدكتور جواد علي في كتابه (المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام) .. قال : « وقد عُرفت بعض القبائل العربية ببياض بشرتها ، واشتهرت نساؤها ببياض البشرة .. ورد في الحديث : أنه لما خرج من مكة قال له رجل : « إن كنت تريد النساء البيض ، والنوق الأُدْمَ ، فعليك ببني مدلج » . ويقال للمرأة التي يغلب على لونها البياض : « الحمراء » . وجاء في الحديث النبويّ : (بُعِثتُ إلى الأحمر والأسود) أي إلى العجم والعرب ، كافة .

ويقول جواد علي : إن أجسام سكان السواحل من العرب أقصر من أجسام أبناء الجبال والنجاد ، وإن أهل التهائم ، والسواحل الجنوبية لجزيرة العرب ، أقصرُ قامة ، من أهل نجاد اليمن ، أو أهل نجد[1] .

وبنو سُليم هم تهاميون كما قدمنا ، وهم بين جبال وحرار في تهامة . إن ديارهم الأصلية تقع بين مجموعة متلاصقة من الجبال والحرار ، وأوديتهم عميقة تعلوها الحرار والجبال ، وتضايقها . وأغلب قاماتهم تميل إلى الاعتدال .. لكأنّ البيئة الجبلية رفعت قاماتهم عن ضآلة القصر . ولكأنّ البيئة التهامية جعلت أغلبهم غير فارع الطول .. ولا يمنع ذلك أن يكون فيهم القصير الدحداح ، أو الطويل الفارع الطول .. ومن أمثلة طوالهم المعاصرين : حسين بن حيا – أو يحي – أحد كبار قرية مهايع ؛

---

٢ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، للدكتور جواد علي ، ص ٣٠٤ ، الجزء الرابع .

وهو أبيض اللون أو أحمر اللون على حد التعبير اللغوي الفصيح الذي سبق ذكره .. وحسين بن حيا — أو يحيي — نحيل الجسم ، وذو عينين نجلاوين ، براقتين ، كأغلب من شاهدناهم من رجال بني سُليم المعاصرين ، وأغلب من رأيناه من السلميين يميل إلى الاعتدال ، وهو الذي يوصف لُغويّاً بأنه « رَبْعَةٌ » و « مربوع » . و « مربوع » صيغة لا تزال سائدة في هذا المعنى لدى عامة الحجازيين .. وقد نُعِتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه (ربْعَة) .

أسماء بني سُليم عبر التاريخ

قبيلة بني سُليم ، من القبائل العدنانية ، التي نالت شهره واسعة في الجاهلية والاسلام ، وقد كانت مواطنها الأصلية تحميها من شن الغارات عليها ، فهي « حصن حصين » دون اقتحامها .. وبنو سُليم كانوا في الجاهلية وصدر الاسلام ذوي ثروة طائلة ، بما في بلادهم من « المعادن » وبما فيها من الماء الوفير والخصب . وكل هذا أكسبها كياناً مرموقاً ، وجاهاً ومكانة . وقد أكسبتهم طبيعة أرضهم الجبلية والحرية ، خشونة وشجاعة وصلابة ، وأكسبتهم أرضهم الخصبة ، رقة وطموحاً وتجارة وزراعة ناجحة رابحة .

وقد هيأ لي تتبعُ تاريخهم ودراسته الألمامَ بأنهم كانوا يؤثرون تسمية أبنائهم بأسماء ــ أغلبها مُعينٌ ، فيكثر دوران هذه الأسماء بينهم ، وبعضها موغل في القدم ، يرتفع إلى زمن ثمود ، وربما كان لمجاورة بني سُليم للثموديين بقرب مدائن صالح أثر في هذا ، ولربما كانت التجارة التي يديرونها فيما بينهم وبين ثمود أثر في ذلك أيضاً ، ولربما أفاد السلميون من براعة الثموديين الزراعية والتجارية والصناعية . ومن الأسماء الثمودية (حُباب) بضم الحاء ، ومعناه في اللغة : الحية .. وهذا الاسم

كان موجوداً في ثمود .. كالحُباب بن عمرو الثمودي[1] الذي رثى قومه بقصيدة عقب هلاكهم بالصيحة . ومن ذلك يبدو أنه لم يكن من بين من أهلكوا بالصيحة ، ومعنى ذلك أنه كان من المؤمنين الذين أنجاهم الله من عذابه بسبب ايمانهم برسالة صالح عليه السلام .

وليس مستبعداً أن يسمي الثموديون بعض أبنائهم بالحُباب – أي الحيَّة – فالحيات مؤذية وسامة وتفتك بمن يتعرض لها ... وهي متوافرة في بلادهم الغزيرة المياه ، الكثيرة المغاور والكهوف والأودية وطبيعة أرض بني سُليم من هذه الناحية مماثلة لطبيعة أرض ثمود . وكان السلميون وما زال بعضهم حتى اليوم يقيمون في منطقة مدائن صالح فلا بدع إذن أن يشيع اسم (الحباب) لديهم . فالجوار ذو أثر ما على المتجاورين .

واسم (الحباب) ظل شائعاً لدى بني سُليم عبر الأجيال وفي مختلف الأمكنة ، ويطلق على من سكنوا منهم الأندلس وإفريقية وسورية وغيرها .. وفي قرية « الكامل » بديار بني سُليم واحد منهم اسمه (حامد ابن حُباب) ويشغل وظيفة رئيس هيئة الأمر بالمعروف هنالك ، ومقامه بقرية (مهايع) ..

ومن الأسماء الشائعة لدى بني سُليم اسم : (العباس) واسم (مرداس) . فهذا عباس بن أنس بن عباس بن مرداس . وهذا العباس جد محمد نقاش الفضة وهو محدث مُترجمٌ . وهذا عباس بن الوليد بن صبح ، المحدث أيضاً . وعباس بن رعل ، كان أحد القادة السلميين في حرب الفجار .

---

١ مدائن صالح ، للأستاذ محمد عبد الحميد مرداد ، ص ٩٢ ، طبع دار الطباعة الحديثة بمصر ، وفي كتاب الاشتقاق لابن دريد ، ص ٣٠٨ ، ان الحباب (بضم الحاء) : ضرب من الحيات ، وقد أورد اسمي تميم وعمير ابني الحباب ، وقال ان عميراً كان من فرسان الناس في أيام عبد الملك وأيام فتنة الشام وكان امتنع على عبد الملك بنصيبين وغلب عليها وعصاه .

والعباس : مبالغة في (عـــابس) . ومعنى (عابس) : الطالح المكروه لقاؤه . وقد سمت العرب عباساً وغابساً [1] .

أما (مرداس) فممن سمي به : مرداس والد العباس بن مرداس ، و (مرداس) والد عتبة ، وغيرهما .

ومعنى (مرداس) لغة : ما يُدَكُّ به من مِدَكٍّ صلب عريض . ولعل هـــذا المعنى هو الذي جعل هذا الاسم يشيع بين السلميين لما فيه من معنى الصلابة والدكّ والدقّ . وفي « الاشتقاق » لابن دريد أن (مرداساً) من الردس : ضربك الحجر بحجر مثله [2] .

ومن الاسماء الشائعة لدى بني سُليم : (قَيْسٌ) .. وممن سمي به في الجاهلية : (قيس بن خزاعي) الذي أمَّره قيصر الروم على فلسطين . وقيس بن شيبة التاجر بمكة في أواخر الجاهلية ، وقيس بن نسيبة الصحابي .

وكان اسم قيس شائعاً لدى العرب قبل الإسلام وبعده .

و (القَيْسُ) في اللغـــة : التبختر والشدة . والتبختر والشدة من الصفات المحمودة لدى عرب الجاهلية . وفي (الاشتقاق) لابن دريد أن (قيساً) مصدر قاس يقيس قيساً [3] .

ومن الأسمـــاء الشائعة لدى بني سُليم : اسم (حكيم) .. وهو من

---

١ الاشتقاق ، لابن دريد ، ص ٤٥ .

٢ الاشتقاق ، لابن دريد ، ص ٢١٩ ، ط مطبعة السنة المحمدية .

٣ الاشتقاق ، ص ٢٦٥ ؛ وجاء في بحث مستل من « مجلة كلية الآداب السنوية بجامعة الرياض » المجلد الأول لسنة ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م ، وعنوان البحث هو : (وادي ألاب) – بتخفيف اللام – جاء فيه ان اسم قيس يمكن أن نعتبره علماً على شخص من الثموديين . وأقول عطفاً على ذلك انه يشبه في تسمية الثموديين به اسم (حباب) الذي استعمله الثموديون أيضاً ولا يزال موجوداً لدى بني سليم حتى العصر الحاضر . هذا وان البحث المذكور ، قد اشترك فيه الدكتوران منصور الحازمي وعبد الرحمن الأنصاري ، تولى كل منهما جانب اختصاصه فيه ونشر مستقلا أيضاً عن المجلة .

(الحكمة) . والعرب في جاهليتهم كانوا يتعشقون الحكمة ، ويقدرون من يتصف بها في أعماله وأقواله .. و (الحكمة) من الصفات الرئاسية الحميدة لديهم .. ولعل هذا المغزى هو الذي حبب اليهم التسمية باسم (حكيم) . وممن سمي باسم (حكيم) منهم : حكيم والد الجَحّاف ، وحكيم جد محمد بن احمد المحدث ، وحكيم بن أمية ، وغيرهم .

ومن أسمـــائهم الشائعة أيضاً : يزيد . وهو فعل مضارع مشتق من (الزيادة) ولعل المقصود منه أن المولود الذي يسمى به ، يزيد الأسرة مكانة ونماء وكفاية .. وممن سمي باسم يزيد من بني سُليم : يزيدُ بن الأخنس الصحابي ، ويزيد بن أُسيد ، ويزيد بن هارون (مولاهم) الذي كان من العلماء .

ومن الأسماء ذات الذيوع لديهم ؛ مالك . ومالك مشتق من المِلْك – بكسر الميم – وهو فأل حسن للمسمى به أن يكون ذا مِلْك . وممن سُمِّيَ به منهم : مالك والد معاوية الشاعر الجاهلي ، ومالك ذو التاج ، ومالك بن عمير ، ومالك بن أمية بن عمرو الصحابي ، ومالك بن الحارث التابعي المحدث الثقة .

ومن الأسماء الشائعة عندهم : معاوية . ومعاوية صيغة من معـــانيها : الكلبة وجرو الثعلب . وقال ابن دريد في (الاشتقاق) : واشتقاق معاوية من قولهم تعاوى القوم ، اذا تداعوا إلى حرب وغيرها . واستعوى بنو فلان بني فلان : اذا استنصروهم . واستعوى الرجل اذا بات القفر . واستعوى الكلاب ، لِيُسْمِعَ نُبَاحهـــا ، فَيُعْلَمُ أنه قريب من ماء أو حلة [1] . واسم معاوية على أية حال ، متفق مع فلسفة العرب في جاهليتهم حيال وضع أسماء أبنائهم .. فهو اسم خشن يدل على التهاوش والتعارك

[1] الاشتقاق ، ٧٥ .

والمناوشة ومعاوية اسم قديم لدى العرب . وممن سمي به سُليم : معاوية ابن مالك ، الشاعر الجاهلي ، ومعاوية بن عمرو اخو خنساء الشاعرة المخضرمة ، ومعاوية بن قرة .

ومن أسمائهم : (سفيان) .. وأصله من (السَّفَى) . ومن معاني السفى : كل شجر له شوك وواحدته : (سَفَاة) .. ويقول ابن دريد : انه (مشتق من « السافي » وهو ما سفته الريح من تراب وغيره)[1] . واسم سفيان على هذا التفسير يطابق فلسفة العرب التقليدية في جاهليتهم ازاء وضع اسماء أبنائهم . فهو تفاؤل بأنه سيسفي الرياح على جثث أعدائه بأن يرديهم ، أو أنه سيصير شجراً شائكاً بالنسبة لهم . وممن سمي منهم باسم (سفيان) : والد الضحاك الصحابي .. فهو الضحاك بن سفيان السلمي .

ومن اسمائهم : « عمرو » .. والعَمْرُ : بفتح العين وسكون الميم — : الشجر الطوال ، والحياة . والاشجار الطوال فأل حسن في التسمية باسمها — بأن تطول قامة المسمى بالاسم .. (وإنَّ أعزاء الرجال طوالها) . وفأل حسن ايضاً بطول العمر .. لأن العَمر من معانيه : الحياة .

وممن سمي باسم « عمرو » منهم : عمرو بن عبَسة الصحابي الجليل ذو السابقة في الاسلام .. إذ لقد كان رابع المسلمين .. وعمرو بن الشريد . وعمرو بن عبد العزى (أبو شجرة السلمي) ، واحمد بن عمرو (أخو اشجع السلمي) وكان شاعراً مثل اخيه .

ويدخل تحت ضِبْنِ اسم عمرو : عُمَرُ ، وعمارٌ ، وعُمَيْرٌ ، وعامِرٌ ، وعمران .. فاشتقاقها كلها من (العمر) .

ومن أسمائهم الذائعة : (مَعْن) .. والمَعْنُ : الطويل والقصير . والقليلُ والكثير . وهذا التناقض والتضاد في معاني (المَعْنِ) جعل لها

---

١ الاشتقاق ، ص ١٦١ .

مكانة خاصة في مفاهيم العرب . فمعن : طويل النجاد ، ومعن ماء فياض كثير زلال ومنه (المعين) للماء . ومَعْنٌ : قصير بالنسبة لذويه وقليل بالنسبة لهم أيضاً ولكنه طويل وكثير بالنسبة لأعدائهم . وقد راق للعرب التسمية باسم (معن) لما تحتويه الصيغة من معانٍ طيبة من أهمها : الماء الفياض . والماء عماد الحياة .. واذن سيكون من يسمى بمعن عماداً للحياة في القبيلة جواداً فياضاً بالمكارم . وممن سمي من بني سُليم بمعن : مَعْنُ ابن أبي عاصية ، ومعن بن يزيد الصحابي وغيرهما .

ومن الأسماء الشائعة لديهم : (الضَّحاك) .. ومن معاني (الضّحاك) : كثير الضحك .. ولربما كان من الأسباب المغرية على التسمية بهذا الاسم ذيوع شأن الضحاك الذي يزعمون (انه ملك الأرض ، وكانت أمه جنية) وإعجابهم بشأنه .. فيتفاءلون لابنائهم المُسمَّيْنَ باسمه أن يحكموا ويسود نفوذهم بشكل من الأشكال ، وبقدر من الأقدار .

وممن سمي منهم باسم (الضحاك) : الضحاك بن عبد الله ، والضحاك ابن سفيان الصحابي .

ومن الأسماء الشائعة لديهم اسم (حبيب) .. وانك لتجد في هـــذا الكتاب عدة رجال من بني سُليم سموا بهذا الاسم ، في الجاهلية وفي الاسلام .

و (حبيب) مشتق من (الحُبِّ) بضم الحاء .. ويتفاءل بالتسمية به بأن يكون المسمى به (حبيباً) إلى الناس .. وقد وجد الدكتور منصور الحازمي في النقوش المنقورة في جبال (ألاَب) بفتح الهمزة واللام وتخفيفها وبعدها ألف فباء تحتية موحدة — وَجَدَ في رحلته الى موطن قبيلته بين المدينة ورابغ ، نقشاً منحوتاً هناك بالخط الثمودي ، كما فسره الدكتور عبد الرحمن الأنصاري المتخصص في علم الآثار ، وقد قرأه هذا ، فاذا هو (حبيبة) وقال عنه : إنه (علم على شخص ، وهو اسم شائع

بين الساميين ، تذكيراً وتأنيثاً ، فقد وجد الاسم على صيغة التذكير : (حبيب) لدى السبئيين ، والنبطيين والعبرانيين والتدمريين ، والصفويين ، والثموديين . وقد استعمل هذا الاسم بكثرة بعد الإسلام . وعزا هذا القول إلى (جمهرة الأنساب) لابن حزم [1] .

هذا ويحسن أن لا يعزب عن البال ، أن جميع الأسماء المتقدمة ليست خاصة بقبيلة بني سُليم ، بل يشاركهم فيها العرب .. وانما ذكرتُها في معرض أسمائهم ، لشيوعها لديهم في الجاهليّة وبعد الاسلام .

---

١ البحث المستل من مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض .. المجلد الأول لعام ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م، والبحث مطبوع طبعاً مستقلا تحت عنوان : (وادي ألآب) ، ص ١١٦ ، طبع مطابع الجزيرة بالرياض .

سُليم وديارهم في الشعر العربي

حفلت قصائد الشعر العربي بذكر سُليم وذكر ديارهم . سواء أكان ذلك في الجاهلية أم في الإسلام . ومن روائع الشعر العربي الذي ذُكِرُوا فيه أو ذكرت ديارهم فيه تلك القصيدة الهمزية التي أوردها لنا الحسن الهمداني عن أبي الحسن الخزاعي . وقد حَدَثَ – على روايته – قحط شديد عامٌّ شامل أصاب بلاد العرب قاطبة ، شرقها وغربها وجنوبها وشمالها ، فَجَأَرَ العرب بدعاء الله تعالى وقدموا شعراء ثلاثة لهم ليقوموا بهذا الدعاء شعراً طلباً للاستسقاء . وهم الخزازة العامري النجدي ، الذي نظم قصيدته الهمزيّة التي صارت أنموذجاً يحتذى في وزنه وقافيته ومعانيه بالنسبة لشاعرَي الحجاز وتهامة اللذين هما : العجلاني وأبو الحياش الحجري . واذا صحت نسبة القصائد الثلاث لهم فتكون من الشعر « الجغرافي » النادر لبلاد العرب في جاهليتهم .. ومحل الشاهد في قصيدة الخزازة العامري هو قوله متفائلاً أو مذكراً بنعم الله :

رَوِيَتْ حرتَا سُلَيْمٍ وسالت شُعَبُ المعدنين فالأَحْفَاءُ

وحينما اشتهرت قصيدة الخزازة وتناقلتها ألسنة الرواة في كل مكان من بلاد العرب قام أهل تهامة فطلبوا من شاعرهم (أبي الحياش الحجري) أن ينظم على غرارها في طلب السقي من الله جل وعز ، ففعل .. وقد استعرض الحجري التهامي في قصيدته الهمزية أزْمة الأمطار في جزيرة العرب ..

تماماً كما فعل الخزازةُ ، ولكن في ديار تهامة ، وقد طلب رحمة الله وسقياه لهم .. على غرار الخزازة أيضاً . وقد استهل قصيدته الهمزية أيضاً بقوله :

رَبِّ ما خاب مَن دَعَاك ولا يُحجَ   بُ يا ذا الجلال عنك الدعاءُ

ووصف الأزمة الشاملة المتمثلة في توقف الأمطار عامة عن النزول على بلاد العرب بقوله :

إنَّ هَاتا لأَزْمَةٌ عمت النا   س ومسَّتْهُمُ لها بأساءُ

وعلى نمط الخزازة في استجلاب رحمة الله ودفع غضبه وسخطه عنهم قال في حرارة :

فلكم ثُمَّ كم سَقَيْتَ لنا الأرْ   ضَ غُيُوثاً أتتْ بها الأنْواءُ

وحينما شاع أمر القصيدتين وذاع في أطراف الجزيرة تقدم أهل الحجاز أيضاً إلى شاعرهم : (العجلاني) فطلبوا منه أن ينظم قصيدة استسقائية لهم يدعو الله فيها لبلادهم بإنزال الغيث المغيث عليها . فقال على غرار زميليه السابقين :

ربِّ إيَّاك نحنُ نَدْعُو ونرجو   ولنا أنْتَ ذا الجلال ، الرجاءُ
فاستجبْ ربنا فإنك لا يُحجَـ   ـبُ للسائلين عنك الدعاءُ
أسقنا الغيث كيْ يُفارقنا المحْـ   ـلُ له والسُّنَيهةُ اللَّأواءُ !

ويستعرض العجلاني الشاعر في قصيدته أمكنة الحجاز المصابة بالظمأ الكارب والتي كانت منحت غيثاً غدقاً شاملاً مكاناً مكاناً حتى يقول :

طبَّق الضَّاحيات من أمَجَ الرّيُّ   وأحيت قُدَيْدَها الفيحاءُ
فالكُلَيَّـــات فالستارة فالجحفة   فالقدس علَّ فالأبواءُ

وأمجٌ هو وادي ساية .. وواديا ساية والستّارة هما من أودية العرب المشهورة في ديار بني سُليم قديماً وحديثاً .

والقصائد الثلاث طوال ، واضحة المعاني ، سلسة المباني ، وهن من بحر الخفيف وقافيتهن الهمزة ، وأسلوبهن من السهل الممتنع . ولولا أن ثمة ما هو مماثل لهن في السلاسة والسهولة من الشعر العربي الثابت ـ ألا وهو معلقة الحارث بن حلزة اليشكري ـ لجزمنا جزماً باتّاً بأنهن من الشعر المنحول .. يقول الحارث في معلقته :

وأتانا من الحوادث والأنبا ءِ خطبٌ نُعنى به ونُساءُ
أنَّ إخواننا الأراقم يغلُو نَ علينا في قِيلهم إحفاءُ
يخلطون البريء منا بذي الذّنب ولا ينفع الخليَّ الخلاءُ
زعموا أنَّ كلَّ من ضرب العيـ رَ موالٍ لنا وأنّا الولاءُ
أجمعوا أمرهم عِشاءً فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاءُ
مِنْ منادٍ ومِنْ مجيبٍ ومِنْ تصهالِ خيلٍ خلال ذاك رُغاءُ

ولسنا نجزم بأن القصائد الثلاث لم يدخلها شيء من الشعر الاسلامي ، ولكن إقرار الهمداني بها ، وتدوينه لها ولناظميها وتزكيته لراويها (أبي الحسن الخزاعي) ثم سَوْقُهُ لها [1] واحدة بعد أخرى على طولها ، مع أنه رجل مطلع واسع الاطلاع ونقّادة عميق النقد كل ذلك يجعل في أيدينا دليلاً مقبولاً على صحتها . وما ورد فيها من تكرار الألفاظ والمعاني ، ولزومِ الوزن الواحد والقافيةِ الواحدة لا يطعن في صحتها .. لأننا نجد من أمثال كل ذلك في الشعر العربي الجاهليّ ، الشيء الكثير .

وأهمية القصائد الثلاث ـ إذا ثبتت جاهليتها ـ أنها استعرضت أمكنة شبه جزيرة العرب بالتتبع والاستقصاء . وقد سجلتها في خفة وزن ، وجمال ، وانسجام .

---

[1] ساق الهمداني ثلاث القصائد في كتابه (صفة جزيرة العرب) .

على أن وجود معلقة الحارث بن حلزة اليشكري المتوفى نحو (٥٠ ق هـ ـ ٥٧٠ م) [١] ومماثلة هذه القصائد الثلاث لها في الوزن والقافية وسهولة الألفاظ ، ووضوح المعاني ، وتعداد الأمكنة ـ هو مما يُقوي مركز تلك القصائد ويدعمه .

وكما قلنا في مستهل هذا الفصل : فأن الشعر العربي الجاهلي حافل بذكر سُليم وديارهم . لما لهما من مكانة بين القبائل العربية وبين ديارهم .

ومن أمثلة ذلك ـ وهي كُثُرٌ مشحونة بها المراجع ـ قول ابى قيس ابن الاسلت من قصيدة ينهي فيها غطفان عن مناجزة الخزرج :

وان تابوا فإن بني سُليم واخوتهم هوازن قد أنابوا

والشعر العربي انما تتفجر أنهاره من ينابيع انفعالات الشاعر وعواطفه .. فان كان راضياً مبتهجاً جاء شعره خميلة مدح بهيجة نضرة فواحة بالأزاهير ، وان كان الأمر بالعكس كانت ناراً تحرق ، وموجاً عارماً يُغْرِق ..

ومن أمثلة ذلك أنه في حالة رضا حسان بن ثابت عن أحد بني سُليم وهو « صالح بن علاط السلمي » مدحه مدحاً مُصَفّيً جميلاً ، ومدح معه قومه بني سُليم مدحاً رائعاً عطراً .. قال :

رُبَّ لَهوٍ شهدتهُ ، أُمَّ عَمْرو ! بينَ بيضٍ نواعِم في الرباطِ
مع ندامى بيض الوجوهِ كِرامٍ نبهوا بعد خفقةِ الاشراطِ

إلى أن يقول :

فاحتواها فتىً يُهينُ لها الما لَ ونادمت « صالحَ بن عِلاطِ »

وحينما تجهم جَوُّه النفسي حيالهم ، وعلاه ضباب التألم منهم لأمر ما

---

١ الأعلام ، للأستاذ خير الدين الزركلي ، ص ١٥٥ ، الجزء الثاني ، الطبعة الثالثة بمصر .

عكس الآية فهجاهم بقوله :

لقد غضبتْ جهلاً (سُليَمْ) سفاهةً وطاشت بأحلامٍ كثيرٍ عثورُها

إلى آخر الأبيات .. التي تدل ، هي ونقائضها الصادرة منه — على أنّ الشاعر يسير وراء انفعالاته وعواطفه ، فتقوده إلى حيث تشاء ، فشعره رياض غناء اذا كان راضياً ، أو صحارى جرداء ملتهبة اذا كان ساخطاً . ولله في خلقه شؤون .

أيام بني سُليم في الجاهلية والإسلام

كل من كان ذا نباهة وشأن من قبائل العرب في جاهليتهم ، لا بد أن يكون مستعداً لخوض غمـــار الحروب التي تُشَنّ من بعض العرب على بعض ، ولو كانوا ذوي قربى أو جوار .. وذلك إمـــا لمطمع في نهب يُنهب ، أو لأخذ ثأر ، أو لإثبات مكانة يراد لها أن تهان في نظر الثائر أو المغير .

تلك كانت طبيعة أوضاع العرب إبان الجاهلية .

ومن ثمّ لا بد أيضاً من قصائد تُنظم ، وأبيات تُقال ، إما لوصف ما حدث ، أو للتنفيس ، أو للتحميس أو التفخيم أو التقليل . وقد تتلى القصائد في المجامع ، ويتناقلها الرواة ، وتسير بها الركبان شرقاً ومغرباً .

ولا بد من أيام نصر ، ولا بد من أيام هزائم .. والأمر كما وصف أحـــدهم :

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نُسَاء ويوم نُسَرّ

وبنو سُليم في مركز القوة من عرب الجاهلية ، ولديهم ثراء واسع ، ومجد باذخ ، وكثرة في النفوس كاثرة .. فلا بد أن يلاقوا من الغارات الهجومية والدفاعية ، ما يلاقيه أضرابهم من حرب الجاهلية ..

وهكذا كانت لهم « أيام » نقلهـا الرواة إلى المؤرخين ، ودونهـا هؤلاء عنهم ..

ومن أيامهم :

يومهم مع جيش النعمان بن المنذر

كان هذا اليوم من أبرز أيامهم .. وهو يوم دفاعيّ محض ، بالنسبة لبني سُليم .. اجتمع فيه عليهم جيشان : جيش النعمان بن المنذر ، وجيش غطفان ، فهزموا الجيشين معاً . وتفصيل ذلك أن النعمان وَجِدَ على بني سُليم في أمور ، فأراد أن يخضد شوكتهم ، فبعث لهم جيشاً ، لتأديبهم .. ومر هذا الجيش بإيعاز منه على غطفان ، جيران بني سُليم ، فطلب منهم جيش النعمان أن ينضموا اليه في غزو بني سُليم ، فقبلوا مزاملتهم لهم في هذه الحرب الهجومية . ووقعت المعركة الحاسمة بين الجانبين .. فانتصرت بنو سُليم انتصاراً مؤزراً ، وأسرت عمرو بن فَرتَنَى مقدم جيش النعمان ابن المنذر ، فبعثت غطفان إلى بني سُليم يطلبون منهم إطلاق سراح الأسير الكبير ، وناشدوهم بالرحم التي بينهم إلاّ ما أطلقوا سراحه . فلم تستجب سُليم لهذه المناشدة ، وأجابت غطفان : بأنهم لم يراعوا هذه الرحم ، كما لم يراعوا الجوار والصداقة التي هي بينهم ، حينما أعانوا عليهم جيش النعمان بن المنذر القادم للتنكيل بهم ، وسَبْي نسائهم وذراريهم ، وقتل رجالهم ، وأبطالهم ، وإهانة حرماتهم ، وإذلالهم وإرغامهم . وإذن فلا صداقة بينهم ولا قرابة [1] . وقد قال في هذا المعنى أبو عامر جد العباس بن مرداس أبياتاً هي :

---

١ العمدة ، لابن رشيق ، ص ٢١٧ ، الجزء الثاني ، طبع مطبعة السعادة بمصر ، وديوان العباس ابن مرداس .

لا نسب اليوم ولا خلة اتسع الفتق على الراتق
لا صلح بيني فاعلموه ولا بينكم ما حملت عاتقي
سيفي وما كنا بنجد وما فرفر قمر الواد بالشاهق

يوم ذات الرمرم

وهذا يوم آخر من أيام بني سُليم .. وكان يوماً أسود عليهم .. لقد انتصرت فيه عليهم بنو مازن .. والحرب سجال ..

يوم تثليث

كانت سُليم غزت مع زعيمها العباس بن مرداس ، مُراداً ، فجمع لهم عمرو بن معد يكرب ، فالتقى الجمعان بتثليث ، فصبر الفريقان ، ثم وقفت رحا الحرب بينهما ، على قاعدة : لا نصر ولا انكسار . وفي ذلك اليوم صنع العباس بن مرداس قصيدته السينية إحدى القصائد « المُنصِفَات »[1] ومطلعها :

لأسماء رسم أصبح اليوم دارسا وأقفر منها رحرحان فراكسا

يوم بني نصر

أغارت بنو نصر بن معاوية ، على ناحية من أرض بني سُليم ،

---

١ العمدة ، لابن رشيق ، ص ٢١٧ ، الجزء الثاني ، طبع مصر . وسنأتي بشيء من هذه القصيدة في فصل : « شعراء من بني سليم » . وتثليث : موضع ببلاد بني عقيل . ولبني تميم منازل بها كما يبدو من سياق كلام البكري في (معجم ما استعجم) ، كما ان لبني عبد الله بن غطفان بتثليث منازل . وهي على يومين من جرش في شرقيها إلى الجنوب وعلى ثلاث مراحل من نجران إلى ناحية الشمال . وتدل قصة الموقعة التي حدثت فيها على أنها لبني زبيد .

فنهض لمقاومتهم ، العباسُ بن مرداس ، في جمع من قومه ، وقابلهم ، فأكثر فيهم القتل ، وكان النّصر في هذا اليوم حليفاً لبني سُليم .

حرب الفجـار

بعث النعمان بن المنـذر بلطيمة له ، إلى سوق عكاظ ، للتجارة ، وأجارها له الرّحالُ عروة بن عتبة بن جابر بن كلاب ، فنزلوا على ماء يقال له « أوارة » ، فوثب البراض بن قيس أحـد بني بكر بن عبد مناة بن كنانة — وكان خليعاً — على عروة ، فقتله ، وهرب إلى خيبر ، فاستخفى بها ، ولقي بِشرَ بن أبـي خازم الأسديّ الشاعر ، فأخبره الخبر ، وأمره أن يُعلم بذلك عبد الله بن جُدعان ، وهشام بن المغيرة ، وحرب بن أمية ، ونوفل بن معاوية الديلي ، وبلعاء بن قيس . فوافى « بشر » عكاظاً ، فأخبرهـم ، فخرجوا موائلين منكشفين إلى الحرم ، وبلغ قيساً الخبر آخر ذلك اليوم ، فخرجوا في آثارهم فأدركوهم قد دخلوا الحرم ، وتواعدوا مثل هذه الليالي من العام القابل . ومكثت قريش ومن معها من القبائل والأحلاف سنة يتأهبون لهذه الحرب ، وتأهبت لها قيس عيلان . ثم حضروا من قابل ، ومعهم رؤساء قريش وقادتهم من جانب ، ورؤساء قيس وقادتهـا من الجانب الآخـر ، وكان من هؤلاء : عباس بن رِعْل السُّلمي . وكانت راية قيس إلى أبـي براء عامر بن مالك بن جعفر ، فسوى صفوفهم ، فالتقوا ، فكانت الدّبرةُ أول النهار لقيس على قريش وكنانة ، ومن ضوى اليهم ، ثم صارت الدّبرةُ آخر النهار لقريش وكنانة على قيس . فقتلوهم قتلاً ذريعاً ، ثم تنادوا بالصلح ، وتصالحوا ، ووضعت الحرب أوزارها ، وعدوا القتلى ، ووَدَت قريش قتلى قيس ، فضلاً عن قتلاهم . وانصرفت قريش وقيس .

وقد حضر الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المعركة ، وذكر الفجار فقال : « قد حضرته مع عمومتي ورميت فيه بأسهم . وما أحبُّ أني لم أكن فعلت » . وكان يوم حضر ابنَ عشرين سنة[1] .

يوم عكاظ

هو يوم من أيام الجاهلية ، اخترىت فيه كنانة وقريش ، مع قيس التي منها بنو سُليم .. وذلك في اليوم الرابع من أيام عكاظ . وحمل عبد الله بن جدعان ، يومئذ ، ألف رجل من بني كنانة ، على ألف بعير ، وخشيت قريش أن يجري عليها ، ما جرى يوم العبلاء .. فقيَّد حرب ، وسفيان ، وأبو سفيان : بنو أمية بن عبد شمسٍ ، أنفسهم ، وقالوا : لا نبرح حتى نموت مكاننا ، أو نظفر .

وكان على بني هاشم : الزبير بن عبد المطلب ، ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعمامه : أبو طالب ، وحمزة ، والعباس . وعلى بني أمية وأحلافها : حرب بن أمية . وعلى بني عبد الدار : عكرمة ابن هاشم . وعلى بني أسد : خويلد بن أسد . وعلى بني مخزوم : هشام بن المغيرة (والد أبي جهل) . وعلى بني تيم : عبد الله بن جدعان . وعلى بني جُمح : معمر بن خبيب . وعلى بني سهم : العاص ابن وائل . وعلى بني عدي : زيد بن عمرو . وعلى بني عامر بن لؤي : عمرو بن عبد شمس (والد سهيل بن عمرو) . وعلى بني فهر : عبد الله ابن الجراح (والد أبي عبيدة) . وعلى بني بكر بن عبد مناة : بلعاء ابن قيس . وعلى بني أسد : بشر بن أبي خازم . وعلى بني فراس بن غنم : عمير بن قيس .

---

١ الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ص ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ ، طبع بيروت .

ودخل القوم في معركة حامية الوطيس . وانهزمت قيس هزيمة ساحقة ، ومعهم بنو سُليم . وقيل – كالعادة – في هدا اليوم شعر يصف المعركة . ومنه قول ضرار بن الخطاب الفهري :

ألم تسل الناس عن شأننا ولم يثبت الأمر كالخابر
غداة عكاظ إذا استكملت هوازن في كفها الحاضر
وجاءت « سُليم » تهز القنا على كل « سلهبة » ضامر
وجئنا اليهم على المضمرات بأرعن ذي لجب زاخر
فلما التقينــا أذقناهــم طعانا بسمر القنا العائر
ففرت « سُليم » ولم يصبروا وطارت شعاعاً « بنو عامر »
وفرت « ثقيف » إلى لاتّهــا بمنقلب الخائب الخاسر
وقاتلت « العَنْسُ » شطر النها ر ثم تولت مع الصادر [1]

يوما حوزة : الاول والثاني

وهو لسُليم على غطفان .. وباعثه أنه كان بين معاوية بن عمرو بن الشريد ، وهاشم بن حرملة أحد بني مرة بن غطفان ، كلام في عكاظ ، فقال معاوية : لوددتُ والله أني قد سمعت بظعائن ينْدُبنكَ . فقــال هاشم : والله لوددتُ أني قد تَرَبَّبْتُ الرَّطبة ، وهي جُمة معاوية . وكانت الدهر تنطف مــاءً ودهناً ، وإن لم تدهن – فلما كان بعدُ ، تهيأ معاوية ليغزو هاشماً ، فنهاه أخوه صَخْرٌ . فقال : كأني بك إن غزوتهم علق بجمتك حَسَكُ العرفط : (شجر من العضاه) فأبى معاوية وغزاهم يوم حوزة ، فرآه هاشم قبل أن يراه معاويــة ، وكان هاشم ناقِهاً من مرض أصابه ، فقال لأخيه دريد بن حرملة : إن هـذا

---

١ أيام العرب في الجاهلية ، لمحمد أحمد جاد المولى وزميليه ، ص ٣٣٤ – ٣٣٦ ، طبع مصر .

إن رآني لم آمن أن يشدّ عليّ ، وأنا حديث عهد بِشيكة ، فاستطرِدْ له دوني حتى تجعله بيني وبينك . ففعل ، فحمل عليه معاوية وأردفه هاشم ، فاختلفا طعنتين . فأردى معاوية هاشماً عن فرسه « الشماء » . وأنفذ هاشم سنانه من عانة معاوية . وكر عليه دريد فظنه قد أردى هاشماً ، فضرب معاوية بالسيف فقتله . وشدّ خفاف بن عمير على مالك ابن حارث (حمار الفزاري) ، وعادت فرس هاشم حتى دخلت في جيش بني سُليم ، فأخذوها ، وظنوها فرس الفزاري الذي قتله خُفاف ، ورجع الجيش حتى دنوا من صخر أخي معاوية . فقالوا : أنعم صباحاً ، فقال : حُيِّيتم بذلك ، ما صنع معاوية ؟ قالوا : قُتل . قال : فما هذه الفرس ؟ قالوا : قتلنا صاحبها . قال : إذن أدركتم ثأركم ، هذه فرس هاشم ابن حرملة .

هذا وفي (معجم ما استعجم) للبكري أن (حوزة) هي (حورة) بالراء المهملة سواء في ذلك يوم حوزة الأول أم الثاني التالي : (مادة حورة) وقيل انها (الجورة) أيضاً .

ولمقتل معاوية أزمع صخر أخوه أن ينتقم ، وأن يثأر لأخيه القتيل من قاتليه ، فأغار عليهم في يوم حوزة الثاني ، وتمكن من قتل دُريد ابن حرملة أخي هاشم بن حرملة رئيس بني مرة ، ثم قَتَل رجلٌ من بني جشم هو عمرو بن قيس الجشمي ، هاشمَ بن حرملة ، فاستراحت بذلك بنو سُليم . وسُرت الخنساء ، بمقتل المري ، ولها شعر كثير في ديوانها ترثي به أخويها : معاوية وصخراً . ولها أبيات ميميةٌ قدرت فيها بسالة الفارس الجشمي قاتل هاشم بن حرملة .

هذا وقد علل كتاب « أيام العرب في الجاهلية » غزو معاوية لبني مرة بأنه عشق امرأة أحدهم : هاشم بن حرملة — فامتنعت وأخبرت زوجها ، بذلك . وقال : إن اسم هذه المرأة هو « أسماء » المرية .

وكان لقاؤه لها في سوق عكاظ ، في موسم من مواسم العرب . وقد أضافت إلى امتناعها منه أن قالت له : (أما علمتَ أني عند سيد العرب : هاشم بن حرملة ؟) فأحفظه ذلك ، فقال : (أما والله لأقارعنَّهُ عنكِ !) قالت : (شأنك وشأنه) ورجعت إلى هاشم فحدثته بما قال معاوية ، وما قالت له . فقال هاشم : (فلعمري لا نريم أبياتنا حتى ننظر ما يكون من جهده) . ثم التقيا ، فقال معاوية : (لوددت والله أني قد سمعت بظعائن يَنْدُبْنَكَ) . فرد عليه هاشم بما أحفظه . فلما انصرم الشهر الحرام ، وتراجع الناس عن عكاظ ، خرج معاوية غازياً في فرسان قومه من بني سُليم ، يريد هاشم بن حرملة في قومه من بني مرة وفزارة . ومرةُ وفزارة في ذبيان . فنهاه أخوه صخر ، وقال له : كأني بك إن غزوتهم علِقَ بك حَسَكُ العرفط . فأبى معاوية أن يتراجع ، وسار بقومه إلى حوزة .. وقد قيلت في ذلك أشعار أهمها وأشهرها قصائد الخنساء في رثاء أخيها القتيل على ما سبقت اليه الاشارة [1] .

و (حوزة) على ما في معجم البلدان لياقوت كأنه مصدر حاز يحوز حوزة واحدة : واد بالحجاز كانت عنده هذه الوقعة . وقد مر بنا ان البكري جعلها (حورة) بالراء .

يوم ذات الأثل

بعد يوم حوزة الثاني غزا صخر بن عمرو بن الشريد ، بني أسد بن خزيمة ، واكتسح إبلهم ، فأتى الصريخ بني أسد ، فركبوا حتى تلاحقوا

---

1 العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، الجزء الخامس ، ص ١٦٣ و ١٦٤ ، طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ، وكتاب أيام العرب في الجاهلية ، تأليف محمد أحمد جاد المولى بك ، وعلي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم ، ص ٢٨٣ – ٢٩٢ ، الطبعة الثانية بمصر .

بذات الأثل — في بلاد تيم الله بن ثعلبة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وطعن ربيعة بن ثور الأسدي ، صخراً في جنبه ، وفات القوم بالغنيمة ، وجرى « دم » صخر من الطعنة ، فمرض قريباً من الحول ، حتى ملَّهُ أهله ، فلما طال عليه البلاء ، وقد نتأت قطعة من جنبه مثل اليد في موضع الطعنة ، قالوا له : لو قَطَعْتَها لرجونا أن تَبْرأ . فقال : شأنكم . فقطعوها ، فمات ، فرثته أخته الخنساء ، رثاءً حاراً صادراً من أعماق قلبها ، كما رثت من قبله أخاها معاوية الذي قتل قبله في حرب كان هو مُشعل نارها .

يوم عَدْنيَّة

وهو يوم ملحان . وكان قبل يوم ذات الأثل ، فيما قاله أبو عبيدة . وذلك أن صخراً ، غزا بقومه ، وترك الحي خلواً ، فأغارت عليهم غطفان ، فثارت اليهم غلمانهم ، ومن كان تخلف منهم ، فقتل من غطفان نفر ، وانهزم الباقون . فقال في ذلك صخر :

جزى الله خيراً قومنا إذ دعاهم بِعَدْنِيَّةَ الحيُّ الخُلُوف المُصبَّحُ
وغلمانُنا كانوا أسُودَ خفية وحَقَّ علينا أن يُشَابُوا ويمدحوا
همُ نَفَّرُوا أقرانهم بِمُضَرَّسٍ وسَعْرٍ وذادوا الجيش حتى تزحزحوا
كأنهم اذ يُطْرَدُون عشية بِقُنَّةِ مِلْحَانٍ ، نعام مروّح [1]

ومِلْحَانُ الذي تُنسب اليه هذه المعركة هو جبل في ديار بني سُلَيم .

---

١ العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، ص ١٦٦ و ١٦٧ ، المجلد الخامس ، طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر .
وفي العقد الفريد هذا ما نصه : (وسعر وذو الجيش حتى تزحزحوا).. وقد وضعنا (وذادوا) بدلا من (ذو) لاقتضاء القافية وسياق الكلام لهذا التعديل .

يوم الكَدِيد

وقع نزاع بين نفرٍ من سُليم ، ونفرٍ من بني فراس بن مالك بن كنانة ، فقتلت بنو فراس ، رجلين من بني سليم ، ثم إنهم وَدَوْهما – أعطوا ديتها – ثم ضرب الدهر ضربته ، فخرج نبيشة بن حبيب السلمي ، غازياً ، فلقي ظُعُناً – نساءاً في الهوادج – من بني كنانة ، بالكديد ، ومعهنّ قَوْمُهُنّ من بني فراس ، وفيهم عبدالله بن جِذْل الطّعّان ، والحارث بن مكدم . فلما رآهم الحارث قال : هؤلاء بنو سليم ، يطلبون دماءهم . فقال أخوه ربيعة : أنا أذهب حتى أعلم علم القوم ، فآتيكم بخبرهم . وتوجه نحوهم . فلما ولّى قال بعض الظُّعن : هرب ربيعة ... فقالت أخته عزة بنت المكدم : أين ترة – نفرة – الفتى ؟ فعطف – وقد سمع قول النساء – فقال :

لقد علِمْنَ أنني غير فَرِقْ   لأَطْعَنَنّ طعنةً وأعتنقْ

أُصْبِحُهُمْ صاح بمحمر الحدقْ   عَضْباً حُساما وسِنانا يأْتَلِقْ

ثم انطلق يعدو به فرسه ، فحمل عليه بعض القوم ، فاستطرد – تقهقر – له ، في طريق الظُّعنِ ، وانفرد به رجل من القوم ، فقتله وتبعه ، ثم رماه نبيشة أو طعنه ، فلحق بالظُّعُنِ يستدمي حتى انتهى الى أمه أم سنان [1] فقال : اجعلي على يدي عصابة ، وهو يرتجز :

شُدّي عليّ العَصْبَ أم سيار [1]   فقد رُزيتِ فارساً كالدينارْ

يطعن بالرمح أمام الأدبارْ

---

١ هكذا ورد اسمها في بعض المراجع ، ولكننا نرى ابنها يكنيها بـ (أم سيار) .. فلا بد أن غلطاً نسخياً أو مطبعياً قد حرف اسمها من (أم سيار) إلى (أم سنان) .. هذا إذا لم يكن لها ابن آخر اسمه (سنان) تكنى به أيضاً .

فقالت أمه :

إنّــا بنو ثعلبة بن مــالكْ مرور أخبار لنــا كذلكْ
من بين مقتول وبــين هالكْ ولا يكون الــرزء الا ذلكْ

وَشَدّتْ عليه عصابة ، فاستسقاها ماءاً . فقالت : إن شربتَ الماء مُتّ . فكَرّ راجعاً ، يشتد على القوم ، وينزفه الــدم حتى أثخن ، فقال للظُّعُنِ : أوْضِعْنَ ركابكنّ — أي احثثن ركابكن عــلى السير السريع — حتى ينتهين الى أدنى البيوت من الحيّ ، فإني لما بي سوف أقف دونكنّ لهم على العقبة ، فأعتمدُ على رمحي ، فلا يقدمون عليكن ، لمكاني ... ففعلن ذلك ... وهكذا حمى ربيعة بن مكدم ، الأظعان حياً وميتاً . ولم يفعل ذلك غيره فيما قاله عمرو بن العلاء ، وإنه يومئذ غلام له ذؤابة . وقد اعتمد على رمحه — كما قال — وهو واقف لَهُنّ عــلى متن فرسه ، حتى بلغن مأمنهن ، وما يقدم القوم عليه .

ورآه نبيشة بن حبيب ، وهو على وضعه ذلك فلاحظ أنه مائل العنق، فأبدى مُلاحَظَتَهُ هذه الذكية ، وعطف عليها بقوله : (وما أظنه إلا قد مات) .. وأمر رجلا من خزاعة كان معه أن يرمي فرسه، فرماها، فقمصت — رفعت يديها ، وطرحتها معاً — فمال عنها ميتاً .

ثم لحق بنو سُليم ، الحارث بن مكدم ، فقتلوه ، وألقوا على أخيه ربيعة أحجاراً ، فمر به رجل من بني الحارث بن فهر ، فنفرت ناقته من تلك الأحجار التي أُهيلت على ربيعة ، فقــال يرثيه ، ويعتذر أن لا يكون عقر ناقته على قبره ، وحضّ على قَتَلَتِهِ ، وعَيّر من فر ، وأسلمه من قومه :

مرت[1] قلوصِيَ من حجارة حَرّةٍ بُنِيَتْ على طَلْقِ اليدين وَهُوبِ
لا تنفري يا ناقَ منه فإنــه سَبّاءُ خمر مِسْعَرٌ لحروبِ

[1] كذا بالأصل . ويبدو لي أن الصحة هي « نفرت » بدليل سياق الكلام .

لولا السِّفار، وبُعْدُ خَرْقٍ مَهمهٍ لتركتُها تحبو على العرقوب
فرَّ الفوارسُ من ربيعة بعدما نجاهُمُ من غمرة المكروب
لا يَبْعدَنَّ ربيعةُ بن مُكَدَّمٍ وسقى الغوادي قَبْرَهُ بِذَنُوبِ

ويقال : إن قائل هذا الشعر هو ضرار بن الخطاب بن مرداس ، أحد بني محارب بن فهر ، وقيل إن قائله هو حسان بن ثابت .

وقال عبد الله بن جذل الطَّعَّان ، متوعداً بني سُلَيم :

وَلأَطْلُبَنَّ ربيعة بن مكدم حتى أنالَ عُصَيَّةَ بن معيصِ

و « الكديد » الذي حصلت فيه المعركة : موضع أوماء على اثنين وأربعين ميلاً من مكة في شمالها بين عسفان وأمج ... وقد أفطر فيه النبي (ص) في قدومه من المدينة الى مكة بشهر رمضان . ومعنى الكديد – بفتح الكاف – لغة : البطن الواسع من الأرض .

يوم بُرْزَة

كان يومُ بُرْزَة يومَ نصر لبني فراس (من كنانة) على بني سُلَيم . وبُرْزَةُ اسم موضع .. وقد ذكر الرواة أنه بعد أن قتلت بنو سُلَيم ، ربيعةَ بن مكدم ، فارسَ كنانة (بيوم الكديد) رجعوا ، وأقاموا ما شاء الله ، ثم إن مالك بن خالد بن صخر بن عمرو بن الشريد – وكان بنو سليم توجوه ثم ملكوه عليهم – بدا له أن يغزو بني كنانة ، فأغار على بني فراس بِبُرْزَةَ . ورئيس بني فراس يومئذ ، عبد الله بن جِذلٍ ، ومن بني فراس ربيعة بن مكدم قتيل سُلَيم .

ولما التقى الجمعان دعا عَبدُ الله بن جذل الى البراز ، فبرز اليه هندُ ابن خالد بن صخر ، فقال له عبد الله : من أنت ؟ فقال : أنا هند

ابن خالد بن صخر . فقال عبد الله : أخوك أسَنّ منك — يريد مالكا المتوج ، فرجع وأحضر أخاه ، فبرز عبد الله ، وجعل يرتجز ، ويقول ،

اقتربوا قِرْفَ القِمَعْ   إني إذا الموت كنعْ
لا أتوقى بالجزعْ

وشَدّ على مالك فقتله . فبرز اليه أخوه كُرز بن خالد بن صخر . فشد عليه عبد الله فقتله أيضاً . فخرج اليه أخوهما عمرو بن خالد ، فتخالفا طعنتين ، فجرح كلٌّ واحد منهما صاحبه ، وتحاجزا .

فقال عبد الله بن جِذْلِ :

تجنبتُ هنداً رغبة عن قتاله   إلى مالك أعشو إلى ضوء مالكِ
فأنفذته بالرمح حين طعنته   معانقة ليست بطعنة باتكِ
وأثْني لِكُرْزِ في الغبار بطعنة   علت جِلْدَهُ منها بأحمر عاتكِ
قتلنا سُلَيْماً غثّها وسمينها   فصبراً سُلَيْماً قد صبرنا لذلكِ
فإن تك نسواني بَكَيْنَ فقد بكت   كما قد بكت أمٌّ لكرز ومالكِ

كما قال قصيدة أخرى يفتخر فيها بما افتخر به في هذه القصيدة [1] .

يوم الفيفاء

بعد يوم برزة الذي كان لبني كنانة على بني سُليم حَرّمَ بنو سليم

---

1 أيام العرب في الجاهلية : تأليف محمد أحمد جاد المولى بك ، وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ص ٣١٩ — ٣٢٠ . وبرزة التي حدثت بها المعركة هي شعبة تدفع على بئر الرويثة العذبة في درج المضيق من يليل بين ينبع النخل والمدينة .

النساء والدهن على أنفسهم ، حتى يدركوا ثأرهم من خصومهم القَبَلِيِّين : (بني كنانة) فأغار عمرو بن خالد بن صخر ، على بني فراس ، فقتل منهم نفراً ، منهم عاصم بن المعلَّى ، ونضلة ، والمُعَارِك ، وعمرو بن مالك ، وحصن ، وشريح . وسبي سَبْياً ، فيهم ابنة مكدم . فقال عباس بن مرداس في ذلك يرد على عبد الله بن جِذْلٍ كلمته التي قالها يوم برزة :

ألا أبلغنْ عني ابن جِذْلٍ ورَهْطَهُ فكيف طلبناكم بكُرْزٍ ومالكِ
غداة فجعناكم بحصن وبابنه وبابن المعلَّى : عاصم والمُعارِكِ
ثمانية منهم ثأرناهمو به جميعاً وما كانوا بَوَاءً [1] بمالكِ
نذيقكُم – والموتُ يبني سُرَادقاً عليكم – شَبَا حدِّ السُّيوف البَوَاتِكِ
تلوح بأيدينا كما لاح بارق تَلألأَ في داج من الليل حالكِ

وقال هند بن خالد بن صخر بن عمرو بن الشريد :

قتلتُ بمالك عمراً وحصنا وخلَّيتُ القتام على الخدود
وكُرْزاً قد أبأتُ به شُرَيْحاً على أثر الفوارس بالكَدِيدِ
جزيناكم بما انتهكوا ، وزدنا عليه ما وجدنا من مزيدِ
جلبنا من جنوب الفرد جُرْداً كَطَيْرِ الماء غلَّس بالورودِ [2]

يوم بئر معونة

قدم أبو بَرَاءٍ عامرُ بن مالك ملاعب الأسنة في السنة الرابعة من

---

[1] بواء : بمعنى : كفء ، وذلك أن مالكاً كان متوجاً في بني سليم .

[2] العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، ص ١٧٦ و ١٧٧ ، الجزء الخامس ، طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، وكتاب أيام العرب الجاهلية ، لمحمد أحمد جاد المولى ، وعلي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ص ٣٢٠ و ٣٢١ .

الهجرة على رسول الله في المدينة وقارب الاسلام وطلب من النبي أن يبعث رجالاً من أصحابه إلى أهل نجد ، ليدعوهم إلى الاسلام . وقال : أنا جار لهم . فبعث النبيّ ، المنذرَ بن عمرو في أربعين رجلاً من أصحابه ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة – وتقع بين أرض بني عامر وحَرَّة بني سُليم – فقام حرام بن مِلْحَان حتى أتي حِواءً – مجتمع بيوت الحي – منهم ، فاحتبى أمام البيوت وقال : يا أهل بئر معونة ! ، إني رسول محمد إليكم ، إني أشهد أن لا آله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، فآمنُوا بالله ورسوله . فخرج إليه عامر بن الطفيل من كِسْر البيت – جانِبه – برمح ، فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر . فقال حرام بن ملحان : فُزْتُ ورب الكعبة . واتبعوا أثرهُ حتى أتوا أصحابه ، واستعانوا عليهم بقبائل من بني سُليم : عُصيَّة ورِعْلٍ وذكوان ، وخرجوا جميعاً حتى غَشَوُا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم ، وقاتلهم المسلمون قتالاً عارماً حتى قُتلوا عن آخرهم ، ما عدا كعب بن زيد النَّجَّاريّ ، فإنهم تركوه وبه رمق ، فارتُثَّ من بين القتلى – أي سلم وهو مثخن بالجراح – وعاش حتى قتل يوم الخندق ، وما عدا عمرو بن أمية الضمريّ الذي أسر وأطلَق عامر بن الطفيل سراحه لأنه من مضر . وقد شق على أبي براء – مُجِير البعثة النبوية – ما حدث من عامر بن الطفيل وحرضه حسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله ، على عامر بن الطفيل في شعر منه قوله :

بني أم البنين ألم يَرُعْكُمْ　　وأنتم من ذوائب أهل نَجْدِ
تَهَكُّمُ عامر بأبي بَرَاءٍ　　ليخفره ، وما خَطَأٌ كَعَمْدِ

فلما بلغ قولُ حسان ، مسامعَ ابي براء حمل على عامر بن الطفيل فطعنه ، فأخطأ مقتله ، ووقع عن فرسه . وقد تأثر الرسول صلوات الله

وسلامه عليه ، من هذه الحادثة تأثراً عميقاً .. وكان متخوفاً مما حدث [1] . وكان يوم بئر معونة في صفر سنة أربع للهجرة .

يوم مرج راهط

عندما مات يزيد بن معاوية حدثت بيعتان بالخلافة . وكانت إحدى البيعتين بالشام لمعاوية بن يزيد ، والأخرى كانت بمكة والحجاز لعبد الله ابن الزبير رضي الله عنه .

اختار أهل الشام للخلافة ، معاوية بن يزيد . ولكنه رفضها واستقال منها عندما رأى المسلمين مختلفين أشد اختلاف ، ولم ير في نفسه القدرة على اعادة الوحدة لهم بعد أن تصدعت . وبذلك أصبحت الشام بدون خلافة .

واختار أهل مكة والحجاز عبد الله بن الزبير .. وحينما علم الحصين ابن نمير قائد حملة يزيد بن معاوية على ابن الزبير في مكة — بموت يزيد حاول أن يجتذب إليه عبد الله بن الزبير ، فيوليه الخلافة في الشام ، على أن يؤمن الناس ويهدر الدماء التي كانت بين ابن الزبير وابن نمير . فأبى عبد الله بن الزبير ذلك باصرار وإعلان . وقام — في العراق — عبيد الله بن زياد بحملة دعائية له . فبايعه أهل البصرة ظاهراً ثم بايعوا ابن الزبير . ولما شعر بضعفه بينهم هرب إلى الشام ، وهكذا دخل أهل البصرة وأهل الكوفة في بيعة ابن الزبير مع أهل مكة والحجاز .

وكان الضحاك بن قيس أميراً في الشام . والنعمان بن بشير أميراً لحمص ، وزفر بن الحارث أميراً لقنسرين . وكان هوى هؤلاء جميعاً مع عبد الله بن

---

١ أيام العرب في الإسلام ، لمحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، ص ٥٥ ، ط دار إحياء الكتب العربية بمصر ، وسيرة ابن هشام وغيرهما .

الزبير .. وكان حسان بن مالك الكلبي أميراً لفلسطين ، وهواه مع بني أمية .. وسبب ذلك أن بني كلب كانوا أخوال يزيد بن معاوية ، لأن أمه من معاوية (ميسونُ الكلبية) وكانت بطون كلب القضاعية اليمانية قد انتشرت في أرضين واسعة ، شملت دومة الجندل ، وبادية السماوة ، والأقسام الشرقية من بلاد الشام ، ولما أخرَجَ العرب المسلمون الرومَ من الشام قامت هذه البطون بدَوْرٍ بارز في السياسة ، إذ أيّدت الأمويين [1] وقد تدرج الخلاف بين الفريقين من الكلام ، إلى الخطابة إلى المضاربات ، إلى القتال والمناجزة .. كان كل فريق من الفريقين المتنازعَيْن ، يريد أن يكسب المعركة السياسية بكل الوسائل الممكنة . وحدث ذات يوم ، بعد ما استحكمت حلقات الخلاف أن قام « ثور بن معَنٍ السُلمي » فأشار على الضحاك بن قيس الفهري بأن يُظهِرَ ما كانوا يخفونه من بيعة عبد الله بن الزبير بالخلافة . ولم يكن هذا الرأي موَفّقاً ولا حازماً ، فإن الأمر لم ينضج بعْدُ ، على ما كان يهدف اليه الضحّاكُ ، ويفتلُ له في الذروة والغارب . وفي الوقت نفسه اجتمع حسان وبنو أمية بالجابية وتشاوروا في الخليفة ، واتفقت كلمتهم على تولية مروان بن الحكم ، فبايعوه بالخلافة . هذا ومع ما كان لدى الضحاك من جلَد ومن عزم فانه لم يتملكْ أعصابه هذه المرة ، فاستجاب — كما يبدو لنا — إلى مشورة ثور بن معن السلمي المرتجلة ، فكانت (معركةُ مرج راهط) بين الجانبين الثمرة المباشرة لهذه الاستجابة بعد مبايعة مروان بالخلافة — وقد انتصرت كلب فيها على القيسية نصراً حاسماً . وكانت هذه المعركة التي وقعت سنة ٦٥ هـ أو ٦٤ هـ ذات عقابيل ونتائج وخيمة على العرب والمسلمين فيما بعْدُ ، بما فرّقتْ من وحدة العرب المسلمين

---

[1] أيام العرب في الإسلام ، ص ٤٢٢ — ٤٢٤ ؛ والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ص ٢٣٩ و ٢٤٠ .

وبما أوهنت من قواهم المعنوية والمادية في ذلك الجيل وفي الأجيال اللاحقة [1] .

وفي رواية (الاستيعاب) لابن عبد البر في ترجمة الضحاك بن قيس الفهري هذا ، تفصيل للواقعة وأسبابها بشكل آخر . وقد حدد وقت الواقعة بأنه نصف ذي الحجة من عام ٦٤ هـ . (انظر مادة الضحاك بن قيس القرشي الفهري في الاستيعاب ص ٧٤٤ و٧٤٥ القسم الثاني) .

يوم البِشْر

كان هذا اليوم من أيام بني سُليم ، بعد معركة مرج راهط ، وقد انتقمت فيه بنو سُليم القيسية من خصومهم السياسيين والحربيين — بني تغلب — وروافد هذه الحرب الضروس منبثقة من معركة (مرج راهط) فمنها جذورها ومصادر اندفاقها . وقد ذكر المؤرخون أنه بعد مقتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه بسنة ٧٢ هـ هدأت الفتنة بين القبائل القيسية والتغلبية ، واجتمع الناس على عبد الملك بن مروان . وتكافَّتْ قيس وتغلب عن المغازي ، فيما بينهما ، ولكنه تكافٌ على دَخَل ، ولكل شيء سبب .. فقد حدث — لسوء حظ بني تغلب — أن أنشد الشاعرُ التغلبيُّ « الأخطل » عبدَ الملك بن مروان — وكان لديه ساعتئذ وجوه قيس وصناديدها ، ومن بينهم الجَحَّافُ بن حكيم السلمي — أبياتاً من قصيدة له كان مدح بها بعض بني أمية ، وقد تعرض فيها لبني سُليم تعرضاً مُزْرِياً بهم .. فانزعج لهذا الصنيع السلميون الحاضرون وعلى رأسهم الجحاف ، وبدأ الغضب يتطاير من عينيه ، ثم مضى إلى قومه ، واحتال عليهم — حتى أطاعوه — لحرب بني تغلب ، فأقبل على بني تغلب مع قومه وبنو تغلب لا يعلمون ، وكانوا مجتمعين في (البِشْر) فقتل السلميون منهم فيه خمسمائة رجل ، وتجاوزوا قتل الرجال ، إلى قتل النساء والأطفال . وهكذا كانت معركة البشر ، أو يوم البشر ، معركة أخذ فيها بنو

---

١ أيام العرب في الإسلام ، ص ٤٢٢ — ٤٢٦ .

سُليم ثأرهم من بني تغلب بالكيل الوافي الطافح .. لقد ثأروا منهم حيال قتلهم لأحد رجالاتهم : عمير بن الحباب السلمي . وهكذا أطفأ الجحاف جمرة غضبه في دماء بني تغلب .. ورد رداً فعلياً بليغاً وعميقاً على تحدي الأخطل له أمام الخليفة .

وقد تَشَعْلَب النمر الذي كان يصول ويزمجر بين جوانح الأخطل بعد هذه الواقعة الحاسمة .. على ما فصلناه في ترجمة (الجحاف بن حكيم السلمي) في الفصل الخاص بتراجم « الأمراء والمحتسبين والقادة والولاة للسلميين » من هذا الكتاب .

وعلى عادة العرب عقب غزواتهم نرى الشعر يدخل ميدان المعركة ، مجسماً ومقدراً وواصفاً انتصار بني سُليم على تغلب ، وواضعاً انكسار شوكة بني تغلب وانهزام شوكتهم أمام التيار الجارف الهابط عليهم من خصومهم السلميين .

يوم الحرّة

وقعت هذه المعركة المنسوبة إلى « الحرة » بين بني حرب النازحين من صعدة باليمن ، وبني سُليم ، في عصر الهمداني أو قريب منه .. وربما في القرن الهجري الثالث . وقد قُتل في ذلك اليوم سبعون رجلاً من بني سُليم ، قتلهم بنو حرب . كما قتل من حرب جماعة من رجالهم . منهم أربعة من بني محمود من ولد عمرو بن زياد من سعد بن سعد بن خولان . وهؤلاء الأربعة المقتولون في تلك المعركة على يد السلميين هم الاخوة : محمد واحمد والحسن والحسين [1] .

---

١ الإكليل للهمداني ، ص ٢٩٨ – ٣٠٦ ، الجزء الأول ، ط مصر . ولم يتبين لنا ما هذه الحرة ... ولعلها حرة بني سليم ... ولعل حرباً غزتهم في عقر دارهم ، فسمي اليوم يوم الحرة .

يوم الرغامة

وقد بقي أثر هذه المعركة التي قُتل فيها أربعة من أبناء أحد رؤساء حرب : محمود المذكور آنِفاً عالقاً في نفسه ، فأزمع الانتقام من سُليم .. ومن ثَمَّ جمع لهم جموعاً من قومه ، وسار اليهم ، فَصَبَّحَهُمْ يوم الرغامة فقتل منهم مائة رجــل . ويقول الحسن الهمداني روايةً عن أبي جعفر المجالي : (وكانت عليهم أي بني سُليم يومئذ عمائمُ خزٍّ زُرْقٌ ، فلم يلبس سُلَميٌّ بعدها عمامة زرقاء [1] .

وما أورده الحسن الهمداني هنا من أن بني سليم كانوا يومئذ بعمائم خزٍّ زرق ، يضع أمامنا شيئاً من نوع « زيّ » بني سليم في القرن الهجري الثالث .. ونستطيع أن نقول انطلاقاً من هذه العبارة : إن بني سليم كانوا في ذلك الزمن يَعْتَمُّونَ .. بالعمائم المنوعة .. فقد لبسوا – للحرب – عمائم خزٍّ زُرْقاً ، إبرازاً لشجاعتهم وتمييزاً لهم عن غيرهم .. والعمائم تيجان العرب .

يوم شرف الأثاية

وهذا يوم من أيام بني سليم . ذكره الهمداني في كتاب « الاكليل » بمناسبة ذِكْرِهِ ليومي الحَرة والرغامة ، اللذين غزت فيهما حرب بني سليم « وفي يوم شرف الأثاية كان الغازي لهم (ابن ملاحظ) وقد لقبه الهمداني : بـ (سلطان مكة) مع أنه أحد أمرائها من قبل بعض خلفاء

---

[1] المصدر السابق ، ص ٣٠٦ و ٣٠٧ . ونعتقد أن الرغامة أيضاً مكان في ديار بني سليم غزاهم فيه وفاجأهم بنو حرب .. وبنو حرب مجاورون يومئذ لبني سليم، ولا يزالون إلى اليــوم كذلك .

بني العباس – ولعل إمْرَتَهُ لمكة كانت في أواخر القرن الهجري الثالث[1] وقد انتصروا على جيشه (وقتلوا أصحابه وأسروه ، فأقام عندهم وقتاً ، ثم منوا عليه وخلوا سبيله[2]) و « الشَّرَفُ » – لُغَةً – من معانيه: المكان العالي ، فلعل موضع المعركة كان شَرَفاً عالياً في أثاية و « أثاية » بفتح الهمزة – عرفها لنا ياقوت في معجم البلدان بأنها : « موضع طريق الجحفة بينه وبين المدينة خمسة وعشرون فرسخاً » [3] .

و (أُثاية) وردت في (معجم ، استعجم) للبكري مضمومة الهمزة ، ونَصّ على ذلك بالتعريف الحرفي . وقد عرفها لنا البكري بقوله (في مادة الرويثة) : (وهي بئر دون الْعَرْج بميلين عليها مسجدٌ للنبي صلى الله عليه وسلم ، وبالأثاية أبيات وشجر أراك ، وهناك ينتهي حد الحجاز ، وهناك وجد رسول الله (ص) الظبيَ الحاقف – أي النائم المنحني في نومه – في ظلٍّ ، وفيه سهم ، فقيل : إن رسول الله أمر رجلاً أن يقف عنده لا يريبه أحد من الناس حتى يجاوزه [4] .

وهكذا اتضح لنا مكان المعركة .. فإنها وقعت بقرب الْعَرْج الذي نزل فيه بنو حرب لأول مرة في هجرتهم الجماعية من صعدة باليمن إلى الشمال ..

هذا وقد أفادنا الهمداني بامتداد منازل حرب بين مكة والمدينة بعد هجرتهم الجماعية من اليمن ، فقد ذكر له محمود – وهو أحد رؤسائهم

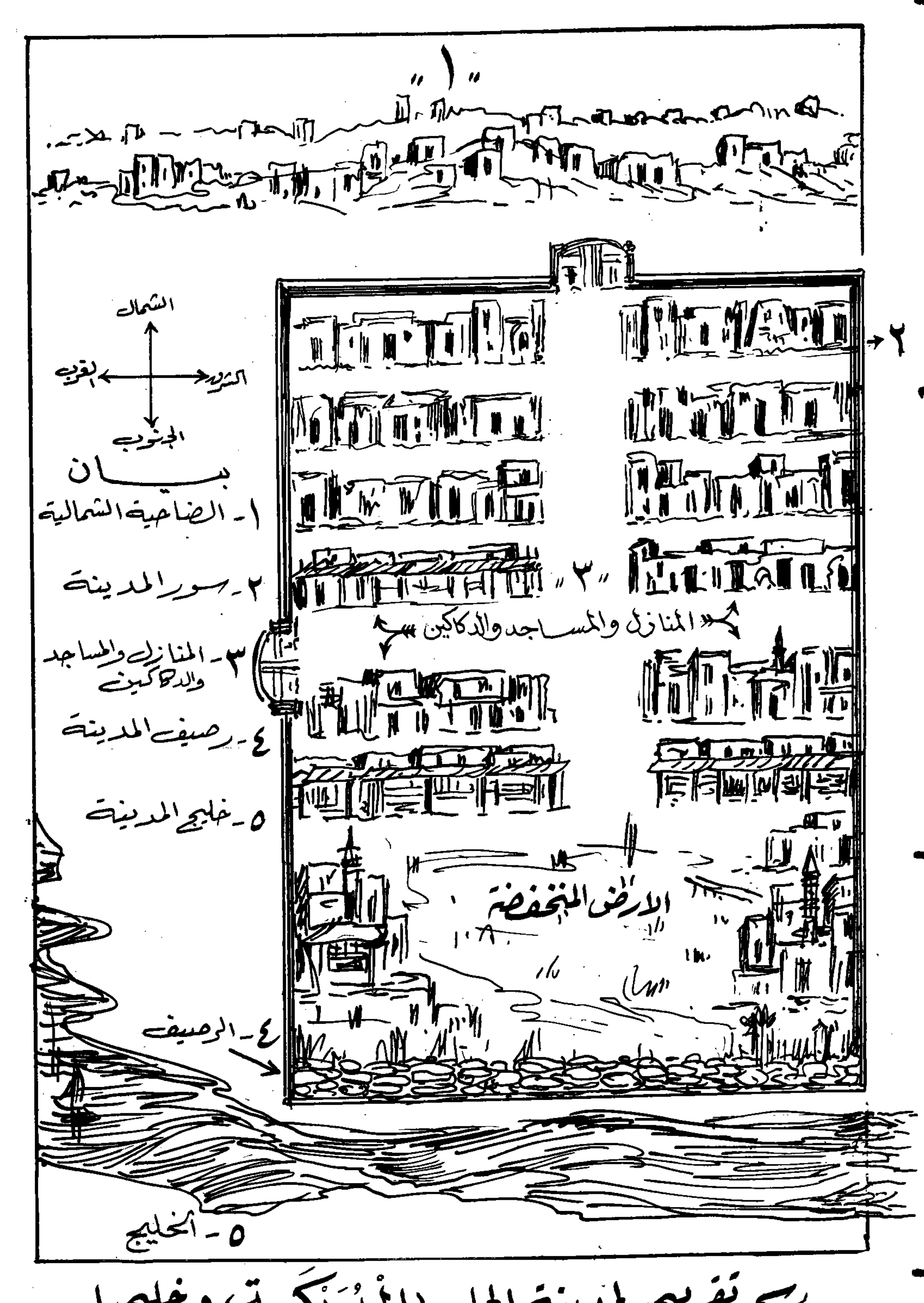
---

١ راجع كتاب « جداول أمراء مكة وحكامها » ، للشريف مساعد بن منصور ، ص ١٦ ، طبع مكة .

٢ الإكليل ، للهمداني ، ص ٣٠٧ ، الجزء الأول .

٣ معجم البلدان ، ص ١١٦ و ١١٧ .

٤ معجم ما استعجم ، ص ٦٨٦ ، الجزء الثاني ؛ و ص ١٠٦ ، الجزء الأول .



رسم تقريبي لمدينة الجار (البُرَيْكة) وخليجها

أنهم نزلوا بقُدُس من الحجاز ، وبها عنزة ومزينة وبنو الحارث وبنو مالك من سُليم ، وقد ناصبتهم عنزةُ الحربَ ، فأجلوا عنزة من قُدُس إلى الأعراض من خيبر بعد معركة ضارية . ثم ناصبتهم مُزَيْنَةُ الحربَ ، وكانت أهل ثروة زهــاء خمسة آلاف ، فقتلوا من مزينة مقتلة عظيمة وأُجْلوا الى الساحل من الجــار — الْبُرَيْكَة — ، والصفراء ، وأرض جُشم ، جَدّ قبيلتي سليم وهوازن فهم بها الى اليوم — اي إلى يوم كتب الهمداني كتابه الإكليل — لا يدخلون الفُرْع الا بجوار وذمامٍ من بني حرب وبقية سُليم . فناصبتهم بنو الحارث وبنو مالك بن سليمَ وهم زهاء أربعة آلاف ، وهم أهل الحرتين والبقيع [1] — فحاربوهم دهراً فأجلوهم عن الحرثين والبقيع ، وقتلوا منهم عدداً كثيراً ، وصارت بنو الحارث وبنو مالك « السلميون » لا يدخل منهما ، الحرتين والبقيع داخل الابذمام من بني حرب ، وقد يُبْقي عليهم محمود (رئيس من رؤساء حرب) لأن أمه جُشَمِيَّةٌ من هوازن .

هذا وقد أفادنا الهمداني بملابسات تَغَلُّب حَرب بعدئذ على طريق المدينة الى مكة .. فقال : (فلما غلبت بنو حرب عــلى تلك البلاد ، وقَهَرَتْ ، تعلقت قريش بأصهارهم وأسند اليهم كلٌّ ، وألْقى أزمة أمره في أيديهم،وغلبوا على طريق المدينة الى مكة فلم يسرها أحد منهم الا

[1] كتاب الإكليل، للهمداني ، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي ص ٣٠٤ و ٣٠٥ وقد عرف المحقق البقيع بأنه (المسمى بقيع الغرقد ، وهو مقبرة أهل المدينة ، معروف مشهور الخ) . والذي يبدو لي من مقتضى الحال ان المقصــد بالبقيع هنا غير بقيع الغرقد بطبيعة الحال . وربما كان البقيع المراد هنا هو الذي قال عنه معجم البلدان لياقوت الحموي : (وقال الزبير : أعلى أودية العقيق ، البقيع . وأنشد لأبي قطيفة بيتين من شعره) ، ص ٧٠٣ و ٧٠٤ ، ط إيران الجزء الأول .. ومما يدل على صحة هذا التأويل أيضاً قول الهمداني (ص ٣٠٥ ، الجزء الأول) « فناصتهم بنو الحارث وبنو مالك بن سليم ، وهم زهاء أربعة آلاف ، وهم أهل الحرتــين والبقيع » . وبدهي انه لا يقصد ان المذكورين أهل الحرتين وبقيع الغرقد . فتعين أن يكون المراد بالبقيع غير بقيع الغرقد .

بخفارتهم . وكان المقتدر يبعث إليهم طول حياته بالمال في خفارة الطريق، والى اليوم وهم على ذلك [1]) ويذكر لنا ـ الاصطخري ـ صاحب كتاب المسالك والممالك أن طائفة من اليمن يعرفون ببني حــرب استولت — في عصره — عــلى ضياع اولاد جعفر بن أبي طالب بودان القريبة من الجُحْفَة [2] .

وقــد أطنب عبد القادر الانصاري الجزيري من أهل القرن الهجري العاشر ، في ذكر احوال أدراك (مدارك الأعراب) في طريق الحاج وقــال عن عنزة : (ان حدودهم من طرف الحنك من الجهة القبلية إلى المدينة الشريفة إلى آبار علي — ذي الحليفة — الى جبل مفرح) — المفرِّحات — وذكر أحوال مدارك غيرهم ، وأفادنا بأن (بدراً) كانت مدينة بهــا عيون ومزارع ، وبأن (الجار) فرضة المدينة فيرد الحاج ماءها [3] .

كما أطنب ابراهيم باشا رفعت في وصف ما لاقاه وهــو أمير الحج المصري سنة ١٣٢٦ ﻫ — من أهوال إخلال عرب حرب بالأمن بين المدينة ومكة اثناء عودة المحمل المصري من المدينة الى ينبع ، وقــد اضطرتهم الحرب التي نشبت بينهم وبين بعض قبائل حرب بعد آبار درويش الى العودة الإجبارية الى المدينة بعد مــا خسروا بعض القتلى من الجند وبعد أن نفقت بعض ركائبهم ، نتيجة تبادل اطلاق النيران الحامية بينهم وبين أولئك الأعراب [4] .

---

١ الإكليل ، الجزء الأول ، ص ٣٠٥ و ٣٠٦ .
٢ ص ٢٥ ، طبعة مصر .
٣ درر الفرائد المنظمة في اخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، ص٤٥١ ، وص٥٢٨ ، ط المطبعة السلفية بمصر .
٤ مرآة الحرمين لإبراهيم رفعت ، ص ٢١١ وما بعدها ، الجزء الثاني ، طبع مطبعة دار الكتب المصرية ، سنة ١٣٤٤ ﻫ — ١٩٢٥ م .

كما أنه ذكر في بيان خاص مفصل مكافآت أعراب حرب في طريق المدينة – مكة ، أو مرتباتهم التي كانت تؤدى من مصر ، لتأمين سلامة المحمل اثنـــاء عبوره لديارهم إلى مكة [1] . ولم ألحظ بين هؤلاء ، اسماً لبني سليم .

ونحمد الله تعـــالى ، ومن حق قبائل حرب أن تحمده معنا ، فقد نشلتهم الحكومة السعودية من هذه الأوضار وأزالت معالم إخلالهم بالأمن ، وعوضتهم اعمالاً وتعليماً لأبنائهم ووظائف في الدولة وصناعات يقومون بها ، فتدر عليهم رزقاً حـــلالاً وافراً ، يرفع من مستواهم الاجتماعي والصحي والاقتصادي ، ويجعل منهم اعضاءاً نافعين في جسم الأمة .

---

١ المصدر السابق ، ص ٢٣٨ – ٣٤٤ ، الجزء الثاني .

يمتنعون ثم يقتنعون

حينما ظهر الإسلام في جزيرة العرب ، كانت قريش في مكة ، تكيد له جهراً وسراً ، وتقف منه موقف العداء السافر ، وحاولت أن يمتد هذا الموقف من الإسلام ، إلى سائر قبائل العرب في شبه جزيرة العرب ، وكان من الميسور لهم أن يقوموا بالدعاوة السلبية ضده ، لأنّ سدانة الكعبة ومشاعر الحج كانت بأيديهم ، فهم ذوو مكانة دينية مرموقة لدى عرب الجاهلية .. يضاف الى ذلك مكانتها التجارية والاجتماعية .

وكانت بنو سليم من أحلاف بني أمية وقريش في جاهليتهم ، وكان بعضهم شركاء لبعض في تجاراتهم ، وقد تصاهر بعضهم مع بعض ، فلا غرو إذا سرت اليهم من قريش عدوى المناهضة الأولى للاسلام ، ولا بدع اذا تألّبوا على عداوته والنكاية بأهله .. وقد رأينا بعض عرب الجاهلية في بئر معونة يفتكون بالبعثة النبويـــة الإسلامية المرشدة ، فتكاً ذريعاً ، نتيجة الحقد العميق الذي يحملونه في صدورهم لمعتنقي الدين الجديد .

تقول (دائرة المعارف الإسلامية) البريطانية الأصل ، في ترجمتها العربية بمصر : إن السُّلَمية وأهل مكة تجمعهم مصالح مشتركة ، ولذلك عـــادوا النبي صلى الله عليه وسلم أول الأمر ، فلما تبين لهم أن انتصار الإسلام أمر لا شك فيه أخذ هؤلاء البـــدو الذين يقيسون الأمور بميزان

الواقع يفاخرون باسلامهم)[1] . ومع أننا نلمح في قولها هذا ، لوناً من الدس على إسلام بنو سُليم فيما يتعلق بربط إسلامهم بقياسهم للأمور بميزان الواقع المصلحيّ ومفاخرتهم — بمقتضى هذه المصلحة المادية — بدخولهم الاسلام ، فما لا ريب فيه أن انتصار الاسلام قبيل دخولهم الاسلام كان ظاهرة تلوح في كل أُفُقٍ من آفاق جزيرة العرب ، ولكن دخول بني سُليم في الإسلام — على ما هو الواقع — لم يكن نتيجة مصلحة مادية ، لاحت لهم ، فرجحوها على ما هو أدنى منها ، وإنما كان عن اقتناع وايمان وتصديق ضمائرهم بأن الاسلام هو دين صدق وحق وسيمحو كل ما يعارضه في طريقه الى كل ناحية .. يدلنا على ذلك أمور وإرهاصات، فإن من رجالاتهم من دخلوا في دين الاسلام أول ظهوره بمكة ، حتى قال عن نفسه هذا البعض بحقٍ : إنه « رُبُعُ الإسلام » ... لأنه كان رابع ثلاثة دخلوا فيه أول وجوده بمكة ، قبل أن تبدو فيه أية مصالح مادية . وقد تابع غير هذا البعض النبي أيضاً ، وبقي في بلاده يكتم إيمانه ، وكان مع ذلك — كما يبدو لنا — يحاول أن يُدخل معه في حظيرة الدين الجديد كل من يأمن بوائقه من قومه ، وما كان ليخفي مطلقاً على المشركين بطبيعة الحال ، حالُ المسلمين اذا تعايشوا مع المشركين .. ولا بد أن من قوم هؤلاء المسلمين من كانوا شاعرين باعتناقهم لدين الاسلام ومفارقتهم للأوثان ، عارفين بذلك ، ويتهامسون به في مجالسهم الخاصَّة وربما العامة.. وكانت دعوة مُسلميهم السرية قد بدأت تظهر عندما لاحت بوارق انتصار الاسلام ، فصاروا يدعون قومهم أو من يرجون منهم قرب الاستجابة لدعوتهم جهراً ، وهكذا كانت نفوس بني سليم مهيأة للإسلام ، مستعدة لدخوله ، بدون النظر الى مطامع او مصالح قبيل فتح مكة .. فلما فتحت مكة أقبلوا جماعات بخيلهم ورجلهم الى الرسول ،

---

[1] دائرة المعارف الإسلامية ، ص ١٤٤ ، المجلد الثاني عشر ، طبع مصر .

فآمنوا بــه ، مصدقين من قلوبهم برسالته الآلهية ، موحدين لربهم ، مرتفعين عن أوضار الشرك وأغلالــه التي كانت تحيط بهم فتحط من مستواهم الروحي ، ولذلك سرعان ما رأيناهم يجردون سيوفهم ، ويبيعون نفوسهم رخيصة في الغزوات والمعارك الاسلامية التي تلتْ فتح مكة والتي خاضوها بكل بسالة وإقدام لرفع راية الدين الحنيف .

موقف بني سُليم في ردة العرب

حينما ارتدَّ بعض العرب في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، كان موقف بني سُليم حيال الإسلام ، وحيال الردة متفاوتاً ومختلفاً . فبعضهم ثبت على الإسلام ، وبعضهم سار في تيار الردة . وقد ضرب أبو بكر الصديق مرتديهم بالذين ثبتوا منهم على الإسلام .. فكان قائداً راشداً بالغ الحكمة . فلا يفل الحديد إلا الحديد .

وكان أبو بكر قد ولّى خالد بن الوليد ، مهمة إعادة المرتدين من العرب إلى حظيرة الإسلام ، فقام بهذه المهمة العظيمة خير قيام .

جاء خالد « جو قراقر » وأتى « النقرة » ووجد جمعاً من بني سُليم ، يرأسهم أبو شجرة بن عبد العزّى السُّلمي ، الذي أمُّه الخنساء ، الصحابية الشاعرة المشهورة ، فقاتلوا خالداً ، واستشهد رجل من المسلمين ، ثم فض الله جمع المرتدين ، وركب المسلمون أكتافهم .

وقدم في أيام الردة – الفجاءةُ السلمي إلى المدينة عاصمة الخلافة الاسلامية الأولى ، فقال لأبي بكر رضي الله عنه : احملني ، وقوّني ، أُقاتل المرتدين .. فحمله أبو بكر ، وأعطاه سلاحاً ، فخرج من المدينة يعترض الناس ، فيقتل المسلمين ، ويقتل المرتدين ، معاً ، وجمع جمعاً .. فكتب أبو بكر ، إلى « طُريفة بن حاجزة السلمي » أخي معن بن

حاجزة السلمي . وكان هو وأخوه ممن ثبت من سُليم على الإسلام .. وأمره أبو بكر بقتال الفجاءة ، فنفذ ما أمره به الخليفة ، وأسر الفجاءة .. فلما جاء الفجاءةُ إلى أبي بكر عاقبه بأن أمر باحراقه في ناحية المُصلّى [1] – مسجد الغمامة بالمدينة – جزاء ما سبق أن اقترفه من إحراق المسلمين .

وفي هذا المعنى يقول أبو جعفر الطبري :

(كانت سليم بن منصور قد انتقض بعضهم ، فرجعوا كفاراً ، وثبت بعضهم على الإسلام ، مع أمير ، كان لأبي بكر عليهم ، يقال له : معن بن حاجز (ة) أحد بني حارثة . فلما سار خالد بن الوليد ، إلى طُليحة ، وأصحابه كتب (أبو بكر) [2] إلى معن بن حاجزة (ة) أن يسير بمن ثبت معه على الإسلام ، من بني سُليم ، مع خالد ، فساروا ، واستخلف معن بن حاجز (ة) على عمله ، أخاه طُريفة بن حاجز (ة) . وقد كان فيمن لحق من بني سُليم ، بأهل الردة – أبو شجرة بن عبد العزى ، وهو ابن الخنساء كما قدمنا آنفاً ، فقال :

فلو سألتْ عنا غداة مُزامرٍ كما كنتُ عنها سائلاً لو نأيْتُها
لِقاءَ بني فهر وكان لقاؤهم غداة الجِواءِ حاجةً فقَضيتُها
صبرتُ لهم نفسي وعرَّجتُ مُهرتي [3] على الطَّعْنِ حتى صار وَرْداً كُميتُها
إذا هي صَدَّت عن كمِيٍّ أُريده عَدَلتُ إليه صَدرَها فهَديتُها

وقال حين ارتد عن الإسلام :

صحا القلبُ عَنْ ميٍّ هَوَاه وأقصرا وطاوع فيها العاذلين فأبصرا

---

١ فتوح البلدان ، للبلاذري ، ص ١١٧ ، الجزء الأول ؛ وتاريخ الطبري ، ص ٤٩٢ و ٤٩٣ ، المجلد الثاني ، طبع مطبعة الاستقامة بمصر .

٢ من عندنا زدنا كلمة : (أبو بكر) لاقتضاء سياق الكلام لذلك .

٣ امتطاء أبي شجرة لمهرته واعتزازه بها في الحرب ، هو أثر من آثار وجود الخيل لدى بني سليم بكثرة كما أشار اليه المؤرخون .

وأصبحَ أدْنَى رائد الجهل والصِّبى كما وُدُّها عنَّا كذلك تغيرا)

إلى آخر الأبيات التي أوردناها في ترجمته ، كشاعر من شعراء سُليم ، وذلك في الفصل الخاص بشعرائهم .

وقال الطبري بعد ذلك : (ثم إنَّ أبا شجرة أسلم ودخل فيما دخل فيه الناس ، حتى قدم المدينة في زمن عمر بن الخطاب .. (وهنا أورد الطبري قصة دخوله على عمر مستجدياً . وقد ذكرنا هذه القصة في ترجمة أبي شجرة كشاعر من شعراء سُليم) [1] .

---

١ تاريخ الأمم والملوك ، للطبري ، ص ٤٩٣ و ٤٩٤ ، المجلد الثاني .

أحد عشر دوراً لبني سُليم في الأحداث العربية والاسلامية

ليس من ريب في أن لبني سُليم دَوراً ما في كثير من الأحداث العربية والإسلامية منذ بزغ فجر الإسلام ، ومنذ كانوا مقيمين في ديارهم الأصلية بين الحرمين ، ثم منذ فارقوها – أو فارقها أكثرهم ، في الفتوحات الإسلامية إلى شرق وغرب ، وإلى شمال وجنوب ..

وهذا الدَّور الذي استمروا في القيام به على مسرح الأحداث الإسلامية والعربية طيلة قرون متتالية يؤكد أنهم قبيلة ذات حيوية .

وفي هذا الفصل نستعرض أهم تلك الأحداث عبر شريط الزمن الدَّوَّار :

في أول قائمة أدوار بني سُليم في الإسلام قيامهم على البعثة النبوية ، أو كما يقول أصحاب السيرة : قيامهم على السرية التي بعثها النبي صلى الله عليه وسلم وعلى رأسها المنذر بن عمرو ، إلى بئر معونة : موضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان في صفر على رأس أربعة أشهر من غزوة أحد . وكان مُلاعبُ الأسنَّة قدم على رسول الله فعرض عليه الإسلام ، فلم يسلم ولم يبعد ، وطلب من الرسول أن يبعث رجالاً من أصحابه إلى أهل نجد ، يدعونهم ومن معهم إلى الإسلام رجاء أن يستجيبوا له .. فبعث الرسول تلك السرية التي أكبر ما قيل عن عددها : إنّه كان سبعين رجلاً ، وأقل ما قيل

عنه : انهم كانوا ثلاثين رجلاً وكان فيهم بعض من أسلموا من سُليم ، فلما نزلوا بئر معونة بعثوا أحدهم بكتاب إلى عامر بن الطفيل ، فعدا على رسول رسول الله وقتله ثم استصرخ عليهم بني عامر فأبوا أن يخفروا ذمة طالب قدوم البعثة : أبي براء ملاعب الأسنة ، فاستصرخ قبائل من سُليم فأجابوه إلى ذلك ، وأحاطوا بالبعثة في رحالها ، وجالدتهم البعثة الارشادية المؤمنة حتى قُتلت كلها ما عدا واحداً . وقد وَجِدَ النبي صلي الله عليه وسلم على أصحاب بئر معونة وجداً عميقاً [1] .

وثاني الأدوار التي قامت بها بنو سُليم استجابتها لدعوة زعماء مكة في غزوة الأحزاب ، مع من استجاب لهم من العرب المؤازرين للشرك على الإسلام ، ولقريش على رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه . وكان قائدُ بني سُليم في هذه الغزوة الجماعية للاسلام هو : سفيانَ بن عبد شمس السلمي .. لقد طابق اسمه ، اسم القائد العام للجيش المشترك في هـذه الغزوة : سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس . وسفيان السلمي هو والد أبي الأعور السلمي ، الذي ستمر بك ترجمته في هـذا الكتاب ضمن تراجم فصل : (الأمراء والقادة والولاة السلميين) .

وثالث الأدوار السلمية ، في مسرح الحياة الاسلامية ، انحيازهم الكُلّيُّ إلى جانب الخليفة عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، في أول فتنة ضروس نجمت في العالم الاسلامي . وكان من الثمار التي اقتطفهـا بنو سُليم من هذا الانحياز إلى الخليفة المظلوم رضي الله عنه ، أن اكتسبوا عطف بني أمية منذ تولى معاوية الخلافة ، إلى أن انشقوا عن بني أمية ، حينما رُشّحَ للخلافة مروانُ بن الحكم .. وقد ولى معاويةُ أحد بني سُليم ، أبا الأعور السلمي بن سفيان بن عبد شمس السلمي قائد بني سُليم في معركة الخندق

---

١ مختصر سيرة ابن هشام ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ٢٢٧ و ٢٢٨ ، طبع دار العربية للطباعة والنشر في بيروت .

بالمدينة – ولاّه القيادة أيضاً .. فكان قائداً في الإسلام ، كما كان أبوه قائداً ضد الإسلام . كما ولى هشام بعد استتباب الأمر لبني أمية ، عبيدةَ أو (عُبيدَ) بن عبد الرحمن السلمي الذي نرى أنه ابن أخي أبي الأعور – ولاّه على إفريقية .

وبمناسبة تولية أبي الأعور وعبيد بن عبد الرحمن السلمي نقول : إن مبدأ مشاركة رجالات بني سُليم في إدارة دفة شؤون الدولة الاسلامية ، وفي مناصب الولاية خاصة كانت له سابقة منذ عهد عمر بن الخطاب ، حيث رأيناه يولي عتبة بن فرقد السلمي إمارة بعض فتوحات العراق . كما رأينا أيضاً المغيرة بن شعبة أمير البصرة لعمر بن الخطاب ، يُوَلِّي مجاشعاً – بالنيابة عنه – إمارة البصرة ، وما كان له أن يفعل ذلك إلا بموافقة من عمر بن الخطاب . كما رأينا عثمان بن عفّان الخليفة الثالث بعد عمر ، يُوَلِّي عبد الله بن خازم السلمي – ولاية خراسان . ورأينا من بعده ، عبد الله بن الزبير يستبقيه على ولاية خراسان ، لمّا آلت إليه الخلافة في مكة المشرفة .

ورابع الأدوار كان حينما نجم الخلاف المستشري بين عبد الله بن الزبير الذي بويع في الحجاز وغيره من بلاد الاسلام بالخلافة ، وبين مُرشّح بني أمية للخلافة ، خالد بن يزيد .. افترق عرب الشام إلى حزبين : حزب مع ابن الزبير ، وكان من هؤلاء القيسيةُ ، الذين منهم بنو سُليم ، وحزب مع بني أمية .. وقد قفزت بنو سُليم إلى مسرح الحوادث في هذه المعركة السياسية ، فرأينا أحدهم : (ثور بن معن السلمي) ينهض إلى رئيس القبائل القيسية الضحاك بن قيس الفهري الأمير في الشام ، ويقول له – وهو في طريقه إلى الجابية ليبايع الناسُ من يرتضونه للخلافة من الأمويين بعدما اتفق مع بني أمية على هذه الخطة – رأينا ثور بن معن السلمي وهو يقول إذ ذاك للضحاك : « دعوتنا إلى

ابن الزبير فبايعناك على ذلك ، وأنت تسير إلى هذا الاعرابي من كلب ، تستخلف ابن اخته خالد بن يزيد .. فقال له الضحاك : فما الرأي ؟ قال معن : الرأي أن تُظهرَ ما كنا نكتم ، وتدعو إلى ابن الزبير [1] .. ويبدو أن الضحاك — مع ثقوب رأيه ودهائه وحذره — قد تفاعل مع رأي معن ، فكان ذلك ، الإسفينَ الكبير الذي دقته يد الخلافات القبلية العارمة في صرح الوحدة الاسلامية بين ناشري لوائه على المعمورة : العرب المسلمين . وقد استمر — فعلاً — تأثيرُ معركة (مرج راهط) التي وقعت بين الفريقين المتخاصمين من العرب على (مُرَشَّحيِ الخلافة) فسقطت ضحايا منهم بلغت عشرات الألوف على ما يرويه لنا المؤرخون . وكان الأحرى بهم أن يصرفوا هذه القوة الضاربة التي دمرتها أيديهم بسبب خلافاتهم القبلية — في الفتوح الاسلامية ، بضرب أعداء الاسلام المحيطين بهم يومئذ في كل مكان .. ويذكر لنا ابن عبد البر في كتابه (الاستيعاب) أن رجالاً من قيس لم يضحكوا بعد يوم المرج حتى ماتوا (مادة الضحاك) .

وكانت مساهمة بني سُليم الفعالة في المعركة السياسية والحربية ، الدائرة بين عبد الله بن الزبير وأنصاره من جهة ، وبين بني أمية وأنصارهم من جهة أخرى ، هي الدور الرابع الذي قامت به بنو سُليم على مسرح الأحداث الاسلامية .

ومن بعد الدور السابق يأتي الدَّور الخامس ، وكان هذا الدور اقتصادياً سياسيّاً مزدوجاً سببه المباشر أو غير المباشر ما لاحظه هشام بن عبد الملك ولاحظه من قبله عبد العزيز بن مروان من أن القحطانيين في القطر المصري كانوا أغلبية العرب في مصر وأن القيسية في مصر كانوا قلة ، مما أفقد عرب مصر ، التوازن بين العنصرين الرئيسيين

---

١ الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ، ص ١٤٧ ، المجلد الرابع ، طبع دار صادر — دار بيروت في بيروت .

اللذين يتألف منهما الشعب العربي[1] . وهكذا شاهدنا انتقال (مائة بيت) من سُليم وبني عمومتهم القيسيين من ديارهم الأصلية إلى مصر ، وقد أنزلوا في بلبيس . وأمرهم الأمير عبيد الله بن الحبحاب بالزرع ، ونظر إلى الصدقة من العشور ، فصرفها إليهم ، فاشتروا إبلاً ، فكانوا يحملون الطعام إلى بحر القلزم - البحر الأحمر - فكان الرجل منهم يتحصل له في الشهر العشرة دنانير وأكثر وأقل . ثم أمرهم باشتراء الخيول ، فجعل الذي يشتري المهر ، فلا يمكث إلا شهراً حتى يركب ، وليس عليهم مؤونة في علف إبلهم ولا خيولهم ، لجودة مرعاهم . فلما بلغ ذلك عامة قومهم من القيسية ، تحمل اليهم خمسمائة أهل بيت من البادية ، فكانوا على مثل ذلك ، فأقاموا سنة ، فأتاهم نحوٌ من خمسمائة أهل بيت . ومات هشام ، وببلبيس ألف وخمسمائة أهل بيت من قيس . حتى إذا كان في زمن محمد بن مروان ، وولّى الحوثرة بن سهل الباهلي - مصر ، انثالت إليه قيس . فمات مروان ، وبها ثلاثة آلاف أهل بيت من قيس . ثم توالد القيسيون المصريون ، وقدم عليهم من بادية هذه البلاد من قدم ، فأُحْصُوا ، في ولاية محمد بن سعيد ، فوُجِدُوا خمسة آلاف ومائتين ما بين صغير وكبير .

ويلوح من الأمر الذي أصدره عبيد الله بن الحبحاب أمير مصر وأحد

---

١ تعليقات الدكتور عبد المجيد عابدين ، على كتاب البيان والإعراب ، ص ١٠٠ . ويقول المقريزي : ان نزول سليم بمصر كان سنة ١٠٩ ه ، وكان أمير مصر يومئذ ، الوليد بن رفاعة الفهمي ، ولم يكن قبل ذلك التاريخ بأرض مصر أحد من قيس إلا من كان من فهم وعدوان . وقد كتب عبيد الله بن الحبحاب الذي ولاه هشام ، مصر ، كتاباً ضمنه هذا المعنى ، وأشار عليه بأن ينقل إلى مصر من قيس أبياتاً فأذن له هشام في الحاق ثلاثة آلاف منهم ، وتحويل ديوانهم إلى مصر على أن لا ينزلوا بالفسطاط، ففرض لهم ابن الحبحاب وقدم بهم فأنزلهم الجوف الشرقي وفرقهم فيه (راجع ص ٦٥ و ٦٦ من كتاب البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، لأحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي ، طبع مصر ، والمجتمعات الإسلامية في القرن الأول ، لشكري فيصل ، ص ١٤٩ و ١٥٠ .

موالى قبيلة سَلُول القيسية بشراء المُرحَّلين إلى مصر للخيول – أنه كان اجتماعياً بعيد النظر .

ويقول محمد بن أحمد بن تميم القيرواني المتوفي سنة ٣٣٣ هـ – ٩٤٤ م : « خرج من بني سُليم اربعمائة وخمسون رجلاً ، لفتوح إفريقية »[١] وكان ذلك في عهد عثمان بن عفان[٢] .

وفي عصر الولاة (١٨ – ٢٥٤ هـ) كان في معادن البئر بأسوان قوم من بني سُليم وغيرهم[٣] .

أما الدور السادس من أدوار بني سُليم في الإسلام .. فيتمثل في القصة التي رواها أحدهم : عبد الله بن معروف أحد بني رياح بن مالك بن عصية بن خُفاف .. وقد شَهد القصة .. قال : جاءت محمداً (النفس الزكية) بنو سُليم على رؤسائها فقال متكلمهم جابر بن أنس الرياحي : يا أمير المؤمنين نحن أخوالك وجيرانك ، وفينا السلاح والكراع . والله لقد جاء الإسلام ، والخيل في بني سُليم أكثر منها بالحجاز ، لقد بقي فينا منها ما إن بقي مثله عند عربي تسكن إليه البادية ، فلا تُخندق الخندق ، فإن رسول الله خندق خندقه ، لما الله أعلم به ، فأنك إن خندقته لم يحسن القتال رجاله ، ولم يوجه لنا الخيل بين الأزقة . وان الذين يخندق دونهم هم الذين يقاتلون فيها ، وان الذين يُخندق عليهم يحول الخندق دونهم . فقال أحد بني شجاع : خندق رسول الله ، فاقتد برأيه . أو تريدُ أنت ان تدع رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

١ طبقات علماء إفريقية وتونس ، ص ٦٩ ، طبع تونس .

٢ هجرات الفتوح الإسلامية . وقد وصف لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه ، خلو كثير من بلاد جزيرة العرب من رجالاتها . في قصيدة له منها قوله :

هلكت عامر فلم يبق فيها   برياض الأعراف إلا الديار

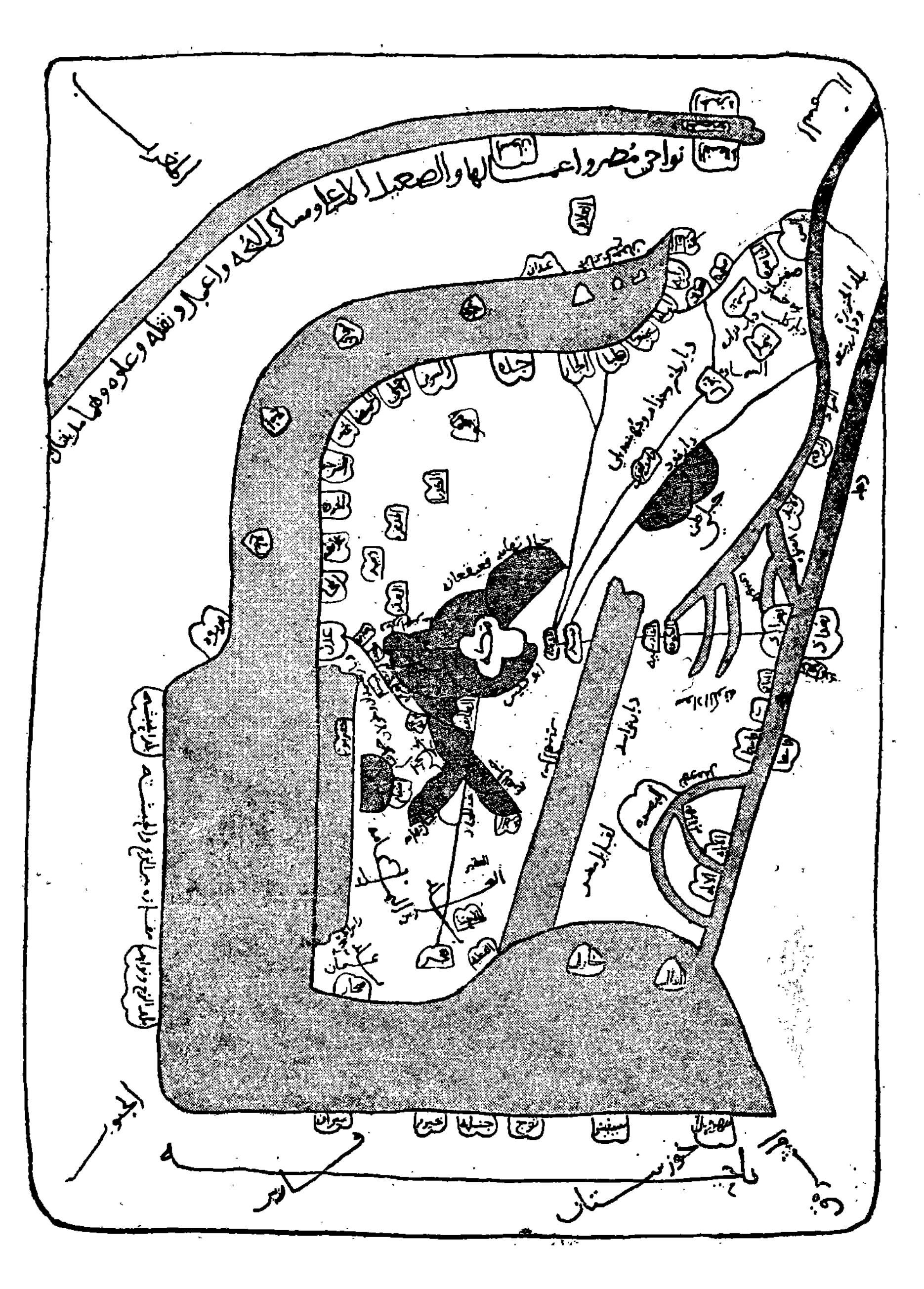
٣ تعليقات عبد المجيد عابدين على كتاب البيان والاعراب ، ص ٩٣ – ١٠٧ .

لرأيك . قال : انه والله يا ابن شجاع ، مـــا شيء أثقلَ عليك وعلى أصحابك من لقائهم ، ولا شيء أحبَّ إليَّ وإلى أصحابي من مناجزتهم . فقال محمد (النفس الزكية) . إنمـــا اتبعنا في الخندق أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يردني عنه أحد ، فلست بتاركه . ولما تيقن محمد (النفس الزكية) أن محمد بن عيسى (قائـــد حملة أبي جعفر المنصور لقتـــال محمد (النفس الزكية) بالمدينة ..) قد أقبل ، حفر الخندق : خندق النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان حفره للأحزاب ، ولما أزمع حفره ركب إليه وعليه قباء أبيض ومنطقة وركب الناس معه فلما أتى الموضع نزل فيه فبـــدأ هو فحفر بيده ، فأخرج لبنة من خندق النبي (ص) فكبر وكبر الناس معه ، وقالوا : أبشر بالنصر ، هذا خندق جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم) [1] .

أمـــا الدور السابع من أدوار تحركات بني سُليم التي كانت وبالاً عليهم ، فقد كان في أوائل القرن الهجري الثالث . وبالدقة في سنة ٢٣٠ هـ . وهـــذا التحرك كان في عقر دارهـــم الأصلية بين الحجاز ونجـــد ، فقد كانوا تطاولوا على الناس حول المدينة بالشر ، وكانوا إذا أرادوا سوقاً من أسواق الحجاز أخذوا سعرها كيف شاؤوا ، ثم ترقى بهم الأمر إلى أن أوقعوا بميناء الجار : ميناء المدينة المنورة — بناس من بني كنانة وباهلة فأصابوهم وقتلوا بعضهم . وكان ذلك منهم في جمادى الآخـــرة سنة ٢٣٠ هـ وكان رأسهم — في هذا التحرك — عزيزةَ بن قطاب السلمي .. وكان عاملُ المدينة — أميرُهـــا — يومئذ ، محمدَ بن صالح بن العباس الهاشمي ، فوجه إليهم حماد بن جرير الطبريّ . وكان الواثق بالله الخليفة العباسي في بغداد قد علم بِعَيْثِ هؤلاء الأعراب حول المدينة ، فوجه حماداً هذا ، مسلحة للمدينة لئلا يتطرقهـــا الأعراب ، وكان معـــه

---

١ تاريخ الطبري ، ص ٢٠٧ و ٢٠٨ ، الجزء السادس ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة .



خريطة ابن حوقل لبلاد العرب وبها مدينة الجار
التي أوقع فيها بنو سُليم بناسٍ من كنانة وباهلة

٢٠٠ فارس من الشاكرية [١] ، فتوجه حماد إلى بني سُليم في جماعـة من الجند ومن المتطوعين للخروج معه من قريش والأنصار ومواليهم وغيرهم من أهل المدينة ، وسار اليهم فلقيته طلائعهم ، وكانت بنو سُليم كارهة للقتال ، فأمر حماد بقتالهم ، وحمل عليهم بالرُّوَيثة : موضع على ثلاث مراحل بين مكة والمدينة — وكان بنو سُليم وأمدادهم من البادية (٦٥٠) رجلاً ، وكان قُوَّادُهم : أشهَبَ بن دُوَيْكِل بن يحي بن حمير العوفي ، وعَمُّه سلمةُ بن يحي ، وعزيزةُ بنُ قطـاب اللبدي ، من بني لبيد بن سُليم . وكانت خيلهم (١٥٠) فرساً ، وجاءت إلى بني سُليم أمداد اخرى بلغت (٥٠٠) رجل سلمي ، وافَوْهُمّ في موضع يسمى « أعلى الرويثة » بينه وبين موضع القتال — الذي هو « الرويثة » — أربعة أميال ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت سودان المدينة بالناس ، وثبت حماد بن جرير الطبريّ وصحبه وقريش والأنصار ، وقُتِلَ حَمّادٌ قائد الجيش العباسي ، وعامة أصحابه ومن ثبت معه من قريش والأنصار ، وحازت سُليم الكراع والسلاح والثياب . وغلظ أمرهم فاستباحوا القرى والمناهل فيما بين المدينة ومكة ، حتى امتنع سلوك ذلك الطريق على الناس ، ولم يكتف بنو سُليم بعدوانهم على الطريق العام ، بل تطرقوا من يليهم من قبائل العرب . وبلغ الأمرُ الواثقَ بالله فاهتم به . فوجه اليهم « بغا الكبير » أبا موسى التركي في الشاكرية والأتراك والمغاربة ، وقدم بغا المدينة في شعبان من السنة المذكورة ، وشخص إلى حَرَّة بني سُليم لأيّام بقين من شعبان ، ليخضد شوكة بني سُليم وكان على مقدمته طردوش التركي ، فلقيهم ببعض مياه الحرة ، وكانت الوقعة الفاصلة بينه وبينهم بشق الحرة من وراء السوارقية التي هي قرية من قراهم والتي كانوا يأوون اليها — والسوارقية حُصُونٌ — وكان أغْلَبَ من لقيه بغا منهم ، بَنُو عوف ،

---

١ الشاكرية : الاجراء والمستخدمون ، معرب «جاكر» الفارسية ، القاموس المحيط مادة شكر .

وفيهم عزيزة بن قطاب والأشهب ، اللذان هما رأسا القُوّادِ يومئذ ، وقَتَل بغا منهم نحواً من (٥٠) رجلاً وأسر مثلهم . فانهزمت بقيتهم وانكشفوا ، ثم أمنهم بغا على حكم أمير المؤمنين الواثق ، وأقام بالسوارقية ، فأتوه واجتمعوا لديه . وهربت خفاف بني سُليم إلا أقلها ، وهي التي كانت تؤذي الناس بالطريق . وقد احتبس بغا عنده زهاء ألف رجل من بني سُليم وهم الذين وُصِفُوا بالشر والفساد ، وخَلّى سبيل سائرهم ، وسار بمن معه من الأسرى صوب المدينة في ذي العقدة سنة ٢٣٠ هـ فحبسهم بها في الدار المعروفة بيزيد بن معاوية ثم حج في ذي الحجة ، وتجول في بعض ديار الأعراب الذين اعتادوا العيث في البلاد ، ثم انصرف إلى المدينة وحبس من أخذه من بني هلال في دار يزيد بن معاوية أيضاً مع السلميين . وسار بغا إلى بني مرة وفزارة بفدك وفي حبس المدينة نحو من (١٣٠٠) رجل من بني سُليم وهلال ، فنقبوا دار الحبس فعرف الناس في المدينة بصنيعهم ، وتجمعوا عليهم ، وكان عاملُ المدينة – أميرُها – يومئذ هو عبدَ الله بن احمد بن داود الهاشمي ، وحاصروهم حول الدار ، حتى أصبحوا . وكان وثوب السلميين عشية الجمعة .. وذلك ان القائد السلمي عزيزة بن قطاب قال لهم : إني أتشاءم بيوم السبت ، واعتقب أهـــل المدينة قتالهم وقاتلتهم بنو سُليم ، فظهر عليهم أهل المدينة وقتلوهم جميعاً . وكان عزيزة يرتجز ويقول :

لا بُدَّ من زَحْمٍ وإن ضاق البابْ إني أنا عزيزةُ بنُ قَطّـــابْ
للمَوْتُ خير للفتى من العَـابْ هذا ورَبِّيَ عمل لِلْبَوّابْ

ويقال : إنّ بواب الحبس أخذ منهم رشوة لإطلاق سراحهم ، وهذا ما يشير اليه البيت الأخير من رجز عزيزة .. وقد فك عزيزة قيده فرمى به رجلاً فخر صريعاً . وكان عزيزة بعد أن قُتِل أصحابه صار إلى بئر فدخلها فدخل عليه رجل من أهل المدينة فقتله ، وصَفّ بغا قتـــلى

بني سُليم على باب مروان بن الحكم بعضها فوق بعض ...

وكان مؤذن أهل المدينة قد أذّن ليلة حراستهم لبني سُليم بليل ، ترهيباً لهم بطلوع الفجر ، وأنهم قد أصبحوا ، فجعل بنو سُليم يضحكون ويقولون : « يا شربة السويق ! تعلموننا بالليل ونحن أعلم به منكم » فقال رجل من بني سُليم :

متى كان ابن عباس أميراً يَصِلُ لصقل نابيه صريفُ
يجورُ ولا يردُّ الجورَ عنه ويسطو ما لوقعته ضعيفُ
وقد كنا نردُّ الجور عنّا إذا انتضيتْ بأيدينا السيوفُ

* * *

أميرُ المؤمنين سما إلينا سموَّ الليث سار من الغريفِ
فإن يمننْ فعفوَ الله نرجو وإن يقتُل فقاتلُنا شريف [1]

والدور الثامن من أدوار تحركات بني سُليم ، هو دور اضطراب أمرهم ، وهبوط مكانتهم الاجتماعية حينما اتصلوا بالقرامطة ، وآزووهم : وساروا معهم في احتلالهم لديار الشام . كان هذا الدور من أسباب متاعبهم في الداخل والخارج ، إذ أغضب عليهم حاكم مصر ، وربما أغضب غيره من الحكام آنذاك . وزاد الطينة بلّةً ، انتقالهم مع القرامطة في عودتهم الإجبارية إلى البحرين ، بعدما أُجلُوا عنوةً عن بلاد الشام ، بحد الحسام [2] . وكان بنو سُليم ذوي عدد كبير ، ربما كان يفوق عدد بني هلال [3] وقد اجتمع عليهم بنو عُقيل ، وبنو تغلب ، فأخرجوهم من البحرين بأخَرَة . وإذا أخذنا بالرأي القائل : إن العُبيديين بمصر قد رأوا استغلال طاقة

---

١ تاريخ الطبري ، ص ٣٢٢ – ٣٣٥ ، الجزء السابع ، طبع مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

٢ القبائل العربية في اقليم عصر الولاة ، للدكتور عبد المجيد عابدين ، ص ١٢٦ ، طبعة القاهرة ، سنة ١٩٦١ م .

٣ المصدر نفسه ، ص ١٢٦ .

بني سليم وبني هلال الحربية الكبيرة في مشروعاتهم السياسية ، والحربية ، فأوعَزوا إليهم بالنزوح من البحرين إلى مصر * بعد انتهاء أمر القرامطة ، وقبل اخراج بني عقيل وبني تغلب لمن تبقى منهم في البحرين — فإننا نرى في ذلك ثغرة فتحها العبيديون وإسفيناً دقوه لإضعاف شوكتهم ، وشوكة خصمهم السياسي « المعز بن باديس » في افريقية الشمالية ، معاً . وهكذا صادَ العبيديون — بضربتهم هذه البارعة المزدوجة — عصفورين بحجر واحد .. وأثبتوا براعتهم السياسية وحنكتهم ودهاءهم . ولله در المتنبي حين يقول :

الرأيُ قبل شجاعة الشجعان   هو أولٌ وهي المحل الثاني

ونلمح الدور التاسع من أدوار تطورات حياة بني سُليم في ديارهم الأولى . إذ يبدو أنهم بعد حملة التأديب البغدادية الكبرى راجعوا ، أنفسهم ، وأقلعوا فترة من الزمن ، عن أعمال السلب والنهب ، وقطع طريق الحاج المار بديارهم . ولعل ذلك كان بضغط شديد او بتوجيه حكيم من دار الخلافة ، فازدهرت بلادهم بعض الشيء ، وعمرت وأصلحت . واتسعت جوانبُ الحياة في مدنهم وأمّها الناس للتجارة والاستثمار من كل صوب ، وربما ضُربت بها السكة الذهبية وغيرها ، لوجود المعادن لديهم . وقد ظهر لنا أثر هذا العمران الطارىء من قراءتنا للحجر الأثريّ الذي جلبه من بلادهم مباركُ بن عبد التواب السلمي . حيث ورد فيه ما يومىء إلى بعض ذلك . وقد كان هذا الحجر على ما يبدو — منصوباً في طريق الحاج في داخل ديار بني سُليم [1] .

ويأتي الدور الحادي عشر لهم ممثلاً في نقلهم بصورة جماعية من الديار المصرية، إلى الديار المغربية ، هم وبني عمومتهم : بني هلال . وهي قصة مسرحية محبوكة أجاد حبك فصولها وإخراجها الوزيرُ الداهية (محمد الحسن بن

---

[1] للاطلاع على التحقيق الذي قام به المؤلف حول ذلك الحجر بعد قراءته له ، ينبغي مراجعة كتاب : « بين التاريخ والآثار » للمؤلف .

عبد الرحمن اليازوري) الفاسطيني وزير المستنصر العبيدي، المتوفي سنة (٤٥٠ هـ — ١٠٤٨ م) قتيلاً .. وخلاصة هذه القصة أن (المعز بن باديس) والي افريقية البربري ، من قبل الدولة العبيدية مال بكُلّيّته إلى أهل السنّة ، وإلى الدولة العباسية ، وخلع شعارات العبيديين فأحفظ ذلك عليه المستنصر العبيدي بمصر ، فشاور وزيره (اليازوري) في الأمر ، فأشار عليه بأن يأذن لبني سُليم وبني هلال المقيمين بمصر ، بالسفر إلى إفريقية ، وأن يكرمهم ويغدق عليهم الأموال ليقوضوا دولة المعز بن باديس في إفريقية [1] . وذلك بأن يوعز إليهم بأنه قد ولاهم شؤون إفريقية ووكلهم عليها وكالة مطلقة ، ويتصرفون فيها تصرف المُلاّك في أملاكهم [1] . وقد تفاهم الرجلان على ذلك ، وعلى كيْفيّة تنفيذ هذه الخطة البارعة وعهد المستنصر العبيديّ إلى « اليازوري » بأمر تنفيذها بحكمة وإصرار . وهكذا انطلق بنو سُليم ومن معهم من الأعراب صوب إفريقية ، يَقتُلُون ويقاتلون حتى وصلوا إلى « المعز بن باديس » فحاول استمالتهم بأن أصهر اليهم فزوج بعض بناته لبعضهم ، ولكن هذه الحيلة لم تنطل عليهم .

---

١ جاءت في ديوان ابن حيوس (٣٩٤ — ٤٧٣) ، الجزء الثاني بالصفحة ٤٩٠ إشارة شعرية واضحة إلى هذه المكيدة السياسية البارعة التي قضت على دولة المعز بن باديس في افريقية ، وذلك في قوله يخاطب اليازوري في قصيدة مدحه بها ابن جيوس :

أنخت بصنهاجة النائبات ففات زعيمهم ما أمل
فمن عصب عصبتها الحرو ب ومن ثلل قد محاها الثلل
وكان يسمى معزاً فمـــذ تحديته صار يدعى مذل

و (الثلل) الأولى — بضم الثاء — بمعنى الجماعات . و (الثلل) الثانية — بفتح الثاء — بمعنى الهلاك .

٢ في إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، لأحمد بن أبي الضياف التونسي ، ذكر لليازوري وحيلته في ترحيل بني سليم وبني هلال لمعاركة المعز بن باديس باسم المستنصر .. وفي كتاب الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى ، ان الوزير اليازوري قال للهلاليين والسلميين : (قد أعطيناكم المغرب وملك ابن باديس العبد الآبق ، فلا تفتقرون بعدها) . ص ١٤٨ ، طبع الدار البيضاء بالمغرب الأقصى .

فاستمروا في تنفيذ المخطط الذي رسم لهم حرفياً ، خاصة وإن فيه ما يتفق ورغباتهم في السيطرة والحكم. وكان أن شددوا القبضة على المعز ، وأرهقوه من أمره عسراً ، ثم أجلوه آخر الأمر عن القيروان ، سنة ٤٤٩ ﻫ ودخلوها منتصرين . وتم ذلك لهم على ما خططه اليازوري وقدّره . ثم استولوا في مدة وجيزة على ضواحي إفريقية ، ونازلوا أمصارها ، وأخذوا الإتاوة من أهلها .

ويعلل الدكتور حسن ابراهيم حسن ما عمله المستنصر مع المعز بن باديس من نكاية ، بأنه انتقام مقصود من بني زيري الذين خرجوا عليه برغم ما أسداه آباؤه لهم من مكارم ، فأطلق عليهم قبائل الرياحية والزغبية من بني هلال ... وقد أوقعوا بالمعز بن باديس في موقعة حيدران سنة ٤٤٣ ﻫ . ومعنى ذلك أن زحف العرب استغرق أربع سنوات (٤٤٠ — ٤٤٣ ﻫ) ودخلوا القيروان وخربوها وأتوا على تراثها الزاهر ، وضعف مُلكُ بني زيري بعد ذلك حتى لم يعد يجاوز أسوار مدينة المهدية ، وقد سُرَّ المستنصر لهزيمة الزيريين ، إذ استطاع أن ينتقم لنفسه منهم ، وعبر عن سروره في الرسالة التي بعث بها إلى علي بن محمد الصليحي صاحب اليمن [1] .

ويذكر ابن خلدون أن بني سُليم استولوا على برقة ، كما يذكر أن منهم بالصعيد والفيوم والبحيرة خلقاً كثيراً . وكان ذلك على ما يظهر في القرنين الثامن والتاسع الهجريين .

---

١ تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي ، للدكتور حسن إبراهيم حسن ، ص ٢٣٩ ، المجلد الرابع ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٧ م . ويفهم من عبارة الدكتور حسن إبراهيم التي هي : « فأطلق عليهم قبائل الرياحية والزغبية من بني هلال » ان الزغبية من هلال ، وليس الأمر كذلك فهم سلميون .. وينتمون إلى زغب بن مالك بن بهثة السلمي وكانوا في الحرمين فصاروا إلى افريقية . راجع كتاب البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، للمقريزي ، ص ٦٨ .

وفي هذا الدور العاشر الذي تعاظم فيه شأن بني سُليم ، كان لهم « وزن سياسي مرموق » في إفريقية ، فيذكر التاريخ أن الأمير أبا يحيى زكريا ابن الأمير أبي العباس أحمد بن اللحياني الحفصي ، بعث بعد انصرافه من الحج عام ٧١١ هـ – محمد المزدوري – بين يديه – مع أشياخ من الكعوب من بني سُليم ، فتم له الأمر ، وخُطب له يوم الجمعة ٩ جمادى الأولى ٧١١ هـ على منابر تونس ، خطبة لم يُذكر فيها سلطان معين ، ثم وصل تونس ، وبويع له بالمحمدية ، البيعة التامة ، في ثاني رجب ٧١١ هـ[1] .. فلولا مكانة الوفد السلمي الذي بعثه قبله ، ليبرم له الأمر ، ويحل له المشاكل ، ما تم له الأمر .

وفي هذا الدور العاشر نرى السلميين يأخذون مكانهم تحت الشمس في افريقية ، فقد كانت لهم استطالة على الدول هنالك ، واعتزاز بمركزهم القويّ ، فكان ملوك الحفصيين يتألفونهم بالولايات والاقطاعات ونحو ذلك ، وقد نشب خلاف بينهم وبين السلطان أبي الحسن المريني ، فوفد إليه من رجالهم : خالد بن حمزة أمير بني كعب بن سليم ، وأخوه أحمد ، وخليفة عبد الله من بني مسكين ، وابن عمه خليفة بن أبي زيد ، من أولاد القوس ، فأكرم وفادتهم ، ثم رفع إليه عبد الواحد اللحياني من أولاد الملوك الحفصيين أن بني سُليم بعثوا إليه مع بعض حاشيته ، يطلبون منه الخروج معه لينصبوه للأمر في إفريقية ، وأنه خَشِيَ على نفسه بادرة السلطان ، فتبرأ إليه من ذلك ، فغضب السلطان ، وسجن الوفد السلمي الذي كان موضع إكرامه ، قبل هذا الحادث ، ثم إن بني سُليم تآمروا وتعاهدوا على قتال السلطان ، فتوافت أحياؤهم من بني كعب ، وبني حكيم ، بتوزر ، من بلاد الجريد ، وتبايعوا على

---

١ الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، لابن منقذ القسنطيني ، تقديم وتحقيق الشيخين : محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي من الجامعة التونسية ، ص ١٥٩ ، ط تونس .

الموت ، وولّوا الأمر ، رجلاً من بني عبد المؤمن ، اسمه أحمد بن عثمان بن أبي دبوس ، وأقاموا له رسم السلطان ، وهاجمهم السلطان في عام ٧٤٨ هـ . وبعد مصاولات بينهم انهزم السلطان أمامهم ، هزيمة شنعاء .. وبادر إلى القيروان ، وكانت الهزيمة يوم الاثنين ، سابع المحرم ٧٤٩ هـ وحاصروه ، ثم جنحوا لمسالمته ، والمفاوضة معه ، فأطلق سراح المسجونين السلميين الذين كانوا في سجنه ، ثم هادنوه وأطاعوه آخر الأمر . ثم عقد الصهر مع أحدهم : عمر بن حمزة السلمي ، فزوج ابنة عمر ، بابنه أبي الفضل [1] .

ونصل إلى الدور الحادي عشر من أدوار انطلاقات بني سُليم .. وكانوا في هذه المرة بليبيا .. فيذكر لنا الأمير شكيب أرسلان : أن أكثر عرب برقة والجبل الأخضر ، من بني سليم بن منصور ، وهم الذين ابتلاهم الله بالطليان في هذا العصر ، ولم يزالوا يجاهدون عن دينهم ووطنهم منذ عشرين سنة [2] .

---

١ الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، لأحمد بن خالد الناصري ، ص ١٥٨ — ١٦٢ ، الجزء الثالث ، طبع المغرب الأقصى .

٢ الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف ، للأمير شكيب أرسلان ، ص ٢٧٤ ، طبع مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٥٠ هـ . وجاء في الارتسامات اللطاف أيضاً أن (مشايخ) الأحامدة الذين هم مشايخ حرب في الحجاز يقال انهم من بني سليم ، وان جدهم العباس بن مرداس السلمي (ص ٢٧٤) .

قصصٌ من ماضي بني سُليم

هذه قصص واقعية أخذناهـا من مصادر التاريخ العربي ، بعضها كان في الجاهلية ، وبعضها كان في الإسـلام . ومن طبيعة القصص ، — وخاصة الواقعية منها — الشفوفُ والكشف عن طبائع أبطالها ، وإبراز خصائصهم ، وأهدافهم في الحياة ..

وقد اخترنا من بين مجموعة قصص بني سُليم المتّسمة بطابع الواقعية ، هذه القصص السبع التي حدث أولها في أواخر عهد بني سُليم بالجاهلية ، وحدث أخيرها في ضحى الإسلام وربما في أوائل القرن الهجري الرابع .

القصة الأولى

تنافس في الجاهليـة ، العباسُ بن مرداس ، وخُفَافُ بن عمير ، السلميان . وكانا من رجـالات بني سُليم ، المعدودين فيهـم . ثم تهاجيا بالشعر ، ثم تقاتلا ، وجرّا قبيلة بني سُليم إلى « حرب أهلية ضروس » .. ثم دخل بعض رؤساء بني سُليم من ذوي الرأي والحكمة فيما شجر بين الجانبين ، بغية التوصل إلى فض النزاع الدامي ، وكف إراقة الدماء المهدورة في القبيلة ، وإعادة المياه إلى مجاريها بين المتنافسين

البطلين الشاعرين .. وقد أدرك الندمُ العباسَ بن مرداس على مــا فرط منه ، فأظهر أسفه ، وأماط اللثام عن أمنيته أن لم يكن شيء مما حدث .. ولكن خصمه ُخفافاً كان على العكس من ذلك . كان نقيضه تمامــاً في رأيه المستبصر المتراجع . وكان « ُخفاف » عكس اسمه تماماً في هــذه القضية .. كان « ثقيلاً » بمعنى الكلمة على منافسه وخصمه (عباس) .. في الوقت الذي كان (عباس) عكس اسمه أيضاً في هذا الشأن ، حيث كان (بَسَّاماً) يود أن تندمل الجروح ، فــلا تُنْكأ ، وأن يُسوَّى الخلاف ، فــلا يُثار .. وأن تحل « البسمات) محــل « العبسات » ، و « السلام والوئام » محل « الخصام والحسام » . وقد تمادى « خفاف » في ثقل عداوته لعباس ، وردّ على « عباس » رداً شعريـّـاً قاسياً أليماً . وربما كان سبب ذلك (مركب النقص) الذي تحرك في نفسه ، بسبب لونه وخؤولته . وجاء الاسلام فدخل الرجلان في حماه ، فتركا كل مــا كانا فيه ، وصارا من جنده وأبطاله وبذلك انحسم الداء وأســدل الستار على شحنائهما .. بعد أن لم تُجدِ الوساطات القويــة في جمع شملهمـا ، والتأليف بين قلوبهما .. والاســلام هو طريق الاصلاح الشامــل لذات النفوس وذات البين .

القصة الثانية

حينما شق على معاوية بن أبي سفيان ، سقوط مقادم فمه ، وكان عنده يزيد بن معن السُّلمي قال له يزيد مسلياً له : « والله ما بلغ أحد سنك إلا كره بعضه بعضاً .. ففوك أهونُ علينا من سمعك وبصرك » .. فطابت نفس معاوية بهــذه الحكمة العفوية تخرج من فم هــذا السلمي الصديق الجريىء المنطيق ..

القصة الثالثة

هاجت الفتنة شعواء ، سنة ٧٥ ه في دمشق عاصمة الخلافة الأموية ، فيما بين المضَرية واليمانية . وكان سببها أن اليمانية قتلوا قيسيّاً ، فاجتمع القيسيون لأخذ الثأر ، واستنجدوا بقضاعة وسُلَيم .. وسُليم قيسية ، فلم تُنجدهم سُليم ، وإنما أنجدتهم قضاعة اليمانية ، لقد اعتصمت سُليم هذه المرة ، بالحكمة وعدم الانحياز ، وتجنبت الوقوع في كوارث هي في غنى عن خوض غمارها . وكان أن امتدت هـذه الفتنة حتى سنة ٨٠ ه ثم استطالت واستغلظت في عهـد الخليفة العباسي هارون الرشيد .. فندب جعفر بن يحيى البرمكي إلى الشام ، لإطفاء هذا اللهب المستشري ففعل ، وعاد إلى بغداد [١] .

القصة الرابعة

قصد الشاعر ثابتٌ الرقي أحد بني أسد ، يزيد بن أسيد السلمي ، في ديات وجبت على ربيعة وقومه ، فلم يعد منه بطائل ، ومن ثم رحـل إلى سميه : « يزيد بن حاتم المهلبي » وهو بالقيروان بإفريقية ، فأعطاه عشر ديات ، ووصله ، وأحسن اليه إحساناً عظيماً ، فأنشأ قصيدته التي مطلعها :

ألا طرقتنا بالدّوى أمُّ عاصم وقد زارنا فيها خيال مجاشم

وفيها يقول — مفضلاً يزيد بن حاتم المهلبي ، على سميه : يزيـد ابن أسيد السلمي :

حلفتُ يميناً غيرَ ذي مثنويّةٍ يمين امرىء آلى وليس بآثم

١ تاريخ ابن خلدون ، ص ٤٦٤ – ٤٦٧ ، المجلد الثالث ، طبع بيروت .

لشتان ما بين اليزيدين في الندى : يزيد سليم والأغرّ بن حاتم
فهمّ الفتى الأزديّ إتلافُ ماله وهمّ الفتى القيسيّ جمعُ الدراهم
فلا يحسبِ التمتامُ أني هجوته ولكنني فضّلْتُ أهل المكارم[1]

وسارت قصيدة ثابت الرقيّ ، في شتى الآفاق ، وتداولتها الألسنة ، حتى صارت كالمثل السيار على الأفواه قديماً وحديثاً .

وقد اتفق أن نخّاساً ، عرَض جاريتين على الأمير أحمد بن يزيدَ السلمي — ابنِ الذي قيلت فيه الأبيات المارةُ — ، فقال احمد بن يزيد السلمي للنخّاس : أيها أحسن : هذه ، أو هذه ؟ فما كان من النخاس إلا أن أجابه — لسوء حظه — بقوله : بينهما — أعز الله الأمير — ما قال الشاعر :

لشتّان ما بين اليزيدين في الندى : يزيد سُلَيْمٍ والأغرّ بن حاتم

فقال الأمير أحمد بن يزيد السلمي : « خذوا بيد ابن الفاعلة » .. لقد اغتم بما سمع ، واغتم أكثر بسيرورة الشعر في مختلف الأوساط حتى تمثل به هذا « النخاس » أمامه ولم يكن يدري فيمن قيل ولا فيما قيل ، ولا درى أن الأمير أحمد بن يزيد هو ابن الذي قيل في هجائه ذلك الشعر .

وبلغ هذا الشعرُ ، أبا الشمقمق ، فقال يمدح يزيد بن مزيد الشيباني :

لشتان ما بين اليزيدين في الندى إذا عُدّ في الناس المكارمُ والمجدُ :
يزيدُ بني شيبان أكرم منهما وإن غضبت قيس بن عيلانَ والأزْدُ[2]

ومن الجدير بالذكر في هذه القصة أن ولاية يزيد بن حاتم لإفريقية

---

١ تاريخ افريقية والمغرب ، لابن الرقيق ، ص ١٥٢ — ١٥٣ ، طبع تونس .
٢ المصدر السابق ، ص ١٥٤ .

كانت من قبل جعفر المنصور العباسي ، في أواسط القرن الثاني الهجري، وكانت وفاته بسنة ١٧٠ ﻫ في خلافة هارون الرشيد .

وحكاية رمي الشاعر ثابت الرقّي، يزيد بن أسيد السلمي بالشّحّ البالغ ربما تعتبر في نظر الواقع من منسوجات خيـــال الشعراء ، المنبثقة من عواطفهم وانفعالاتهم وتأثراتهم .. فهم اذا رضوا أطنبوا في المدح وبالغوا فيه .. كما فعل ثابت مع ممدوحه يزيد بن حـــاتم ، واذا غضبوا أو لم تُسْتَجَبْ مطالبهُم أعلنوا سخطهم وبالغوا في هجائهم ، وحاولوا أن يكسوا شعرهم في ذلك ما يجعله سَيّاراً بين مختلف الأوساط ، زيادة في النكاية بمن حرمهم من عطائه .. ومبالغة في تقدير من أكرمهم باعطائهم .

القصة الخامسة

ارتحل القاضي أبو بكر بن العربـي المعافري الإشبيلي المولد ، من المهدية قاصداً السواحل المصرية ، وهاج البحر الأبيض المتوسط عليهم وهم في السفينة ، وقد غرقوا فيه ، فأخرجهم الله منه خروج الميت من القبر ، وانتهوا بعد خطب طويل إلى بيوت بني كعب بن سُليم ، وهم في مسغبة وعطب وعُرْي ، إذ قد قذف البحرِ زقاقَ زيت مزقت الحجارة جلدها ، فاحتزموا الجلود بعد النجاة من الغرق ، واشتملوها ، فعطف عليهم أمير سليم . فآواهم وأكرم مثواهم ، وأطعمهم وكساهم ، وكانت عنايته بهم ناتجة عن معرفتهم بمعرفة القاضي أبـي بكر بن العربـي منذ صباه للعبة الشطرنج التي يتعشقونها ، إذ ذاك .. فقد حضر اليهم ابن العربـي ، وهم يلعبون الشطرنج ، وعلى رأسهم أميرهم ، فكشف لهم عن مهارته فيه ، فأعجبوا بـــه ، وحدث أن حرك أمامهم بعضَ حجـــارة الشطرنج ، مُساعَدةً للأمير ، حتى غلبهم . وفي أثناء تلك التحريكات ترنم ابن عم الأمير منشداً قول أبـي الطيب المتنبي :

وأحلى الهوى ما شكَّ في الوَصْلِ ربُّه
وفي الهجرِ فهو الدهرَ يرجو ويتّقي

فقال : لعن الله أبا الطيب ، أوَيَشُكُّ الرَّبُّ ؟ وهنا لم يستطع القاضي أبو بكر أن يسكت ، فبادره قائلاً : إنه لم يفهم مقصد الشاعر.. فالمتنبي إنما أراد بالرب هنا : (صاحبَ الهوَى) لا (المَوْلى) جل وعلا .. وغرَضُ المتنبي أن أحلى الهوى ما يَشُكُّ المُحِبُّ فيه في وصال محبوبه له ، فهو طيلةَ عمره بين حالتي رجاء الوصال ، وخوف الهجران .. كما قال :

إذا لم يكن في الحب سُخْطٌ ولا رِضىً
فأيْنَ حَلاَوَاتُ الرَّسَائِلِ والكُتُبِ ؟

وعندما أدرك القوم أن ضيفهم عالم كبير من علماء المسلمين ، وأديب كبير من ادباء العرب ، وحدثهم بأن أباه معه ، استدعوا أباه ، وأكرم السلميون مثواهما ، وخلع عليه الأمير خِلَعَهُ ، وجاد لهم بجفان الطعام . ومن ثم ساروا حتى انتهوا الى مصر [1] .

وترَنَّمُ ابن عم الأمير – أمير بني كعب السلميين ، ببيت أبي الطيب المتنبي ، وإن أخطأ فهم مراده كل الخطأ ففيه دليل ضمنيٌّ على بقاء صلة هؤلاء الأعراب المنعزلين ، بالفصاحة ، وتعلقهم بالشعر العربي وحفظهم لدُرره وغُرره . وربما يعود عدم فهمه للمقصود من كلمة (الرَّبّ) في بيت المتنبي ، الى الجهل الذي كان يسودهم حينئذ .. لانعزالهم في مضاربهم النائية في برية قفراء بساحل البحر الأبيض المتوسط ولربما لم يكن لديهم معلمون مُثَقَّفونَ ، يدلونهم على مقاصد الشعراء

---

١ ترجمة القاضي أبي بكر بن العربي ، لمحب الدين الخطيب ، في مقدمته لكتاب « العواصم من القواصم » ، ص ١١ و ١٢ ، نشر الدار السعودية للنشر بجدة .

الذين يحفظون الكثير من أشعارهم .. والمسألة موكولة الى الفهم السليقي.. وللسليقة حدود ، إذا تجاوزتها ارتطمت بصخور الغلط والزلل والالتواء عن النهج القويم ، وانهماكُهُمْ في لعبة الشطرنج يدلنا على وجود (فراغ) في أوقاتهم .. كما يدلنا على تفضيلهم لهذه اللعبة التي تمثل ميادين الحروب والمعارك التي يهفون إليها منذ نزلوا أو أُنزلوا في افريقية.

هذا وقد أفادنا ابن خلدون بأن السُّلميين الذين نزل عليهم القاضي أبو بكر بن العربي هم من بني كعب بن عوف بن بهثة بن سليم بن منصور . وكانوا عند إجازتهم الى افريقية على أثر الهلاليين – مقيمين ببرقة . وقد أكرمه شيخهم كما ذكر ابن العربي في رحلته [1] .

القصة السادسة

حينما ضاقت الأمور بابراهيم بن عبد الله الحسني ، واشتد الطلب عليه من العباسيين دخل البصرة ، في عام ١٤٥ هـ وهي سنة مقتله بعد ظهور أخيه محمد في المدينة . وقد استقبله يحي بن زياد بن حيان النبطي وأنزله بداره في بني ليث ، فدعا الناس الى بيعة أخيه محمد بالخلافة ، وقد حوله الدعاة له في البصرة ، إلى وسطها .. فنزل دار أبي مروان مولى بني سليم في مقبرة بني يشكر ، ليكون على مقربة من الناس ، وولاه سفيان بن معاوية أمير البصرة ، على أمره ، وكتب اليه أخوه محمد ، يأمره بالظهور .

وهكذا جعل أبو مروان السلمي بالولاء ، من داره بالبصرة ، ملجأً سياسياً لهذا الزعيم الهاشمي الذي لم يقدر له إصابة مرماه ، المتمثل في تولية

١ تاريخ ابن خلدون ، ص ١٤٤ ، الجزء السادس ، طبع دار الكتاب اللبناني في بيروت .

أخيه (محمد) الخلافة .. لأن الظروف لم تكن مواتية ، ولأنّ الخليفة العباسيّ كان يقظاً وحازماً ، ولم يكن غافلاً عن الأحداث ولا نائماً .

القصة السابعة

ظهر الْقُرْظُ ، في نواحي البحرين وعُمَان . سار إليها من الكوفة سنة ٢٧٩ هـ . في أيام المعتضد العباسيّ وانتسب الْقُرْظُ في دعوى كاذبة الى بني اسماعيل بن الامام جعفر الصادق ، وكان من أصحاب القرظ : الحسن الجمالي ، وزكرونة القاشاني ، وقاموا بعده بالدعوة الى عبد الله المهديّ ، وتغلبوا على البصرة والكوفة ثم انقطعوا عنها الى البحرين وعُمَان . وقامت لهم هناك دولة تغلب عليها — في المائة الرابعة للهجرة — بنو سليم وبنو عقيل ، الذين كانوا مستوطنين في البحرين بكثرة يومئذ [1] .

---

١ تاريخ ابن خلدون ، ص ٥٩٦ ، المجلد الثالث ، طبع بيروت .

ابن خلدون وبنو سُليم

عبد الرحمن بن خلدون ، أحد مفاخر الحضارة العربية الإسلامية . وهو مستنبط « علم الاجتماع » وأبو بجدته .. وقد ضمَّن مقدمته الفذة لتاريخه الكبير ، هذا العلم ، نتيجة دراساته وتجاربه . ولكنه مـع ذلك بشر من هذا البشر ، له عواطفه ورغباته ، ويضطرب فكره وضميره فيما يضطرب فيه سائر البشر ، من حب وبغض ، وتقدير وتكدير ، ويخطىء ويصيب . ومن هذه الناحية البشرية العامة يصح أن يوجـه اليه ما يوجه إلى كل البشر — ما عدا الأنبياء — من النقد والتخطئة وتزييف الرأي وتحليل العاطفة .. ومن هذه الناحية نوجه اليه ما سيأتي في هـــذا الفصل من النقد البنَّاء حيال مواقفه في تاريخه الكبير المسمى : (العبر) وفي مقدمته الفذة ، حيال العرب وحضارتهم . وقديماً قال شاعرنا العربي الحكيم يسجل لنا مواطن الضعف التي لا بد أن تكون كامنة في تلافيف سجايا البشر ، حتى ولو كانوا عباقرة أو أعلاماً أو عظاماً :

ومن ذا الذي تُرضى سجاياه كلها كفى المرء نُبلاً أن تُعدَّ معايبُه

يقول علماء النفس من العرب : العرق دساس .. أفترى « ابن خلدون » الذي ينتمي إلى « حضرموت من عرب اليمن — اليمانية » وإلى وائل بن

حجر من أقيال العرب ، القحطاني الأرومة »[1] أفترى هذا العرق قد أثر في العقل الباطن لابن خلدون ، فأوجد في نفسه (عقدة) سلبية عميقة الجذور ، على عرب بني سُليم وبني هلال ، الذين هم من أرومة قيسية وعدنانية .. فقد ظلت رحى الحروب الداخلية ، دائرة ، أمداً مديداً من الزمن بين النزارية والقحطانية في الإسلام . وكان منها بادىء ذي بدء ، حرب كلامية عارمة ، أدت إلى قيام حرب أو حروب حُسامية ضارية .

ولربما كانت هذه النظرية التحليلية لآراء ابن خلدون في بني سُليم وبني هلال خاصة وفي العرب عامة هي مصدر تلك الآراء المضطربة لهذا الرجل العظيم في عقله وحنكته السياسية وفي علمه .. وفكره .. ولم يسبق لي أن رأيت من طرق هذا الجانب بهذه الصراحة ، ولا بهذا الوضوح .

وآراء ابن خلدون في عرب المغرب خاصة وفي العرب عامة ، هي آراء سلبية أو مضطربة .. يقول فيها فيما يتعلق بعرب بني سُليم وعرب بني هلال بالمغرب : إنهم ما كانوا إلا مصدر عيث وفساد لحضارة المغرب الممثلة في ملوكه من البربر . ويتجاوز هذه النظرية الخاصة كعالم اجتماعي يقيس العام على الخاص فيصدر حكمه بأن العرب بدون استثناء إذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب . وقد عقد فصلاً مستقلاً لدعم هذه النظرية ، في مقدمته الرائعة ، ولكن — والحق يقال — إن الصواب جانبه في تقرير هذه القاعدة ، كما ستراه واضحاً مبرهناً عليه في غضون هذا الفصل ومنقوضاً من كلامه وآرائه بذاته .

وربما كان ابن خلدون كما يتراآى لنا ، موفقاً في بعض ما أصدره من قرارات ونظريات مبنية على تجاربه الخاصة في إفريقية الشمالية فقط ،

---

١ التعريف بابن خلدون ، لابن خلدون ، ص ١ و ٢ ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر .

لأنه خبير بأحوالهـا الاجتماعية ، دارس لشؤونهـا الإدارية والفكرية والاقتصادية ، والدينية ، والسياسية ، وهو في تجاربه مع بني سليم وبني هلال يرى أنهم لا ينصاعون لسياسة دول إفريقية الشمالية ، وقد رآهم يلتزمون المقام في خيامهم .. وكل حاجتهم الى الحجارة - هـو نصب أثافي القدور عليها ، ولذلك لا غرو أن يقوموا بتقويض المبـاني القائمة وتخريبها ، كما أنّ كل حاجتهم للخشب منحصرة في إقامة الأعمدة لخيامهم منه ، وتشذيب الأوتاد لها ، ولذلك تراهم يخربون سقوف الدور ، لأن طبيعتهم منافية للبناء الذي هو أصل العمران .

ومن طبائعهم – كما يرى ابن خلدون ويقرر – نهبُ مـا في أيدي الناس ، فكلما امتدت أعينهم إلى مال أو متاع أو ماعون انتهبوه . فاذا تم اقتدارهم على ذلك بالتغلب والملك بطلت السياسة في حفظ أموال الناس، وخَرِبَ العمرانُ .

وحينما استوت له هذه التجربة في أبعادها وكما يراها هو، (عمم) هذه النظرية – كباحث اجتماعي مؤسس لقواعد علم الاجتماع عممها على العرب جميعاً بدون استثناء .. لقد خاط من الجزئيات قباءاً شاملاً للكليات .

وقد نسي ابن خلدون أو تناسى ، أن بني سُليم وبني هـلال ، هم قوم طارئون على بلاد المغرب ، طرأوا فيها في وقت كان سوس الفساد ينخر دولهم ، وعصـا التفرقة والتحاسد والتباغض والتنافس تبدد شمل مجتمعاتهم ودولهم .. وقد دخلوا أرض المغرب لمهمة سياسية معينة فرضتها عليهم السلطة ونقلتهم الى المغرب من مصر لأجلها خاصة .. وهي دق الاسفينات بين تلك الدول . وطارئون مثلهم كثار ، ذوو عـُدَد وأنفة ما كانوا ليرضوا بالدُّون ، وما كانوا ليقبلوا إلا أن يكونوا رؤساء ، لا مرؤوسين، ومطاعين لا مطيعين، وسادة لا مسودين . ودول المغرب من جانبها ما كانت تقبل بسيادة الطُّرَّاءِ ، فهي تقاومهم بكل ما يملكون،

من ألوان المقاومة ولا تدع لهم منفذاً أو متسرباً لأقامة كيان أو لراحة من متاعب .. لقد غرسوا كل ما أمكنهم من الشوك في طريقهم ، وقاموا هم من جانبهم باكتساح كل من يتعرض لهم أو من يشتمُّون منه رائحة التعرض . ثم هم مأمورون لانتهاج خطة معينة لتغيير معالم وأوضاع دول افريقية الشمالية المتناحرة ليصفو الجو او ليزيد تلبده ، فاذا صفا الجو أو زاد تلبده بعد قيامهم بمهمتهم الأساسية كان الربح في كلتا الحالتين لدولة العبيديين أولاً ، ولهم ثانياً . وهم قوم صارمون وعارمون ، وقد أدرك المعز سجاياهم وخصائصهم وشدة مراسهم ، وتصميمهم على تنفيذ خطط من بعثهم من المشرق الى المغرب ، فحاول مهادنتهم وتقدم لمصاهرتهم .. ولا بد أن هذا كان له بعض الأثر في أنفسهم ، لولا عوامل أخرى خفية نفترض وجودها كما يفترض رجل العصر الحاضر وجود الحيوان الجرثومي وهو لا يراه بالعين المجردة .. لأن العلم اثبته ولأنه يُرَى بالمجاهر المكبرة .. في المختبرات العلمية . فلولا تلك الأمور الخفية — على ما نرى = لبردت حديدتهم إزاء المعز بن باديس والى إفريقية الشمالية ، ومن وراءه ومن جاء بعده .. ولكن هذه الأمور الخفية ضاعفت من حماستهم ، وقوت من عزائمهم ، ودفعت بهم دفعاً الى خوض المعارك في كل اتجاه .. حتى اذا استتب الأمر على النحو الذي فصله المؤرخون رأينا من بني سليم وبني هلال — بعد تلك الأعاصير المذهلة — جماعات من الزراع والصناع والعلماء .. ساهموا مع إخوانهم المواطنين المغاربة في الحياة وفي المرافق الخاصة والعامة .. ولا يمنع هذا من وجود فئات منهم ظلوا على ما كان عليه أسلافهم من النهب والسلب والاعتداء .. فلكل عام خاص ..

وعجيب أن يستدل ابن خلدون على عدم صلاح الأمة العربية للعمران ، بظلم الحجاج بن يوسف الثقفي .. فالحجاج بن يوسف — كما وصفه التاريخ العربي وكما وصمه العرب المعاصرون له ومن جاءوا بعدهم — هو ذو طبيعة متعطشة للدماء ومغرمة بالعسف ، عنده مركب نقص كبير ..

هــو (ظالم) والظلم كما هو معلوم مقوض للعمران ، ومرهق للانسان فقياس الكليات بالشواذ ، ووضع الشّواذّ معايير للكليات .. فيئهما مُنْزَلَقُ رأي ابن خلدون ، ونقطة اختلال موازين قاعدته .. فأين الحجاج مثلاً من عمر بن الخطاب منشىء مدينتي البصرة والكوفة ؟ وأين هــو من أبي جعفر المنصور منشىء مدينة بغداد التي لا تزال قائمــة الى اليوم ؟.. وأين هــو من عبد الرحمن الناصر منشىء مدينة الزهراء في الأندلس ؟ وأين هو من غيْره من حكام العرب وملوكهم العادلين بُنَاةِ المــدائن ومؤثلي الحضارة ؟ والحجَّاجُ على ما فيه من شذوذ مقوض ومجحف فقد أسهم في تأثيل العمران ، ببنائه مدينة واسط في العراق . وهذا نفسه ينقض رأي ابن خلدون حتى في الحجــاج نفسه . ولا نرتاب في أن « العقد النفسية » المركبة المتفاعلة لدى ابن خلدون هي التي جعلته يركب هذا المركب فتخرج به راحلته عن الجادة .. ويسلك بُنيات الطريق . يقول :

« وانظر الى ما ملكوه — يعني العرب — وتغلبوا عليه من الأوطان ، من لدن الخليقة كيف تقوض عُمرانه ، وأقفر ساكنه ، وبدلت الأرض فيه غير الأرض ، فاليمن قرارهم خراب ، الا قليلا من الأمصار . وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان للفرس أجمع . والشام لهــذا العهد كذلك . وإفريقية والمغرب — وهذان هما أساس نظريته السلبية تجاه بني سليم وبني هلال والعرب جميعاً ، وأساس العقدة لديه — لما جاز اليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول المائة الخامسة ، وتمرسوا بها لثلاثمائة وخمسين من السنين ، قد لحق بها ، وعادت بسائطه خراباً كلها ، بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومي — البحر الأبيض المتوسط — كله عُمْراناً ، تشهد بذلك آثار العُمران فيه من المعالم ، وتماثيل البناء ، وشواهــد القرى والمدر » [1] .

ووقائع التاريخ والعمران العربي تهدم هذه النظرية ، وان شئت فاقْرأ

[1] مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٦٥ ، طبع بيروت ، ١٩٦١ م .

ما حواه مثلاً كتاب « حضارة العرب » لغوستاف لوبون ، وغيره من الكتب المعتبرة التي تصف لنا العمران العربي في هـذه الأرض كنخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، وكمعجم البلدان لياقوت الحموي ، وغيرها وغيرها .. وأخيراً كتاب « شمس العرب تسطع على الغرب » للمستشرقة الألمانية زيغريد هونكه .

ومع وَضْعنا في حسابنا مـا حدث للمغرب من قلاقل واضطرابات وتدهور منـذ القرن الخامس الهجري ، فإنه يجب أن نضع في حسابنا أيضاً – للإنصاف والعدل – أنه ليس كل ما اعترى المغرب العربي من ذلك ، من صنع أيدي عرب بني سُليم وبني هلال .. وليس كل مـا اعترى بلاد المشرق أيضاً من صنع ظُلاّم حكام العرب ولا من عيث أعرابهم ، ولا من انتقاض بعضهم على بعض .. يجب – في هذا الموقف – أن نضع في حسابنا أيضاً – تلك الغارات الخارجية المتواترة كالفيضانات أو كالسيول الجارفة على المشرق ، من التتر والإفرنج .. كما أن للافرنج يداً في خراب ديار المغرب بغزواتهم البحرية الاستعمارية له . فبغداد حاضرة العالم المتمدين في عهد عظمتها الباهرة قد دمرتها معاول التتر قبل عصر ابن خلدون ، وأغرقوا تراثها العلمي العظيم في نهر دجلة . وهم قـد أغاروا كذلك على الشام ومصر ، وعاثوا في الأرض فساداً ، وجـاء بعدهم الصليبيون الحاقدون على حضارة الاسلام فزادوا الدمار والخراب ، دماراً وخراباً . وابن خلدون العالم الاجتماعي الواسع النظر لا تخفى عليه هذه الحقائق فكان من الملائم لقواعد العالم الاجتماعي الذي عكف على استنباطه أن يضع كل هذا في ميزان حسابه قبل أن يصدر حكمه الصارم على العرب بأنهم أمة غير قابلة ولا مستعدة للعمران ..

ويمعن ابن خلدون في ركوب بُنيات الطريق فنراه يعقد فصلاً خاصاً ، في مقدمته ، في : « أن العرب أبعد الأمم عن سياسة الملك » . ويُعلِّل

هذه النظرية التي قدم بها هذا الفصل بأن ذلك لأنهم أكثر بداوة من سائر الأمم [1] ويزيد الطينة بلة حيث نراه يستشهد على صحة نظريته هذه بقول رستم قائد جيوش الفرس إذ رآى المسلمين يجتمعون للصلاة : (أكل عمر كبدي ، يُعلم الكلاب الآداب) [2] .. ورستم عدو مبين للاسلام ، موتور ، أكل الحقد قلبه على المسلمين . والإسلام — لو يعلم رستم — خيرٌ شامل له وللعالم أجمعه . وكلمته المذكورة هي « نفثة مصدور » .. فما كان ينبغي لمن كان في مثل علم ابن خلدون وحصافته الاجتماعية والفكرية ومركزه الديني أن يتخذها مستنداً له في تقرير قاعدة اجتماعية حيوية تشمل العرب والمسلمين . ونعود إلى قوله السالف ذكره : إن السبب الذي جعل العرب أبعد الناس عن سياسة الملك هو تغلغلهم في البداوة ، فنرى أنها كلمة خرجت من فكر ابن خلدون عفويّاً وبدون تمحيص ولا تأمل ولا استقراء ، لحالة العرب الذين يتحدث عنهم وينتقدهم اجتماعيّاً وحضاريّاً . وليت شعري أية أمة متحضرة لم تمر قبل تحضرها على دور البداوة ؟ هؤلاء الأوربيون المتحضرون اليوم مرت بهم فترات بداوة غارقة إلى أذنيها في وحل البداوة وبأكثر من العرب ، وقد وصف أواخرها أو أواسطها لنا المؤرخون من العرب والمسلمين الذين شاهدوا ديارهم واختلطوا بهم في ديارهم إبان الفتوحات الاسلامية . ومن يقرأ مثلاً (رحلة ابن فضلان) رئيس البعثة العلمية التي أرسلها المقتدر العباسي إلى بلاد الروس — روسيا — قبل ألف عام ، يَرَ العجائب المدهشة والمذهلة ، في غرق الروس في حمأة البداوة والهمجية والجهل والتخريف المطبق بأكثر بكثير من بداوة العرب .

والعرب في جاهليتهم ، بله اسلامهم ، لم يكونوا كلهم بادية .. كان

---

١ مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٦٧ .

٢ نفس المصدر ، ص ٢٦٨ .

منهم دول كبرى منظمة تنظيماً حضاريّـاً راقياً بلغ ذروة الحضارة الانسانية في الجنوب والشمال ، وفي الشرق والغرب من ديارهم . والذين نشروا أعلام الاسلام منهم في المعمورة كان أولو الأمر فيهم وزعماؤهم وقادتهم وغالبية جيوشهم من أهل المدينتين العربيتين العريقتين : مكة والمدينة .. فقـد كان هؤلاء الحاضرة هم ضِئْضِىء الإسلام ، وقد أسلم بعدهم وبجهادهم تحت راية الرسول صلى الله عليه وسلم ، من أسلم من البادية والحاضرة معاً . وكما أسلفنا فإنه كانت للعرب قبل الإسلام وقبل تَحَضُّرِ كثير من الأوربيين ممالكُ ومدائن حضرية في غاية التحضر والمدنية في الشمال والجنوب ، وفي الشرق والغرب .. في البحرين ، وفي اليمن ، وفي نجد . وحضاراتهم - كما ثبت أخيراً عن طريق البحوث الأثرية - هي من أقدم الحضارات .. ويكفي العرب فخراً أن يكونوا حامـلي ألوية الحضارة الاسلامية الغلابة إلى ارجاء العالم .. وقد جرت محاولات عديدة عبر الأجيال ، ولا تزال ، من أجل القضاء على هذا النور الساطع الفياض ، من مختلف أجناس الناس ومذاهبهم ومبادئهم ، فباءت جهودهم الحربية والعلميـة والسياسية بالإخفاق الذريع . فالاسلام ذو حيوية وطاقة جبارة ، فلا يكاد يختفي بعضه في بقعة من الأرض حتى يسطع متوهجاً في بقاع أخرى ، وهكذا دواليك . إن الاسلام شُعلة وضاءة من الخالق العظيم أهداها للبشرية لتنجو من متاهات الظلم والظلام ، فهو لن ينطفىء نوره أبداً .. بإذن الواحد الأحد : (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) .. وصدق الله العظيم .

ورستم مفترٍ مائق ، فما عَلَّمَ عمرُ العربَ الآداب ، والعرب من أكرم عناصر البشر ، إن الذي علم عمر نفسه الآداب هو محمد رسول الله إلى الناس كافة . ومحمد علمه رب الأرباب كل الآداب ، فعلمها لعمر ولغير عمر من صحابته الكرام ، وللناس كافة من بعدهم إلى يوم الناس هذا وإلى يوم الدين .

وعمر جندي من جنود الاسلام البررة الخيرة . وهو جندي باسل ، ومغوار حرب ، وزعيم إدارة ومُخْتَطٌ حُكْمٍ وسياسة في حرب وفي سلم .. وكل ما قام به من ذلك وغيره هو مُسْتَمَدٌ من « تعليم » رسول رب العالمين إلى العالمين .

وما كان ينبغي لابن خلدون أن يأخذ قول عدو للعرب مهزوم مأزوم ، في ساعات كربه ومحنته وهزيمته ، حجةً مسلمة على قومه العرب والمسلمين . فالخصم في ساعات هزيمته ، وفي لحظات كربته يتقول على خصمه الهازم له كل ما لا يَصْدُقُ ولا يُصَدَّقُ : تنفيساً من صدره الضيق مما يجثم عليه من أثقال الكبت والحقد والبغضاء والحرمان .

ومن عَجَبٍ أن نرى ابن خلدون بعدما اندفع بجرة قلم في تيه سلب العرب كل مقوماتهم من الحضارة والعمران – إلى آخر الشوط ، يعود رأساً على عقب ، فيقرر عكس ما سبق أن قرره تماماً .. إذ يقول ما نصه عن حضارة العرب أنفسهم : (وما كان في القديم لأحد من الأمم في الخليقة ما كان لأجيالهم – أجيال العرب – من المُلْكِ . ودُوَلُ عاد وثمود والعمالقة وحمير والتبابعة – شاهدة بذلك ، ثم دولة مُضَر في الاسلام : بني أمية وبني العباس) . وهكذا تورط ابن خلدون في نفيٍ باتٍّ جازم لأمر معين وفي إثبات له بذاته إثباتاً جازماً قاطعاً .

إني لتعروني الدهشة من تناقض آراء « مؤسس علم الاجتماع » ، إنه في نظويته هذه الخاصة « متهافت » كل التهافت .. فقد قضى أولاً بحرمان العرب كل العرب من مقومات الملك والحضارة ورماهم بكل شنعاء في تخريب العمران الذي يجدونه قبلهم وفي تقويض دعائمه حتى تعود الأرض المعمورة من قبلهم خراباً يباباً موحشاً ومقفراً ، ثم هو نفسه يعود كلية عن هذه النظرية – بدون أن يشير اليها – فيقضي ثانية بنقيض قضائه الأول تماماً ، ويقرر أنه ما كان لأحد من البشر ما كان لأجيال العرب من الملك كَدُوَلِ عاد وثمود والعمالقة وحمير والتبابعة قبل الاسلام ،

وكَمُضَر بشقيها : الأموي والعباسي في الاسلام . فهذا نقض تام شامل لما سبق أن قرره .

والله تعالى يعلم حيث يجعل رسالتهُ . ولولا علمه بأن العرب أهل لحمل هذه الرسالة المقدسة الشاملة للبشر كافة ما حمّلها الرسول العربي الكريم ، وما تحمل أعباء نشرها العربُ إلى أمم الأرض كافة . أما القتل والتخريب فهما أمران ملازمان وشاملان لكل البشر في كل العصور ، وناهيك بما حدث للروم وروما واليونان وأثينا . وما بناه العرب من مدن لا يزال باقياً الكثير منه مزدهراً بالعمران ، موصول الحبل بسالف الزمان ، برغم توالي النكبات عليهم وعليه . وخُذ القاهرة وبغداد والبصرة وطهران والطائف وصنعاء وعدن ، وجُدّة ومكة والمدينة ، وغيرها مثلاً وشاهداً مُشاهَداً ، وليس الخبر كالعيان . وما خططوه ورتبوه من تراتيب سياسية الملك والعمران ، وما شيدوه من مدارس وجامعات كالأزهر وجامعة الزيتونة وجامعة القرويين — في كل ذلك دليل ناهضٌ على أن نظرية ابن خلدون السلبية حيالهم في هذه الشؤون لا ترتقي إلى مستوى نظرياته الاجتماعية الأخرى بحال من الأحوال . هي فلتة من فلتات الفكر البشري الذي لا يخلو من ضعف ومن وقوع تحت سيطرة عوامل عواطفه وانفعالاته أحياناً .

وربما كان السبب الذي دفع ابن خلدون للقول بهذه النظرية يعود إلى هذه الهوة النفسية التي هبط اليها فكره وهو يحرك حجارة شطرنج عرب بني سُليم وعرب بني هلال تبعاً لعواطفه وانفعالاته في ذلك الجو المغربي السياسي المضطرب الملتهب ، فقد كان لابن خلدون مطامعه ومطامحه ، وكانت له رغباته وأهدافه ، وكانت له سياسته ومراميه ونزعاته ، وكان في سياسته المغربية متقلباً ، وكان قد ساق عرب بني سُليم وعرب بني هلال ، إلى حومة هذا التقلب ردحاً من الزمن فانساقوا له طائعين .. فلما اكتشفوا — واقعياً — أن ابن خلدون لم يكن ذا سياسة قويمة حكيمة في تنظيم شؤون الدولة ، ولم يكن ذا ثبات ، فهو اليوم مع الحفصيين

وغداً مع غيرهم نفضوا أيديهم منه ، فأحفظه ذلك ، فنسج عليهم خيـــال نظريته هذه حيال نشرهم الفوضى والاضطراب والخراب والدمار في البلاد تشنيعاً عليهم ، وهو — والحق يقال — وغيره من زعماء المغرب كانوا هم الأساس والقادة والرادة في بث هذه الفوضى وهذه القلاقل ، وربما كانت سُليم في عصر ابن خلدون إحدى ضحايا سياسات الزعماء المتفرقين المتنابذين الذين يكيد بعضهم لبعض ما وسعهم الكيد ، ويستعين كل منهم بكل ما يمكنه ، ومن يمكنهُ الاستعانة به ضد خصمه ، فيكيل له الضربات ، ويطارده سرّاً وجهراً حتى يُقْضى على أحدهما .

وقد قدم لنا أحد شهود الإثبات ممن لا يرتقي اليهم الشك — قدم لنا دلائل وشواهد واضحة المعـــالم على أن ابن خلدون كان بنفسه ، أحد عوامل الاضطراب والخراب اللذين حلاّ بديار المغرب مما سنأتي بتفصيله أن شاء الله . وهذا الشاهد الحصيف هو الشيخ مبارك الميلى ، مؤرخ الجزائر ، في كتابه : (تاريخ الجزائر في الماضي والحاضر) .

ومن آثار العقدة النفسية المتغلغلة في شغاف ابن خلدون حيال بني سُليم وبني هلال خاصة قوله عنهم في كتابه (العبر) : « وليس لهم الآن — أي في القرن الثامن الهجري — عَدَدٌ ولا بقية في بلادهم »[1] . ان واقع الحال لا يثبت هذا القول .. فلا تزال بنو سُليم تستوطن بلادهم الأصلية في هذه المملكة بين الحرمين الشريفين ، ولهم فيها قراهم القديمة والحديثة ومزارعهم ، ومياههم . وابن خلدون نفسه ، ناقَض نفسه حيال هذه النظرية ، فقد ذكر في (العبر) في مكان آخر أن (بجهة المدينة من بني ذياب — ذباب — السلميين خلفاً منهم يؤذون الحاج ويقطعون الطريق)[2] . وابن خلدون أفادنا من حيث يشعر أو لا يشعر بأن بني سُليم المقيمين في عهده هنا هم من بني ذباب .. وربما كان الموجودون

١ تاريخ ابن خلدون ، ص ٦٣٩ ، الجزء الثاني ، منشورات دار الكتاب اللبناني في بيروت .
٢ المصدر السابق ، ص ٦٣٨ ، نفس الجزء والطبعة .

منهم الآن من بني ذباب .. أو من غيرهم من آل سُليم بن منصور .

ويتحدث لنا ابن خلدون عن « بني ذباب » بن مالك السلميين ، ويذكر لنا منازلهم ، بإفريقية في القرنين السابع والثامن الهجريين ، وهي تقع بين قابس وبرقة ، ويجاورون مواطن « يَعْهَبَ » . ولم يكتف بذلك بل تجاوزه إلى القول بما يناقض قوله السابق بأنهم انقرضوا من مواطنهم الأصلية في هذه البلاد فقال كما قدمنا آنفاً : « وبجهة المدينة خَلْق منهم يؤذون الحاج ويقطعون الطريق » وتنكيره لكلمة : « خَلْقٍ » يدل دلالة لغوية واضحة على أنهم في هذه البلاد كثيرون في زمنه . وإذن فبنو سُليم في عهد ابن خلدون هم « خلقان عظيمان » : خلق عظيم منهم بأفريقية ، ومثلهم في الكثرة من ظلوا مقيمين في ديارهم بين الحجاز ونجد . وقَطْعُ بني ذباب السلميين للطريق على الحجيج يرتقي إلى عهد آل قتادة من حكام مكة ، ما بين عامي (٥٩٧ — ٨١٩ ﻫ) .. وأول خَيْطٍ هذا التاريخ (٥٩٧ ﻫ) بينه وبين عهد ترحيل بني سُليم المقيمين بمصر إلى المغرب .. الذي كان بسنة ٤٤٠ ﻫ بينهما (١٥٦) سنة .

وابن خلدون خبير بمواقع بني سُليم في أرض المغرب .. فهــا نحن أولاء نراه يتتبع منازلهم .. فبنو سُليم منهم ، مَواطِنُهم كانت فزان وودان بأرض المغرب . وفزان من أرض ليبيا . وقد أعطانا أسماء رؤسائهم في عهده .. فقال : رؤساء بني ذباب لهذا العهد ، في الجواري ، ما بين طرابلس وقابس ، وبيتُهم بنو صابر ، والمحاميد[1] بنواحي فاس ،

---

١ لا يزال المحاميد السلميون يقيمون في ليبيا بطرابلس الغرب حتى الآن على ما حدثني به الأستاذ خليفة شعبان. ولربط حلقات التاريخ ببعضها ينبغي أن نذكر هنا بالمناسبة ما أورده الأمير شكيب ارسلان من أن بني سليم هم الذين قاوموا في ليبيا الاستعمار الايطالي أعنف مقاومة . فلعل الذين قاوموا الاستعمار الايطالي منهم هم المحاميد السلميون .

وبيتُهم في بني رحاب بن محمود . ومن بني سُليم ، بنو عوف بن بهثة ، ما بين قابس ، وبلد العُنَّاب من إفريقية . وجرما : وهم : مرداس وعلاق . فأما مرداس فرئاستهم في بني جامع لهذا العهد . وأما علاق فكان رئيسهم الأول في دخولهم إفريقية ، رافع بن حماد ، ومن أعقابه : بنو كعب رؤساء بني سُليم في عهد ابن خلدون بإفريقية .

والمستوطنون بأجدابية وجهاتها من سُليم – على ما أفادنا به ابن خلدون – هم بنو يَعَهْبَ بن بهثة إخوة بني عوف بن بهثة ، وهم ما بين السدرة ، من برقة إلى العدوة الكبيرة ، ثم الصغيرة ، من حدود الإسكندرية ، فأول ما يلي المغرب منهم بنو أحمد ، لهم أجدابية وجهاتها ، وهم عدد يرهبهم الحاج ويرجعون إلى شماخ . وقبائل شماخ ، لها عدد ، وأسماء متمايزة ، ولها العز في بيت ، لكونها جازت المُحصَّب من بلاد برقة ، مثل المبرج ، وطلميثا ، ودرنا .

ويعزو ابنُ خلدون وَهنَ المغرب إلى أمور ، منها وفي مقدمتها : سلوك أعراب بني سُليم وبني هلال في تلك البلاد .. فهو متأثر منهم من هذه الناحية ، يحاول جاهداً أن يغرس في أذهان قرائه رأيه هذا حيالهم بأنهم أصل كل ما حدث للمغرب من رزايا وانتكاسات .

وقد سبق لنا أن أشرنا إلى « العُقَد العِرْقية والنَّفْسيَّة » التي ربما كانت تتحكم في توجيه آرائه حيال بني سُليم وبني هلال ، فلا حاجة لتكرارها هنا .. وقد نسي أو تناسى ابن خلدون في خضم حوادث اضطراب أمور المغرب أنه هو وأضرابه من كبار ساسته هم صانعو هذه القلاقل . وكان بنو سُليم وبنو هلال أدوات يحركها هو وأضرابه من دهاقنة السياسة المغربية كما يشاؤون .. تارة إلى اليمين وتارة إلى الشمال ..

مما جعل بني سُليم وبني هلال آخر الأمر يفطنون إلى أنهم أصبحوا مجرد « لُعبٍ ودُمىً » بيد زعماء السياسة المحترفين المتناحرين المتقلبين ذات اليمين وذات الشمال وفي مقدمتهم عبد الرحمن بن خلدون ، فنفضوا أيديهم منهم آخر الأمر ، واتخذوا لهم سياسة شبه مستقلة ، لا نقول : إنها حكيمة ، فالانسان ابن بيئته .. وقد أحفظ ابن خلدون تملصهم من انتهاج سياسته والاندفاع وراءه فيما يندفع فيه من تحزبات وتقلبات ناجمة عن عواطفه وميوله الخاصة .. فكتب عنهم ما كتب .

وقد كشف لنا الشيخ مبارك الهلالي الميلي الجزائري رحمه الله في كتابه : (تاريخ الجزائر في القديم والحاضر) السرَّ الذي جعل ابن خلدون يحمل على عرب بني سُليم وبني هلال في المغرب فيقول : (وكانت بطانة الحفصيين يستعملون نفوذهم مع رياح وغيرها ، في مصالحهم الخاصة ، وحسب أهوائهم ، فربما دَعَوُا القبيلة اليوم إلى طاعة ملك ، ودَعَوْهَا غداً ، إلى حربه ، وهذا عبد الرحمن بن خلدون كان مع الحفصيين ، فدعا رياحاً — ورياح من بني هلال — لطاعتهم ، ثم فارقهم ، فدعاها لأبي حَمُّو الثاني سنة ٧٦٩ هـ ، ثم حملها على حربه ، ومحالفة عدوه : عبد العزيز بن أبي الحسن سنة ٧٧٢ هـ ، ومع هذا التلاعب الذي لم يسلم منه فيلسوفنا نراه يؤنب العرب أن جرؤوا على الدولة) [1] .

وهكذا أماط لنا اللثام ، مؤرخُ الجزائر المعاصر ، عن السر الكامن وراء تحامل ابن خلدون على عرب بني سُليم وبني هلال في المغرب .. وإذا ظهر السبب بطل العجب .. وربما نستطيع أن نضيف إلى هذا السر

---

١ تاريخ الجزائر في القديم والحاضر ، لمبارك الميلي الجزائري ، ص ٢٧٢ ، الجزء الثاني ، طبع المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة بالجزائر .

الخفي ، سراً أخفى منه وأعمق وأقدم ، ساكناً بين ضلوع ابن خلدون، كتُراث يحمله عقله (الباطن) عن أسلافه القحطانيين .. فقد شاهد بعينيه صعود نجم بني سُليم وبني هلال العدنانيين في الوقت الذي كان فيه نجم القحطانيين آفلاً من المغرب . ولا بد أن هذا العامل الأخفى أثره من دبيب النمل قد جرح أيضاً كبرياء ابن خلدون . وعمل عمله مع العامل السياسي الذي ذكرناه آنفاً .

إزاحـــة شبهة علمية

جاء في « مقدمة الكتاب » ما نصه : (وقد بحثتُ فيما لديَّ من المراجع ، لعلي أعثر على كتاب ، أُلِّفَ قديماً أو حديثاً في تاريـخ هذه القبيلة فلم أعثر على ذلك ، اللهم إلا ما ورد من أن أبا القاسم بن بشر الآمدي المتوفي سنة ٣٧٠ هـ ألف دواوين قبائل العرب ، ومنها ديوان شعراء بني سُليم ، وقد فقد هذا الديوان) .

وواقع الحال يطابق ما ذكر .. وذلك أني قد كنت وجدت في كتاب : « مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية » للدكتور ناصر الدين الأسد ، فصلاً كاملاً عنوانه : « الفصل الثاني في دواوين القبائل » وقد جاء في هذا الفصل : أن أبا القاسم الحسن بن بشر الآمدي المتوفي سنة ٣٧٠ هـ ألف ستين ديواناً من دواوين القبائل ، قال المؤلف عنها : « هي في ترتيبنا لها على حروف الهجاء كما يلي » .. ثم ذكر المؤلف بجانب الرقم المتسلسل الذي هو : [٢٤] – كتاب بني سُليم . وسيبدو لك جليـــاً أنه ليس المقصود من هـــذا الديوان ، كونه « كتاباً » بالمعنى المفهوم لدينا للكتاب .. كما يتبادر إلى الذهن ، وإنما الغرض من صيغة (كتابِ) هذه ، هو « الديوان » ، بدلائل منها قوله في أول هـــذا الفصل : (الفصل الثاني دواوين القبائل) .. ثم قوله فيما بعدُ عن هذه الدواوين

من أشعار العرب التي بلغت [٦٠] ديواناً : (ولم ينسب الآمدي شيئاً من هذه الدواوين ، إلى جامع أو صانع ، من الرُّواة العلماء ، بل أرسلها هكذا غفلاً ، إلا دواوين منها) [١] .. وبدليل قوله في الصفحتين ٥٥١ و ٥٥٢ من كتابه الآنف ذكره : (إن هذه الدواوين أو هذه الكتب هي أشعار القبائل) .. وبدليل قوله : (وأول ما نلحظه في هذه الدراسة هي تسمية الديوان ، فقد كانوا يطلقون على ديوان القبيلة أشعار بني فلان : أو شعر بني فلان ، أو كتاب بني فلان . فالآمدي مثلاً يذكر في موطن من كتابه « شعر فزارة » ويذكر في موطن آخر ، كتاب فزارة ، وهما بمعنى ، ويذكر « كتاب بني يشكر » و « شعر بني يشكر » . ويذكر « كتاب بني عقيل » و « شعر بني عقيل » و « كتاب بني أسد » و « أشعار بني أسد » . و « كتاب طيء » و « أشعار الطائيين » . وكتاب « بني سُليم » و « أشعار بني سُليم » وهكذا » هـ .

وبدليل قوله بعد ذلك ما ملخصه : « إن في كتاب القبيلة أو في ديوانها فضلاً عن بيان حادثة تاريخية ذكرت في الشعر ، أو توضيح المناسبة التي قيلت فيها القصيدة ، أو تفسير بيت من أبياتها – فانه يحوي نسب القبيلة أيضاً ، وكل الأخبار والأحاديث والقصص الواردة في ديوان القبيلة أو كتابها أو شعرها – لم يذكر لذاته ، وإنما ذكر ، لذكر الشاعر نفسه وشعره » .. وقوله أخيراً : إن « كُتُبَ القبائل في جوهرها مجموعات شعرية ، تضم بين دفَّتَيْها قصائد كاملة ، مقطوعات صغيرة ، وأبياتاً متفرقة ، لشعراء تلك القبيلة . أو لبعض شعرائها .. وربما ضمت أكثر شعر هؤلاء الشعراء ، وربما ضمت جميع شعر شاعر منهم ، وديوانه

---

١ مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، للدكتور ناصر الدين الأسد ، ص ٥٤٣ و ٥٤٤ ، طبع دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢ م .

كاملاً ، وتضيف إلى ذلك من الأخبار والنسب والقصص والأحاديث ما يتصل بالشاعر نفسه ، أو ببعض أفراد قبيلته ، ومـا يوضح مناسبات القصائد ، ويفسر بعض أبياتها ، ويبين ما فيها من حوادث تاريخيـة ، فيجيء كتاب القبيلة ، بذلك سجلاً لحوادثها ووقائعها ، وديواناً لمفاخرها ومناقبها ، ومعرضاً لشعر شعرائهـا » [ص ٥٥٤ و ٥٥٥ من الكتاب المذكور] .

وأخيراً يقول ناصر الدين الأسد ، عن دواوين القبائل هذه أو شعرها أو كتبها : (إن الآمدي لا ينسب شيئاً من هذه الدواوين إلى جامـع أو صانع من الرواة العلماء ، بل أرسلها هكذا غفلاً ، إلا ديوانين منها : الأول : أشعار بني تغلب ، و (الثاني : أشعار الرباب) – ص ٥٥٤ و ٥٥٥ – .

ثم تعرض لمحل الشاهد ، وهو قضية وجود شيء من هذه الدواوين أو الأشعار أو الكتب ، وبقائها حتى اليوم من عدمه ، فقال : (فاذا كان ذلك كذلك فما أشد حسرة الباحث في دواوين القبائل وروايتها إذا علم أن صروف الدهر لم تبق لنا إلا على ديوان واحد فقط من هـذه الدواوين الكثيرة التي زخرت بأسمائها المصادرُ العربية ، وهي ليست إلا جزءاً مما صنعه الرواة ، وكل ذلك أيضاً ليس إلا جزءاً مما قاله شعراء القبائل – هذا الديوان الوحيد الذي بقي لنا هو ديوان هذيل – ص ٥٤٨ – .

وبهذا يتضح جليّاً أنه لم يُؤلَّف كتاب مستقل بمعنى الكتاب المعروف لدينـا علميّاً عن تاريخ بني سُليم ، فيما أورده الدكتور ناصر الدين الأسد ، وإنما الذي أُلِّفَ هو ديوان يحوي أشعارهم ويتضمن بعض أخبارهم وقصصهم وأسباب نظم هذه القصائد . وحتى هذا اللون من « الجمع » عصفت بـه صروف الدهر فـلم تبقه لنـا على ما يقوله الدكتور ناصر الدين الأسد ، اللهم إلا ديواناً واحداً هو ديوان هُذيْل ، لا ديوان

سُليم . على أنه لو لم يفقد ديوان شعر سُليم هــذا فيما فقد من أمثاله لكان في ذلك كسب لنا ولتاريخهم ، بالإلمام بأغلب شعرهم وشعرائهم . فمن دراسة ذلك دراسة واعية وعميقة وشاملة ومقارنة يمكننا أن نخرج بفوائد جمة عن تاريخهم القديم . فعسى أن يعثر عليه أو على بعضه ، في بعض رفوف المكتبات الخاصة أو العامـة ، ثم عسى أن ينشر — إذا عثر عليه — نشراً علميّـاً محققاً موفقاً .

الأنسابُ العربيةُ في العصور الإسلامية

يلاحظ المتتبع لمراجع التاريخ الإسلامي والعربي عبر القرون الإسلامية ، وأخيراً — اختفاء أسماء الأعلام من بني سُليم — إلا ما قل وندر — . ولعل هذه الظاهرة ذات علاقة بما يلي تبيانه :

أولاً — انصراف أغلب أبناء هذه القبيلة عن أسباب البروز .. وأعني بهؤلاء ، من يقطنون ديارهم الأصلية خاصة . وذلك منذ أرسل اليهم الواثق جيشاً عرمرماً من بغداد ، لتأديبهم ، وللحيلولة بينهم وبين العدوان على الجيران ، وربما على حجاج بيت الله الحرام ، وعابري السبيل أيضاً .. ولذلك لم نرَ منهم أعلاماً تاريخيين كما كان عليه حالهم من قبل ذلك . خاصة وقد نفضت الحكومات المتعاقبة أيديها من مهمة تعليمهم وتثقيفهم وإصلاح شؤونهم . وهكذا ظلوا متجمدين أو مُجمَّدين إلى عهد انبعاثهم في العهد الراهن الذي ضمن تكافؤ الفُرص لكل المواطنين بدون تمييز .

وثانياً — ما لاحظه المَقَّري التلمساني بالقرن الهجري الحادي عشر ، ومن قبله ابن سعيد . قال المقري : (وأما بنو أمية فمنهم خلفاء الأندلس .. قال ابن سعيد : ويعرفون هنالك إلى الآن بالقريشيين ، وإنما عَمَّوْا — أي أخفَوْا — نسبهم إلى أمية في الآخر لما انحرف الناس

عنهم ، وذكروا أفعالهم في الحسين رضي الله عنه[1] .

وهكذا كان ابن سعيد أول أو من أوائـــل من قرعوا باب « أثر السياسة في اختفاء الأنساب » . وقد وضع لنا الأستاذ ناجي معروف النقط على الحروف ، حيال هذه الظاهرة — حينما قال في مقدمة كتابه النفيس :

(وقد توصلنا في هذا البحث إلى أن كثيراً من هؤلاء المنسوبين أو المضافين إلى مُدن أعجمية ، إنما كانوا من أصل عربي ، خالص . وسنبرهن في هذه الرسالة على هذه الحقائق العلمية التي لا ريب فيها ، وعلى مدى تغلغل العرب في البلاد الاسلامية واستقرارهم في مدنها ، هم وذراريهم ، وتصاهرهم مع أهلها ، وتوطنهم فيها أجيالاً طويلة حتى اليوم)[2] . وقال أيضاً : (ينسب عدد لا يحصى من العلماء العرب إلى مختلف المـــدن الأعجمية ، فتقرأ مثلاً : الأصفهاني ، والنيسابوري ، والفيروزآبادي ، والرازي ، والطبرستاني ، الخ . ويظن الكثيرون من الناس أن هؤلاء المنسُوبين إلى هذه المدن الأعجمية إنما همْ من الفرس أو الأتراك أو الهنود أو المغول أو غيرهم من الأمم التي دخلت في الإسلام ، ويعتقدون أنهم أعاجم ، وليسوا عرباً ، باعتبار أن العرب لا ينتسبون إلى المدن ، أو القرى ، أو المحالّ ، أو الأماكن المختلفة الأخرى ، ولم يُسمع أن أحداً من العرب في الجاهلية وصدر الإسلام وعهد الأمويين انتمى أو انتسب إلى مكة أو المدينة أو الطائف أو صنعاء ، أو عدن .. الخ ، وإنما كانوا ينتسبون إلى قبائلهم ، وعشائرهم ، وإلى أفخاذهـــا وبطونهـــا ، فنسمع على الدوام : القرشي ، والمخزومي ، والزهري ،

1 نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، لأحمد بن محمد المقري التلمساني ، ص ٢٧١ ، المجلد الأول طبع مطبعة السعادة بمصر ، سنة ١٣٦٧ ه = ١٩٤٩ م .

2 علماء ينسبون إلى مدن أعجمية وهم من أرومة عربية ، للأستاذ ناجي معروف ، ص ٣ ، طبع مطبعة الحكومة ببغداد .

والسهمي ، والتيمي ، والتميمي ، والباهلي ، والأسدي . وأما الأعاجم فينتسبون الى المــدن ، والقرى ، والأماكن ، ولا يَعْتَزّونَ كالعرب بانتسابهم إلى الآباء أو الامهات ، أو القبائل وبطونها ، وأفخاذها)[1] .

ثم أوضح المؤلف أن هــذه الظاهرة بدأت تــبرز في العالم العربي والإسلامي عندما أصبحت بغْداد مدينة أُمَمِيَّةً كبيرة تضم أناساً من كل الأجناس والقوميات ، ومن مختلف الملل والنحل ، فصار عندها وفي ذلك الظرف ، العرب الصُّرَحَاءُ ينتمون مثل الأعاجم الى المــدن والقرى والْمَحَالِ ، والأماكن المختلفة ، وبخاصة أولئك العرب الذين عاشوا بين ظهراني المسلمين من غــير العرب ، وهكذا صار المنتسبون إلى المدن ، من عرب وغير عرب ، كثيرين جداً ، فكان من المنتسبين الى بغداد مثلاً ، كثرةٌ من كل جنس وفن ، كما يقول السمعاني — في كتابه في الأنساب — ص ٢٦٩ ج ٢ [2] .

وزاد المؤلف هذا الموضوع وضوحاً وتعريفاً ، حينما قال :

(واذا علمنا أن عــدد أصحاب الرسول (ص) الذين انتشروا في هذه البلاد إبان الفتوح الإسلامية وَحَمَلُوا إليها مشاعل العــلم ، كان عددهم اثني عشر ألف صحابي [3] أدركنا عِظَمَ التأثير العربيّ على هذه البلاد ، وتعريب الثقافة فيها . هذا عــدا الجيوش العربيّة الفاتحة من المهاجرين والأنصار ، وما عدا أولئك الذين انتقلوا من القبائل والأُسَر العربية إلى بلاد المشرق والمغرب ، من مختلف الأقطار العربية ، وعدا أولئك الذين ظلت الجزيرة العربية تُغَذّي بهم هــذه البلاد ، طوال

---

١ و ٢ المصدر السابق ، ص ٥ و ٦ .
٣ عن العواصم من القواصم ، ص ٢٤٣ (علماء ينسبون إلى أرومة أعجمية وهم من أرومة عربية) للاستاذ معروف ناجي ، ص ٧ .

العصور في هجرات مستمرة نحو الغرب والشرق) . وزاد الموضوع تحليلا وإيضاحاً حينما تحدث وضرب مثلاً لاستعجام العرب ، وأسباب إخفائهم لأنسابهم ، عمداً ، خوفاً من سيف الانتقام المُصْلَتِ على رقابهم ، بما حدث في دولة « المغول » في عهد جنكيز خان ، إلى احتلال هولاكو ، لبغداد ، حيث مَحَوْا أكثر بلدان الشرق وأقطاره ، محواً تاما ، وأزالوا مُدُناً ، لم تقم لها قائمة ، وقتلوا علماءها وأهلها ، ولم يَنْجُ منها إلا أفراد قلائل . وتعاقب على الحكم بعد المغول أمم لا تَمُتُّ الى الثقافة العربية ، ولا إلى النسب العربي بصلة ، وكان أثرهم كبيراً في طمس معالم الحضارة العربية ، وفي إظهار الألقاب الأعجمية للعرب ، في مكان الألقاب العربية لهم . ثم ساق المؤلف أمثلة كثيرة من الألقاب الأعجمية التي تطلق على أفراد عرب ، معروفة عروبتهم في التاريخ ، إمّا جرياً على سَنَنِ أولئك الأعاجم ، أو خوفاً وحَذَراً من بروز أنسابهم العربية ، فيتعرضون للمهانة ، وما هو أكبر من المهانة ، في أجواء لا تتفق واتجاهاتهم ، وذكر أنسابهم الصحيحة الكامنة .

وبعد أن ساق عشرات الأمثلة على نظريته هذه ، دخل إلى صلب الموضوع ، فأشبعه تحليلاً وايضاحاً وتركيزاً . قال : (وقد ساعد الانتساب الى المدن الأعجمية أو الاسلامية ، وحتى العربية أو الحرف والصناعات والوظائف أو الفرق الدينية ، أو الطوائف المذهبية ، أو إلى الرجال والنساء ، على تحاشي النسب الحقيقي عند الأزمات الحادة ، أو في أثناء بعض الظروف السياسية الحرجة التي كانت تواجه الأمة) .

إلى أن قال :

(وكان طبيعياً أن يخفي الناس أنسابهم في مثل هذه الظروف القاسية ، ويحاولوا الاختفاء في المدن النائية ، وينتسبوا ، الى المدن ، أو الحِرَفِ ، أو الصناعات الخ) [1] .

---

١ المصدر السابق ، ص ٢٨ .

ولقد كان إظهار النسب العربي ، في عهد ساد فيه الاتراك والبويهيون من الأمور الصعبة التي تعرض أصحابها الى المطاردة . أضف إلى ذلك أن البويهيين الذين بنَوا الطائفية في العراق ، وحاربوا مناوئيهم كان لهم أثر كبير في إخفاء الأنساب العربية ، سواء أكانت عباسية أم بكرية أم عمرية أم أموية الخ ، وفي انتحال أنساب علوية ، لينالوا الحظوة عندهم ، وقُلْ عكس ذلك في زمن السلاجقة) .

ثم ذكر أن هذه الظاهرة اشتدت جداً في زمن الصفويين ، حتى إن الناس عمدوا الى تغيير أسماء المشاهد والأضرحة ، مخافة نبشها أو العبث بالأموات ، إذا كانوا ينتسبون الى العباسيين أو الأمويين [1] الخ) .

وهكذا شرح لنا المؤلف أبعَاد هذه الظاهرة التي لا بد أنها عملت على طمس كثير من معالم أنساب العرب الذين وقعوا تحت طائلتها ، ليتمكنوا من أن يعيشوا في إطارها بأمان واطمئنان ، بين الشعوب التي تحيط بهم والتي يساكنونها ، ولا بد أن حالتهم المعيشية لو سلكوا غير هذا السَّنَن ستكون صعبة ومرتبكة ومضطربة ، خاصة مثل بني سليم الذين شرقوا وغربوا ، وأسهموا في حوادث ومعارك مَصيريّة وغير مصيرية أثمرت لهم عداوات وحزازات وضغائن في الأمم التي أقاموا بين ظهرانيها بعد انتهاء صولتهم وقوتهم .

ولعل السببين المذكورين في أوائل هذا الفصل كانا قد تضافرا على اختفاء أسماء كثير من رجالات سليم في الأجيال التي سبقت جيلنا الحاضر .

ومعلوم أن رئيس الأسرة اذا عمد إلى إخفاء حقيقة نسبه ، لأسباب ملجئة ، فإن الجيل الثالث من نسله على أقل تقدير ينسى أصله ..

وقد تتبعتُ — بقدر استطاعتي وجهدي — الأسفار التي أُلِّفَتْ في

---

١ المصدر السابق ، ص ٢٩ .

القرن العاشر – مثلاً – وما بعده ، فما وجدت تراجم لرجالات سليم في علم ، أو أدب ، أو إدارة ، اللهم الا قلة ضئيلة ... وهذا مع ملاحظتنا للسهو الذي وقع فيه الشيخ عبد الرزاق البيطار ، حينما ترجم لمنصور بن عمار السلمي الذي كان يعيش في عصر الليث بن سعد الفهمي وهو القرن الهجري الثـاني ، وكان صديقاً لليث ونزيله في مصر ، في ظرف من ظروف الزمن . فقد اعتبره الشيخ عبد الرزاق البيطار من أهـل القرن الثالث عشر الهجري ، وترجم له على هذا الأساس ، ترجمة حافلة ، بالصفحة ١٥٦٢ من كتابه القيم : (حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر) . ولست أدري من أيـن استقى ترجمته كما وردت في ذلك الكتاب ؟ ! !

على أني وجدتُ في كتاب محمد خليل المرادي ، ترجمتين لشخصين ، وصفهما المرادي بأنهما (سليميان) ! (هكذا) . وهما دمشقيان . ولكني – والحق يقال – لم أتـأكّدْ مـا إذا كانا من بني سُليم بن منصور ، أم من غير هذه القبيلة ، لأن المؤلف لم يتعرض لشيء من التفصيلات عن ذلك .

والشخصان هما :

١ – الشيخ أسعد المجلد ابن عبد الرحمـن بن محيي الدين بن سليمان الشّهير بالمجلد ، لكون والده في مبـدأ الأمر مشتغلا بتجليد الكتب – الحنفي السليمي الدمشقي) الخ [1] .

٢ – علي السليمي ابن محمد بن علي بن سليم الشافعي الدمشقي الصالحي الشهير بالسليمي) [2] .

١ سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، لمحمد خليل المرادي ، ص ٢٢٩ ، المجلد الأول ، طبع المطبعة الأميرية ببولاق ، مصر ، سنة ١٣٠١ هـ .
٢ المصدر السابق ، ص ٢١٩ ، المجلد الثاني .

ومع أني أعرف أن بني سليم بن منصور قد بقيت منهم أسَرٌ في الشام ، وبدمشق بالذات ، بعد إجلائهم عن الشام ، ولعل تلك الأُسَرَ من نسل من جاءوا اليها مع غزاة القرامطة في احتلالهم للشام ، وذلك مثل سلطان العلماء (العِزّ بن عبد السلام) — فاني لم أستطع الجزم مطلقاً بحقيقة نسبة هذين الشخصين الدمشقيين اللذين نعَتَهما « المرادي » بأنهما « سليميان » .. على انه مما بدا لي أثناء بحث حالتهما على ضوء ما ورد في ترجمتيهما في الكتاب الآنف ذكره ، أن الثاني منهما ربما يكون (سَلِيمياً) بفتح السين المهملة ، واذا صح هذا التأويل فيكون قد ابتعد عن محيط نسب (بنى سُليم) .. لأن اسم جدهم (سُليم) بضم السين. وهو أي (علي السلمي) حفيد (سَليم) بفتح السين — فنسب اليه وقد أورد المؤلف انه (صُلّيَ عليه بجمع حافل في السِليمية) ... وبقي الأول منهما مُحاطاً بدائرة الشك في حقيقة انتمائه لسليم،اذ ليس هناك قرينة صالحة للاستناد عليها تفتح النوافذ المغلقة حيال حقيقة هذا الانتماء .. أهو لبني سُليم — بضم السين — أو هو لِجَدٍّ له اسمه (سُليم) بضم السين أيضاً او بفتحها .. والجزم بشيء ما حيال نَسب هذا الرجل رهن بالوقوف على ترجمة له واضحة وصريحة فيما لا يزال غامضاً من نسبه .

وفي « صبح الأعشى » للقلقشندي ذِكْرٌ للعربان بالدرب المصري إلى مكة ، وعد منهم بني سُليم فقال : « ومن الجحفة على قديد وما حولها الى الثَّنيَّةِ المعروفة بعقبة السويق لسليم » [1] .

كما وردت إشارة عابرة عن إسهام بني سليم — بصفة شاملة لهم ومن غير تخصيص أحد أو ذكر اسمه — في حراسة (الدرك) الذي تبتدىء حدوده من بستان القاضي الى الحدرة والمضيق آخر وادي العميان ، وأول وادي مر الظهران .. على ما ذكره عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري

---

١ صبح الأعشى للقلقشندي ، ص ٢٨٥ ، الجزء الرابع .

أحد علماء القرن الحادي عشر الهجري ، وصاحب كتاب (درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة) .

وحراسة (الأدراك) أو (المدارك) كما أدركناه في أول العهد السعودي الحاضر ، وظيفة عمومية للبادية يشترك في مسؤوليتها والقيام بها جميع أفراد من جعلتها الدولة في أعناقهم .. مقابل مكافآت أو رواتب محدودة أو معلوم مقرر لهم .

وقد سمى لنا عبد القادر أسماء أشخاص من أهل تلك المدارك من غير بني سُليم : مهادف بن مالك بن رومي وجماعته — وبعد ذلك قال : « وكان الدرك قديماً مقسماً بين جماعات بمعاليم معلومة ، منهم البشريون ، والعصيفيون ، وبنو سُليم ، ثم صار الدرك والمعلوم العائد له ، بيد زبيد اليمن ، وهم في طاعة السيد الشريف أمير مكة المشرفة الآن — القرن الهجري العاشر —[1] فهذا ذكر عام لبني سُليم في القرن الهجري العاشر ، وربما كانت إناطة ذلك الدرك بهم قبل القرن المذكور ، لأن المؤلف يقول لنا : إن الدرك كان قديماً مقسماً بين جماعات من الأعراب منهم بنو سُليم ..

وتحديد معالم هذا الدَّرك يدل على أنه أو بعضه على التعبير الأدق داخل في ديار بني سُليم ، ولذلك عُهِدَ إليهم — قديماً — بحراسته ..

وهناك أيضاً محمد بن حمدون المرداسي السلمي ، أحد علماء مدينة فاس بالمغرب الأقصى ، وهو من أهل القرن الهجري الثالث عشر .

كما أن الأمير شكيب أرسلان ، وهو العليم بأحوال البلاد الاسلامية وسكانها — أفادنا بأن (في عرب مصر كثيراً من بني سليم بن منصور ، وبأن مشايخ الأحامدة الذين هم من مشايخ حرب في الحجاز يقال إنهم

---

١ درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، ص ٥٤٥ و ٥٥٥ ، ط المطبعة السلفية بمصر . والدرك — بفتح الراء وسكونها معناه لغة : التبعة وأقصى قعر الشيء ، وجمعه أدراك .

من سُليم ، وإن جدهم ، العباسُ بن مرداس السُّلمي) كما أنبأنا بأن أكثر عرب برقة والجبل الأخضر من بني سليم بن منصور ، وهم الذين ابتلاهم الله بالطليان في هذا العصر ولم يزالوا يجاهدون عن دينهم ووطنهم منذ عشرين سنة)[1] .

وقد أفادنا مصطفى مراد الدباغ أيضاً بأن لبني سُليم المعاصرين قرية في مشيخة رأس الخَيْمَة على الخليج العربي تدعى باسمين احدهما (الجزيرة) أو (جزيرة زُعَاب) نسبة إلى سكانها الذين ينتمون إلى زُعاب من بني سُليم ونقع على مسافة ١٨ كيلومتراً من رأس الخيمة ، وأن لها مدرسة انشئت عام ١٩٦٠ – ١٩٦١ م المدرسي فيها ١٢٣ طالباً يعلمهم معلمان[2] .

---

١ الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف ، ص ٢٧٤ ، طبع مطبعة المنار ، سنة ١٣٥٠ ه .

٢ جزيرة العرب ، ص ١٩٤ ، الجزء الثاني ، طبع بيروت .

صعود ، فهبوط ، ثم بداية صعود

بدأ عصر الصعود الاجتماعي لبني سُليم ، في أواخر الجاهلية الثانية القريبة من الإسلام ، واستمر صعودهم الاجتماعي في صدر الاسلام ، إلى الثلث الثاني من القرن الهجري الأول ، ثم أصابتهم نكسة خطيرة في معركة مرج راهط سنة ٦٤ أو ٦٥ بدمشق الشام ، ثم استعادوا مكانتهم بعض الشيء ، فرأينا منهم الولاة والأمراء ، في عهد الدولة الأموية في إفريقية وغيرها ، وأخذ الخليفة هشام بن عبد الملك الأموي بِضبْعهم ، فرحَّل الكثير من أُسرهم ، من ديارهم الأصلية المستكنة في إطار حرارهم وجبالهم وأوديتهم المنعزلة — رَحَّلهم منها بموافقتهم إلى القطر المصري الفياض بالخيرات لهدف سياسي هو أن يحفظوا التوازن بين القبائل القحطانية الكثيرة التي نزلت أو أُنزلت بمصر في أيام الفتح الأولى ، وبين القبائل العدنانية القليلة النزوح إلى هنالك .. ثم تجمد وضعهم حتى رأيناهم في القرن الهجري الثالث في عهد الخليفة الواثق العباسي يهبطون إلى دركات العيث والاخلال بالأمن في ديارهم ويعودون إلى شن الغارات من ديارهم الأصلية على جيرانهم ويفتكون بهم .. فيجرد الواثق عليهم حملة كبيرة من بغداد تقضي على إخلالهم بالأمن ، وتفتك بالكثير من رجالهم .. ومن ثم تُعنى الدولة العباسية بإعادة الاطمئنان والاستقرار إلى ربوعهم .. فتُعمِّرها لهم ، فتزدهر ، ازدهاراً لا نعلم من أبعاده ، إلا ما تشير اليه

في غموض بالغ لمحاتُ المؤرخين ، وإلا مـــا تحدثنا به الآثار المستكشفة حديثاً في بلادهم .. مما فصّلناه في مكانه ..

وما إن يبدو الضعف في الدولة العباسية حتى نرى بني سُليم يعودون إلى امتشاق الحسام وشن الغارات .. وقد خاضوا غمار معارك مع حرب اليمانية النازحة من أرض اليمن إلى جوارهـــم .. كما وُجهت لهـــم حملة تأديبية من ابن ملاحظ أمير مكة . وكانوا مع القرامطة ، وقـد احتلوا معهم ديار الشام ، فلما وهن أمر القرامطة ، انسحبوا معهم إلى البحرين ، وانكمشوا هنالك .. ثم اشتد ساعدهم في البحرين . وقـد نص التاريـخ على أن انضمام بني سُليم إلى القرامطة ، كان انضمامـــاً شَغَبيّاً نفعيـــاً مجرداً ، ولم يكن لانضمام هؤلاء البدو إلى حركة كهـــذه أثر يذكر في عقائدهم ، اللهم إلا ما ظهروا به من رغبة الشغب وخضوع لإرادة غير موجّهة . وكان منهم جماعة تنتشر في طريق الحج المؤدي إلى مكة ، لقطع الطريق والإغارة)[1] .. فلما تغلب بنو الأصفر على البحرين في سنة ٣٧٨ هـ باسم العباسيين ، وطردوا منها بني سُليم الذين كانوا أعوانـــاً للقرامطة حينئذ رأى الفاطميون — العبيديون — عندها أن يستعينوا بهؤلاء الأعراب الأشداء ، فشجعوهم على الهجرة إلى مصر ، ونقّلهم العزيز هـــم وبنو هلال إلى الصعيد بمصر ، بالعدوة الشرقية من نهر النيل فأقاموا هناك[2] ثم عاد أمرهم إلى التجميد وربما إلى الشغب أيضاً وشنّ الغارات والإخلال

---

١ النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، لأبي المحاسن، يوسف بن تغري بردي ، ص١١٥ و ١٢١ ، الجزء الثالث ، طبع دار الكتب المصرية بمصر ، وباب «القبائل العربية في اقليم مصر في عصر الولاة ، ١٨ — ٢٥٤ هـ » للدكتور عبد المجيد عابدين ، ص ١٢٥ ، ط مصر .

٢ ابن خلـــدون ، ص ٢٨ ، المجـــلد السادس من العبر ، طبع بيروت ، وعبد المجيـــد عابدين في تعليقـــاته على كتاب البيان والإعراب عما بأرض مصر مـــن الأعراب للمقريزي ، ص ١٢٦ .

بالأمن ، مما حمل العُبيديّين على استغلال طاقتهم الكبيرة في القضاء على دولة ابن باديس بالقيروان والمهدية . على أثر اعلانه الانفصال عن دولة العبيديين وخلع طاعتهم .

وفي إفريقية انتشروا انتشاراً كبيراً ، وكانت لهم أحداث جسام ومثيرة هنالك ذكرها المؤرخون [1] . ولم يتمكن السلميون ولا الهلاليون من إقامة دولة لهم في أرض المغرب ، ولكنهم تمكنوا من نشر لواء اللغة العربية وثبّتوا لهم مكانة مرموقة في الأوساط الاجتماعية ، واندمج كثير منهم في الأهلين فيما بعد .. ونبغ فيهم العلماء ، وربما كبار التجار والمزارعين والصناع .. كما نبغ مثل ذلك منهم في الشام وغير ديار الشام . ولا ندري ما هي البواعث التي دفعتهم في القرن الثاني عشر الهجري ، أو دفعت بالكثير منهم إلى الهجرة ، مرة أخرى من المغرب إلى مصر بصفة جماعية كما نزحوا من مصر إلى المغرب سابقاً .. وفي مصر بعد ذلك كانت منهم أسر معروفة ، خاصة في ناحية الصعيد .

أما بنو سُليم في مساكنهم الأصلية فقد ظل الانكماش ملازماً لهم بعد ضربة الواثق لهم بأمد لا نعرف مداه .. واستمر هذا الانكماش أو هذا الهبوط الاجتماعي طيلة دويلات الطوائف ، وطيلة عهد الأشراف .. وأخيراً بدأ فجر اليقظة والانفتاح ، لبني سُليم في عهد الدولة السعودية الحاضر .. على ما فصّلناه في مكانه من هذا الكتاب .

---

١ المصدر السابق .

وثيقة سُلمية تحدد بعض ديارهم

حينما شرعتُ في تأليف هذا الكتاب ، جعلت نصب عيني ، تضمينه بعض وثائق بني سُليم ، الخاصة بديارهم .. وكنت قد علمت من بعض كبارهم خلال رحلتي إلى بلادهم ، عدم وجود حجج شرعيـــة بالمعنى الرسمي المفهوم لدينا ، وهو يعني الوثائق الشرعية الصادرة من محاكم شرعية رسمية منصوبة من قبل الدولة لفض المنازعات وإثبات الأملاك أو نفيها وما إلى ذلك من الحقوق .

وأخيراً وبعد بحث عميق وجدتُ هذه « الوثيقة » المنشورة في الصفحة المقابلة ، وهي تحدد الجزء الخاص من الأراضي ببني عـلاّ ، من بني سُليم . وكان « تجديدها الرابـع » في عام ١٣٧٧ ه أما صدورها لأول مرة فقد كان في سنة ١٩٥ ه وهذا التاريـخ يوافق بالضبط السنة التي أعلن فيها الأمين محمد بن هارون الرشيد خلع أخيه المأمون من ولايـــة العهد ، وخلع المأمون لأخيه للامين من الخلافة [1] .

والوثيقة في حد ذاتها كتبت بلهجة عامية محضة .. ولكن مـــا أشير اليه فيها من تجديدات لهـــا وما ورد فيها من أن أصلهـــا مكتوب بسنة

---

[1] تاريخ الأمم والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ص ٢ ، المجلد السابع ، طبع مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، سنة ١٣٥٨ ه = ١٩٣٩ م .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا بيان حدود جدية بني علاء يحدها من الشمال الشعب و[illegible] والحد [illegible] الزبيري
ويقطع [illegible] الدرب [illegible] وينقض على [illegible] ويقطع قطع الجبل ويقابل بني [illegible] حتى [illegible]
بين [illegible] ويقطع [illegible] الذي [illegible] ويقابل [illegible] ويقطع [illegible] وينقض على [illegible] ويقابل
[illegible] مع السيل وينقض على [illegible] ويقطع الدرب حتى [illegible] و[illegible]
[illegible] الدرب [illegible] وظهر على [illegible] ويظهر على [illegible] القناص
والحد من المشرق [illegible] ويظهر على [illegible] ويقطع [illegible] ويجيب على [illegible]
وينقض [illegible] والحد من اليمن [illegible] ويحدها [illegible] الشامي وينقض [illegible] العمال
على [illegible] ويقطع على [illegible] وينقض على [illegible] ويظهر على [illegible] الدرب ويظهر على
[illegible] ويحدها [illegible] ويحدها [illegible] الدرب
الذي يقطع [illegible] ويظهر مع [illegible] الذي يظهر على [illegible] ويقطع من [illegible]
[illegible] ويقطع على [illegible] وينقض على [illegible] ويحدها ويقطع [illegible] الدرب ويمشي مع الدرب
[illegible] والحد من [illegible] الزبيري
ويظهر على [illegible] وينقض على [illegible] على [illegible] والحد [illegible] ويقطع الوادي
[illegible] الجبل ويقطع [illegible] وينقض على [illegible] ويظهر على [illegible]
[illegible] وينقض على [illegible] ويقابل [illegible] الدرب حتى [illegible] ويظهر مع [illegible] على [illegible] والحد
من الشام [illegible] ويقطع [illegible] قطع الجبل ويظهر على [illegible] ويقابل [illegible] على [illegible] و[illegible]
ويحدها [illegible] حتى [illegible] على وادي [illegible]
[illegible] وعلى هذا تمت حدود جدية بني علاء وحدد التحديد لهذا الجدية [illegible] ويقر بأن
حدود المذكورين [illegible] التحديد الجدية من قبله [illegible] وعلى هذا شهد الشهود [illegible]

عايض [illegible] الدريف

وحضر بحضوره وشهوده [illegible] بني الطيب
ذري حسين

ولهم شاهدين على العقد والمقار [illegible] لجدية بني علاء

وكتب [illegible] وشهد عليها [illegible] والمخبر [illegible]
سنة ١٩٥

وجدد الجدية من [illegible] الشريف [illegible]
من غير لا زايد ولا انقصان
سنة ٣١٠

وجدد التجديد [illegible] بعنايات [illegible]
من غير لا زايد ولا انقصان
سنة ١٢٥٨

وكذلك ثالث تجديد [illegible] بيد مبارك [illegible]
من غير لا زايد ولا انقصان
سنة ١٣١٠

وكذلك رابع تجديد [illegible] بيد [illegible]
من غير لا زايد ولا انقصان
سنة [illegible]

(الوثيقة السلمية التي تحدد بعض أراضيهم)

١٩٥ هـ واعتمادها من قبل بني سُليم يدلنا على أن لها أصلاً فصيحاً .

وكان التجديد الأول للوثيقة السلمية المذكورة ، في سنة ٣١٠ هـ وكان ذلك في خلافـــة المقتدر بالله العباسي . وفي عام اشتد فيه بلاء القرامطة بقيادة أبـي طاهر على العراق [١] .

أما التجديد الثاني للوثيقة فقد كان بسنة ١٢٥٨ هـ .. ويتفق هذا العام مع السنة الثالثة لسلطنة عبد المجيد (الأول) ابن محمود العثماني [٢] .

وكان التجديد الثالث للوثيقة في عام ١٣١٠ هـ . ويوافق ذلك ، عهد سلطنة عبد الحميد (الثاني) ابن عبد المجيد العثماني [٣] .

وكان تجديدها الرابـع في سنة ١٣٧٧ هـ . ويوافق ذلك عهد الدولة العربية السعودية الحاضر .

وقد ظهر لي بعد تأمل « نص » الوثيقة ، أنها غير « النص الحرفي » لها في عام ١٩٥ هـ وفي عام ٣١٥ هـ .. وإنما نقلت بالمعنى ، وبلهجة بني سُليم العربية العامية إما في سنة ١٢٥٨ هـ أو بعدها في سنة ١٣١٠ هـ .. والذي دعاني إلى هذا الرأي أن عرب بني سُليم الواغلين في داخل الجزيرة العربية بين الجبال والحرار كانت لغتهم سَلِيمة من اللحن فصيحة ، بالسليقة في عام ١٩٥ هـ وفي عام ٣١٥ هـ كما هو معروف وقلما يلحنون .. فهذا عرام بن الأصبغ السلمي المتوفي في نحو ٢٧٥ هـ — ٨٨٨ م هو أعرابـي سُلمي ذو لغة فصيحة بالسليقة ، وقد ألف كتاباً صغيراً يعتبر (وثيقة من أهم

---

١ الكامل في التاريخ لابن الأثير ، ص ١٦٩ وما بعدها ، المجلد الثامن ، طبع دار صادر — دار بيروت .

٢ الأنساب والأسرات الحاكمة لزامباور ، الترجمة العربية بمصر ، ص ٢٤٠، الجزء الثاني .

٣ المصدر السابق ، ص ٢٤٠ .

الوثائق البلدانية وأمّاً من أمهات المراجع الأصلية)[1] .

وهذا الأزهري الإمام اللغوي المعروف المتوفي سنة ٣٧٠ ه أي بعد كتابة أصل الوثيقة السلمية ، بمائة وثمانين سنة ، يفيدنا بأنه وقع في أسر الأعراب وهو في طريقه إلى الحج أيام فتنة القرامطة سنة ٣١٢ ه بعهد المقتدر العباسي ، وكان الذين أسروه من الأعراب من هوازن – (أبناء عمومة سُليم) المجاورين لهم . ويصف لنا هؤلاء الأعراب الذين وقع في أسرهم بقوله : (يتتبعون مساقط الغيث أيام النّجع ، ويرجعون إلى أعداد المياه في محاضرهم ، زمان القيظ ، ويرعون النَّعم ويعيشون في ألبانها ، ويتكلمون بطباعهم البدوية ، وقرائحهم التي اعتادوها ، ولا يكاد يقع في منطقهم لحْنٌ أو خطأ فاحشٌ) .. ويقول بعد ذلك : (وكنا نتشّى الدهناء ، ونتربع الصمّان ، ونتقيّظ السّتارين . واستفدت من مخاطباتهم ، ومحاورة بعضهم بعضاً ألفاظاً جمة ونوادر كثيرة ، أوقعت أكثرها في مواقعها من الكتاب . وستراها في موضعها إذا أتت قراءتُك عليها إن شاء الله)[2]

ومحل الشاهد هنا أمران : أحدهما إثبات الأزهريّ أن أعراب بادية الحجاز ونجد في سنوات أسْرِه : ٣١٢ ه وما بعدها (وفي إحداها : (٣١٥) كان التجديد الأول للوثيقة السُّلمية ومن قبلها كانت كتابتها لأول مرة أي بسنة ١٩٥ ه) كانوا فصحاء بالسليقة ، واللحن فيهم نادر قليل . والأمر الثاني اعتماد الأمام الأزهري النقل عنهم ، واتخاذ لغتهم مرجعاً عربيّاً فصيحاً معتمداً . ونحن نلاحظ « بَدَاهةً » في نص الوثيقة السلمية التي بين أيدينا أنها غير فصيحة العبارات ، وعباراتها كلها

---

١ الاعــلام للزركلي ، ص ١٤ ، المجلد الخامس ، الطبعة الثالثة ببيروت ، ومقدمة كتاب « اسماء جبال تهامة وسكانها » لعبد السلام محمد هارون ، ص ١٠ .

٢ تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، ص ٧ ، طبع مصر .

عامية ملحونة تقريباً وفيها لحن فاحش ، ومع ذلك نرى فيها بعض أسماء وكلمات فصيحة لم تتغير عن أصولها الفصحي ، كما نرى في بعضها تحريفاً عن تلك الأصول ، هذه الملاحظة هي الّتي جعلتنا نقرر أن « المعنى » فقط هو المنقول ، ونُقل وجُدّد بلهجة القوم حينما انحرفت عن خط الفصاحة العربية السليقية الّتي كانت سمةً وطابعاً ملازماً ملازمة الظل لأسلافهم في سنة ١٩٥ هـ وفي سنة ٣١٥ هـ ..

وهنا سنفصل ما أجْملنَاهُ آنفاً عن حقيقة هذه الوثيقة حسب ما ترآى لنا فنقول :

إننا إذا رجعنا إلى متن الوثيقة السلمية ، لنناقش ما إذا كانت ذات أصل قديم يرجع إلى سنة ١٩٥ هـ أم لا ؟ فاننا سنجد ما قد يبرر لنا التسليم بوجود هذا الأصل العربـي السليم في أساسها .. وذلك يتمثل – أولاً – في ذكر تاريخ كتابتها الأول في تجديدها الرابع .. وتاريخ كتابتها الأول كان بسنة ١٩٥ هـ وفي ذكر تجديدها الثاني والثالث فلو لم يكن قد سبق لها أصل وتجديدات ثلاثة قبل التجديد الرابع الأخير ، لما ذُكر هذا التجديد معطوفاً على التجديدات الثلاث الّتي سبقته في قرون بعضها متقارب وبعضها متباعد .. وثانياً – ان ارتضاء قبلية سُليم لما في هذه الوثيقة يدلنا على أنها أمر ذو أرومة قديمة . وثالثاً – ذكرت في الوثيقة بعض أسماء الأماكن القديمة لبعض ديار بني سُليم كما هي . ويلوح لي أن هذا التحريف العامي الملحون الموغل في لهجة البادية العامية ، والذي يشمل عبارات الوثيقة تقريباً ، حدث في التجديد الثالث لها أي بسنة ١٢٥٥ هـ .. لأن القوم يومئذ كانوا في تأخر فكري وعلمي مطبق ، إذ لم تكن لهم أية عناية بالتعليم في عهد الدولة العثمانية .. بل ربما كانت الدولة لا تعرف إلا القليل من أحوال ديارهم ومجتمعهم القبلي .. وكان الأشراف كذلك لم يوجهوا اليهم العناية المرومة .. ونلمح في بعض أبيات لبعض شعرائهم

في مطلع هذا القرن الهجري أنّةَ شكوى من عدم فتح أبواب المراجعة لهم في شؤونهم ومطالبهم من قبل الشريف عون باشا ، ونحن نجد ذلك في قصيدة لـ (مطلق بن عُضَيِّب المطرودي النوالي (العلاوي) السلمي الذي عاش في القرن الثالث عشر الهجري وكانت وفاته قبل نحو ثمانين عاماً أثناء حكم الشريف عون الرفيق (١٢٥٦ – ١٣٢٣ هـ / ١٨٤١ – ١٩٠٥ م) .. قال مطلق يخاطب الشريف عون الرفيق :

يا (عَوْنْ باشا) دُونَكْ أرْبَعْ قبائلْ   لنا يرومون الشَّرَكْ والحبايلْ

والِلّي ذَبَحْنَا لُهْ عَلَيْنَا دَلاَئلْ   والِلّي يجِينا لُهْ دَلاَئلْ تَغَدِّيه

إلى أن يقول – وهو محل الشاهد – :

إنْ جِيتْ أطْلِعْ لِسيدي شَكِيَّهْ   دُونُهْ مَرَاقِصْ خَيْلْ ومَلاحْمِيَّهْ

وَأحْرابْ دُونُهْ وَقَوْمْ لَظِيَّهْ   تحُولْ مِسْ دُونُهْ وتَقْطَعْ بِباغيه[1]

ومما أفادتنا به « الوثيقة » وجود من يلقبون بلقب « الشيخ » بين ظهراني بني سُليم ، ومعهم في ديارهم .. وآية ذلك أن تجديدها الثاني والثالث ، كان على يد اثنين منهما وهما : (بُقَيَّان الشيخ) و (مبارك ابن عبد الغني الشيخ) . وقد علق على ذلك ، حسينُ بن هندي السلمي بأن هذا اللقب معروف لديهم انه لقب (الأنصار) المقيمين مع بني سُليم في بعض ديارهم حتى الآن وهم معروفون بأنصاريتهم ولهم أملاك ومكانة لديهم .. وإذا رجعنا إلى المصادر التاريخية عن « وجود الأنصار » مع بني سُليم في ديارهم هـذه فاننا سنجد عرام بن الأصبغ السلمي – (من أهل القرن الهجري الثالث) يقول في كتابه : « أسماء جبال تهامة وسكانها » عن خيف سلاّم بقرب قرية مهايع السلمية .. (وسلام هذا

---

١ القصيدة كلها مثبتة في فصل : (شعراء الشعر الملحون النبطي من بني سليم) في هذا الكتاب .

رجل من آغنياء هذا البلد – أي بلد خيف سلام – من الأنصار)[1] .
وفي المغرب بالصحراء الكبرى عرب من الأنصار يسمون هنالك أيضاً بالشيوخ . تماماً كما في ديار بني سُليم .

دراسة للوثيقة في بعض عباراتها

فأولاً – جاءت في ختام الوثيقة صيغة (القُرْمِيَّة) . وفي تجديدها الأول بسنة ٣١٠ والثاني بسنة ١٢٥٨ والثالث بسنة ١٣١٠ والرابع في سنة ١٣٧٧ . والمراد بصيغة (القرمية) هنا (الوثيقة القديمة) .. والقُرْمِيَّة بضم القاف وسكون الراء بعدها ميم مكسورة فياء مشددة مفتوحة فتاء مربوطة – تؤدي – كما يبدو من العبارة – لدى بني سُليم منذ سنة ١٢٥٨ هـ حتى الآن معنى (الأصل والقِدم) وهي مأخوذة من صيغة عربية فصيحة هي (الأرومة) . وتستعمل في عامية المدينة المنورة كما تستعمل في عامية بني سُليم . وهناك كتاب كان مخطوطاً في أنساب المدنيين لعبد الرحمن الأنصاري من أهل القرن الثاني عشر الهجري ، سماه مؤلفه باسم (تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب) ولكن هذا الاسم الطويل أُهمل لدى عوام المدينة وبعض خواصها فصار اسمه المعروف لديهم في أكثر الأحيان هو (القُرْمِيَّة) باعتبار أنه يتحدث عن ارومات الناس في المدينة وأحوالهم وأنسابهم . ووجود هذه الصيغة في « التجديدات الثلاثة للوثيقة » التي تبدأ من سنة ١٢٥٨ هـ يدلنا على صحة ما ذهبنا إليه من ان « النص » الذي بين أيدينا منها الآن هو « منقول من التجديد الأول بالمعنى لا بالألفاظ .. ولا بد أن الأصل الأول بـ ١٩٥ هـ و ٣١٠ هـ قد فقد أو هو شبه مفقود .

---

[1] أسماء جبال تهامة وسكانها ، ص ٣٥ و ٣٦ .

وثانياً ، إن الوثيقة تعطينا تحديداً مقبولاً لدى الجانب السلمي الخاص به : « بني عَلا » ولدى من يُصالونهم فيه من « حرب » . واعتمادها من قبلهم يدلنا على علمهم واعترافهم بأنها قديمة وعليها المعول . ومفهومنا هذا الذي يقول بأنها معتمدة لديهم ، هو بحسب منطوقها الذي بين أيدينا ليس غير .

وثالثاً — تذكر الوثيقة أن الأراضي المحدودة بموجبها هي تخص « بني عَلا » . وبنو عَلا من سُليم . وقد ذكرهم الشاعر السلمي مطلق ابن عُضيب في قصيدته المنشورة في الفصل الذي عقدناه لشعراء الشعر النبطي من بني سُليم .. في أواخر هذا الكتاب . ويفيدنا حسين بن هندي السلمي بأنهم قدماء وأن نسلهم لا يزال موجوداً حتى اليوم .

ورابعاً — ورد في الوثيقة اسم « الشُّعْبَة » . وقد سبق لنا في فصل (ديار بني سُليم الأصلية) أن (الشُّعْبة) : (موضع قرية قديمة مندرسة لم يبق إلا آثارها وبعض الأطُم البسيطة والمتهدمة جوانبها وأطرافها . وآثارها كثيرة ، منها كتابات قديمة قد تكون عادية ، ومنها صُور « لوحوش وحيوانات كانت في هذه المنطقة) .

وخامساً — ورد اسم (الزُّبَيْري) في الوثيقة . وربما كان هؤلاء السُّلميون ينتسبون إلى جد لهم اسمه الزُّبَيْر . وصحة النسب الجماعي إلى الزبير (زُبيريون) .

كما ورد فيها اسم « الرَّبَعي » نسبة إلى ربيعة ، ويعنون بالربعي : الربعيين . والربعى في نسبة المفرد إلى ربيعة صحيحة مثل بجيلة وبَجَلي ، وحنيفة وحنفي .

وورد فيها (العِسْمِيُّ) نسبة إلى العُسُوم . فإذا كان أصل العسمى ، عِسْماً ، فالنسب الجماعي إلى هذه الصيغة هو (عِسْميُّون) .

وهم يقولون أيضاً : (العسوم) .. والعسميون أو العسوم من قبيلة حرب [1] التي ذكرت الوثيقة انهـا تحادُّ أراضي بني عَلا من سُليم ، وهم من زبيد .

وكذلك ورد فيها (العَصَوِيّ) . ويراد به (العصويون) . ولعل العصوي أو العصويين ينتمون إلى بني (عصية) بن خُفاف بن امرىء القيس بن بهثة السلمي .

و (المُعَبَّدِيّ) يعنون به المُعَبَّدين أي قبيلة معبد من حرب .

---

١ بنو حرب الذين بالحجاز مختلف في نسبهم . فابن حزم يقول : انهم من بطون بني هلال بن عامر الذين منهم أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها . فهم عنده قيسيون عدنانيون وأبناء عمومة بني سليم ، ص ٢٧٥ ، الجزء الأول ، طبع دار المعارف بمصر . والهمداني الحسن بن أحمد بن يعقوب يقول بعكس ما قال به ابن حزم : انه يقرر أنهم من سعد خولان من اليمن . وينص على ذلك فيقول : « قال علماء صعدة : ان بني حرب أجلت عن صعدة في سنة ١٣١ ﻫ ... وظعن أكثرهم إلى الحجاز ، لوقائع تواترت عليهم ونزلوا لأول مرة بالعرج فيسوم من وادي نخلة وجبل عروان في أعلى عرفات ، ثم امتدت اقامتهم إلى قدس وأجلوا عنها من فيها من عنزة ومزينة ، عنزة إلى جهة خيبر فهي بها إلى ذلك اليوم ، ومزينة إلى الساحل : بالجار ميناء المدينة القديم المعروف الآن باسم (البريكة) والصفراء وأرض جشم واستقروا في أماكنهم) . وقد حدثت بينهم وبين سليم معارك كما حدثت بينهم وبين غيرهم . وهذه المعارك ذكرناها في فصل : (أيام بني سليم في الجاهلية والإسلام) من هذا الكتاب .

أما عمر رضا كحالة ، فانه في كتابه (معجم قبائل العرب) يرى أن حرباً قبيلة أكثرها من العدنانية وهي غير متحدرة من سلالة واحدة بل هي مجموعة أحلاف . ويحدد الشريف شرف ابن عبد المحسن البركاتي منازلها : « بشمالي مكة حتى حدود ينبع البحر ودائرتها يحدها غرباً من ينبع البحر إلى الرويس شمالي جدة ، ولهم من الموانيء : الرويس وذهبان والدعيجة والقضيمة ورابغ ومستورة والرايس – بجانب الجار – ويحدها شرقاً قبيلة عتيبة وقبيلة سليم وقبيلة مطير بني عبد الله . وقسم من حرب ممتد شرقاً من المدينة إلى حدود شمر ، ويحدها من الجنوب : الأشراف ذوو بركات ، وشمالا غربياً قبيلة جهينة ، وشرقاً : قبيلة عنزة (راجع ص ١٣٧ ، من كتاب « الرحلة اليمانية » .

ووردت فيها : (الظاهرة) حرة سلمية سوداء معروفة لديهم بهذا الاسم إلى اليوم .

سادساً – ذكر في الوثيقة لقب (الشيخ) . وقد أفادني حسين بن هندي السُّلمي بأن هذا اللقب بالذات يطلق عندهم على من هو (أنصاري) لديهم .

و (جَدِّيَّةٌ) المذكورة في الوثيقة يُعنَى بها : الأراضي المحدودة .

و (المهد) الوارد في الوثيقة يدل على (جبل صغير) .. والمهد لغة الأرض المرتفعة .

واذا ذكر (الحديد) في الوثيقة فمعناه (المحدود) .

و (أبُو درب) يقصد به : الطريق .

و (يَنْقَضُّ) من الانقضاض يقصد بها معنى : « يدخل » او يفيض او يميل او ينحدر .

و (أَجَيْمِعٌ) الوارد في الوثيقة هو اسم وادٍ صغير بعينه لبني سليم .

وورد فيها عبارة مكررة هي : (يقطعه قطع الحبل) . والمراد بها يقطعه عرضاً .

وصيغة (يَعْطِي) بمعنى (يمشي) .

و (القِرْوَالُ) على وزن (الغربال) : حزم مرتفع بعينه .

وجاءت في الوثيقة : (حقة اجيمع) بمعنى التابعة لأجيمع .

وجاءت فيها صيغة (الهظبة) المعروفة بالظاء المشالة . وهو لحنٌ عامي أعرابي ، من باب قلب بعض الحروف القريبة في المخرج الى بعض .

وتستعمل الوثيقة صيغة (الذي) في موضع (التي) .

و (المَهَدُّ) بفتح الميم والهـــاء وتشديد الدال المهملة : غير المهْد

بسكون الهاء . فالمَهدُّ المفتوح الهاء يعني به : (مفيض السيل) لأن السيل يَهدُّ ما يعترضه .. في مفيضه .

وفيها كلمة (ضَبع) . وهو واد لسليم بعينه .

و (يَظْهر) في الوثيقة بمعنى (يطلع) .

و (السِّلْعُ) اسم او وصف الطريق الجبلي المرتفع .

و (الغُلَيْثِيَّةُ) اسم موضع لعل فيه نبات الغَلْثى السّامّ فنسبت اليه .

و (ضُبيعة) اسم واد بعينه . وقد مر بنا اسم وادي (ضَبع) .

و (درب كبيدة) درب معروف بعينه يقع في فلاة كبيدة السلمية .

و (خُرْمَةُ يَهرْ) : ربع يهر . ويهر واد ينزل من جبل شمنصير .

و (مقراة مَلَحْ) بمعنى : وادي مَلَح .

و (الجفجف) : حرة سُلمية بعينها .

و (لِبْنَة) واد لسليم بعينه .

و (الحجيلة) واد صغير بعينه .

و (زريبــة القَنَّــاص) بمعنى : حجَر مجموع عن حجارة الوادي بحرة سوداء .

و (رأس المعزَة) : رأس وادي المعْزَة . وهو واد بعينه .

و (البعْصُوصُ) : واد بعينه .

و (قَفْوُ محْويَّةْ) : ظهر حزم معروف بهذا الاسم لبني سليم .

و (مجمر الحَنْفَسة) : جبل اسود يخالف لونُه لونَ ما يجاوره من جبال وهو جبل بعينه . والخنفسة التي ينسب اليها : مَورِد ماء للنعم معروف بعينه .

و (نَبْطُ الشامي) : واد معروف بعينه .

و (يَنْقَضُّ لينْ يِلاَيِمْ) : يهبط حتى يوافق . (لين) – بإمالة اللام – : تحريف كلمتي : (إلى أن) .

و (ثَرِيرْ) : واد صغير معروف .

و (العمار) : واد صغير معروف .

و (الشَّدَخُ) : قرية الشدخ هي لِمُعَبَّدِ من حرب .

و (يقطع على صدر شِعْبِ النِّمِر) : يقطع رأس وادي شعب النمر الصغير المعروف بعينه .

و (ضَها) : واد صغير معروف لبني سليم .

و (يظهر على ضَها الآخر) : يفهم منه أن ضها اسم مشترك يطلق على واديين .

و (درب المِخْوَاع) : طريق معروف لديهم .

و (أُمّ عظام) : واد معروف .

(وعلى ما يذكر من التحديد ويمين) : اي إن ما ذكر من التحديد وما يقع على يمين المُحدَّد كل ذلك للعلاوين من سليم .

و (اللُّصُب ابو حليفاء) : اللُّصُب : مضيق الوادي . وأبو حليفاء وادي لسليم سلكناه في طريقنا إلى ديارهم .

و (إلى أن يَجِيه الدَّرْب) اي إلى ان يدخل المحدود في الطريق المسلوك (الذي يقطع مَهَدّ القُفَيْلَةِ) . المهدّ المصب . والقفيلة واد صغير سلميّ .

(ويظهر مع الرِّيع ابو زربانْ الذي يظهر على صدر مِصْيَانْ) : اي يطلع المحدود او الحد من القفيلة المذكورة آنفاً ويمشي مع الرِّيع – طريق بالجبل – الذي هو أبو زربان الذي يطلع بِدَوْرِه على رأس وادي مصيان .

(ويعطي من عنده ويحتوي المهادّ الصُّفْر) اي يستمر الحد الفاصل بين أراضي العلاويين وأراضي حرب من وادي مصيان السابق ذكره ويدخل إلى المهاد الصُّفْر . والمهاد الصفر اسم لأماكن غليظة من الأرض .

و (عِجْلَة) : واد صغير . و (البناية) : اسم مشترك لمسيلين صغيرين . و (أُمّ السَّمَرْ) : مسيل صغير .

و (يَحَدِّرْها) : ينزل منها مع مسيل وادي السمر .

و (يَلاقِفْ الدَّرْب) اي يلاقي الطريق .

و (لِيا) بمعنى : (إلى) . وهو تحريف عامي ظاهر للحرف : إلى

و (الحصاة الراكبة) صخرة معروفة ، تقع بين بلاد سليم وبلاد حرب في وادي أبو حليفاء .

و (وهي فَيتّْها من العَشِيّ علاوية سلمية ، وَفيتّْها من الصبح عسْمِيّة زبيدية) .. هذا تحديد ساذج دقيق على الطبيعة ، وتوضيحه : ان فَيْء – ظِلّ – الصخرة المذكورة في الاصائل يمتد على اراضي بني علا السلميين وفيؤها – ظلها – في الأصباح يمتد على اراضي العُسُوم من زبيد من حرب .

و (أبو مِسْكِين) : أرض معروفة بعينها .

و (أبو قَرْفة) : اسم أرض هنالك .

و (رَقَبَةُ الحُوَار) . الرقبة بمعنى جهة المشرق عن الحوار ، اي مصادر الحوار . والحوار قرية معروفة .

و (الحديد العِسْمِيّ) : بمعنى : والحدود اراضي العُسُوم من حرب .

و (يَعْطي الشريعة وَيَنْقَضّ على قفو الملاقي من بُرْم) . المعنى : ان الحد ينزل على ظهر المسيل الصغير – الشريعة – ومنه يذهب إلى ظهر ملتقى الشِّعاب من وادي بُرم الكبير .

و (منها ويمين علاوية وُيسَنِّد ويظهر على قفو اليحاميم ، بحاميم المظهر) يعني أن ما كان على يمين الأراضي المحدودة السابقة ، كله علاوى . ويرتفع حد هذه الاراضي على سطح اليحاميم بحاميم المظهر . وهي جبال سود معروفة . والمظهر اراضٍ سُلمية ، معروفة .

و (مِسِيرْ) : واد معروف .

و (يَقْبَلَهْ مُسَنِّدٌ مع الدرب حق الأشن) : سَنَّد في العربية الفصحى ، بمعنى طلع الجبل . وهي هنا تعني مجرد الطلوع إلى تل أو جبل . والمقصود أنّ الحدود ترتفع مع درب الأشن . والأشن من ديار سليم .

و (النوّرَة) اسم واد معروف .

و (الحديد من الشام العَصَوِيّ) أي حد الأراضي العلاوية شمالاً اراضي قبيلة العصوى السلمي . اي العصويين السلميين .

و (يقطع الحِنْو قطع الحبل) . الحنو : واد معروف .

و (العصيبة) : واد لهم صغير بعينه .

و (يقبل تَغَيّ) : تغي واد لهم صغير .

و (الخَلَصَةُ والرِّيع) : الخلصَة جبل بعينه . والريع : الدرب بين الجبال .

و (يحدرهـا تَغَيّ الآخر لِينْ يَنْقَضّ على نَهَوَى) . لين : تحريف لكلمتي : (إلى) و (أنْ) . ونهوى : واد صغير بعينه .

و (وادي ساية) أحد اودية بني سليم الكبار المعروفة . وقد ذكرناه في فصل (ديار بني سليم الاصلية) .

و (وِزَانَ َمهَدّ الشعبة) : اي عند ملاقاتها لمفيض الشعبة .

وبعد فماسقناه لك آنفاً هو حلول لرموز هذه الوثيقة أو ألغازها . لك أن تسميها رموزاً ، ولك أن تسميها ألْغَازاً . فهي ألغاز بالنسبة للهجة حاضرة المملكة العربية السعودية الحاضرة . وهي رموز بالنسبة للغة العربية الفصحى .. وتلك هي لهجة بعض باديتنا اليوم .. هي لهجة خاصة بهم يعرفها بعضهم عن بعض وكلهم عن كل تقريباً .. حالما يحتجب الكثير من عباراتها عن أفهام حاضرتنا المعاصرة .

(توضيح الوثيقة باللغة الفصحى)

وعلى ضوء تلك الحلول التي تلقفناها عن حسين بن هنــدي السلمي مشافهة وبعد مراجعات معه للتثبت والتأكد من صحة الصِّيغ والنطق الجاري عليه لهجتهم السُّلمية أو بالأحرى الأعرابية تمكنتُ من إعطاء القارىء الصورة التوضيحية الكاملة التالية للوثيقة بنقل معانيها وأهدافها إلى اللغة العربيــة الفصحى :

(هذا بيان حدود أراضي بني عَلا . يحد أراضيَهم – شمالاً – قريةُ الشعبة ومرتفع الهرامة وتحدها الأراضي المرتفعة العائدة للزُّبيريين السُّلميين .. وحدود أراضيهم تستمرُّ حتى حزم القِرْوَال الذي هو طريق مسلوك . ومن ثم تهبط حدودها على وادي أجَيْمِع الذي يقطعه الحد من العَرْض * ويستمر الحد إلى ما بين مرتفعي وادي أجيمع ، ويهبط على مــا بين هضبتي وديعة ، والهضبة التي تحتها ، ويرتفع الحد مــع وادي ملح .. ويهبط إلى حرة الظاهرة ويُقبل على مرتفع وادي ضُبَيْع ، ويرتفع إلى وادي ضَبَع ، ومن ثم يخرج مع طريق جبل السِّلْع ويهبط على وادي الفُلَيْتَة . ويذهب إلى طريق فلاة كبيدة ، ويستمر إلى ريع وادي يَهير ، الذي يهبط من جبل شمنصير الكبير المعروف في ديار بني سُليم ، ويذهب الحد إلى الأرض المرتفعة في وادي مَلَح . ويرتفع الحد على وادي لبنة حتى مرتفع الحجيرين ، ومن ثمَّ يتجه إلى درب الشويحطة ، داخلاً فيه ،

ويطلع على حرة الجفجف ، ويطلع على ظَهر كومة الحجارة المجموعة من الوادي المعروف بظهر زريبة القَنَّاص .

وحدود ديار بنى عَلاَ – شرقاً – هي ديار آل ربيعة ، ويطلع حد ديارهم على رأس وادي المَغَرة ، ويذهب مع طريق البعصوص ، وعلى مرتفع ضَبَع ، ويسير على ظهر الحزم[1] المعروف باسم « مَحْوِيَّة » . وينزل الحد أمام مجمر الخنفسة : (جبل أسود بعينه يخالف لونه الجبال المجاورة له) .

وحدود أراضي بني عَلاَ السلميين – جنوباً – هي : أراضي قبيلة مُعَبَّد من حرب . وتذهب حدودهم من هذه الناحية إلى أسفل وادي نَبْط الشامي . وتهبط جنى تلائم وتلاقي مسيل وادي ثَرَيْر الصغير ، ووادي العمار الصغير على ظهر قرية الشدخ العائدة لقبيلة مُعَبَّد الحربية ويقطع الحدُّ رأس الوادي الصغير المعروف بشِعْب النمر . ومن ثم ينقضُّ على وادي ضَهَا[2] . وحدود أراضي بني عَلاَ من هذه الناحية تطلع على ضها الآخر .. مع درب المخواع ، وتطلع على حَرَّة الظاهرة حيث تهبط على وادي أم عظام . وكل ما مر من الحدود شرقاً وما على يمينها هو علاوي . وينزل حد أراضي العلاويين من وادي أم عظام إلى مضيق وادي أبو حُليفاء المعروف باللُّصُب[1] . ومن ثم يمشي الحد حتى يدخل

---

١ الحزم والحزن (بفتح الحاء وسكون الزاي) : الغليظ المرتفع من الأرض .

٢ ذكر ياقوت في معجم البلدان اسم ضها ، وضبطها بضم الضاد ، وقال عنها انها موضع في شعر هذيل .

٣ اللصب لغة : الشعب الصغير في الجبل أو مضيق الوادي ، جمعه لصاب ولصوب . وجاء في معجم البلدان لياقوت الحموي : (لصبين : بكسر أوله ، وهو في الأصل المضيق في الجبل ، وهو موضع بعينه . قال تميم بن مقبل :

أتاهن لبان ببيض نعامة حواها بذي اللصبين فوق جنان

وهذا البيت في ديوان ابن مقبل ، ص ٣٤٣ ، طبع دمشق . وابن مقبل أحد شعراء قيس ، فهو ابن عم لبني سليم .

الدرب الذي يقطع وادي القفيلة ويسير الحد من وادي القُفَيِّلَةِ مع الريع المعروف بأبو زربان الذي يطلع على رأس الوادي الصغير المعروف باسم (مِصْيَان) ، ومن وادي مصيان يذهب الحد ويحتوي المهاد [1] الصفر ، ويذهب قاطعاً وادي عجلَة ، إلى أن يدخل مسيل (البناية) ومسيل أم السمر بأسفل مسيل بناية وينزل عن بناية قاطعاً ما يمر به حتى يلاقي الطريق ، ويمشي معه إلى الصخرة المعروفة باسم الحصاة الراكبة الموصوف ظلها فيما سبق .

وحدود أراضي بني عَلاَ - غرباً - أراضي قبيلة الزُّبيدي .. أي زبيد من حرب ، وتطلع الحدود على أرض (أبو مِسْكِين) وتنزل على مسيل البناية الآخر الواقع في أرض « أبو قَرْفَة » بأعلى قرية الحوار من جهة المشرق ، والحدود العائدة للعسوم .

ويقطع الحد ذلك الوادي قطع الحبل - أي عَرْضاً - ويرتفع الحد مع الطريق ، وينزل على أعلى ملتقيات المسايل المتفرعة من وادي بُرْم الكبير [2] .

وكل الأراضي عَلاَوية من تلك الحدود وما على يمينها . وترتفع الحدود وتطلع على ظهر الجبال السود المعروفة باسم « محاميم المظهر » . وتذهب الحدود إلى وادي مِسِر ، مرتفعة مع درب الأشن ، وتطلع الحدود على وادي النورة .

وتُحد أراضي بني عَلاَ - شمالاً - بأراضي قبيلة العَصَوِيّين السلميين . وتقطع حدودها وادي الحِنْو قطع الحبل ، أي عرضاً ، ويطلع الحد على وادي العُصَيْبَةِ الصغير ، ومنه يتجه الحد إلى وادي تَغَيّ الآخر ،

---

١ المهاد هنا جمع مهد ، وفي اللغة الفصحى : الهدود : الأرض السهلة والعقبة الشاقة والحدور .

٢ في معجم البلدان لياقوت الحموي ذكر لواد لبني سليم يقع في شمال المدينة اسمه (برمة) . وبدهي أنه غير وادي برم الوارد في الوثيقة .

حتى يهبط على وادي نَهَوَى الصغير ، وينزل منه على وادي ساية في موازاة التقاء الشعبة بوادي ساية .

وعلى هذا تم تحرير حدود أراضي بني عَلاَ ، وقام بتحديد هــذه الحدود على ما دُوِّن في هذه الوليقة حمودُ بن عذيب ، وهو يقرّ بأن المحادّين لبني عَلاَ في أراضيهم حضروا هذا التحديد وأقروه ، وشهد على ذلك شهودهم عايض بن ديسة الديسي (السلمي) وحضر لحضوره وشهادته وشهد معه بمــا ذكر آنفاً ، الأصمّ أحــد الصُّمَّان من بني ضُبيب وذوي حسين .. وهــؤلاء الشهود شهدوا على العــدد ، وعلى الإقرارات من الجيران المحادّين لبني عَلاَ بحدودهم المذكورة في هــذه الوثيقة . وكتب هذه الحجة وشهد عليها ، الصنعاني . والله خير الشاهدين سنة ١٩٥ ، وجدد كتابتها من أصلها السابق : الشريف الثقبيُّ من الثقبة بدون زيادة ولا نقص سنة ٣١٠ ، وجددها بعــده بُقيان الشيخ بدون زيادة ولا نقص سنة ١٢٥٨ وكان تجديدها على يد مبارك بن عبد الغني الشيـخ بدون زيادة ولا نقص سنة ١٣١٠ وجددها أخيراً وللمرة الرابعة حامدُ بن حباب الحجيري بدون زيادة ولا نقص سنة ١٣٧٧ » انتهى .

ملاحظات على الوثيقة

هذا ومما يُلاحَظ على نص الوثيقة أن كاتبها الأول سنة ١٩٥ سماهــا « حجة » ثم سميت (قُرْمِيَّة) في التجديدات المتوالية من عام ٣١٠ حتى عام ١٣٧٧ هـ كما يلاحظ تكرار حدود بني عَلاَ شمالاً ، مرتين والأماكن مختلفة . وقد كُتبت الوثيقة في تجديدها الرابع على ورق الحجج الشرعية الأصفر السميك . ومُجدِّدُها للمرة الرابعــة هو (حامــد بن حُباب) السلمي أحد سكان منطقة الكامل ورئيس هيئة الأمر بالمعروف فيها ولا يزال على قيد الحياة حين كتابة هذا الفصل .

أعراف وعادات

لا يخلو تدوينُ العادات والتقاليد من فائدة للتاريخ ، ذلك « لأن في العادات التقاليد دلالةً على نوع الأخلاق ، ونوع العقلية للشعوب »[1] .

والعادات التقاليد الواردة في هذا الفصل هي في واقعها سُلمية ، ولا يزال بنو سُليم يمارسونها في ديارهم بهذه البلاد .. أما بنو سُليم المنتشرون في شتى أقطار العالم ، فلا بد أن عاداتهم سارت على نمط عادات الذين يساكنونهم وتقاليدهم ، لأن الانسان مدني بالطبع ..

وأكثر العادات التي أوردناها هنا ، متوارث عن أسـلاف بني سُليم المعاصرين ، وربمـا يكون بعضها الآن في طريق الزوال ، بسبب طُرُوقِ المدنية والتعليم والتطور أبواب ديارهم . فاثباتها من هذه الناحية ذو أهميـة خاصة بالنسبة لحلقات تاريخ هذه البلاد .. لأن ذلك يحفظ هـذا التراث للأجيال القادمة يوم لا يجدونه ماثلاً في المجتمع السلمي الذي تطور بعد صدور هذا الكتاب .

وهذه طائفة من عادات بني سُليم المعاصرين بهذه المملكة .. كتبهـا

---

١ قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، لأحمد أمين ، ص (د) طبعة مصر .

لنا حسين بن هندي السلمي رئيس قرية الكامل : المركز ، الحكومي لديارهم .

عاداتهم في الزواج

حينما يهم أحد بني سُليم بأن يتزوج ، يأخذ والده ، أو أخاه الكبير ، مع كبار جماعته ، ويقصد بهم أهل المخطوبة . وبعد أن يرتشفوا كؤوس القهوة العربية ، ويتداولوا القصص المناسبة — يتقدم كبير المجلس ، إلى وليّ المخطوبة قائلاً له : فلان بن فلان يطلب مقاربتك ومراحمتك ويريد بنتك أو أختك فلانة . فيردّ عليه وليّ المرأة بقوله : (الله يحييكم) . ويشرح له حقيقة الحال فيما إذا كانت مخطوبته هذه قد خُطبت قبله ، أو لا يريد أن تتزوج المرأة هذا الخاطب . ويقدم له المعاذير الملائمة في ذلك، وينهض الجالسون بكلمة الخير بين الطرفين . أما إذا تم الزواج المنشود فإن الخاطب يدفع المهر ، ويملك عليها وليها له ، وتقام بعد ذلك حفلة الزفاف ، ويقام فرح كبير ، وتذبح ذبائح عديدة ، يذبحها جماعة العريس ، يجتمعون ما بين خمسة وستة ، ويذبح هؤلاء ذبيحة ، ومثلهم غيرهم ، وهكذا دواليك . وهؤلاء يطهون الذبائح . أما أهل العروس فمهمتهم أن يوزعوا الذبائح ، ويقدموها للضيوف المدعوين وغيرهم بالتساوي ، كل مجموعة على ذبيحة . وكل مجموعة من هؤلاء تقدم قصيدة يترنمون بها مع بعض . ويردّ أهل العروس على القصيدة بسرعة ، ويستمر لعبهم هذا حتى الصباح . والقصائد التي تنشد في هذه المناسبات هي من الشعر النبطيّ الملحون .

عاداتهم في الولادة

من دأبهم في الولادة أن تقوم « أمّ النُّفَساء » أو أختها الكبيرة مع

مجموعة من النساء بتوليدها ، وبإطعامها ، والعناية بمولودها . ويظللن على ذلك حتى تستطيع أن تقوم بشؤون نفسها وشؤون وليدهـا . وفي اليوم السابع يذبح الوالد عقيقة واحدة إذا كان المولود أنثى ، وعقيقتين إذا كان المولود ذكراً .

عاداتهم في الأسفار

إذا عزم أحد بني سُليم على السفر ، استصحب معه رفيقاً . وإذا لم يجد المطلوب سافر وحده إلى حيث يريد ويستحسنون أن يبدأ المسافر بالسفر في يوم الخميس صباحاً . ويتفاءل ذوو المسافر له بالفأل الحسن ، ويكثرون السؤال نه من القادمين ، حتى يعود اليهم سالماً .

وإذا كان المسافرون جماعة ، سواء أكان سفرهم على إبل أم على سيارات ، أم يكونون مشاة على أقدامهم — يأخذون معهم أواني الطبخ والأكل والقهوة بقدر اللزوم . وكل واحد من هؤلاء المسافرين يكون اهتمامه مُنصبّاً على تحقيق التعاون فيما فيه فائدة ومصلحة للجميع ، مدة غيابهم عن ديارهم حتى يرجعوا اليها وإلى أهليهم .

وإذا قدم المسافرون من السفر ، وهم جماعة ، فقبل تفرقهم ، يتوادعون ، ويطلب بعضهم السماح من بعض فلعل قصوراً أو ما لا يليق يكون قد حدث من بعضهم على بعض . وعندما يصل المسافر إلى منزله فكثيراً ما تذبح الذبائح ، ابتهاجاً واستبشاراً بعودته سالماً . وهذا إذا كان السفر طويلاً . وكانت هذه العادة متبعة لدى العرب في جاهليتهم قبل الإسلام .. فقد ورد في كتاب جواد علي : (ومن أيام الفرح والسرور عندهم يومُ العودة من السفر . ومن حقهم أن يفرحوا به . فقد كان السفر شاقاً خطراً في تلك الأيام ولا سيما إذا طال ، فقد يتعرض

المسافر فيه للهلاك والموت جوعاً أو عطشاً ، عدا ما يتعرض له من السلب والنهب .. لذلك كانوا يحاولون جهدهـم أن يسافروا جماعـة وقوافل يتعاونون ، ويشد بعضهم أزرَ بعض . وكانوا إذا عادوا ، فرح أهلهم بعودتهم سالمين ، وتلقوهم بالبشر والتهنئة ، وذبحوا الذبائح ، ووزعوا لحومها بين الأصدقاء والفقراء ، وأولموا الولائم للمهنئين والجيران [1] .

عاداتهم في الختان

إذا بلغ عمر الوليد السُّلمي ، أسبوعاً ، أو أربعين يوماً ، أو عامـاً كاملاً – يقوم وليُّ أمره ، بإحضار الخاتن من القبيلة ، ويختن الطفل ، وهو موضوع على حجرين كبيرين غـير خشنين ، وذلك لرفعـه عن الأرض لكي لا يلتصق به شيء من التراب . وبعد ذلك يطلقون العيارات النارية ، على أن لا تتجاوز سبعاً .. يطلقونها في الجو . ويتولى أهـل الطفل معالجته من جراحة الختان ، ويقيمون حفلاً يقرب من الحفل الذي أقاموه في زواج والدته . ويحضر الختان كثيرون من أفراد القبيلة إذا كان الأطفـال الذين يُختنون جملة . ويحصل لعب في تلك الليـلة حتى يسفر الصباح .

عاداتهم في العيدين

الاحتفال بعيد الفطر لدى بني سُليم المعاصرين في هذه البلاد أهم من الاحتفال بعيد الأضحى . فتراهم يلبسون في عيد الفطر الملابس الجديدة

---

[1] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ص ١٣١ ، الجزء الخامس .

الناصعة البياض . وكل من كان لديه سلاح يأخذه معه . ويحمل عتاده في حزام يتحزم به ، ويتوجهون إلى مصلى العيد زرافات ووحداناً . وبعد أن يؤدوا صلاة العيد في المصلى يصافح بعضهم بعضاً ، ويهنىء بعضهم بعضاً بحلول العيد السعيد . ومن كان منهم بينه وبين آخر مشاجرة فإنه يصافحه ويصالحه في ذلك اليوم الميمون ، فيتصافيان وتزول أسباب الخلاف والشقاق بينهما . وبعد الصلاة يجتمعون في صعيد مرتفع ، ويتريضون برمي الأهداف بطلقات بنادقهم ، ويفتخرون باجادة الرماية وإصابة الأهداف ، ثم يعود كل واحد منهم إلى بيته . هذا إذا كانوا حاضرة ..

أما البادية السلميون فأنهم قبل العيد يجتمع منهم جمع غفير في كل بيت من بيوت الشَّعَر . ومدة العيد من ثلاثة ايام إلى أربعة . وفي كل يوم تذبح الذبائح ، ويُطْعِم منها الذين ذبحوهـا ، الآخرين الذين لم يذبحوا .. وهكذا حتى تنتهي أيام العيد ومن ثم يتفرقون في المراعى .

وهكذا شأنهم في عيد الأضحى إلا من ناحية الرماية .

عاداتهم في شهر رمضان

يبتهج بنو سُليم بمقدم شهر رمضان المبارك ، ويطلقون الطلقات المتواصلة من بنادقهم اعلاناً لفرحتهم الغامرة بالعيد ، ويخبر بعضهم بعضاً بقدومه . وتمضي ليالي شهر رمضان عندهم كلها في غبطة وانشراح ، ويكثرون فيه من الصلاة والصدقة . وأهل البادية في هذا الشأن مثل أهل القرى ..

أعراف أخرى

يكرمون ضيفهم ، ويحسنون جواره ، ولمن جاورهم أو استجار بهم

الحماية . وباديتهم كثيرو الترحال وراء الأمطار ، وإلى منابت العشب . أما حاضرتهم فيتعاطون زراعة النخيل والليمون والفواكه والحبوب بأنواعها في بلادهم .. كما يتعاطون التجارة . وليس في بلادهم في الوقت الحاضر خيل يُربونها ، أو خيل يركبونها ، كما كان عليه الحال لديهم في سالف الأزمان ، إبان الجاهلية القريبة من الإسلام ، وفي صدر الإسلام .

أمثال عامية لبني سُليم

آثرتُ صيغة « العامية » في وصف أمثال بني سُليم المعاصرين – على صيغة « الشّعبية » لأني رأيتها أدق في إعطاء الوصف المروم .

وقد حدد أحمد بن محمد النيسابوري المعروف بالميداني المتوفي سنة ٥١٨ هـ في كتابه – المثلَ في أشكال وتعريفات رواها عن العلماء .. فنقل عن المبرد ان المثل مأخوذ من المثال . وأنه : « قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول » . والأصل فيه التشبيه . فقولهم مَثَلَ بين يديه إذا انتصب معناه : أشبه الصورة المنتصبة . وفلان أمثل من فلان ، أي أشبه بما له من الفضل . والمثال : القصاص ، لتشبيه حال المقتص منه بحال الأول . فحقيقة المثل : ما جعل كالعلم ، للتشبيه بحال الأول ، كقول كعب ابن زهير :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً وما مواعيدها إلا الأباطيل

فمواعيد عرقوب ، « علم لكل ما لا يصح من المواعيد » .

ويفسر ابن السكيت المثل بأنه : « لفظ يخالف لفظ المضروب له ، ويوافق معناه ، معنى ذلك اللفظ .. شبهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره » .

ولا يخرج رأي ابن السكيت عن رأي المبرد السالف ذكره .

وعرّف لنا ابراهيم النظام المثل بما يُعرَف في علم المنطق بالتعريف بالخاصية ، فقال : « يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكناية » فهو نهاية البلاغة .

وقال ابن المقفع : « إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق ، وآنق للسمع ، وأوسع لشعوب الحديث » . وقد كانت الأمثال العربية الدارجة على ألسنة الشعب العربي فصيحة في عهد فصاحة العرب ، فلما غشيتهم العامية وركبتهم العجمة ، هبط مستوى الأمثال إلى مستوى كلامهم الدارج ، فخرجت عن إطار الفصاحة أيضاً .. وأمثال بني سليم وأمثال كل قبيلة عربية ، وكل قطر عربي منذ ذلك العهد ، إلى يوم الناس هذا ، سائرة على هذا المنوال ، فهي مثل لهجاتهم وهي نابعة منها ، وهي محشوة بالأغلاط النحوية ، ولا تتقيد بالسَّنن العربي الفصيح .

وما يأتي من أمثال بني سليم المعاصرين دليل واضح على صحة هذه النظرية .

هذا وجدير بعلماء العرب والمسلمين ان يقوموا بدراسات واسعة في أبعاد الأمثال العربية العامية المختلفة من ناحية علاقتها بالأمثال العربية الفصحى ، ومن ناحية علاقتها بمجتمعات الأقطار والمدن والأرياف والبادية التي تُضرب فيها قديماً وحديثاً .

إن الأمثال العامية العربية بحر واسع متلاطم وموضوع واسع الأطراف . وهي في تبدل وتغير ومحو واثبات ، وربما اندثر بعضها وانمحى من الوجود ، وحل محلها أمثال أخرى أو لا يحل .. وكل ذلك مرتبط بالبواعث والفواعل الاجتماعية وغيرها .

يقول احمد امين في « قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية » : (وإني اعتقد أن في العادات والتقاليد دلالة على نوع الأخلاق ، ونوع

العقلية للشعوب ، وأن في التعابير الشعبية من أنواع البلاغة ما لا يقل شأناً عن بلاغة اللغة الفصحى ، وأن هناك من أمثلة المصريين وتعبيراتهم وزجلهم ما يُعجب به عالم البلاغة ، كما يُعجب بامرىء القيس وزهير) ص (د) .

ويصح أن يُقال في امثال شبه جزيرة العرب وسائر بلاد العرب ما يقوله احمد أمين عن أمثال مصر .. وبنو سليم في الصميم من سكان شبه جزيرة العرب .

ويقول عبد الرحمن التكريتي في « الامثال البغدادية المقارنة مع أمثال أحد عشر قطراً عربيّاً » : (أمثال كل أمة خلاصة تجاربها ، ومستودع خبراتها ، ومنار حكمتها ، ومثار ذكرياتها ، ومرجع عاداتها ، وسجل وقائعها — وترجمان أحوالها — إلى ان يقول : (فهي مرآة الأمة ، تعكس واقعها الفكري والاجتماعي بصفاء ووضوح) وقد أوضح أن عناية العرب بالأمثال قديماً ضئيلة ، ولكنهم استدركوا ذلك النقص حديثاً بعد أن ادركوا أهميتها ، فعنوا بجمعها وشرحها والبحث عن أصولها ، واقتصر بعض المؤلفين على أقطارهم دون تجاوز حدودها وما زالت بعض الأقطار العربية لم يظهر من أمثالها شيء حتى يومنا هذا) .

وكما يقول التكريتي .. قد بدأ الاهتمام بدراسة الامثال العامية يغزوها العرب . وقد اطلعت على هذه الكتب المؤلفة حديثاً فيها وهي : الامثال العامية في نجد — للاستاذ محمد العبودي . والامنال البغدادية المقارنة مع امثال احد عشر قطراً عربياً — لعبد الرحمن التكريتي . والامثال اليمانية مع مقارنتها بنظائرها من الامثال الفصحى والامثال العامية في البلاد العربية — لإسماعيل الاكوع . وكتاب احمد تيمور : الامثال العامية . وفي كتاب «تاريخ مدينة جُدة» لمؤلف هذا الكتاب طائفة من الامثال التي تُستَعْمَلُ في جُدة في العصر الحاضر.

* * *

وبعد فهذه طائفة من أمثال بني سليم العامية المقيمين في المملكة العربية

السعودية بديارهم القديمة في أعالي الحجاز بين نجد والحجاز . وقد كتبها لنا الشيخ حسين بن هندي السلمي :

- من عَطَى نصف يريد مليتها [1]
- صَرْدَانَه ما تُدَفي بَرْدَانَه [2]
- الجَيْعانْ يَتَحَلَّمْ بِسُوقَ العَيْشْ [3]
- يا أبُو المكَاسِبْ راسْ مالَكْ لا يَضيعْ [4]
- عُرْضَ الصياحْ صياحْ وَتَسْلَمْ [5]
- ضربني وبكى وسبقني واشتكى
- إذا أرَدْتْ فِراقَهْ فاضْرِبَهْ باللّي ما يِطاقَه [6]
- مَنْ لا نَفَعْني والبِلادْ أمانْ ما فادَني والبِلادْ مَخيفَه [7]
- يُريدْ يَداويها وأعماها

---

١ يعني من أعطى شيئاً فهو ينتظر أكثر منه .

٢ الصردان والبردان بمعنى واحد . ويضرب المثل في ان الضعيف لا يستطيع نفع الضعيف .

٣ المعنى : ان الجوعان يحلم دائماً بسوق مملوءة بالخبز . ومضرب المثل ان الإنسان الأدنى يتطلع دائماً لمن هو أعلى منه .

٤ المعنى : يا محب المكسب احذر من ضياع رأس مالك ... يضرب لمن يتطلع للربح الوفير ، ويخشى أنه لا يحسن التصرف ، والمثل توصية له بالحرص على المحافظة قبل كل شيء على رأس المال .

٥ المعنى : عليك أن تقابل الصياح بصياح أشد منه لعلك بذلك تسلم . ويقابله في أمثال الحجاز العامية المعاصرة : (قابل الغوش بالغوش لعلك تنجى (– أي تنجو .

٦ المعنى : إذا أردت فراق إنسان فعليك أن تقدم له أمراً كبيراً لا يطيقه ، ليفارقك حالا عند سماعه بذلك .

٧ المعنى : من لا فائدة منه لك في وقت الرخاء وطيب العيش فأحرى به أن لا يفيدك في وقت الشدة .

● عدُوَّكْ صاحِبْ صنْعَتَكْ

● إحْفَظْ عن جارِكْ ولا تتَّهِمهْ

● قريبكْ مِن نصيبكْ

● يا خالَ أبُويَ حُكَّ أظْهَرِي

● كيْفْ حاَلكْ يوم أمْسيتْ ، قال : مِثْلي يوم أصبحتْ

● َحيْمِرْ عينكْ وأرْخٍ إيديكْ

● ما جاتْ بهُْ سودَ الليَّالي غدتْ بَهْ

● إحفظْ مالكْ يصلَحْ حالكْ

● أبْعِدْها عنّي واطلبْ ثمرتها منّي : (هذا المثل عن النخلة)

● سوقَ الرجال بِسوايقْها وتسْلَم مِنْ بوايقْها : (معنى هـذا المثل : اعط الناس بقدر ما يعطونك) .

● صب القوم على القوم وتسلم من عواقبهم (يعني هذا المثل : اترك العدو يتصارع مع عدوه لتسلم منهما) .

● رِجْلَ الدِّيكْ َتجيبَ الدِّيكْ : يعني المثل : أن رجل الديك تسحبه اذا سحبت) .

بنو سُليم آخرون

يرى مؤلف « الرحلة اليمانية » أن قبيلة معاوية المقيمة بقضاء غامد في جبال السراة ، بجنوب الطائف البالغ تعدادها اثنين وأربعين ألفاً ، تنتسب (إلى معاوية بن بكر بن هوازن بن سُليم بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس بن عيلان بن الياس — إلى — عدنان)[1] .

وقبيلة سُليم التي هي بغامد ، هي قحطانية ، ولا تمُتُّ إلى قبيلة سُليم العدنانية بصلة نسب . قال ابن حزم في فصل : « وهؤلاء سليم بن فهم ابن غنم بن دوس » ما نصه : (وَلَدُ[2] سُليم بن فهم : ثعلبةُ وتبيع . فمن ولد ثعلبة : أبو هريرة . وقد اختلف في اسمه اختلافاً عظيماً . وثبت الكلبي على أنه عبد الله بن عامر بن عبد ذي الشَّري بن طريف بن عباد بن أبي صعب بن هنية بن سعد بن ثعلبة بن سُليم بن فهم — صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد أفادنا ابن حزم بأسماء أبناء أبي هريرة وهم : المحرز وعبد الرحمن وبلال ، كما ذكر ابن ابنه :

---

١ الرحلة اليمانية ، للشريف شرف بن عبد المحسن البركاتي ، الطبعة الثانية ، ص ١٢٣ .

٢ (ولد (هنا) مضموم الدال (: فهو اسم بمعنى (الابن) لا فعل ماض وهذا أسلوب ابن حزم في كتابه (جمهرة أنساب العرب) وقد استعمله أيضاً في أنساب سليم بن منصور بن قيس عيلان .

عبد الرحمن بن بلال بن أبي هريرة ، وقال : إنه (محدث) وذكر أخاه كريماً ، وابن عمه أبا عبد الله الأغر . وخاله : سعد بن صُبَيْح ابن الحارث كان في الجاهلية لا يأخذ أحداً من قريش إلا قتله بأبي أزيهر الدوسي الذي قتله هشام بن المغيرة المخزوميُّ ، لمطله إياه بمهر أختـه . وعبد الله بن النعمان الذي ينتهـي نسبه إلى ثعلبة بن سُليم بن فهم . ومن ولده عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن النعمان ، وَلاّهُ المهدي السَّراة . فهو من أمراء الدولة العباسية على جبال السراة ، وعُمارة بن عمر بن أبي كلثم الذي قال حينما قُتِلَ الوليد بن يزيد : (لئن انتضيتُ سيفي لا أغمده وفي الأرض قُترشيٌ حتى أقتله) فأخذه مروان بن محمد ، فضرب عنقه صَبْراً ، وذو النور الطفيل بن عمرو ابن طريف بن العاصي بن ثعلبة بن سُليم بن فهم ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي جعل الله له نوراً في وجهه بدعوة رسول الله ، فقال : « يا رسول الله أخشى أن يقول قومي : هي مُثلة » فرجع النور في طرف سوطه ، فكان يضيء في الليل ، وقد قتل يوم اليمامة ، وقتل ابنه عمرو ، يوم اليرموك ، وهو الذي جعل شعار الأزد : (يا مبرور .. يا مبرور) [1] .

ومعاوية بن بكر بن هوازن ، ليس ابناً لسليم بن منصور ، الذي هو الجد الأعلى لقبيلة سُليم بن منصور ، والذي تنسب اليه . بل إن معاوية هذا هو : (ابن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس) وهو حفيد هوازن ، وهوازن أخو (سُليم) بن منصور [2] .. ووالد هوازن وسُليم هو (عكرمة) بن خصفة بن قيس عيلان . وعلى ذلك فإن ما ورد في الرحلة اليمانية فيه خلط كثير .

---

١ و ٢ جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٨١ ، و ٣٨٢ ، و ٢٦٤ .

ومن كل ما سبق يستبين أن سُليم السراة ، أو قضاء غامد ، ليسوا من سُليم بن منصور في قبيــل ولادبير ، فأولئـك دَوسيون أزديون قحطانيون ، ولهم أبناء عمومة آخرون ، ينتمون إلى عدْثان – بالثاء – ابن عبد الله بن زهران .. وهؤلاء هم زهرانيون ، وهم أيضاً أزديون قحطانيون .

أما بنو سُليم بن منصور ، فهم في نسبهم بمنأى عن نسب سُليم بن فهم الأزديين القحطانيين ، فسليم بن منصور عدنانيون – بنونين – من قيس عيلان . وبلادهم تقع شمال الطائف قديماً وحديثاً . وبنو سُليم بن فهم الأزديون مساكنهم بجبــال الحجاز – السراة – جنوب الطائف ، قديماً وحديثاً .

ومما يَدْعَمُ أن بني سُليم السراة هم أزديون من بني قحطان ما أورده محمد بن سعد قال : (كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبـي ظبيان الأزدي من غامد ، ويدعوه ويدعو قومه إلى الإسلام ، فأجابـه في نفر من قومه بمكة ، منهم مِخْنَفٌ ، وعبد الله ، وزهير ، بنو سُليم ، وعبد شمس بن عفيف بن زهير .. هؤلاء بمكة)[1] .

فأنت ترى أن ابن سعد قد نص على أن هؤلاء السلميين هـــم من غامد ، ومن الأزد .

والواقع ان اسم « سُليم » أو « بني سُليم » هو من أسماء العربيـة المشتركة بين عدة قبائل عربية مختلفة الأنساب ، فسُليم بن منصور – بضم سين سليم – هم من بني معد بن عدنان لأنهم من قيس عيلان . وبنو سُليم بطن من جذام القحطانيين[2] ، وبنو سُليم بطن من شنوءة من الأزد

---

١ الطبقات الكبرى لابن سعد ، ص ٢٨٠ ، المجلد الأول ، طبع بيروت .

٢ في (لسان العرب) لابن منظور أن « سليماً أيضاً قبيلة في جذام من اليمن » (مادة سلم) .

من القحطانية ، وهم بنو سُليم بن قطرة بن غنم بن دوس بن عُدثان – بثاء مثلثة – بن عبد الله بن زهران بن كعب الخ) .

وقد ذكر القلقشندي بني سُليم الذين هم بطن من جـــذام أيضاً كما ذكر بني سُليم الذين هم بطن من شنوءة من الأزد من القحطانية ، إضافة إلى ذكره لبني سُليم الذين هم من قيس عيلان[1] .

ويبدو لي أن « المقريزي » قصر بحثه على بني سُليم بن منصور الذين أُخرجوا من ديارهم مرتين ، مصر إلى مصر ، ومرة بعدهـــا من مصر إلى أرض المغرب ، ولم يتعرض للسلميين الآخرين[2] .

وقـد مر بنـــا في فصل : (بنو سُليم أصلاً وفصلاً ، وهجرات وتنقلات) تفصيل واف لفروع بني سُليم بن منصور الذين هاجروا – عوداً على بـــدء – من المغرب إلى مصر في القرن الثاني عشر الهجري الموافق للثامن عشر الميـــلادي ، ومر بنا أنهم قـــد انتشروا من غرب الاسكندرية إلى مديريات الفيوم ، والمنيا ، وبني سويف ، كما انتشرت بطون منهم في أرض الدلتـــا شرقاً وغرباً ، وفي بعض مناطق الصحراء الغربية .. كما مر بنا أيضاً – في ذلك الفصل ، أسماء أفخاذ بني سُليم المقيمين ببرقة في زمن القلقشندي (القرن التاسع الهجري) .

ولست أدري أسليم السودان ، من قيس عيـلان أم من الأزد ؟ .. وجاء في كتاب « تاريـخ السودان » لنعوم شقير : أن سُليماً من أشهر قبائل السودان ، على النيلين : الأبيض والأزرق ، والجزيرة بينهما جنوبي قبيلة كنانة . وفي موضع آخر ذكر أن سُليم السودان تنتسب إلى جهينة[3] .

---

١ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص ٢٧٣ و ٢٧٤ ، طبع مطبعة النجاح ببغداد .
٢ البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، للمقريزي ، طبع القاهرة .
٣ تاريخ السودان ، لنعوم شقير ، ص ٦٢ .

فإذا ثبت هذا فمعناه أنهم من غير قبيلة بني سُليم بن منصور التي تنتسب إلى قيس عيـلان ، وذلك لأن جهينة قبيلة من قضاعة ، وقضاعة في أصح الأقوال غير عدنانية ، وحتى لو كانت جهينة عدنانية ، فهي ليست بذات صلة نسبية بقبيلة بني سُليم بن منصور .

على أن ابن خلدون في كتابه (العبر) يخبرنا بأن جهينة انتشرت ما بين بين صعيد مصر وبلاد الحبشة ، وكاثروا هنالك سائر الأمم ، وغلبوا على بلاد النُّوبة ومزقوا كلمتهم وأزالوا ملكهم ، وحاربوا الحبشة فأرهقوهم إلى هذا العهد [1] . فهذا نص صريح بوجود جهينة في بلاد السودان بكثرة .

ويقول عبد المجيد عابدين : انهم دخلوا السودان في موجات متعددة ، واتجه معظمهم من طريق وادي النيل إلى الشرق حيث بلاد البجة وساحل البحر الأحمر ، واكتظت بهم المنطقة الواسعة التي تأخذ من حلفا الحالية إلى شمال غربي الحبشة ، وكان لهم أثر قوي في الضغط على مملكة النوبة المسيحية الشمالية ، مملكة المقرة ، حتى أزالوها ، ثم تدفقوا إلى الغرب ثم إلى الجنوب ، فشغلوا بقاعاً متراميـة من السودان تمتد من الشرق إلى الغرب [2] .

وعلى هذا فربما يكون معظم بني سُليم الذين استوطنوا السودان من جهينة التي اكتظ بها السودان كما يقول المؤرخون ، جـاز أكثرهم إلى السودان من صعيد مصر ، وجاز أقلهم في الفترات الأخيرة من الزمن بحراً من ناحية ينبع إلى السودان رأساً .

ويؤكد المقريزي أن عرب جهينة التي هي من قبائل اليمن (هي أكثر

---

١ العبر ، ص ٥١٦ ، المجلد الثاني .
٢ تعليقات الدكتور عبد المجيد عابدين على نهاية الأرب ، للقلقشندي ، ص ١٤٩ و ١٥٠ ، طبع مطبعة أحمد مخيمر .

عرب الصعيد) وكانت مساكنهم في رأيه في بلاد قريش فأخرجتها قريش بمساعدة عساكر الفاطميين ونزلوا في بلاد إخميم أعلاها وأسفلها . ويصحح الدكتور عبد المجيد في تعليقاته على كتاب المقريزي منازل جهينة ، فيقول – نقلاً عن ابن خلدون إنها كانت ما بين الينبع – ينبع – ويثرب ، في متسع من برية الحجاز ، وانه جاز منهم أمم إلى العدوة الغربية من بحر القلزم وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة إلى آخر ما سلف بيانه [1] .

والهجرة لمن كان في مثل حال قبيلة جهينة القضاعية ، وبني سُليم العدنانية ، في خفة المحمول واعتياد النجعة أمر سهل ميسور .

ويذكر محمد مرتضى الزبيدي في كتابه : « تاج العروس من جواهر القاموس » أن (بني سَليمة كَسَفِينة : بطن من الأزد ، وهم بنو مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن الأزد . وكَجُهَنِيْة قد تقدم ، والنسبة : سُلَيمْيٌّ . قال سيبويه نادر .. قلت – القائل هنا هو محمد مرتضى الزبيدي – وهم إلى الآن في نواحي البحرين اجتمعتُ بجماعة منهم) – مادة سلم . وكرر هذا القول أيضاً مرة أخرى ، إلا أنه قال : (ومنهم بقية بالبحرين إلي يومنا هذا ، وقد اجتمعتُ بجماعة منهم) (المسادة السابقة) [2] .

ولا ينفي هذا ما ثبت من المصادر الموثوق بها من أن بني سُليم بن منصور نزحوا مع القرامطة إلى البحرين .. إبان اجلاء هؤلاء من ديار الشام .. وربما كان قد بقي منهم بعض بيوت آثروا المقام في البحرين فيما بعد .

---

١ البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، للمقريزي ، والتعليق عليه للدكتور عبد المجيد عابدين ، ص ٣٢ .

٢ تاج العروس ، مادة سلم .

قِسْمُ التَّراجم

صحابة من بني سُليم

من هو الصحابيّ ؟

اختلف في تعريف « الصحابيّ » . فقال النووي في كتابه : (تقريب النواوي) ما نصه : (المعروف عند المحدثين أنه – أي الصحابيّ – كل مسلم رآى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن أصحاب الأصول أو بعضهم أنه : كل من طالت مجالسته على طريق التبع . وعن سعيد بن المُسيب أنه لا يُعَدُّ صحابيّاً إلا من أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة أو سنتين ، أو غزا معه غزوة أو غزوتين ، وقد ضعّف النووي هذا القول بالنّسبة لسعيد بن المسيب ، وقال عنه : (فإن صح عنه – أي هذا القول – فهو ضعيف .. فإن مقتضاه أن لا يُعدّ جرير البجلي وشبهه صحابيّاً ، ولا خلاف أنهم صحابة) .

وقال النووي عن الكيفية التي نعرف بها صحبة الصحابي : (ثم تعرف صحبته ، بالتواتر ، أو الاستفاضة ، أو قول صحابي ، أو قوله إذا كان عدلاً)[1] .

---

[1] تقريب النواوي ، للإمام النووي ، ص ٣٩٦ – ٤٠٠ ، طبعة مصر ١٣٧٩ هـ = ١٩٥٩ م .

تلك ثلاثة أقوال أوردها النووي في تعريف « الصحابي » ومجملها كما يلي :

أولاً — الصحابي عند المحدثين كل مسلم رآى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثانياً — الصحابي — عند أصحاب الأصول أو بعضهم — كُلُّ من طالت مجالسته للرسول على طريق التبعة له والاخذ عنه .

ثالثاً — الصحابي — في رأي نُسِبَ إلى سعيد بن المسيب — هو من أقام مع رسول الله سنة أو سنتين أو غزا معه غزوة أو غزوتين .

وثمة أقوال ثلاثة أخرى في تعريف الصحابي أوردها السيوطي في كتابه : (تدريب الراوي شرح تقريب النواوي) هي :

أولاً : الصحابي : من طالت صحبته وروى عن الرسول .

ثانياً : الصحابي : من رآى الرسول (ص) وهو بالغ .

ثالثاً : الصحابي : من أدرك زمنه صلى الله عليه وسلم وإن لم يره [1] .

وإذا كان لمثلي أن يقول شيئاً في هذا الموضوع .. فإني أرى أن التعريف الأول الذي قدمه لنا النووي وهو : أن الصحابي : كل مسلم رآى رسول الله (ص) — هو التعريف الأمثل للصحابي .

هذا وقد أوردتُ في هذا الفصل جملةً من الصحابة السلميين .. وهو استعراض متفاوت لحيوات من تمكنت من معرفة تراجمهم حسب ما اطلعت عليه فيما بين يدي من المراجع حين كتابة هذا الفصل ، عن الصحابة السلميين رضي الله عنهم ، وليس إحصاءاً ، ولا شبه إحصاء ..

---

[1] تدريب الراوي شرح تقريب النواوي ، لعبد الرحمن السيوطي ، ص ٣٩٩ ، طبعة مصر .

فإني ما اطلعت على كل ما كُتِب في هذا الشأن ، ولا على كل من تُرجموا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من بني سُليم .. وما لا يُدرك كله لا يُترك كله .

على أنه حتى في المراجع التي هي بين أيدينا ربما يفوت على الرؤية أسماء بعضهم ، فلم تدرج في هذا الفصل ، لسهو أو تجاوز نظر .. والكمال لله وحده ..

وجدير بالذكر أننا قفّينا فصل الصحابة السلميين هذا ، بفصل آخر عن الصحابيات السلميات التي استطعنا أن نتوصل إلى تراجمهن من بين ثنايا المصادر التي بين أيدينا .

فن كتابة التراجم

هذا وقد عرَفت الحضارةُ العربية الإسلامية ، فن كتابة التراجم ، قديماً . والترجمة تؤدي معنى تدوين السيرة أو تاريخ حياة من تترجم له أولها . وأول ما عُني به المسلمون من فن التراجم ، تدوينُ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم . وحينما اتسعت الدائرة شملت في إطارها ، سيَر صحابة الرسول ، خاصة أولئك الذين سبقوا إلى الإسلام ، ووردت أسماؤهم في أخبار المغازي النبوية ، وفي الأحداث التي كانت منذ فجر الإسلام ، وأولئك الذين رووا أحاديث المصطفى ، وتسلسل ذلك إلى تراجم التابعين ، ومشاهير الفقهاء والعلماء والأدباء وغيرهم ممن حفلت بهم كتب التراجم في الحضارة العربية الإسلامية . ومن ثم عُني المترجِمون – بكسر الجيم – بوضع معاجم ، وكُتبٍ تشمل تراجم المشاهير والأعلام في حرب ، وفي سياسة ، وفي اقتصاد ، واجتماع ، وفي غير ذلك .

ومن التراجم ما يختص بأعلام دولة معينة أو إقليم معين ، أو قبيلة من القبائل ، أو بلد من البلدان [1] .

والتراجم التي دونت في الفصول التالية هي النوع الخاص بالصحابة الذين ينتمون خاصة إلى قبيلة بني سُليم ، هذه القبيلة التي انتشرت في أركان المعمورة حتى لا يكاد يعرف بعض أبنائها بعضاً ، وقد لا يكون سمع بعضهم بأسماء بعض .

وستتلوه تراجم أخرى للصحابيات السلميات ، فالتابعين السلميين ، فالتابعيات السلميات ، فالعلماء السلميين والمفتين والقضاة ، فالعالمات السلميات ، فالأمراء السلميين والقادة والولاة ، ومن اليهم من المحتسبين والفرسان والموظفين فالسراة والتجار ، ورجال الأعمال السلميين ، فالشعراء السلميين والأدباء ، فالشاعرات السلميات ، ومن بعد ذلك الرواة وشعراء الشعر النبطي السلميون . ونماذج مما قاله الشعراء السلميون المعاصرون في الشعر العامي المعروف بالشعر النّبطي .

ولسنا نزعم أننا أحصينا كل نوع من الأنواع المذكورة ، أو كل شيء عنها ، وإنما هي « نماذج » تدل على غيرها . وهي على كل حال ليست إحصائية وإن كنت قد راجعت الكثير من المصادر القديمة والحديثة في هذا الميدان ، مما هو مدون في هوامش صفحات هذه الفصول .

ولا اكتم للقارىء أن « قسم التراجم » في هذا الكتاب ، قد أخذ الكثير أيضاً من صفحاته . وذلك لما لهذا الفن من أهمية دقيقة في إماطة اللثام عن حياة المجتمعات بتقصي حقائق حيوات أفرادها الذين تتكون منهم جماعاتها . وقد أدرك علماؤنا قديماً أهمية هذا الفن وأولوه عناية خاصة ،

---

١ القاموس الإسلامي ، لأحمد عطية ، ص ٤٥٦ ، الجزء الأول .

ودونوا فيه الأسفار الكثيرة ، ولم يكتفوا بذلك بل قدموا لنا المزايا الخاصة بهذا الفن التي جعلتهم يولونه قسطاً كبيراً من عنايتهم .. يقول السخاوي إن : (ذلك أوفى مصنفات التواريخ فائدة ، وأكثرها عائدة ، وأجلها أثراً ، وأطيبها خبراً ، وأحسنها سمراً ، وأحلاها ثمراً ، لأن فيها ما يبعث على الفضائل ، واجتناب الرذائل . وفي مصارع الأعيان ، ومن ساعده الزمان ، اعتبارٌ لمن اعتبر ، وتجربة لمن تفكر . إذ اللبيبُ يرى مكارم الأخلاق فيستحسنها ، وعوائد الخير فيطلبها ، وعواقب الشر فيتجنبها)[1] .

ويقول العقاد : (شغف الناس في هذا القرن بقراءة السير ، فهي تحررهم حين يقرؤونها من حدود الزمن ، وتعيدهم إلى الماضي ، يستمدون منه العبرة ، ويتزودون منه بالعظات ، فتتصل بذلك حلقات الانسانية ولا تنقطع) .

ثم يقول : (وكتابة السير ليست عمل سهلاً ولا هيناً ، ولكنه من أصعب صنوف التأليف ، فهي تتطلب من كاتبها أن يجمع بين قدرة المؤرخ ، وموهبة الأديب ، ليصبح قادراً على تحري الحقيقة ، واستقصاء الشواهد ، والتزام الحيدة والإنصاف) .

ويضيف قوله : (ولا شك أن للعرب نصيباً كبيراً في الحضارة الإنسانية . والتاريخ العربيُّ زاخر بالأمجاد ، حافل بالأعلام ، في كل فرع من فروع المعرفة ، وفي كل ميدان من ميادين الحياة . وما أحوجنا في هذا الطور من أطوار نهضتنا العربية المتوثبة إلى دراسة هؤلاء الأعلام ! والترجمة لكل منهم في كتاب يؤلفه كاتب من المتخصصين ، يعرض فيه سيرته ، ويحللها ، ويصف عصره ووقائع حياته ، ويبرز شخصيته ، ويبين آثاره

---

١ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، للسخاوي ، ص ٢٣٧ ، طبع مطبعة العاني ببغداد .

وفضله ، على التقدم الإنساني [1] .

وهذا الذي يشيد به السخاوي والعقاد من أهمية فنّ التراجم ، هو أمر واقع ، وأضيف إلى قولهما : أن فن التراجم والسير هو « العرق النابض » بالحيوية في التاريخ .. ذلك أن إبراز مزايا المترجم تدعو القارىء من حيث يدري ولا يدري إلى الإعجاب . والإعجابُ يدعو إلى محاولة المحاكاة. ومحاولةُ المحاكاة تدعو إلى المضي فيها قُدُماً . والمضيّ فيها قُدُماً وبعناية يدعو إلى أن يبرز علماء وأعلام مماثلون أو على منهج من أعجب القارىء بسيرته .

وبنو سليم قد حفل تاريخهم بالأعلام ، في دينٍ وحربٍ ، وفي أدب وسياسة ، وفي إدارة واجتماع ، ممـــا سترى نماذج منه في الفصول المتتابعة التالية .

عمرو بن عبسة السلمي

هو عمرو بن عبسة بن خالد بن حذيفة بن عمرو بن خلف بن مازن ابن مالك بن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منظور [2] — منصور — بن عكرمة ابن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر . ويكني عمرو بن عبسة ، « أبا نجيح » .

قصة دخوله الإسلام

حدث عمرو بن عبسة عن دخوله في دين الاسلام .. فقال :

« أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو نازل بعكاظ ، فقلت :

---

١ محمد عبده ، لعباس محمود العقاد .

٢ في كتاب « الطبقات الكبرى » لابن سعد ، طبعة بيروت ، بدار صادر : (منظور) بالظاء المشالة . وصوابه كما هو معروف : (منصور) بالصاد المهملة .

يا رسول الله من معك في هذا الأمر ؟ قال الرسول (ص) : « معي رجلان : أبو بكر وبلال » . وفي رواية أنه قال : أتيتُ النبي (ص) فقلت : يا رسول الله ! أنا عمرو بن عبسة السلمي ، أحب أن أسألك مما تعلم وأجهل ، وينفعني ولا يضرك .

وفي رواية أنه قال : (أَتَيْتُ النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ! مَنْ أسلم ؟ فقال الرسول : « حُرٌّ وعبد » يعني أبا بكر وبلالاً .. فأنارابع الإسلام أو رُبُع الإسلام) .

وقد سأل أبُو أمامة ، عمرو بن عبسة ، فقال : يا عمرو بن عبسة (لصاحب العُقُل رجل من بني سليم) : بأي شيء تدعي أنك رُبُع الاسلام ؟ فقال : إني كنتُ في الجاهلية أرى الناس على ضلالة ، ولا أرى الأوثان بشيء ، ثم سمعتُ عن رجل يخبر أخباراً بمكة ، ويحدث بأحاديث ، فركبتُ راحلتي حتى قدمت مكة ، فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفياً ، وإذا بقومه ، عليه جزء ان [1] ، فتلطفتُ حتى دخلتُ عليه ، فقلت : ما أنت ؟ قال : أنا نبيٌّ . فقلت : وما نبيٌّ ؟ قال : رسول الله . قلت : اللهُ أرسلك ؟ قال : نعم ! فقلت : فبأيّ شيء ؟ قال : بأن يُوَحَّدَ الله ولا يُشْرَكَ به شيء ، وَكسْرِ الأوثان ، وصِلَةِ الأرحام . فقلت له : من معك على هذا ؟ قال : حُرٌّ وعَبْدٌ ، وإذا معه أبو بكر وبلال . فقلت له : إني متبعك . قال : إنك لا تستطيع ذلك يَوْمَكَ هذا ، ولكن ارجع إلى أهلك ، فاذا سَمِعْتَ بي قد ظهرتُ فالْحَقْ بي . قال عمرو بن عبسة : فرجعتُ إلى أهلي ، وخرج النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، مهاجراً إلى المدينة ، وقد أسلمتُ ، قال عمرو بن عبسة : فجعلت أَتَخَبَّرُ الأخبار ، حتى جاء ركبه — رَكَبَةٌ جمع راكب — من يثرب ، فقلت : ما فعل هذا

---

[1] في الرواية الأخرى : (ووجدت قريشاً عليه أشداء) . وستأتي عما قريب في هذا الفصل .

الرجل المكيّ الذي أتاكم ؟ فقالوا : أراد قَوْمُهُ قَتْلَهُ ، فلم يستطيعوا ذاك ، وحيل بينه وبينهم ، وتركتُ الناس إليه سِراعاً ، فَرَكِبْتُ راحلتي ، حتى قَدِمْتُ عليه المدينة ، فدخلت عليه ، فقلت : يا رسول الله ! أتعرفني ؟ قال : نعم ! ألَسْتُ الذي أتيتني بمكة ؟ فقلت بل ، وقلت : يا رسول الله ! علمني مما علمك الله وأجهل . فعلمه رسول الله صلوات الصبح ، والظهر ، والعصر ، والمغرب ، والوضوءَ للصلاة ، وفَضْلَهُ .

وفي رواية عن شهر بن حوشب عن عمــرو بن عبسة السلمي ، قال : رغبتُ [1] عن آلهة قومي في الجاهلية وذلك أنها باطل ، فلقيت رَجُلاً من الكتابِ ، من أهل تيماء ، فقلتُ : إني امرؤ ممن يعبد الحجارة ، فينزل الحيُّ ليس معهم إلـه ، فخرج — فيخرج — الرجل منهم ، فيأتي بأربعة أحجار ، فينصب ثلاثة ، لِقِدْرِه ، ويجعل أحسنها إلهاً يعبده ، ثم لعله يجد ما هو أحسن منه قبل أَن يرتحل ، فيتركه ، ويأخذ غيره إذا نزل منزلاً سواه . فرأيت إنه إله باطل ، لا ينفع ولا يضر ، فَدُلَّني على خير من هذا .

فقال (الرجل التيماوي) لعمرو بن عبسة السلمي : يخرج من مكة رجل يرغب عن آلهة قومه ، ويدعو إلى غيرها فاذا رأيتَ ذلك فاتبعه ، فانه يأتي بأفضل الدين . قال عمرو بن عبسة : فلم تكن لي همة منذ قال لي ذلك إلاّ مكة . فآتي فأسأل : هل حدث فيها حَدَثٌ ؟ فيقال : لا . ثم قَدِمْتُ مرة فسألت : فقالوا : حدث فيها رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو إلى غيرها . فرجعت إلى أهلي ، فشددت راحلتي برحلها ، ثم قدمت منزلي الذي كنت أنزله بمكة ، فسألت عنه ، فوجدته مستخفياً ،

---

[1] معنى : رغبت عن هذا : كرهته . وذلك أن صيغة (رغب) ذات معنيين متضادين ، والذي يحدد لها معناها من المعنيين المتضادين هو حرفا الجر : (في) و (عن) .. فإذا كان المراد هو (الحب) فتأتي بعدها بـ (في) فتقول : (رغبت في هذا) أي أحببته . وإذا كان المقصود هو (الكره) فتأتي بعدها بـ (عن) فتقول : (رغبت عن هذا) أي كرهته .

ووجدت قريشاً عليه أشداء [1] فتلطفتُ حتى دخلت عليه ، فسألته ، فقلت : أيُّ شيء أنت ؟ قال : نبيٌّ . قلت : ومن أرسلك ؟ قال : الله ، قلت : وبما أرسلك ؟ قال : بعبادة الله وحده لا شريك له ، وبحقن الدماء ، وبكسر الأوثان ، وصلةِ الرحم ، وأمان السبيل . فقلت : نِعْمَ ما أُرْسِلْتَ به ، وقد آمنتُ بكَ وصدقتك . أتأمرني أمكث معك أو أنصرف ؟ فقال : ألا ترى كراهة الناس ما جئتُ به ؟ فلا تستطيع أن تمكث . كن في أهلك ، فإذا سَمِعْتَ بي قد خرجتُ مخرجاً فاتبعني . فمكثتُ في أهلي حتى إذا خرج إلى المدينة ، سِرْتُ إليه ، فقدمت المدينة ، فقلت : يا نبيَّ الله ! أتعرفني ؟ قال : نعم ! أنت السلمي الذي أتيتني بمكة ، فسألتني عن كذا وكذا ، فقلت لك كذا وكذا . فاغتنمتُ ذلك المجلس ، وعلمتُ أن لا يكون الدهر أفرغَ قلباً لي منه في ذلك المجلس ، فقلت : يا نبي الله أي الساعات أسمع ؟ [2] قال : الثلث الآخر ، فإن الصلاة مشهودة مقبولة ، حتى تطلع الشمس ، فإذا رأيتها طلعت حمراء كأنها الحجفة [3] فأقصر عنها ، فانها تطلع بين قرني شيطان ، فيصلي لها الكفار ، فإذا ارتفعت قيدَ رُمح ، أو رمحين فإن الصلاة مشهودة مقبولة ، حتى يساوي الرجل ظله ، فأقصر عنها فإنها حينئذ تسجد جهنَّم ، فإذا عاد الفيء فَصَلِّ ، فإن الصلاة مشهودة مقبولة ، حتى تغرب الشمس ، فإذا رأيتها تغرب حمراء كأنها الحجفة فأقْصِرْ .. ثم ذكر الوضوء فقال : إذا توضأت فغسلت يديك ووجهك ، فاذا جلست كان ذلك لك طَهُوراً ، وإن قمت فصليت ، وذكرت ربك بما هو أهله ، انصرفت من صلاتك كهيئتك يوم ولدتك أمك من الخطايا) [4] .

---

١ في الاستيعاب لابن عبد البر : (إلباً عليه) ، ص ١١٩٤ ، الجزء الثالث .
٢ يعني : أي الساعات يكون الدعاء فيها مستجاباً أكثر من غيرها ؟
٣ الحجفة : الترس .
٤ الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ص ٢١٧ و ٢١٨ ، الجزء الرابع .

وقد أورد ابن قتيبة قصة إسلام عمرو بن عبسة السلمي بإيجاز ، وقال عنه : (فلما قبض النبيّ صلى الله عليه وسلم ، سكن (عمرو) الشام بعده [1] .

هذا ويلمس القارىء من ثنايا حديث هـذا الصحابيّ السلمي ذي السابقة في الإسلام ، حرَارةَ الصدق ، وصفاءَ الضمير ، وذكاءَ الفكر ، وطُهْرَ الفطرة . وما رواه شهر بن حوشب عنه – فيما أراه – هو تفصيل من عمرو بن عبسة نفسه لقصة إسلامه ، ولمقدمة إسلامه .

وواضح تجرد هذه القصة الواقعية الجميلة من التصنع والتكلف والتنميق ، هي منسجمة تماماً مع واقعها ، ومع صاحبها وبطلها ، وهي تعبير صادق عن شعور نفسي عميق ، وهي تجربة واقعية خاض غمارها عمرو ، رضي الله عنه ، فنجح باهر النجاح ، وقد أدرك بفطرته السليمة أن ما كان عليه هو وقومه العرب من عبادة الأحجار وإشراكها بالله جل وعلا في العبادة هو أمر ناجم عن انطماس نور العقل ، وإرادة الفكر .

ويحدثنا محمد بن عمر الواقدي عن عمرو بن عبسة فيقول : « لما أسلم عمرو بن عبسة رجع إلى بلاد قومه بني سُليم ، وكان ينزل بصفة وحاذة وهي من أرض بني سُليم ، فلم يزل مقيماً هناك حتى مضت بدر وأُحد والخندق والحديبية وخيبر ، ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك المدينة [2] .

هذا وقد أثنى ابن خلدون على عمرو بن عبسة ، وقـدّر مكانته في

---

١ المعارف ، لابن قتيبة الدينوري ، ص ١٢٦ ، طبع دار احياء التراث العربي ، بيروت .
٢ الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد ، ص ٢١٤ – ٢١٩ ، المجلد الرابع .

الإسلام ، ثم قال عنه : (وعمرو بن عتبة[1] بن منقـذ بن عامر بن خالد ، كان صديقاً لرسول الله صلى الله عليـه وسلم ، في الجاهلية ، وأسلم (ثلاث ؟) أبو بكر وبلال . فكان يقول : كنت يومئذ رُبُعَ الإسلام[2] .

ويبدو لي أن اسم (عتبة) الوارد في « العبر » في سلسلة نسب عمرو بن عبسة هو تحريف من النساخ أو الطابع .. فاسم أبيه هو (عبسة) لا (عتبة) .. أما جعل جده الأول (منقذاً) فلعله تحريف لاسم (حذيفة) .. وقد ورد اسم (عمرو) الجد الثاني – عند ابن خلدون – هكذا : (عامراً) .. ولعله هو أيضاً تحريف لاسم (عمرو) .

عروة بن أسماء بن الصلت السُّلمي

هو عم عبد الله بن خازم ، أمير خراسان ، والفارس الصنديد المعلم الوفي بالعهد إلى آخر نقطة من دمه . وكان عروة هذا من جِلَّة الصحابة . وقتل في يوم بئر معونة . رضي الله عنه .

الحجاج بن عِلاطٍ السُّلمي

هو الحجـاج بن عِلاَطٍ بن خالد بن ثويرة – نويرة – بن جسر – حنثر – بن هلال بن عبيد بن ظفر بن سعد بن عمرو بن تميم بن بهز بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم بن منصور .

---

١ هكذا ورد اسمه في تاريخ ابن خلدون ، طبع بيروت ، والصحة ما أوضحناه وهو : (عبسة) كما نص عليه العديد من المراجع .

٢ العبر وديوان المبتدأ والخبر ، لابن خلدون ، ص ٦٣٦ ، المجلد الثاني ، طبع المطبعة الباسيلية في بيروت .

يُكَنَّى الحجاج بن علاط : أبا كلاب وقيل : أبا محمد . وكان من خيار الصحابة .

نزل الحجاج مدينة حمص[1] – بسورية – وابنه نصر بن الحجاج الذي نفاه عمر بن الخطاب سترد ترجمته وقصة نفيه في الفصل المعقود للتابعين من هذا الكتاب .

وقد نزل الحجاج المدينة ، وعد من أهلها ، لأنه سكنها وبنى بها داراً ومسجداً يعرف به .

وقد ذكروا سبب إسلامه فقالوا : إنه خرج في ركب من قومه إلى مكة ، فلما جن عليه الليل ، وهو في واد وحش مخوف قعد .. فقال له أصحابه : يا أبا الكلاب ! قم فاتخذ لنفسك ، ولأصحابك أماناً . فقام الحجاج بن علاط يطوف حولهم ، يكلؤهم ، ويقول :

أعيذ نفسي وأعيذ صحبي من كل جنيّ بهذا النَّقْبِ
حتى أؤوب سالماً وركبي

فسمع قائلاً يقول : (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) فلما قدموا مكة أخبر بذلك في نادي قريش ، ثم أسلم ، وحسن إسلامه .. ورَخَّصَ له رسول الله أن يقول فيه بما شاء عند أهل مكة ، عام خيبر ، من أجل الحصول على ماله وولده بها .. فجاء العباسَ – بفتح السين – بفتح خيبر ، وأخبره بذلك سِرّاً ، وأخبر قريشاً قبله بضد ذلك جهراً حتى جمع ما كان له من مال بمكة ، وخرج منها .

---

1 جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص ٢٥٠ ، وتاريخ ابن خلدون ، ص ٦٣٨ ، المجلد الثاني ، طبع بيروت ؛ والطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ص ٤١٢ ، المجلد السابع .

وعقب ابن عبد البر على ما ذكر ، بأن (حديث الحجاج بن علاط بذلك صحيح . وقد شهد مع رسول الله خيبر . وكان مكثراً من المال .. كانت له معادن بني سُليم . وقد دُفِن بقاليقلا من ديار بكر [1] .

وتوجد ترجمة للحجاج بن علاط السلمي في كتاب « قصص العرب » [2] .

وللحجاج بن علاط بيتان تمثل بهما عبد الله بن جعفر رضي الله عنه ، حينما بلغه قولُ عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما : ان ابن جعفر لمن المسرفين .. وقال ابن الزبير ذلك بمناسبة تفريقه للصلة الكبيرة التي وافته من يزيد بن معاوية في مقامه ذاك . والبيتان هما :

بخيل يرى في الجود عاراً وإنما على المرء عارٌ أن يَضِنَّ ويبخلا
إذا المرء أثرى ثم لم يَرْجُ نفعَهُ صديقٌ فلاقته المنية أولا [3]

مُعرّض بن علاط السلمي

صحابي ، أخو الحجاج بن علاط السلمي الذي سبقت ترجمته آنفاً . قُتِل معرض يوم الجمل ، ولا يعلم ابن عبد البر له رواية . وقد رثاه أخوه الحجاج بن علاط بقوله :

ولم أرَ يوماً كان أكثر ساعياً بكف شِمالَ فارقتها يمينُها

وقد نقد ابن عبد البر قول ابن اسحق : انه لما أصيب معرض بن

---

١ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر ، ص ٣٢٦ ، الجزء الأول ، طبع مطبعة نهضة مصر .

٢ قصص العرب ، ص ٣٦٠ و ٣٦١ ، الجزء الثاني ، طبع مطبعة السعادة بمصر .

٣ الحماسة الشجرية ، لابن الشجري هبة الله بن علي العلوي الحسني ، ص ٤٩٠ – ٤٩١ ، القسم الأول ، طبع دمشق .

حجاج بن علاط السلمي يوم الجمـــل بكاه أخوه نصر بن الحجاج بن علاط فقال :

لقد فزعتْ نفسي لذكر مُعرّض وعيناي جادت بالدموع شؤونهـــا

ومحل النقد هو أن (معرضاً) هو عمُّ نصر بن الحجاج بن علاط ، وليس أخاه .. فهو معرض بن علاط مباشرة كما أن الحجاج أخاه هو : الحجاج بن علاط .

وَوَهِـمَ الدارقطني حينما قال بقول ابن اسحق فيه . وهذا « التوهيم » صادر مني .. ويدل عليه سياق كلام ابن عبد البر في توهيمه لابن اسحق في قوله الآنف ذكره الذي اعتمده الدارقطني فيما بعد ، وكأنما نقله عن ابن اسحق بدون فحص ولا تمحيص .

مالك بن عمرو السلمي

شهد مالك ، بدراً ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله (ص) .. وهو من بني حجـــر من بني سُليم ، حلفـــاء بني كبير ، حلفاء بني عبد شمس . واستشهد مالك بن عمرو ، بيوم اليمامة [1] .

وجاء في « الاستيعاب » اسم (مالك بن أمية بن عمرو السلمي) [2] وهو غير مالك بن عمرو هذا ، ولذلك أفردنا له هذه الترجمة . وأفردنا لسميِّه المذكور ترجمة أخرى فيما بعد .

---

١ الاستيعاب ، ص ١٣٥٥ ، المجلد الثالث ، والعقد الثمين ، للتقي الفاسي ، ص ١١٤ ، الجزء السابع .
وقد نشر هذا الكتاب الثمين ، في ثمانية أجزاء محققة تحقيقاً علمياً ، على نفقة معالي الشيخ محمد سرور الصبان ، فكان ذلك فضلا منه على تاريخ مكة المكرمة يذكر فيشكر .
٢ الاستيعاب أيضاً ، ص ١٣٤٦ ، الجزء الثالث .

مدلاج بن عمرو السلمي

هو أخو مالك وبدر ، مات في خلافة معاوية سنة ٥٠ هـ . وقد شهد مدلاج مع أخويه : مالك وثقيف بدراً وأُحداً ، والخندق ، والحديبية ، وخيبر .

ثقيف بن عمرو السلمي

شهد مع أخويه السابق ذكرهما ، بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد اختلف في اسم (ثقيف) : أهو ، (ثقف) أو (ثقاف) .. ويبدو لي أن هذا الاختلاف في اسمه ربما كان مَصْدرُهُ عِلْمَ الرَّسمِ العربي .. فقد اعتاد كُتَّابُ العرب في الجاهلية والإسلام ، حذف الألف اللينة من الكتابة تخففاً ، واتكالاً على ذكاء القارىء وفهمه وعلمه . فهم يكتبون مثلاً : اسحاق واسماعيل هكذا : اسحق واسمعيل .

قتل ثقف أو ثقاف أو ثقيف بخيبر سنة سبع للهجرة . وقاتله أسير اليهودي[1] .

كثير بن عمرو السلمي

صحابي حليف لبني أسد كان . ويقال : إنه كان حليف بني عبد شمس . شهد كثير ، بدراً ، فيما ذكره ابن اسحق من رواية زياد . وليس في رواية ابن هشام . وذكره ابن السراج عن عمر بن محمد بن الحسن الأسدي عن أبيه عن زياد عن ابن إسحق — قال : وشهد بدراً ،

---

١ الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ص ٩٧ و ٩٨ ، المجلد الثالث .

من حلفاء بني أسد ، كثير بن عمرو وأخواه مالك بن عمرو ، وثقف ابن عمرو .

وقد ترجمه التقيُّ الفاسي كذلك ، ولكنه تعقب ذلك بقوله : (ولم أرَ كثيراً في غير هذه الرواية ، ولعله أن يكون ثقف له لقباً ، واسمه كثير[1] .

عتبة بن غزوان السلمي

واسم والدأبيه : ياسر . كان عتبة من أحلاء الصحابة . وفي عداد المهاجرين الأولين . وكان شجاعاً بطلاً ، ورامياً حاذقاً ، وفارساً مغواراً . قدم المدينة مهاجراً ، وله من العمر أربعون سنة . وشهد بدراً ، وأبلي فيها بلاءاً حسناً بسهامه ، وكان رجلاً طوالاً ، مشرف القامة . وقد فتح الأبلّة بعد أن هزم جيَيْش الفرس الذي كان بها . واختط البصرة بأمر عمر بن الخطاب . وأمر محجن بن الأذرع فاختط مسجدها ، ثم ذهب إلى مكة فلما كان بمعدن سُليم – ولعله المعروف اليوم بالمهد ، لأنه تل مرتفع – ادركه الموت فتوفي سنة ١٧ هـ .

وهكذا كان عتبة بن غزوان رجل حرب ، ورجل سِلْمٍ ، ورجل اقتصاد وعمران في وقتٍ واحد .

وكما كان عتبة بن غزوان بطلاً محارباً ، ورجل اقتصاد وعمران كما قدمناه كذلك كان خطيباً مفوهاً .. وقد رأيناه يلقي هذه الخطبة الرنانة ذات الأهداف الاسلامية القيمة بعد فتحه للأبلة .. قال : (بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي (ص) :

---

١ العقد الثمن في تاريخ البلد الأمين ، لتقي الدين الفاسي ، ص ٩٣ ، المجلد السابع ، والاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ص ١٣٠٨ ، المجلد الثالث .

(أما بعد فإن الدُّنْيَا قد تولت حَذَّاء [1] مدبرة ، وقد آذنت أهلها بصرم [2] . وإنما أُبقى منها ُصبابة كصُبابة الإنا ، يَصْطَبُّها [3] صاحبها . ألا وإنكم مفارقوها لا محالة ، ففارقوها بأحسن ما يحضركم . ألا وإن من العجب أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الحَجر الضخم ُيلقى في النار من شفيرها ، فيهوي فيها سبعين خريفاً [4] ولجهنم سبعة أبواب ، ما بين البابين منها مسيرة خمسمائة سنة . ولتأتينّ عليه ساعة وهو كظيظ بالزحام . ولقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابع سبعة ما لنا طعام إلاّ ورق البشام [5] حتى قرحت أشداقنا [6] فوجدت أنا وسعد بن مالك ، تمرة ، فشققتها بيني وبينه نصفين ، والتقطتُ ُبرْدَةً ، فشققتها بيني وبينه ، فأتزرت بنصفها . وما منا أحد اليوم إلا وهو أمير على مصر من الأمصار ، وإنه لم يكن نُبُوَّةٌ قط إلا تناسختها جبرية [7] . وأنا أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً ، وفي أعين الناس صغيراً . وستجربون الأمراء من بعدي ، فتعرفون وتنكرون) [8] .

هذا وقد قال ابن دريد : إن (بني نُعَيْلَةَ بطن من العرب إخوة بني ُسليم . ويقال إن عتبة بن غزوان منهم) [9] . فإذا صح هذا القول

١ حذاء بمعنى منقوصة .
٢ الصرم : القطع .
٣ الصبابة : بضم الصاد المهملة : بقية الماء أو اللبن ، ويصطبها معناه : يفرغها .
٤ الخريف هنا بمعنى : العام .
٥ البشام : شجر عطر الرائحة يتخذ من قضبانه المساويك .
٦ معنى : (قرحت أشداقنا) : حدثت فيها قروح .
٧ معنى : (تناسختها جبرية) : غالبها جبروت ذوي السلطان ، فإما نسختها وأزالتها ، وأما غلبت عليها .
٨ عن كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، والتعليقات عليه لحسن السندوبي ، ص ٤٤ و ٤٥ ، طبع المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م ، مع اضافات طفيفة مني .
٩ جمهرة اللغة ، لمحمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، ص ١٤٠ ، الجزء الثالث ، طبع حيدرآباد دكن .

يكون عتبة بن غزوان من أبناء عم بني سُليم ، لا من سُليم .

صفوان بن عمرو السلمي

عقد ابن سعد في أول الجزء الرابع من كتابه : (الطبقات الكبرى) فصلاً هذا عنوانه : (الطبقة الثانية من المهاجرين والأنصار ممن لم يشهد بدراً ، ولهم إسلام قديم وقد هاجر عامتهم إلى أرض الحبشة وشهدوا أُحداً وما بعدها من المشاهد) . وأدخل في هذا الفصل ، صفوان بن عمرو السلمي ، وقال عنه : (وهو من بني سُليم بن منصور ، من قيس عيلان ، حلفاء بني كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حلفاء بني عبد شمس . شهد أُحداً ، وهو أخو مالك ومِدْلاج وثقف بن عمرو : الذين شهدوا بدراً . قُتِلَ هو وأخوه مالك شهيدين في اليمامة) .

وفي « الاستيعاب » أنه اختُلِف في شهوده بدراً [1] . وفيه بعد ذلك في الصفحة ٧٣٤ انه لم يشهد بدراً وإنما شهد أُحداً .

العباس بن مرداس السلمي [2]

أسلم العباس بن مرداس ، عام فتح مكة ، ووفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع أنس بن عياض بن رعل السلمي ، وراشد بن عبد ربه السلمي الذي كان اسمه (غاوياً) فسماه النبي : (راشداً) على طريقته الجميلة النبيلة في تغيير الأسماء غير المناسبة إلى أسماء حسنة مناسبة . وقد حضر مع الرسول ، فتح مكة في تسعمائة ونيف من قومه بالقنا

١ طبقات ابن سعد ، ص ١٠٤ ، المجلد الرابع ، والاستيعاب لابن عبد البر ، ص ٧٢٢ ، المجلد الثاني .

٢ للعباس بن مرداس ترجمة وافية في فصل « شعراء من سليم » .

والدروع على الخيل . وكان إسلامه قبــل فتح مكة بيسير من الزمن . وكان ممن حرّم الخمر في الجاهلية . وهو شاعر معروف . وكان لقاؤه للرسول ، وهو يسير حــين هبط « المشلل » وبنو سُليم في آلــة الحرب ، والحديد ظاهر عليهم ، والخيل تنازعهم الأعنة ، فصفّوا لرسول الله ، وإلى جنبه أبو بكر وعمر ، وكانت رايتهم حمراء[1] فقال الرسول : يا عيينة ! هذه بنو سُليم قد حضرت بما ترى من العدة والعدد . فقال عيينة : يا رسول الله ! جاءهم داعيك ولم يأتني . ثم حدث بينه وبين العباس بن مرداس كلام شديد ، ورد بعضهما على بعض فأومى اليهما النبي بيده حتى سكتا . وأعطى النبي ، العباس بن مرداس مع من أعطى من المؤلفة قلوبهم — وكان ما أعطاه إياه هو أربعاً من الإبل ، فعاتب النبيَّ في شعر قاله . منه :

فأصبح نهبي ونهب العُبيد[2] بين عيينة والأقرع
إلا أفائــل أُعطيتُها عديد قوائمه الأربع
وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع
وقد كنتُ في الحرب ذا تُدرأ فلم أعْطَ شيئاً ولم أُمْنَع
وما كنتُ دون امرىء منهما ومن تضع اليوم لا يُرفَع

فرفع أبو بكر أبياته إلى النبي (ص) فقال النبي للعباس : أرأيت قولك :

أصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة

---

١ لعل من المناسب هنا ذكر ألوان بعض الرايات في العهد النبوي . كانت رايته (ص) سوداء مربعة من صوف أسود وكان لواؤه أبيض مكتوباً عليه : (لا اله الا الله محمد رسول الله). واسم رايته العقاب . وكانت راية الأنصار التي عقدها لهم الرسول ، صفراء . وفي غزوة فتح مكة وافق على ان يكون لواء بني سليم أحمر (راجع كتاب التراتيب الادارية للسيد عبد الحي الكتاني ص ٣٢١ — ٣٢٣ الجزء الأول : طبع بيروت .

٢ العبيد (بضم العين المهملة) : اسم فرس العباس بن مرداس .

فقال أبو بكـــر : بأبـي وأمي يا رسول الله : ليس هكذا قال . فقال النبي : كيف ؟ فأنشده أبو بكر ، كما قال عباس ، فقـــال النبي : (سواء . ما يضرك بدأت بالأقرع أو بعيينة) فقال أبو بكر : بأبـي أنت ! ما أنت بشاعر ولا راويـــة ولا ينبغي لك . فقال رسول الله : اقطعوا عني لسانه : (لسان عباس بن مرداس) ففزع منهـــا أناس ، وقالوا : أمر بعباس يمثل به .. فأعطاه مائة من الإبل ، وقيل : خمسين من الإبل . وقـــد عاتبه رسول الله (ص) فقـــال له : (أتقول فيّ الشعر ؟) فاعتذر وقال : (بأبـي أنت وأمي إني لأجد للشعر دبيباً على لساني كدبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النمـــل فلا أجـــد بداً من قول الشعر) فبتسم الرسول وقال : (لا تدع العربُ الشعر حتى تدع الإبلُ الحنين) .

هذا وقد انتقد المرزباني ، منع صرف (مرداس) في البيت المتقدم للعباس بن مرداس وهو :

وما كان حصن ولا حابس يفوقان مِرْداسَ في مجمع

بفتح سين (مرداس) مع أنه مصروف لغة . فقال : « وأما ترك صرف ما ينصرف فهو غير جائز ، لأنه يُخرج الشيء عن أصله . وقد أجازه الأخفش ، وأنشد قول العباس بن مرداس السلمي :

وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع

فترك صرف « مرداس » وهو اسم منصرف ، وهذا قبيـح لا يجوز ، ولا يقاس عليه ، لأنه لحن » [1] .

وكان العباس بن مرداس يغزو مع النبي (ص) ويرجع إلى بلاد قومه . وكان ينزل — كما ذكرنا في ترجمتـــه في فصل شعـــراء بني سُليم —

---

٢ الموشح للمرزباني ، ص ١٤٤ ، طبع دار نهضة مصر ، ١٩٦٥ م .

بوادي البصرة . وكان يأتي البصرة كثيراً ، ويرجع إلى بلاد قومه [1] وله ابن يقال له جاهمة يروي عن النبي (ص) أحاديث [2] ولم يسكن مكة ولا المدينة ويقال : إنه مات في بادية البصرة ، ويقال بل نزل بدمشق وابتنى فيها داراً . ويقول ابن حجر إن وفاته كانت في خلافة عثمان بن عفان .

هذا وفي عهد الجاهلية كان العباس يهاجي خُفاف بن ندبة السلمي ، وتمادى الخلاف بينهما حتى بلغ إلى الاحتراب . وقد كثرت القتلى بينهما . وعندئذ قام الضحاك بن عبد الله السلمي صاحب أمر بني سُليم وقال لهما : (يا هؤلاء ! إني أرى الحليم يُعصى ، والسفيه يُطاع ، وأرى أقرب القوم إليكما من لقيكما بهواكما ، وقد علمتم ما هاج الحرب على العرب حتى تفانت .. فهذه « وائل » في ضرع ناب ، و « عبس » و « ذبيان » في لطمة فرس ، و « أهل يثرب » في كسعة رجل ، و « مراد » و « همدان » في رمية نسر .. وأمركما أقبح الأمور بدءاً ، وأخوفها عاقبة . فَحُطّا رحل هذه المطية النكداء ، وانحرفا عن هذا الرأي الأعوج) فَلَجّا وأبيا إلا السفاهة ، فخلعتهما بنو سُليم ، وأتاهما دريد ابن الصمة ، ومالك بن عوف النصري ، رأس هوازن ، فقال دريد : (يا بني سُليم ! إنه أعملني اليكم صَدْرٌ وادٌ ، ورأيٌ جامعٌ ، وقد قطعتم بحربكم يداً من أيدي هوازن ، وصرتم بين صيد بني الحارث ، وصهب بني زبيد ، وجار خثعم ، وقد ركبتما شرمطية ، وأوضعتما إلى شرغاية . فالآن قبل أن يندم الغالب ، ويذل المغلوب ..) ثم سكت ، فقال مالك بن عوف : (كم حيٍّ عزيز الجار ، مخوف الصباح ، أُولِعَ

---

[1] الطبقات الكبرى لابن سعد ، ص ٢٧٣ ، المجلد الرابع .

[2] الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، ص ٦٣٤ ، الجزء الثاني ، طبع دار الثقافة ببيروت . وفي الهامش أن في مطبوعة ليدن : جلهمة ، وصوبه الأستاذ أحمد شاكر رحمه الله ، وقال : لا يوجد من يسمى بهذا في الصحابة ولا الرواة ، وإنما هو جاهمة . (انظر الاصابة : ٢٢٨ ، والاستيعاب : ٢٦٧) .

بما أُولِعْتُمْ به ، فأصبح ذليل الجار ، مأمون الصباح ، فانتهوا ولكم كفٌّ طويلة ، وقَرْنٌ ناطح ، قبل أن تلقوا عدوكم بِكَفٍّ جَذْماءَ ، وقَرْن أعْضَبَ) . فندم العباس ، وقال : (جزى الله ، خُفافاً والرحم عني شرّاً .. كنتُ أخفَّ سليم من دمائها ظَهْراً ، وأخمصها من أموالها بطناً ، فأصبحتُ ثقيل الظهر من دمائها ، مُنْفَضِحَ البطن من أموالها ، وأصبحت العرب تعيرني بما كنت أعيرها به ، من لجاج الحرب ، وَايْمُ الله لوددت أني كنت أصَمَّ عن جوابه ، أخرسَ عن هجائه ، ولم أبلغ من قومي ما بلغتُ) . فلما أمسى تغنى :

ألم تر أني كرهتُ الحرو ... ب وأني ندمت على ما مضَى
ندامــة زَارٍ عــلى نفسه ... لتلك التي عارُهــا يُتَّقَى
وأيقنتُ أني لِمَــا جئتُه ... من الأمر لابِسَ ثَوْبَيْ خَزَى
وكانت سليم إذا قدَّمَتْ ... فَتىً للحوادث كنتُ الفتَى
وكنتُ أفيء عليهــا النها ... ب وأنكي عداها وأحمي الحِمَى
فلم أُوقِدِ الحرب حتى رمى ... خُفَافٌ بأسهمه من رَمَى
فألهب حربــاً بأصبارهــا ... فلم أكُ فيها ضعيف القُوَى
فإن تعطفِ القومَ أحلامُها ... ويَرجِعُ من ودهم ما نأى
فلستُ فقيراً إلى حربهم ... ولابِيَ عن سِلْمِهِمْ من غِنَى

وحينما سمع خُفافٌ هذه القصيدة التي أعلن فيها خصمه وابن عمه « التوبة » عن حرب ضروس أهلية ، أضرت بالقبيلة وشتت شملها ، وهدت من قواهــا ، اعتبر ذلك علامة ضعف من عباس بن مرداس .. فأجابه بقوله :

أعباسُ ! إمَّا كَرِهْتَ الحرو ... ب فقد ذُقْتَ من عَضِّها ما كَفَى
أألْقَحْتَ حربــاً لهــا دَرَّة ... زبونــا تُسَعِّرُهــا باللَّظَى

فلســا ترقيتَ في غيهــا دحضت وزل لك المُرتَقى
فأصبحتَ تبكي عــلى زلة وماذا يــرد عليك البكــا ؟
فإن كُنْتَ أخطأتَ في حربنا فلسنا مُقيليكَ ذاك الخَطَا
وإن كُنْتَ تطمع في سلمنا فَزَاوِلْ ثَبِيراً وَرُكْنَي حِرَا

وهكذا نرى « خُفافاً » — عَبَّاساً — حيال خصمه : (عباس) الذي بدا أمامه (بسَّاماً) وقدم له سلاماً ، — بفتح السين ، وقد قابل خفاف سلامه هذا بِسِلام ، من قوارص التشنيع والتهكم تحمل في طياتها نُذُر الإصرار على مواصلة الحرب الأهلية السُّلَمية بدون تردد ..

وأخيراً أشرقت الأرض بنور ربها ، منبثقاً من مكة والمدينة فسطع على ظلام الجاهلية في قلبي الرجلين البطلين السلميين المتناحرين ؛ واللذين طالما امتشقا الحسام على بعض فهدأ شيطان الجاهلية بين جوانحهما ثم توارى عنهما إلى غير رجعة حينما دخلا حظيرة الاسلام ، واستظلا بظلها الوارف ، ونهلا من معينها الغَدَق ، وهكذا عاد الاستقرار إلى أنفسهما ، وإلى القبيلة ، وعاد اليهما الصفاء .. فالإسلام نور وضاء للقلوب المظلمــة ، وروضة غناء ؛ للنفوس المكتئبة ، يمحو همومها ، وأدرانها ، ويحل محلها السعادة والهناء والألفة والاطمئنان . والاسلام يَجُبُّ ما قبله .

وقد أطلنا في عرض قصة الخلاف الذي نَشِبَ بين العباس بن مرداس السلمي ، وابن عمه خُفَافِ بن نُدْبَةَ السلمى ، وما قيل من نثر وشعر في هذا الخلاف الذي كانت له أصداؤه لدى العرب ، فعلنا كل ذلك لأسباب في مقدمتها الإلمام بطرف من حياة عرب الجاهلية ، وألوان تفكيرهم ، وكيفية معالجتهم لمشاكلهم ، وللدلالة على نفسياتهم وما يختلج بين جوانحهم في ساعات السلم وساعات الحرب .. ثم للدلالة على مكانة شاعرهم وفارسهم المُعْلَم في الجاهلية والاسلام : العباس بن مرداس السلمي ، خاصة قبل دخوله في دين الإسلام ، وتشرفه بصحبة الرسول صلى الله عليه وسلم .

قيس بن نسيبة السلمي

وَفَدَ قيسٌ على النبي ، فسمع حديثه ، وسأله عن أشياء ، أجابه عنها ، ووعى كلام المصطفى ، ودعاه الرسول إلى الإسلام ، فأسلم ، ورجع إلى قومه بني سليم ، فقال لهم مُوَجِّهاً لهم إلى سبيل الرشاد ، باللغة والأسلوب المقنعين . قال لهم : (قد سمعت ترجمة الروم ، وهينمة فارس ، وأشعار العرب ، وكهانة الكاهن ، وكلام مَقَاوِلِ حمير — فما يشبه كلام مُحَمَّدٍ ، شيئاً من كلامهم . فأطيعوني ، وخذوا نصيبكم منه) .

فلما كان عام الفتح خرجت بنو سليم ، إلى رسول الله ، فلقوه بِقُدَيْد ، وهم تسعمائة أو ألف ، وفيهم العباس بن مرداس ، وأنس بن عياض ابن رِعْل ، وراشد بن عبد ربه [1] فأسلموا ، وقالوا (لرسول الله) : اجعلنا في مقدمتك ، واجعل لواءنا أحمر ، وشعَارُنا مقدم ، ففعل ذلك بهم ، فشهدوا معه الفتح والطائف وحُنَيْناً [2] .

ومن هذا الحديث ندرك مدى طموح بني سليم ، كما ندرك منه عمقَ إسلامهم في نفس الوقت .

ويحدثنا جواد علي عن قيس بن نسيبة هذا ، بأنه كان على علم بلسان الروم ، وبهينمة الفرس وباشعار العرب ، وبأنه ذا حظ بثقافة ذلك اليوم ، وبأنه رجع إلى قومه ودعاهم إلى الاسلام فأسلموا [3] ويبدو جلياً ما أورده

---

١ في عزم مؤلف هذا الكتاب ، تأليف كتاب في : « الأسماء العربية .. أصولها وأهدافها وتطوراتها عبر التاريخ » ، ونسأل الله التوفيق . ونحن نرى هنا « عبد ربه » اسماً اختاره النبي صلى الله عليه وسلم لوالد راشد : (عبد العزى) .. كما نراه يختار لابنه اسم (راشد) بدلا من اسمه الجاهلي : (غاوي) . وجدير بالذكر ان اسم « عبد ربه » شائع حتى الآن في الحجاز وربما في مصر أيضاً .

٢ طبقات ابن سعد ، ص ٣٠٧ ، المجلد الأول .

٣ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، للدكتور جواد علي ، ص ٢٥٧ ، الجزء الرابع ، طبع دار العلم للملايين في بيروت .

الدكتور جواد علي عن علم قيس بلسان الروم الخ — هو اقتباس منه واستنتاج مما تحدث به إلى قومه ، وهو يدعوهم إلى الدخول في الاسلام من أنه سمع ترجمة الروم وهينمة فارس فما يشبه كلامُ محمد (ص) كَلاَمَهُمْ .. وهو استنتاج نُؤَيِّدُهُ ، وإن لم يذكر لنا صاحبه : مِمَّ استنتجه ؟

راشد بن عبد ربه السلمي

يكُنَّى أبا أثيلة . وراشد بن عبد ربه أحد صحابة الروسول (ص) أعطاه (رُهاطاً) وبها عين يقال لها « عين الرسول » .

وكان راشد في الجاهلية سادن صنم بني سليم . وقد رأى ذات يوم ثعلبين يبولان عليه فقال :

أربٌّ يبول الثَّعْلَبَانِ برأسه   لقد هان من بالت عليه الثعالب

ثم شد عليه وكسره . قدم على النبي (ص) فقال له : ما اسمك ؟ قال : غاوي بن ظالم .. فقال النبي : بل أنت راشد بن عبد الله . فأسلم ، وحسن إسلامه ، وشهد الفتح مع النبيّ ، وقال الرسول : « خير قرى عربية : خيبر ، وخير بني سليم : راشد » وعقد له على قومه ، وفي رواية أخرى : بل انت راشد بن عبد ربه [1] .

قِدْر بن عمار السلمي (أو) قُدَد بن عمار

صحابي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه : (صادق الإيمان) .

---

١ الاستيعاب ، لابن عبد البر ، ص ٥٠٤ ، المجلد الثاني ، وغيره .. وفي الطبقات الكبرى لابن سعد ان الرسول صلى الله عليه وسلم سماه : (راشد بن عبد ربه) ، ص ٣٠٨ ، الجزء الأول .

وكان قدر أو قُدَدُ بن عمار قد وفد على الرسول بالمدينة ، وأسلم ، وعاهده على أن يأتيه بألف من قومه على الخيل . وأنشد يقول :

شددتُ يميني إذْ أتيتُ محمَّدا بخيرِ يدٍ شُدَّتْ بحُجْزَةِ مِئْزَرِ
وذَاكَ أمرؤٌ قاسمْتُهُ نِصفَ دينِهِ وأعطيتُه ألْفَ امرىء غير أعسَرِ

ثم أتى قومه ، فأخبرهم الخبر ، فخرج معه تسعمائة ، وخلف في الحي ، مائة . فأقبل بهم يريد النبيّ (ص) فنزل به الموت ، فأوصى إلى ثلاثة رهط من قومه : إلى العباس بن مرداس — أحد زعمائهم في الجاهلية والاسلام — وأمَّرهُ على ثلاثمائة . وإلى جبار بن حكيم ، وهو الفَرَّارُ الشريدي ، وأمره على ثلاثمائة ، وإلى الأخنس بن يزيد ، وأمره على ثلاثمائة . وقال : ائتوا هذا الرجل حتى تقضوا العهد الذي في عنقي .. ثم مات . فمضوا حتى قدموا على النبي (ص) فقال : (أين الرجل الحسُن الوجه ، الطَّوِيل اللسان ، الصادقُ الايمان ؟) قالوا : يا رسول الله دعاه الله ، فأجابه ، وأخبروه خبره . فقال : (أين تكملة الألف الذين عاهدني عليهم ؟) قالوا : قد خلَّفَ مائة بالحيّ ، مخافة حرب كان — كانت — بيننا وبين بني كنانة . قال : (ابعثوا إليها ، فإنه لا يأتيكم في عامكم هذا شيء تكرهونه) . فبعثوا إليها فأتته بالهدَّة ، وهي مائة عليها المنقع بن مالك بن أمية بن عبد العزي بن عمل بن كعب بن الحارث بن بُهثة بن سليم ، فلما سمعوا وئيد الخيل — صوتها الشديد — قالوا : يا رسول الله ، أُتينا . قال : لا ، بل لكم لا عليكم ، هذه سُليْمُ ابن منصور قد جاءت .. فشهدوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم التفح وحُنَيْناً .

وعن المنقع السلمي ، وقصةِ قدومه إلى النبي على رأس مائة منهم ، ووعدِه له بإكمال الألف منهم — نرى العباس بن مرداس السلمي ، الشاعر ،

يسجل لنا هذه القصة ملخصة ، في قوله :

القائد المائة التي وفى بها تِسْعَ المئين فتم ألْفٌ أقْرَعُ [1]

الحكم بن الحارث السلمي

صحابي نزل البصرة بعد اختطاطها مدينة ، في عهد عمر بن الخطاب ، رضي الله عنهما . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث التالي : (من أخذ شبراً من الأرض جاء به يوم القيامة يحمله في سبع أرضين) وتحدث عن صحبته للنبي في الجهاد ، فقال : « غزوتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع غزوات آخرهن حُنَين . وكنتُ أسيرُ في مقدمة النبي (ص) إذ خَلَأَتْ – حَلأَتْ – أي بركت أو حَرَنَتْ ناقته فلم تبرح مكانها – فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا أضربها ، فقال : (مَهْ) – أي اكفف عن ضربها – وزَجَرَهَا فقامت » [2] .

« جدُّ » أبي الأسود السلمي

عده ابن سعد فيمن نزل الشام من الصحابة ، ولم يذكر لنا اسمه . اكتفى بأن ذكر أنه جد أبي الأسود السلمي ، وروى له حفيده : أبو الأسود حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم هو ، قوله : « كنت سابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمرنا رسولُ الله ، فجمع كل رجل منا درهماً ، فاشترينا أُضحيةً بسبعة دراهم . فقلنا : يا رسول

---

١ الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ص ٣٠٧ و ٣٠٩ المجلد الأول .

٢ المصدر السابق ، ص ٧٦ ، المجلد السابع ، والاستيعاب لابن عبد البر ، ص ٣٦١ ، الجزء الأول .

الله ! والله نقد أغلينا بها . فقال النبي (ص) : (إن أفضل الضحايا أغلاها وأسمنها) .. فأمر النبي رجلاً فأخذ بيد ، ورجُلاً برِجْلٍ ، ورجُلاً بقَرْنٍ ، وذبح الرجل السابع ، وكبرنا جميعاً » .

« جدُّ » محمد بن خالد السلمي

وضعه محمد بن سعد في « الطبقات الكبرى » فيمن نزل الجزيرة من الصحابة . ولم يذكر لنا اسمه .. بل اكتفى بأن نعته بأنه « جد » محمد ابن خالد السلمي الذي روى عن جده المذكور قوله : « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (إذا سبقت للعبد من الله منزلة لم ينلها بعمله ، ابتلاه في جسده وفي أهله ، وماله ، ثم صبَّره على ذلك حتى ينال المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل) [1] .

العباس السلمي

يبدو أن العباس هذا ليس بابن مرداس ، وإن اشتركا في الاسم ، وفي صحبة النبي (ص) .. روى حفيده نائل بن مطرف بن العباس السلمي ، أن جده العباس « شخص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستقطعه رَكِيَّةً بالدثينة وأقطعها إياه ، على أن ليس له منها إلا فضل ابن السبيل » .. قال أبو الأزهر : وكان نائل راوي هذا الحديث عن جده العباس السلمي ، نازلاً بالدُّثينة ، وهي التي أقطعها النبيُّ لجده العباس . يبدو أنها حازت إعجابهم فاستوطنوها جيلاً بعد جيل . وكان نائل ، أمير بني سُليم النازلين معه في الدثينة فأخرج لأبي الأزهر –

---

١ الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ص ٤٧٧ ، المجلد السابع .

على ما رواه أبو الأزهر عن نفسه ـ حُقـَّةٌ فيها كراع من أَدم أحمر ، فكان فيه ما أَقْطعَهُ ، أي ما أقطعه النبيّ لجده . وإذن فلقد احتفظ نسل العباس بهذه الوثيقة النبوية الشريفة مُستنَداً لهم على ما أقطعه الرسول لجدهم ، وبقيت الوثيقة لديهم حتّى كانت لدى نائل حفيد العباس وأمير بني سُليم النازلين معه في الدُّثَيْنَة .

أبو خراش السلمي

عده ابن سعد في « الطبقات الكبرى » من الصحابـة الذين نزلوا بمصر . فلعله يكون إذن أول من نزل من السلميين بمصر أو من أوائلهم نزولاً بها على الأقل .

روى عنه ابن سعد أنه سمع رسول الله (ص) يقول : (من هجر أخاه سنة فهو كَسَفْكِ دمه)[1] .

العرباض بن سارية السلمي

نزل بالشام . وقال ابن سعد : يكنى أبا نجيح[2] .

جاهمة أو جلهمة بن العباس بن مرداس السلمي

ورد اسمه في كتاب « الطبقات الكبرى » هكذا : (جلهمة)[3] .

---

١ الطبقات الكبرى ، ص ٥٠٠ ، المجلد السابع .

٢ المصدر السابق ، ص ٢٧٦ ، المجلد الرابع ، وقد تقدم في ترجمة عمرو بن عبسة السلمي أنه يكنى أبا نجيح أيضاً .

٣ ص ٣٣ ، و ص ٣٤ ، المجلد السابع .

كما ورد مثل ذلك في كتاب « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم . أما في « الاستيعاب » فقد ورد اسمه : (جاهمة) . وروى ابن سعد عنه أحاديث : منها أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ! أردتُ أن أغزو . وقد جئتك أستشيرك . فقال الرسول : هل لك من أم ؟ قال : نعم . قال : فالزمها فإن الجنة عند رجلها ثم الثانية ، ثم الثالثة في مقاعد شتى .. وكمثل هذا القول)[1] .

وقد ورد اسمه في كتاب « جمهرة الأنساب » لابن حزم : (جاهمة) بالألف بدلاً من اللام .

وفي كتاب (المفصل) لجواد علي ، ورد أيضاً باسم (جلهمة)[2] وصحح الأستاذ أحمد شاكر اسمه بأنه (جاهمة) بالألف وقال إنه ليس في الصحابة صحابي باسم (جلهمة) ولا في الرواة . وقد أشرنا إلى هذا في مكان آخر أيضاً .

يزيد بن الأخنس السلمي

يتصل نسبه ببهثة بن سُليم . وهو أبو معن بن يزيد السلمي الذي روى عنه أُبو الجويرية أنه قال : بايعتُ النبي صلى الله عليه وسلم أنا وأبي وجدي ، وخاصمت إليه فأفلجني .

عقد له الرسول يوم فتح مكة لواءاً من الألوية التي عقدها لرجالات سُليم .

وسكن الكوفة بعد ذلك ، وشهد ابنه « معن » المُكنّى به ، يوم

---

١ المصدر السابق ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ المجلد السابع .
٢ ص ٢٥٨ ، المجلد الرابع .

مرج راهط [1] وقتل فيها . وليزيد ترجمة في كتاب « الاستيعاب » لابن عبد البر ، لا تخرج عما أوردناه آنفاً [2] .

الضحاك بن سفيان السلمي

يتصل نسبه ببهثة بن سُليم أيضاً .

أسلم الضحاك فيمن أسلم من قومه . وصحب النبي ، وعقد له لواءاً يوم الفتح [3] . وهو غير الضحاك بن سفيان الكلابي الذي كان سَيَّافَ رسول الله (ص) وكانت بنو سُليم في تسعمائة فلما قدموا قال لهم رسول الله : هل لكم في رجل يعدل مائة يوفيكم ألفاً ؟ فوافاهم بالضحاك بن سفيان الكلابي وكان رئيسهم وفيه يقول العباس بن مرداس السلمي :

نذود أخانا عن أخينا ولو نرى وصالاً لكنا الأقربين نتابع
نبايع بين الأخشبين وإنما يد الله بين الأخشبين نبايع
عشية ضحاك بن سفيان معتص بسيف رسول الله والموت واقع

وقد أثنى العباس بن مرداس على قيادة الضحاك الكلابي ، وعلى بطولته ، في قصيدته الميمية التي قال فيها يخاطب رسول الله :

يا خاتم النُبَّاء إنك مُرْسَلٌ بالحق ، كل هدى السبيل هداكا
إن الآله بنى عليك محبة في خلقه و « محمداً » سَمَّاكا

---

١ في الكامل لابن الاثير ، ص ١٤٧ ، المجلد الرابع ، ان « ثور بن معن السلمي » أشار على الضحاك باظهار الأمر المكتوم في مبايعة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه . ولست أدري الآن علاقته بيزيد بن الاخنس هذا .. أهو حفيده أم غير حفيده .

٢ ص ١٥٧٠ ، المجلد الثاني .

٣ طبقات ابن سعد ، ص ٢٧٤ ، المجلد الرابع ، والاستيعاب لابن عبد البر ، ص٧٤٢ و ٧٤٣ ، الجزء الثاني .

ثم الذين وفوا بما عاهدتهم جند بَعَثْتَ عليهم الضَّحَّاكا
رَجُلاً به ذرب السلاح كأنه لما تكنفه العدو ، يراكا

خُفاف بن عمير السلمي

يتصل نسبه أيضاً ببهثة بن سُليم .

عقد له الرسول (ص) لواءً ، يوم فتح مكة على بني عمومته من سُليم [1]. وشهد حُنَيْناً والطائف وكان – كما أشرنا اليه في غير هذا المكان – يتهاجى مع العباس بن مرداس في أيام الجاهلية . حتى بلغ الأمر بهما إلى الاقتتال .

وأُمُّ خُفَاف : (نُدْبَةُ) وهي سوداء .. وينسب اليها فيقال : خفاف ابن ندبة . وهو من أغربة العرب – أي ذوي اللون الأسود فيهم ، شبهت ألوانهم بلون الغُراب الأسود – ويقول خفاف في هذا المعنى :

كلانا يُسَوِّدُهُ قومُه على ذلك النسب المظلم

يعني السودان . ويُكنى أبا خراشة . وله يقول عباس بن مرداس السلمي :

أبا خراشة إما أنت ذا نفر فإنَّ قَوْمِيَ لم تأكلهم الضَّبُعُ

وهو ابن عم الخنساء بنت عمرو بن الشريد الصحابية الشاعرة .

وخفاف هو قاتل مالك بن حمار ، سيد بني شَمْخ بن فزارة . وفي ذلك يقول :

إن تَكُ خَيْلي قد أصيب صميمها فعمداً على عَيْنِي تَيَمَّمْتُ مالكا
أقول له – والرمح يأطِرُ مَتْنَهُ – تأمل خُفافاً إنني أنا ذلكا

---

[1] الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ص ٢٥٦ و ٢٥٧ ، الجزء الأول ، طبع دار الثقافة ببيروت .

ولخفاف حديث واحد عن الرسول (ص) وبقي عباس وخفاف ، على قيد الحياة إلى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1] .

ابن أبـي العوجاء السلمي

كان دخولُ ابن أبـي العوجاء في الإسلام ، أقدمَ من دخول عامة قومه فيه . روى ابن سعد في طبقاته الكبرى ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ابنَ أبـي العوجاء السلمي في ذي الحجة سنة سبع ، في خمسين رجلاً ، سرية إلى بني سُليم ، فكثَرهُمُ القوم ، فقاتلوا قتالاً شديداً حتى قُتل عامة المسلمين ، وأُصيب صاحبهم ابن أبـي العوجـاء جريحاً مع القتلى ، ثم تحامل حتى بلغ رسولَ الله (ص) في المدينة أول يوم من صفر سنة ثمان[2] .

ابو حُصين السلمي

أحد صحابة رسول الله ، الأجواد .

قدم أبو الحصين السلمي ، المدينة بذهب من معدنهم ، فقضى دَيْناً كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تحمل به ، وفضل ذَهَبٌ مع أبـي الحصين ، مثل بَيْضَةِ الحمامة ، فأتى بها رسول الله (ص) ، فقال : يا رسول الله ! ضع هذه حيث أراك الله ، أو حيث رأيت ،

---

١ طبقات ابن سعد الكبرى ، ص ٢٧٥ ، المجلد الرابع . والشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، ص ٨ ٢٥و ٢٥٩ ، الجزء الأول ، طبع بيروت ، والاستيعاب في معرفة الأصحاب للحافظ ابن عبد البر ، ص ٤٥٠ و ٤٥١ ، الجزء الثاني . وجعل الاستيعاب كنيته (أبا خرشة) بدون الف بعد الراء .

٢ الطبقات الكبرى لابن سعد ، ص ٢٧٥ ، المجلد الرابع .

وجاءَ الرسولَ عن يمينه فأعرض عنه ، ثم جاءه عن يساره فأعرض عنه ، ثم جاءه بين يديه ، فنكس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أكثر عليه أخذها من يده ، فحذفه بها ، لو أصابته لعقرته ، ثم أقبل عليه رسول الله (ص) فقال : (يعمد أحدكم إلى ماله فيتصدق به ، ثم يقعد يتكفف الناس ، وإنما الصدقة عن ظهر غنىً ، وابدأ بمن تعول) [1] .

مجاشع بن مسعود السلمي ، وأخوه مجالد

كان في مجالد قزلٌ – أي عرجٌ خفيف – روى ابن سعد في « الطبقات الكبرى » أن مجاشع بن مسعود قال : يا رسول الله ! هذا مجالد بن مسعود ، فبايعه على الهجرة ، فقال : (لا هجرة بعد فتح مكة ولكن أبايعه على الإسلام) وفي رواية أوردها ابن سعد أيضاً أن مجاشعاً قال : أتيت النبي (ص) أنا وأخي لنبايعه على الهجرة ، فقال : (إن الهجرة قد مضت) .. فقلنا علام نبايعك ؟ فقال : (على الإسلام والجهاد في سبيل الله) . قال : فبايعناه [2] .

نزل مجاشع البصرة مع من نزلها من السلميين ، وقُتل يوم الجمل ، هو وأخوه مجالد ، وقبراهما بالبصرة معروفان [3] وكان ذلك بسنة ٣٦ هـ – ٦٥٦ م .

---

١ الطبقات الكبرى لابن سعد ، ص ٢٧٧ ، المجلد الرابع ، والاستيعاب ، لابن عبد البر ، ص ١٦٣٢ ، المجلد الرابع ، وسماه أبا الحسين .

٢ الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ص ٣٠ ، المجلد السابع .

٣ الاستيعاب ، لابن عبد البر ، ص ١٤٥٩ ، المجلد الرابع .

حبان بن الحكم السلمي

حِبَّان بن الحكم صحابيٌ[1] ويلقب بالفَرَّار ، وهو شاعر أيضاً .

عبد الرحمن بن قتادة السلمي

صحب النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه .. قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : (إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ، وأخذ الخلق من ظهره ، فقال : هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي ، وهؤلاء في النار ولا أبالي) فقال رجل : يا رسول الله ، فعلام ذا نعمل ؟ قال : (على مواقع القدر) .

الوَرْدُ بن خالد السلمي

من آل بهثة . أسلم الورد ، وصحب النبي (ص) . وكان على ميمنته يوم فتح مكة[2] .

وَرَدَ اسم « الوَرْدِ » هذا في تاريخ ابن خلدون ، مقلوباً هكذا : (الرَّوْدُ) بتقديم الراء على الواو ، ونَسَبَهُ هكذا : « الرود بن خالد بن حُذَيْفة بن عمرو بن خلف بن مازن بن مالك بن ثعلبة » وأضاف أنه « كان على بني سُليم يوم الفتح »[3] ولم يذكر ابن سعد هذا في طبقاته الكبرى ، وأرى أن اسمه هو « الورد » كما ورد في

---

١ القاموس المحيط ، للفيروزآبادي « مادة حب » . وفي العقد الفريد أنه (حيان) بالياء التحتية .
٢ الاستيعاب ، لابن عبد البر ، ص ١٥٦٧ ، المجلد الرابع وغيره .
٣ العبر ، لابن خلدون ، ص ٦٣٦ ، المجلد الثاني ، طبع بيروت .

كتاب الطبقات الكبرى ، لابن سعد وجمهرة أنساب العرب ، لابن حزم [1] .

معن بن يزيد السلمي

صحب النبي (ص) هو وأبوه وجده . ويكنى أبا زيد ، ويقال : إنه شهد مع أبيه وجده ، بدراً . ولا يُعرف رجل شهد بدراً مع أبيه وجده ، غيره ، ولا يعرف في البدريين ولا يصح ، وإنما الصحيح حديث أبي الجويرية عنه ، قال : بايعتُ رسول الله (ص) أنا وأبي وجدي . وكان له مكان عند عمر بن الخطاب وشهد صفين مع معاوية ، وحضر وقعة مرج راهط مع الضّحاك بن قيس [2] وقتل فيها [3] .

هوذة بن الحارث بن عجرة السلمي

بينه وبين جدهم : بُهثة بن سُليم — سبعة آباء . فإذا أخذنا بقاعدة ابن خلدون التي تُقرر لكل ثلاثة أجيال مائة سنة فيكون « سُليم » الذي هو الجد الأعلى لبني سُليم الذي ينتمون اليه جميعاً ، قد عاش في القرن الثالث قبل الإسلام تقريباً إذا كانت سلسلة نسب هوذة متكاملة وصحيحة .

أسلم هوذة ، وشهد فتح مكة ، وهو الذي قال لعمر بن الخطاب ، وقد خاصم ابن عم له في الراية :

لقد دار هذا الأمرُ في غير أهله فأبصر وليّ الأمر أين تريد ؟ [4]

---

١ جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٦٤ .
٢ جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص ٢٦١ ، والاستيعاب ، ص ١٤٤٢ ، الجزء الرابع .
٣ الأعلام ، للأستاذ خير الدين الزركلي ، ص ١٩٣ ، المجلد الثامن ، طبعة مصر الثانية .
٤ الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ص ٢٧٦ ، المجلد الرابع .

عبد الرحمن بن خباب السلمي

صحابيّ ، روى له ابن سعد الحديث التالي : قال : شهدتُ النبي (ص) وهو يَحث على جيش العسرة فقال عثمان : يا نبيّ الله ! عليّ مائةُ بعير بِأحْلاَسِهَا وأقتابها في سبيل الله . ثم حضّ ، فقال عثمان : مائتا بعير . ثم حضّ ، فقال عثمان : ثلثمائة بعير . قال عبد الرحمن ابن خَبَّاب السلمي : فأنا رأيت النبي (ص) ينزل من المنبر وهو يقول : (ما على عثمان ما عمل بعد هذا) — مرتين [1] .

عتبة بن عبد السلمي

عَدَّه ابن سعد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن الذين نزلوا بالشام .

توفي سنة ٩١ أو ٩٢ هـ . وقال محمد بن عمر الواقدي : توفي سنة ٨٧ هـ ، وهو ابن أربع وتسعين سنة [2] .

عبيد بن خالد السلمي

صحابيّ . روى عن النبي (ص) : انه آخى بين رجلين ، أحدهما قبل صاحبه [3] .

معاوية بن الحكم السلمي

كان ينزل المدينة ، ويسكن في بني سُليم [4] له عن النبي (ص)

١ طبقات ابن سعد ، ص ٧٨ ، المجلد السابع .

٢ طبقات ابن سعد ص ٤١٣ ، الجزء السابع ، والاستيعاب ، ص ٨٣٠ ، المجلد الثاني .

٣ طبقات ابن سعد ، ص ٢٤٢ ، المجلد السادس .

٤ يفهم من هذا أن لبني سليم في صدر الإسلام محلة في المدينة المنورة خاصة بهم ينزلون فيها كما أشرنا اليه في مكان آخر من هذا الكتاب . ومما يدلنا على سكناهم بالمدينة في صدر الاسلام انهم قتلوا عبد الرحمن بن عيسى الجعفري بالغابة (راجع مقاتل الطالبين لابي الفرج الاصفهاني ص ٧٢١ ط القاهرة) .

حديث واحد حسن ، في الكهانة والطيرة والخط وفي تشميت العاطس في الصلاة جاهلاً ، وفي عتق الجارية .

ومعاوية بن الحكم معدود في أهل المدينة . روى عنه عطاء بن يسار : وروى كثير بن معاوية بن الحكم عن أبيه : (معاوية بن الحكم السلمي) قال : كنا مع النبي (ص) فَـأَنْزَى عليٌّ بن الحكم أخي ، فرسَه خندقاً ، فدق جدار الخندق ساقه ، فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم ، فمسح ساقه ، فما نزل حتى بَرَأَ ، فقال معاوية بن الحكم السلمي في قصيدة له :

فأنزلها عَلِـيٌّ فهو يَهْوِي هُوِيَّ الدلو مُشْرَعَةً بحبل
فعصَّب رِجله فسما عليها سُمُوَّ الصقر صادف يوم ظل
فقال محمد صلى الله عليه مليكُ الناس قولاً غير فعل
لعاً لك فاستمر بها سويّاً وكانت بعد ذاك أَصَحَّ رِجْل [1]

عتبة بن عمرو السلمي

صحابيّ . نزل بالشام . روى له سعد أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الجنة لها ثمانية أبواب ، والنار لها سبعة أبواب [2] .

عبد الله بن سيدان السلمي

صحابيّ . نزل الشام أيضاً . روى ابن سعد أنهم ذكروا أنه رأى النبيّ . وروى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه صلى خلفه

١ الاستيعاب ، ص ١٤١٤ و ١٤١٥ ، الجزء الثالث .
٢ طبقات ابن سعد ، ص ٤٣٠ ، المجلد السابع .

الجمعة ، فكانت خطبته وصلاته قبل نصف النهار . قال : وصليت خلف عمر . فكانت خطبته وصلاته قبل نصف النهار . قال : وصليت مع عثمان ، فكانت خطبته وصلاته قبل الزوال[1] .

صفوان بن المعطل السلمي

نسبهُ ابن حزم فقال : (صفوان بن رخصة بن المؤمل بن خزاعي ابن محارب بن هلال) ووصفه بأنه « الصاحب الجليل الفاضل »[2] .

ويكنى صفوان : أبا عمرو . ويقال : إنه أسلم قبل المريسيع ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة الخندق والمشاهد كلها بعدها . وكان مع كرز بن جابر الفهري في طلب العُرَنيين الذين أغاروا على لقاح النبي صلى الله عليه وسلم . وكان يكون على ساقة النبي ، ولم يتخلف بعدُ عن غزوة غزاها .

قُتِلَ صفوانُ في غزوة أرمينية ، شهيداً . وأميرهم يومئذ عثمان بن أبي العاص ، سنة ١٩ هـ في خلافة عمر .

ولصفوان دار بالبصرة في سكة المربد .

وكان خَيِّراً ، فاضلاً ، شجاعاً بطلاً . وهو الذي قال فيه أهل الإفك ما قالوا ، مع عائشة رضي الله عنها . فبرأهما الله مما قالوا . وقد اعترض حسَّانَ بن ثابت بالسيف لما قذفه به من الإفك وضربه ، وكان حسان قد عرض بابن المعطل ، وبمن أسلم من مضر ، في شعر له ذكره ابن اسحق ، وذكر الخبر في ذلك[3] .

---

١ طبقات ابن سعد ، ص ٤٣٨ ، المجلد السابع .
٢ جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص ٢٦٤ .
٣ الاستيعاب ، للحافظ أبي عمر ابن عبد البر ، ص ٧٢٥ ، المجلد الثاني .

رزين بن انس السلمي

صحابيّ . أتى النبي ، فكتب له كتاباً ، فقال : يا رسول الله ! إن لنا بئراً بالمدينة ، وقد خفنا أن يغلبنا عليها مَنْ حوالينا . فكتب له رسول الله كتاباً : (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله . أما بعد فإن لهم بئرهم ، إن كان صادقاً ، ولهم دارهم إن كان صادقاً) [1] .

وفي هذا الكتاب النبوي بلاغة الإيجاز ، في الوثائق الشرعية ، مما ينبغي أن يكون قدوة حسنة في كتابة الحجج الشرعية ، مع الاحتياط والدقة .. فمع إيجاز الوثيقة النبوية المذكورة احتاطت للأمر ، فشرطت في تمليك البئر والدار صِدْقَ مُدَّعي المِلْك . ويؤخذ من هذا الحديث أن بعض بني سُليم كانوا يقيمون بالمدينة وكانوا ذوي أملاك فيها بزمن الجاهلية القريبة من عهد الإسلام . ونعلم من التاريخ أن إقامة جالية سُلمية بالمدينة امتد إلى عهد عمر بن الخطاب وإلى ما بعده كما هو موضح في مكانه من هذا الكتاب .

زيد بن كعب البهزي السلمي

صحابيّ . وهو صاحب الظبي الحائف ، أو حمار الوحش العقير بالروحاء ، وكان صائدَه [2] . روى عنه عمير بن سلمة [3] .

---

١ الاستيعاب ، ص ٥٠٦ ، الجزء الثاني .

٢ ورد في معجم ما استعجم ، للبكري : (الحاقف) . وفي الاستيعاب ، ص ٥٥٨ ، ج ٢ ، ورد هكذا : (الحائف) بمعنى النائم .

٣ الاستيعاب ، ص ٥٥٨ ، الجزء الثاني .

سيابة بن عاصم السلمي

صحابي . روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين : (أنا ابن العواتك) . وقد سئل هشيم راوي الحديث عن سيابة السلمي — عن « العواتك ؟ » فقال : « أمهات كُنَّ له من قيس » . وعلّق أبو عمر ابن عبد البر على ذلك بقوله : « ولا يصح ذكر سُليم فيه » .. وقال : « ان العواتك جمع عاتكة » ثم إن ابن عبد البر عاد ، فأعرب عن صحة ما اعترض عليه آنفاً ، فقال : « قال أبو عمر : في ذلك قولان أحدهما : العواتك ثلاث من بني سُليم . إحداهن : عاتكة بنت الأوقص . وهي جدة النبي (ص) من قبل بني زهرة . والثانية : عاتكة بنت هلال ابن فالج ، أمُّ عبد مناف . والثالثة : عاتكة أم هاشم » .

وقد نسب جواد علي ، عاتكة هذه فقال : « وأم هاشم وعبد شمس والمطلب : عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان السلمية » . وهذه النسبة مطابقة تماماً لما ورد في « تاج العروس » (راجع مادة عتك) .

وقد أضاف جواد علي إلى ما ذكر ، أن « أم نوفل » واقدة من بني مازن بن صومعة السلمية [1] .

والقول الثاني — فيما أورده الحافظ ابن عبد البر — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بنسوة أبكار من بني سُليم ، فأخرجن ثُديَهُنَّ ، فوضعنها في في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَدَرَّتْ [2] .. وكان ذلك

---

١ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ص ٤٨١ ، الجزء الرابع ، طبع دار العلم للملايين في بيروت .

٢ الاستيعاب ، لابن عبد البر ، ص ٦٩٢ ، المجلد الثاني . هذا وقد ورد في القاموس المحيط مع شرحه تاج العروس ، تفصيل أوفى عن العواتك جدات النبي صلى الله عليه وسلم..وقد=

حينما كان رسول الله رضيعاً في بني سعد ، وذلك لقرب منازل بني سعد من هوازن — من منازل بني سُليم ، ولأنهم — هوازن وسُليماً — من أصل واحد هو « قَيْسٌ » .

سليم السلمي

صحابيّ . روى عنه العلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير . يُعَدُّ في أهل البصرة [1] .

= اتبعه تاج العروس بمفاخر بني سليم . ونحن هنا نورد لك ذلك النص عن العواتك وعن مفاخر قيس للمناسبة القائمة هنا . يقول اللغويان : الفيروزآبادي والزبيدي ما نصه : (والعاتكة المرأة المحمرة من الطيب. وقيل امرأة عاتكة أي محمرة بالطيب . وقيل سميت لصفائها وحمرتها ، وقيل لشرفها . والجمع : العواتك . وهن في جدات النبي صلى الله عليه وسلم تسع . قال صلى الله عليه وسلم في يوم حنين : أنا ابن العواتك .من سليم .. قال القتيبي قال أبو اليقظان : العواتك ثلاث نسوة من سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ، تسمى كل واحدة منهن عاتكة . إحداهن : عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان ، وهي أم عبد مناف بن قصي جد هاشم ، كذا هو في الصحاح والعباب . والصواب : أم والد هاشم أو أم عبد مناف.والثانية: عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان ، وهي أم هاشم بن عبد مناف . والثالثة : عاتكة بنتالأوقص بن مرة بن هلال بن فالجبن ذكوان وهي أم وهب بن عبد مناف بنزهرة، أبيآمنة أم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم .... فالأولى من العواتك عمة الوسطى ، والوسطى عمة الأخرى ، وبنو سليم تفتخر بهذه الولادة . وذكوان هو ابن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور المذكور آنفاً) . انتهى النصان الواردان في القاموس وتاج العروس عن العواتك ..ويليه (مفاخر بني سليم وهي من تاج العروس (قال : « قلت : ولبني سليم مفاخر منها : أنها ألفت يوم فتح مكة أي شهده منهم ألف . وأن النبي صلى الله عليه وسلم قدم لواءهم يومئذ على الألوية ، وكان أحمر . ومنها : أن عمر رضي الله عنه كتب إلى أهل الكوفة والبصرة ومصر والشام : أن ابعثوا إلي ، من كل بلد بأفضله رجلا . فبعث أهل البصرة بمجاشع بن مسعود السلمي ، وأهل الكوفة بعتبة بن فرقد السلمي ، وأهل مصر بمعن بن يزيد بن الأخنس السلمي ، وأهل الشام بأبي الأعور السلمي » (راجع مادة « عتك » في تاج العروس .

1 الاستيعاب ، ص ٦٤٩ ، المجلد الثاني .

طلحة بن مالك السلمي

صحابيّ . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : (ان من اقتراب الساعة هلاك العرب) [1] .

طلحة بن معاوية بن جاهمة – او جلهمة – السلمي

صحابيّ روى عنه ابنه محمد بن طلحة [2] .

طلحة والد عقيل بن طلحة السلمي

له صحبة فيما ذكره ابن شؤدب ، روى عنه ابنه عقيل بن طلحة [3] .

عبد الله بن النضر السلمي

صحابيّ . روى عنه أبو بكر بن محمد بن حزم عن النبي (ص) حديثاً واحداً . وهو : (لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جُنَّةً من النّار) .

ويرى ابن عبد البر أنه مجهول . وقال عنه : (وما أعلم في الموطأ رجلاً مجهولاً غير هذا) [4] .

---

١ الاستيعاب ، ص ٧٧٠ ، المجلد الثاني .
٢ الاستيعاب ، ص ٧٧١ ، المجلد الثاني .
٣ الاستيعاب ، ص ٧٧١ ، المجلد الثاني .
٤ الاستيعاب ، ص ٩٩٨ و ٩٩٩ ، المجلد الثاني .

عبد الرحمن بن مرفع السلمي

صحابـي . سكن مكة والمدينة . روى عنه أبو يزيد المزني [1] .

عتبة بن الندر ، أو ابن السلمي

صحابـي .. كان اسمه (عتلة) فغير الرسول صلى الله عليـــه وسلم اسمه ، فسماه ، (عتبة) . وهذا التغيير في الاسم يلاحظ أنه قريب اللفظ من الاسم الأصلي : (عتلة) . ومن معاني العتلة لغة : المدرة الكبيرة تنقلع من الأرض .

وكان النبي (ص) كثيراً ما يراعي هذا التقارب بين الاسم الأصلي والاسم الجديد الذي اختاره ، مثل (زيد الخيل) الذي غَيَّرَهُ إلى (زيد الخير) وغَيَّرْه . وربما غير الاسم إلى ضده مثل (غاوي بن ظالم السلمي) الذي غيَّره بضده ، في شقيه فسَمَّى الرجلين : الوالِدَ والولَدَ المُسْلِمَ : باسمَيْ (راشد بن عبد ربه) .. وهذا التعديل كله من الرسول هو تعديل أحسن وأجمل وأنسب للحضارة الاسلامية وأبعد عن عنجهية الجاهلية وتقاليدها .

شهد عتبة خيبر . وتوفي سنة سبع وثمانين للهجرة في أيام الوليد بن عبد الملك ، وهو ابن أربع وتسعين سنة مما يدلنا على انه يوم أسلم كان شاباً في مقتبل الشباب . ويعد من الشاميين . وروى عنه جماعة من التابعين بالشام . منهم عبد الرحمن بن عمرو السلمي [2] الذي له ترجمة في التابعين — بهذا الكتاب في الفصل الخاص بهم .

وقيل : إنه مات سنة ٨٤ هـ وشهد فتح مصر .

---

١ الاستيعاب ص ٨٥٢ ، الجزء الثاني .

٢ الاستيعاب ، ص ١٠٣١ ، الجزء الثالث .

والنُّدَرُ – بضم النون بعدها دال مهملة مشددة مفتوحة عند الجمهور [1] .

عتبة بن فرقد السلمي

هو من الصحابة فيما جاء في كتاب (الطبقات الكبرى) لابن سعد . واسمه يربوع بن حبيب ، ويكنّى أبا عبد الله . ويتصل نسبه ببهثة ابن سُليم .

كان عتبة أميراً لعمر بن الخطاب على بعض فتوحات العراق . وقال أبو عثمان النهدي : جاءني كتاب عمر – ونحن مع عتبة بن فرقد – وأبوه فرقد أو حبيب هو : ابن أسعد بن رفاعة بن الحارث بن بهثة بن سليم . فبينه وبين سُليم جد بني سُليم الأعلى ، أربعة آباء .. فهو أعلى نَسَباً من هوذة بن الحارث السلمي . وعلى حسب القاعدة التي وضعها أبو علمِ الاجتماع (عبد الرحمن بن خلدون) بأن يُحسَبَ لكل ثلاثة أجيال ، مائة عام – وهذا في الأغلب الأعم – يكون بين زمن عتبة ، وزمن (سُليم) جده الأعلى ، مائة وثلاثون سنة .. ونرى أن هذه القاعدة لا يمكن أن تعتبر عامة لكل أجيال البشر بصفة دقيقة وشاملة .. فلربما يخرج عن نطاقها بعض المعمرين .. وربما كان عتبة بن فرقد وأبوه وبعض أجداده ، من هؤلاء .

وأم عتبة : آمنة بنت عمر (عمرو) بن علقمة بن المطلب بن عبد مناف [2] . فهو قرشي من جهة أمه . ولعل هذا وما ذكره التاريخ من أنه كان شريفاً في قومه هو الذي أو هو بعض الذي جعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يعينه عاملاً له .

---

١ تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، ص ١٠٢ و ١٠٣ ، المجلد السابع .
٢ الاستيعاب ، ص ١٠٢٩ ، الجزء الثالث .

سكن عتبة الكوفة هو وأبناؤه ومات بها . ويقال لهم الفراقدة [1] .
وقد أعطاه رسول الله موضع دار بمكة يبنيها مما يلي المروة [2] .

عروة بن أسماء بن الصلت السلمي

صحابي ، وأحد أصحاب بئر معونة — عرض عليه المشركون في يوم بئر معونة أن يؤمنوه ، فأبى ، وقال : لا أقبل لهم في ذلك أمانا ، ولا أرغب بنفسي عن مصارعهم — أي مَصَارِعِ رفاقه الذين استشهدوا في ذلك اليوم ببئر معونة — ثم تقدم للقتال فقاتل ، حتى قتل شهيداً [3] .

قبيصة بن وقاص السلمي

صحابي ، سكن البصرة . له حديث مع النبي ، وهو : « سيكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة » .. فذكر الحديث في جواز الصلاة خلف أيمة الجور ما صلُّوا إلى القبلة [4] .

كعب بن مرة السلمي

صحابي . سكن الأُرْدُنّ من الشام . ومات بالشام سنة ٥٩ هـ أو ٥٧ هـ . وله أحاديث مخرجها عن أهل الكوفة [5] .

---

١ الاستيعاب ، ص ٤٤٨ ، الجزء الثاني ، وطبقات ابن سعد ، ص ٤١ ، الجزء السادس .
٢ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، لجواد علي ، ص ٢٦٩ ، الجزء الرابع .
٣ الاستيعاب ، ص ١٠٦٤ و ١٠٦٥ . الجزء الثالث .
٤ الاستيعاب ، ص ١٢٧٣ ، الجزء الثالث .
٥ الاستيعاب ، ص ١٢٢٦ ، الجزء الثالث .

مالك بن عمير السلمي

صحابي . شهد مع النبي ، فتح مكة ، وحُنَيْناً ، والطائف . وكان شاعراً . روى عنه يزيد بن واصل السلمي ؛ قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ! إني رجل شاعر ، فهل عليّ شيء من الشعر ؟ فقال : « لأن يَمتَلِىءَ ما بين لَبَّتِكَ إلى عاتقك قيحاً ودماً – خيرٌ من أن يمتلىء شعراً » [1] .

مخول بن يزيد السلمي

روى مخول حديثاً عن النبي (ص) قال : قلت : يا رسول الله أوصني ! قال : (أقم الصلاة) الحديث [2] .

مخمر السلمي

صحابي . وهو عم معاوية بن حكيم البهزي . سمع رسول الله يقول : « لا شُؤم . وقد يكون اليُمْنُ في الفَرس والمرأة والدار » [3] .

ربيعة بن رفيع السلمي

كان يقال له : ابن الدُّغُنَّة . والدغنة : أمه ، فغلبت على اسمه . ويقال : ان اسمه رفيع ، وأعتقد أن هذا سهو من جواد علي في كتابه (المفصل) .

---

١ الاستيعاب ، ص ١٣٥٦ ، الجزء الثالث .
٢ الاستيعاب ، ص ١٤٦٧ ، الجزء الرابع .
٣ الاستيعاب ، ص ١٤٦٧ ، الجزء الرابع .

شهد حنيناً ، ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في وفد بني تميم . وربيعة هو قاتل دريد بن الصمة ، بيوم حنين [1] أو باوطاس على روايـــة أخرى كما سيجيء في فصل « سراة وتجـــار ورجال أعمال من بني سُليم .

أبو قُراد السلمي

له صحبة للنبي صلى الله عليه رسلم . روى عنه عبد الرحمن بن الحارث [2] .

عمرو بن مرداس السلمي

هو أخو العباس بن مرداس . كان عمرو ، من المؤلّفة قلوبهـــم ، كأخيه العباس بن مرداس في ذلك .

معن بن حاجز السلمي

عَدّه الحافظ بن عبد البر في كتابه « الاستيعاب في معرفة الصحاب » من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجم له على ذلك في « باب معن » [3] فقـــال : « كان هو وأخوه طُريفة بن حاجز — حاجزة ، حاجر — مع خالد بن الوليد ، مسلمين في الردة وقد نصرهما الله على المرتدين .

---

١ الاستيعاب ، ص ٤٩١ ، الجزء الثاني .
٢ الاستيعاب ، ص ١٧٣٣ ، الجزء الرابع .
٣ الاستيعاب في معرفة الصحاب ، لابن عبد البر ، ص ١٤٤ ، القسم الرابع ، طبع مطبعة نهضة مصر ، بمصر .

طريفة بن حاجز السلمي

ترجم له ابن عبد البر في كتابه (الاستيعاب) فقال : طُريفة بن حاجز ، مذكور فيهم – أي في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم أورد رواية سيف بن عمر ، بأن عمر كتب إليه في قتال الفجاءة السلمي : إياس بن عبد الله بن عبد الله المرتد عن الإسلام حتّى أسره وأنفذه إلى أبي بكر الصديق فأحرقه [1] . وقد ذكرنا هذه الرواية بإيضاح أكثر في ترجمته في فصل الأمراء من بني سُليم .

عبد الله بن ربيعة بن فرقد السلمي

.. الكوفي .. مختلف في صحبته للنبي (ص) . وقال شعبة وحده : له صحبة ، وله حديث في سنن النسائي ، وروى عن ابن مسعود وعبيد ابن خالد ، وعتبة بن فرقد السلمي . وعنه : عطاء بن السائب ، ومالك ابن الحارث وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وعمرو بن ميمون ، وعلى ابن الأقمر ، وابن ابن أخيه : منصور بن المعتمر بن عتاب بن ربيعة وغيرهم [2] .

حبيب بن ربيعة السلمي

صحابيّ . وابنه أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب ، من جلة التابعين . ورد حبيبٌ المدائن في حياة حذيفة بن اليمان ، وقال : جمعتُ

---

١ ص ٧٧٦ من كتاب الاستيعاب .

٢ القاموس وتاج العروس ، مادة (ربع) .

مع حذيفة بالمدائن . وقال محمد بن اسماعيل البخاري : لحبيب أبي عبد الرحمن صحبة [1] .

هوذة بن نبيشة السلمي من بني عُصية

سُلمي .. ورد في التاريخ أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه ما حوى الجفر كله [2] . والجفر موضعان أحدهما بُجفاف والآخر بَجنَفاء . وربما كان الممنوح لهوذة ، الذي بجنفاء لقربه من ديار سُليم [3] .

الأجبُّ السلمي

رجل من بني سُليم أعطاه الرسول فالسأ وكتب كتابه وشهد عليه الأرقم [4] .

١ تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، ص ٢٠٢ ، المجلد الأول .
٢ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، لجواد علي ، ص ٢٥٩ ، الجزء الرابع .
٣ معجم ما استعجم ، للبكري ، ص ٣٨٦ و ٣٨٧ و ٣٩٨ ، الجزء الأول .
٤ المفصل ، ص ٢٥٩ ، الجزء الرابع .

صحابيات من بني سليم

الخنساء : تماضر السُّلمية

ترجمنا للخنساء رضي الله عنها ، في فصل « شاعرات سلميات » ، لما حظي به شعرها من شهرة مستفيضة في رثاء أخويها : معاوية وصخر .

والخنساء — كما هو معلوم — صحابية جليلة ، وهي سلمية أبوها من مشاهير العرب في الجاهلية : عمرو بن الشريد .

أم مالك البهزية السلمية

صحابية .

روى عنها طاووس اليماني ، نحو حديث مجاهد عن أم بشر الأنصارية . قالت : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيّ الناس أفضل في الفتنة ؟ قال : « رجل أخذ برأس فرسه قد أخاف العدو ، وأخافه . ورجل اعتزل في ماله ، فعبد الله ربه ، وأعطى حق ماله » . فقال رجل لطاووس : أي العدو ؟ قال : الشرك . وروى عنها

مكحول ، وروى لها الترمذي السُّلمي ، وذكرها مسلم في الصحابيات المكِّيات [1] .

أم الكرام السلمية

صحابية .

روت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في كراهة التحلي بالذهب للنساء . روى عنها الحكم بن حَجْل . وليس إسناد حديثها بالقويّ ، وقد ثبتت الرُّخْصَةُ في ذلك للنساء [2] .

---

١ الاستيعاب ، ص ١٩٥٦ ، الجزء الرابع ، والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، لتقي الدين الفاسي المكي ، ص ٣٥٣ ، الجزء الثامن .
٢ الاستيعاب ، ص ١٩٥١ ، المجلد الرابع .

تابعيون من بني سليم

من هو التابعي ؟

كما حصل الاختلاف في « تعريف الصحابي » ، حدث الاختلاف في « تعريف التابعي » . فأورد النووي قول من قال : إن التـابعي « هو من صحب الصحابي » . وثنّاه بقول آخر هو أن التابعي « من لقي الصحابي » ورجح النووي هذا الرأي [1] .

وكما يقال : (تابعي) يقال أيضاً : (تابع) [2] .

وقد عقدنا هذا الفصل للتابعين السلميين خاصة ، لأن بني سليم هم موضوع الكتاب ...

وقد ترجمنا لجملة صالحة من التابعين السلميين . وغني عن البيان أن هذه التراجم ليست من باب الإحصاء ، وإنما هي ذِكْرٌ لمن تمكنا من معرفته من تابعيِّي بني سليم ، ولا يتنافى هذا مع العثور على أسماء وتراجم لسواهم في المراجع . والغاية من ذكرهم أن يكون في ذلك فتح بابٍ لمن يريد أن يستقصي هذا الموضوع . وأول الغيث قطر ثم ينهمر .

---

١ تقريب النواوي ، ص ٤١٦ ، طبعة مصر .

٢ تدريب الراوي شرح تقريب النوواوي ، للسيوطي ، ص ٤١٦ .

وجدير بالذكر أننا أتبعنا فصل التابعين السلميين ، بفصل عن التابعيات السلميات اللآئي وجدنا لهن تراجم وأسماءاً في المصادر التي بين أيدينا .

أبو عبد الرحمن السلمي

تابعي . كان «مقرئ الكوفة» . واسمه : عبد الله بن حبيب بن ربيعة . ولأبيه صحبة . وقد مر في فصل (صحابة من سليم) .

وُلِدَ أبو عبد الرحمن هذا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقرأ القرآن وجوّدَهُ ، وبرع في حفظه ، وعَرَضَ على عثمان وعلي وابن مسعود ، رضي الله عنهم ، وعلى غيرهم . وحدّث عن عمر وعثمان رضي الله عنهما .

قال أبو عمر الداني : أخذ القرآن عرضاً ، عن عثمان ، وعلي وابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأبيّ بن كعب ، رضي الله عنهم ، وأخذ عنه القراءة — عرضاً — عاصمُ بنُ أبي النجود ، ويحيى بن وثاب ، وعطاء بن السائب ، وعبد الله بن عيسى بن أبي ليلى ، ومحمد ابن أيوب أبو عون ، والثقفي ، والشعبي ، واسماعيل بن أبي خالد ، وعَرَضَ عليه الحسن والحسين ، رضي الله عنهما . وكان إمامَ المسجد ، وكان يُحْمَلُ في الطين . وكان ينهى الناس عن مجالسة القُصّاص ، وكان أعمى .

توفي أبو عبد الرحمن سنة ٧٤ هـ ، وقيل : سنة ٧٣ في إمرة بشر ابن مروان على العراق ، أو في ولاية الحجاج[1] وقد عمر حتى تجاوز

١ معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار ، للذهبي ، ص ٤٥ و ٤٩ ، طبع دار التأليف بمصر .

الثمانين عاماً . وكانت وفاته بالكوفة ، وكان ثقة كثير الحديث . له ترجمة في « تاريخ بغداد أو مدينة السلام » للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (راجع المجلد التاسع والصفحة ٤٣٠ و ٤٣١ طبعة بيروت) .

هذا وقد تُرجِمَ أبو عبد الرحمن السّلمي في كتاب « مفتاح السعادة » لطاش كبري زاده ، وقال عنه : إليه انتهت القراءة تجويداً وضبطاً . وأورد أسماء من أخذ عنهم القراءة حسب ما رواه الذهبي في كتابه : « معرفة القراء الكبار » ، وكذلك من أخذوا عنه القراءة . وأضاف « طاش كبري زاده » في ترجمته أنه كان ثقة كبير القدر ، وحديثه مخرج في الكتب الستة . وقال عن تاريخ وفاته مثل ما قال الذهبي تماماً على ما سبق ذكره آنفاً [1] . وقال عنه تقي الدين الفاسي : « تابعي من أصحاب عبد الله بن مسعود ، وكان يقرئ في زمان عثمان إلى زمان الحجاج ، وقرأ على عثمان بن عفان ، وعَرَضَ على عليّ بن أبي طالب [2] . ويفهم من ذكره له في كتابه أنه أقام بمكة المكرمة » لأنّ كتابه : (العِقْد الثمين) هو في تاريخ سكان البلد الأمين : مكّة المشرفة . وقد ذكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد انه أقام بنيسابور مدة مديدة من الدهر يقرئ القرآن في المسجد .

عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي

تابعي . والده عتبة بن فرقد سبقت ترجمته في فصل : « صحابة

---

١ مفتاح السعادة ، لطاش كبري زاده ، ص ٢١ – ٢٢ ، المجلد الثاني ، طبع مطبعة الاستقلال الكبرى بمصر .

٢ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، لتقي الدين الفاسي ، ص ٦٦ و ٦٧ ، المجلد الثامن ، طبع مصر ، وقد نشر هذا الكتاب على نفقة الشيخ محمد سرور الصبان ووزع كميات كبيرة منه على دور العلم والعلماء والمفكرين مجاناً .

من بني سليم » .

روى عمرو بن عتبة عن عبد الله بن مسعود ، كما روى عنه الهيثم ابن شهاب السلمي . وروى عمرو عن سبيعة الأسلمية ، كتابة . وروى عنه ، عبدُ الله بن ربيعة السلمي . وكان ثقة قليل الحديث . وكان من نُسّاك الكوفة المجتهدين في العبادة . وقد استشهد بتستر ، في خلافة عثمان بن عفان ، فصلى عليه علقمة [1] .

مِلْحَانُ بن ثروان السلمي

تابعي . روى عن حذيفة بن اليمان ، رضي الله عنه [2] .

مالك بن الحارث السلمي

تابعي ثقة . له أحاديث صالحة . روى عنه الأعمش [3] .

عبد الله بن رُبَيّعَةَ بن فرقد السلمي

اختلف في صحبته . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود وابن عباس ، وعبيد بن خالد السلمي وغيرهم . وروى عنه عبد الرحمن بن أبي ليلى وعطاء بن السائب وغيرهما . ذكره ابن

---

١ الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد ، ص ٢٠٦ و ٢٠٧ ، المجلد السادس ، وجمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص ٢٥١ ؛ وتهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، ص ٧٥ و ٧٦ ، المجلد الثامن .

٢ الطبقات الكبرى ، ص ٢١٧ ، المجلد السادس .

٣ الطبقات الكبرى ، ص ٢٩٤ ، المجلد السادس .

حبان في ثقات التابعين ، وذكر أنه يروي عن ابن مسعود ، وذكره في الصحابة أيضاً [1] .

الهيثم بن شهاب السلمي

تابعي . روى عن عبد الله بن مسعود . قال ابن سعد : أخبرنا محمد بن الفضيل بن غزوان عن الحصين عن الهيثم بن شهاب ، قال : سمعت ابن مسعود يقول : لأن أقعد على رضفتين – حجرين مُحْمِيَّين – أحبّ إليّ ، من أن أقعد متربعاً في الصلاة . وكان قليل الحديث [2]

محمد بن قدامة السلمي

جده إسماعيل .. أبو عبد الله البخاري نزيل مرو . روى عن النضر ابن شميل ، وكان مستمليه وروى عن غيره . روى عنه مسلم وأبو داود، في غير السنن ، وغيرهما ، ووثقه ابن حبان [3] .

نجدة بن المبارك السلمي الكوفي

روى عن رزين بن عقبة ومالك بن مغول ، وغيرهما . وروى عنه عبد الله بن خبيق وغيره . وقال الحسن بن الربيع : نجدة بن المبارك عندنا مثل سفيان الثوري [4] .

---

١ الطبقات الكبرى ، وتهذيب التهذيب ، ص ٢٠٨ و ٢٠٩ ، المجلد الخامس .
٢ الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد ، ص ١٩٨ ، المجلد السادس .
٣ تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، ص ٤٠٩ ، المجلد التاسع .
٤ تهذيب التهذيب ، ص ٤١٩ ، المجلد العاشر .

نضر بن عبد الله السلمي

الحجازي . روى عن عمرو بن حزم في النّهي عن القعود على القبر ، وعن عمرو بن مساحق المدني . وروى عنه أبو بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم . وقال ابن عبد البر : لا أعرف في رواة الموطأ مجهولاً غيره[1] . وقد مرت بنا — في فصل « صحابة من بني سليم » — ترجمةُ عبد الله بن النضر السلمي نقلاً عن الاستيعاب وقولُ ابن عبد البر فيه : (وما أعلم في الموطأ رجلاً مجهولاً غير هذا) ... وإذا قارنا بين الاسمين ، فاننا نجد (عبد الله بن النضر) في الصحابة وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً واحداً هو : (لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جُنّةً من النار) . ونجد (نضر بن عبد الله السلمي) في صفوف التابعين . وإذا قارنا بين قول الحافظ ابن عبد البر في كل من : (عبد الله بن النضر السلمي) الصحابي الذي قال عنه ابن عبد البر : انه مجهول ، ومجهول وحده في رجال (الموطأ) وقوله في (نضر بن عبد الله السلمي التابعي) مثل هذا القول تماماً بابدال صيغة : (وما أعلم) بصيغة (لا أعرف) . وإذا رجعنا إلى ترجمة (عبد الله بن النضر السلمي) في الاستيعاب لابن عبد البر ، نجد أنه يقول عنه : روى عنه أبو بكر بن محمد بن حزم حديثاً واحداً عن النبي وهو : (لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جُنّةً من النار) ... وإذا رجعنا في نفس الوقت أيضاً إلى ترجمة : (نضر بن عبد الله السلمي) التابعي في كتاب تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني نجده يقول عنه : (روى عن عمرو بن حزم في النهي عن العقود ، وعن عمرو بن مساحق المندي ، وروى عنه أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم) ولكن بدون أن

---

[1] تهذيب التهذيب ، ص ٤٣٩ و ٤٤٠ ، المجلد العاشر .

يذكر ما رواه عنه أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ... فهل يرجح أنهما شخصان اثنان أو شخص واحد ؟.. اضطرب الحافظ ابن عمر في اسميهما .. أو في اسمهما ؟.. إن وصولنا إلى حقيقة الأمر يحتاج إلى تحقيق أوسع مدى ، وإلى « تمحيص » أعمق غوراً ، وليس هذا الكتاب موضعهما ، فانما هو استعراض مبسط لرجالات سليم من الصحابة والتابعين .. على أنه يتراءى لي ضَباب من قاتم الشك حول حقيقة الاسمينْ والمُسَمّيْنِ بهما معاً ، وربما كُنْتُ أمْيَلَ إلى أنهما اسم واحد لمسمى واحد ، لكثرة القرائن التي تشير إلى هذا . والله أعلم .

حيان بن عطية السلمي

ذكره البخاري في حديث سعد بن عبيدة . ومما قاله أبو علي الغساني في (تقييد المهمل) : (إن ذكر هذا الرجل في رجال البخاري عجيب ، فانه ليست له رواية) ... (ولم يعرف من رجاله بشيء ، ولا عرفتُ فيه إلى الآن جرحاً ولا تعديلاً) [1] .

كنانة بن عباس بن مرداس السلمي

روى عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا لأمته عشية عرفة . وروى عنه ابنه عبد الله بن كنانة . وذكره ابن حبان في الثقات . وقال عنه في كتاب « الضعفاء » : حديثه منكر جداً ، لا أدري ،

---

١ تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني، ص ١٧٢ و ١٧٣ ، المجلد الثاني ، طبع حيدر آباد دكن .

التخليط منه أو من ابنه ؟ ومن أيهما كان فهو ساقط الاحتجاج . وقد أشار العسقلاني إلى تخبط (ابن حبان) في أمر كنانة ، وتوثيقه إياه وعدمه .. أشار إلى ذلك في ترجمته الآتية لابنه عبد الله بن كنانة السلمي [1] .

عبد الله بن كنانة السلمي

جده عباس بن مرداس . وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني : السلمي – يعني كنانة والد عبد الله – قال البخاري لم يصح حديثه . وقد مر بنا آنفاً ما أبداه العسقلاني حيال تخبّط ابن حبان في أمر كنانة : أهو ثقة أم غير ثقة [2] .

خالد بن يزيد السلمي

أبو هاشم الأزرق الدمشقي .

روى عن محمد بن راشد المكحول ، والمطعم بن مقدام ، والثوري ، وليث بن أبي سليم ، وغيرهم .

وروى عنه ابنه محمود ، ودحيم [3] ، وصفوان بن صالح ، وسليمان ابن عبد الرحمن وغيرهم . ذكره سميع في الطبقة السادسة ، وذكره ابن حبان في الثقات .

---

١ و ٢ تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، ص ٤٤٩ ، المجلد الثامن ، و ص ٣٧٠ ، المجلد الخامس .

٣ يلاحظ أن اسم (دحيم) لا يزال مستعملا حتى اليوم في نجد وربما يعنون في الأصل به تصغير اسم (عبد الرحمن) أو (عبد الرحيم) تصغير تحبب وتدليل .

سعد بن عبيدة السلمي

من التابعين . روى عنه الأعمش وحُصين . توفي في ولاية عمر ابن هبيرة على الكوفة (وربما يفهم من ذلك أنه استوطن الكوفة حتى المات) وكان ثقة كثير الحديث [1] .

منصور أبو عتّاب ابن المعتمر السلمي

تابعيّ .. قال منصور : لقد طلبنا العلم وما لنا فيه تلك النية ، ثم رزق الله فيه بَعْدُ . (فَسّرَ مِنْدَل قوله ، فقال : يقول : رزق الله بَعْدُ ، البصر .. يقول : كنا أحْداثاً .

وقد عَمِش من البكاء من خوف الله عز وجل . قال أبو نعيم : سمعت حماد بن زيد ، قال : رأيت منصوراً بمكة ، قال أظنه من هذه الخَشَبِيّة ، قال : وما أظنه كان يكذب .

توفي منصور بن المعتمر السلمي في آخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة . وكان ثقة مأموناً ، كثير الحديث ، رفيعاً عالياً [2] . وقد يكون استوطن مكة ، ليبتعد عن الفتن الدائرة في أوائل العهد العباسي . وقد يكون في مكة حاجّاً أو معتمراً .

حُصين بن عبد الرحمن السلمي

قال عنه محمد بن سعد : إنه (من أنفسهم) [3] .

---

١ الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد ، ص ٢٩٨ ، المجلد السادس .
٢ الطبقات الكبرى ، ص ٣٣٧ ، المجلد السادس .
٣ الطبقات الكبرى ، ص ٣٣٨ ، المجلد السادس .

محمد بن اسماعيل السلمي

اسم أبيه راشد . وكانوا ثلاثة إخوة يُروى عنهم . أسَنّهم وأقدمهم موتاً : إسماعيل بن راشد ، روى عنه حصين ، وأخوه محمد ابن إسماعيل أيضاً . مات محمد سنة اثنتين وأربعين ومائة في خلافة أبي جعفر (المنصور) . روى عنه الثَّوْرِيّ . وأخوه الآخر الذي هو عمر بن راشد ، وروى عنه حَفْصُ بن غياث ، وعبد الله بن نُمَيْرٍ ، ويحيى القطان ، والثوري [1] .

سُنَيْن أبو جميلة السلمي

تابعيّ من بني سليم من أنفسهم ، له أحاديث . سمع من عمر بن الخطاب . وفي حديث صالح بن كيسان عن الزهري عن سُنَيْنٍ أبي جميلة السليطي – السلمي – وكان منزله بالعُمَقِ ، وهو جادة الطريق إلى مكة بين معدن بني سليم وذات عرق .

وحدّث سفيان بن عيينة عن الزهري أنه سمع سُنَيْناً أبا جميلة يقول : وَجَدْتُ منبوذاً على عهد عمر ، فذكَرَهُ عَرِيفي ، لَهُ ، فأرسل إليّ ، فدعاني ، فقال لي : هو حُرّ ، وولاؤه لك ، وعلينا رضاعه [2] .

محمد بن علي السلمي

قال ابن سعد في (الطبقات الكبرى) : وقد رووا عنه [3] .

---

١ الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ص ٣٤٦ ، المجلد السادس .

٢ الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ص ٦٣ ، المجلد الخامس .

٣ ص ٣٧٠ ، المجلد السادس .

عيسى بن عبد الرحمن السلمي

من أنفسهم . وهو قديم الموت . توفي في خلافة أبي جعفر [1] .

أبو العجفاء السلمي

اسمه هرم . روى عن عمر بن الخطاب . وعَدّه ابن سعد في « الطّبقات الكبرى » من الطبقة الأولى ، من الفقهاء والمحدثين والتابعين من أهل البصرة ، ومن أصحاب عمر بن الخطاب [2] .

سفيان بن حسين السلمي

مَوْلىً لبني سُلَيم ، ويكنى سفيانُ أبا الحسن ، أو أبا محمد . وكان ثقة يخطئ في حديثه كثيراً . وكان مؤدِّباً مع المهدي أمير المؤمنين . ومات بالريّ في خلافة المهدي . وَعَدّهُ ابن سعد من الفقهاء والمحدثين بواسط [3] .

عبد الرحمن بن عمرو السلمي

عَدّهُ ابن سعد من الطبقة الثانية من التابعين المقيمين بالشام . ومات سنة عشر ومائة في خلافة هشام بن عبد الملك [4] .

---

١ الطبقات الكبرى ، ص ٣٧٠ ، المجلد السادس .
٢ الطبقات الكبرى ، ص ١٠٢ ، المجلد السابع .
٣ الطبقات الكبرى ، ص ٣١٢ ، المجلد السابع .
٤ الطبقات الكبرى ، ص ٤٤٩ ، المجلد السابع .

سويد بن عبد العزيز السلمي

هو مَوَلَىً لبني سليم . ويكنى أبا محمد . وكان يروي أحاديث منكرة . وُلِدَ سنة تسعين في آخر خلافة الوليد بن عبد الملك . وتوفي سنة سبع وستين ومائة (في خلافة المهديّ العباسيّ) .

وقد ولي قضاء بعلبك ، وكان محتاجاً ، فلقيه داود بن أبي شيبان الدمشقي ، فقال له : يا أبا محمد ، وُلِّيتَ القضاء بعد العلم والحديث ؟ فقال : نعم ، نشدتك الله أتحت جُبَّتك شعار ؟ فقال داود : نعم ! فرفع سويد جبته ، وقال : لكن جبتي ليس تحتها شعار . ثم قال له : أنْشُدُكَ الله ، هل هذا الطيلسان لك ؟ قال داود : نعم ! قال سويد : فوالله ما هذا الطيلسان الذي ترى عليّ ، لي . وإنه لَعارِيَةٌ . أفلا ألِي الْقَضاء بعد هذا ؟ فوالله لو وَلَّوْني بيت المال – فإنه شر من القضاء – لَوَلَيْتُهُ [1] .

نصر بن حجاج السلمي

كان نصر جميلاً فائق الجمال . وكان يقيم بالمدينة ، مما يدلنا على أن «جالية» سلمية كانت تقيم بها ربما قبل عهد الرسول ، وربما في عهده وفي خلافة أبي بكر ثم في خلافة عمر بن الخطاب ، وكانت المدينة عاصمة الخلافة الإسلامية ، ومن دأب الناس أن ينزحوا إلى «العواصم» لما فيها من العلم والعمل ووفير الخيرات ، قديماً وحديثاً .

وقد حدّثوا ان عمر بن الخطاب سمع – وهو يَعُسُّ ذات ليلة – امرأة تجهر بأمنيتها الكمينة ، فتقول :

---

١ الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ص ٤٧٠ ، المجلد السابع .

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ؟ أو هل سبيل إلى نصر بن حجاج ؟

فلما أصبح سأل عنه ، فإذا هو من بني سُليم ، فأرسل اليه فأتاه ، فإذا هو من أحسن الناس شَعَراً ، وأصبحهم وجهاً ، فأمر عمر أن يَطُمّ – يَجُزّ – شعره ، ففعل ، فخرجت جبهته ، فازداد حُسْناً . فأمره عمر أن يعتمّ ، ففعل ، فازداد حُسْناً ، فقال عمر : لا والذي نفسي بيده لا تجامعني بأرض أنا بها .. فأمر له بما يصلحه ، وسيّرَهُ إلى البصرة .

وكان بالبصرة جالية من بني سليم ، اتخذوها موطناً لهم عقب تمصيرها ، ولا بُدّ أن عمر اختارها « مَنْفىً » لنصر بن حجاج ، رأفة به ، إذ لا ذنب له ، وإنما هي سياسة درء المفاسد ، وسدّ باب الفتن ، وحمايةِ الأخلاق الإسلامية في بلد الرسول المصطفى من أن يتطرق إليها ما يكدر صفوها .

ونصر بن حجاج شاعر ، ولذلك سنورد له ترجمة في فصل : « شعراء من بني سُلَيم » تتعلق بشعره وشاعريته . وقد أضفنا إلى ذلك مزيداً من التفصيل حيال قضية نفيه إلى البصرة ، وقصة مصيره بعد ذلك .

أبو ذئب السلمي

يُعتبر « أبو ذئب » من صِبَاحٍ – بكسر الصاد المهملة والباء التحتية الموحدة فألف فحاء جمع صبيح – بني سليم ، ولذلك غَرّبَهُ عمر بن الخطاب أيضاً ، أسوة بزميله فقد ذكر الرواة أن عمر كان يعسُّ بالمدينة ليلاً ، إذ سمع نسوة يتحدثن ، فإذا هُنّ يقلن : أيّ أهل المدينة أصْبَحُ ؟ فقالت امرأة منهن : أبو ذئب !.. فلما أصبح عمر سأل

عنه ، فإذا هو من بني سليم ، فلما نظر اليه عمر ، إذا هو من أجمل الناس . فقال له عمر : « أنت والله ذِئْبُهُنَّ !!! — (قالها مرتين أو ثلاثاً » — والذي نفسي بيده لا تجامعني بأرض أنا بها » . (والشطر الأخير من هذه الكلمة التي خاطب بها عمر ، أبا ذِئْبٍ ، هي مثل الشطر الأخير من الكلمة التي خاطب بها نصر بن حجاج) . قال أبو ذئب : فإن كنت لا بد مُسَيِّري ، فَسَيِّرْني حيث سَيَّرْتَ ابن عمي — يعني نصر ابن حجاج السلمي — فأمر له بما يصلحه أيضاً ، وسَيَّرَهُ إلى البصرة [1] .

وهكذا اختار أبو ذئب منفاه من المدينة بنفسه ، ونزل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عند رغبته ، لأنه يشعر بأن لا ذنب له فيما قالته المرأة عنه وسَمِعَهُ ليلاً وهو يقوم بمهمة العَسِّ في شوارع المدينة وأزقتها ، لضمان الأمن والاستقرار والأخلاق الإسلامية الكريمة .

ولأبي ذئب الحق في اختيار البصرة مَنْفىً له ، لأنها بلد حديث الإنشاء ، وفيها بنو عمومته . فإذا أقام به فلن يكون غريباً ، ولن يشعر بقلق نفسي كبير هنالك بسبب الغربة التي فرضت عليه من قِبَل الخليفة العادل .

جعدة السلمي

أمّا جعدةُ السُّلمي .. فقد اشتكاه شاعر مجهول لَيَبقَ إلى عمر ابن الخطاب . وكان جعدة مقيماً في المدينة مع جالية قومه الذين نزحوا من ديارهم إلى عاصمة الخلافة الأولى .. وكانت الشكوى محبوكة ، وتتضمن أنه يغشى بيوت المسلمين فيما وراء جبل سَلع ، حيث تنازلُ

---

١ الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ص ٢٨٥ ، المجلد الثالث .

بَني سعد بن بكر وأسلم وجهينة وغِفَار . وقد رمز « الشاعر » إلى النساء اللواتي يَحْفُفْنَ بجعدة السّلمي (ولا بُدّ أنه كان فتى جميلاً أيضاً) من نساءِ تلك الأحياء ، رَمَزَ اليهن باسم (القُلُصِ) جمع قَلُوصٍ ، ورمز إلى وجودهنّ معه بقوله : (يُعَقّلُهُنّ) .. قال الشاعر :

ألا أبلغ أبا حَفْصٍ رسولاً — فِدىً لك من أخي ثقة ، إزاري
قلائصَنَا — هداك الله — إنّا — شُغِلْنا عنكمو زمن الحصار
فما قُلُصٌ وُجِدْنَ مُعَقَّلات — قَفَا سَلْعٍ بمُخْتَلَف البحار[1]
قلائص من بَني سعد بن بكرٍ — وأسلم أو جهينة أو غِفَار
يُعَقِّلُهُنّ جعدةُ — من سُلَيمٍ — معيداً ، يبتغي سَقَطَ العذار

وإذا عرفنا أن معنى (القلوص) في اللغة العربية : « الشّابة من الإبل ، أو الباقية على السير ، أو أول ما يركب من إناثها إلى أن تثني ثم هي ناقة » أدركنا عندئذ دقة الكناية من هذا الشاعر المجهول الذي عرف من أين تؤكل الكتف .. وعرف كيف تكون إصابة السهم لمرماه .. ورُبّ كناية أبلغ من تصريح ..

إن الشاعر يريد أن يكشف لعمر بن الخطاب حقيقة انحراف أخلاق جعدة السلمي — بحسب دعواه — وهو يعرف أن عمر ذو إحساس مرهف من هذه الناحية ، فهو من هذه الناحية يهدف إلى سد الذرائع ، وإلى الاحتياط في هذه الأمور المخلة بالآداب الإسلامية في بلد الرسول ولا يتسامح فيها على أي حال .

وقد ضرب الشاعر — فعلاً — على الوتر الحساس .. فقال عمر : ادْعُوا لي جعدة ، من سُلَيم .. فدعوا به له ، فَجُلِدَ مائةً ، مَعْقُولاً . ونهاه أن يدخل على امرأة مغنية [2] .. ولا بد أن أخبـار

[1] هكذا في الأصل ، ولعلها : النجار .
[2] الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد ، ص ٢٨٦ ، المجلد الثالث .

انحراف أخلاق جعدة واستهوائه لفتيات ما وراء جبل سلع كان قد بلغ مسامع عمر ، وكان ينتظر أن تسنح الفرصة المناسبة لتأديبه .. وآية ذلك أنه جلده مائةً ، معقولاً . وعُمَرُ عادل ، ولا يقوم بمثل هذا التأديب الشديد إلا بمقتضى أدلة مثبتة .. وهي — طبعاً — غير شعر الشاعر المجهول . وشعر الشاعر المجهول كان مجرد علامة وانذاراً بأنّ الكيل قد طفح ، وبأنه لا بد من وضع حدٍّ لهذا العبث الخُلُقِيّ الذي يقوم به جعدة من وراء ستار شفيف . ومن واضح الأدلة على إدراك عمر لحقيقة سلوك جعدة فيما وراء جبل سلع أنه بعد ما جلده مائةً ، معقولاً ، نَهاهُ عن الدخول على امرأة مغنية كان عمر لا يخفى عليه حقيقة سلوكها ، ولكنه كان يدرأ الحدود بالشبهات ، ولا بد أن عمر سماها له عندما نَهَاهُ عن دخول منزلها .. ولكن الرواة آثروا سترها ، فاكتفوا بالاشارة إلى واقعها من دون إثارة فضيحة عليها خالدة بذكر اسمها ولعلها تتوب . والله ستار يحب الستر وغفّار للذنوب . وعمرُ ومَنْ كانوا في عصره من الصحابة والتابعين ما كانوا يريدون أن تشيع الفاحشة ولا سوء السمعة بين المسلمين على بعضهم .

مليح بن عوف السلمي

رُويتْ عن مليح هذا ، قصةُ ذلك (الباب الخشبي) الذي وضعه سعد بن أبي وقاص على داره ، مع قصة ذلك (الْخُصِّ الْقَصَبِيّ) الذي خصه سعد على قصره في الكوفة . وتقول القصة : إنه بلغ عمرَ ابنَ الخطاب ، وَضْعُ سعد للباب الخشبي والخص القصبي على داره ، فاهتم بهذا الشأن ، الذي رأى فيه حَدَثاً غير مناسب ، ومن أجل ذلك انتدب من المدينة محمد بن مسلمة ومعه مليح بن عوف السلمي دليل طريق ، وأمر عمر محمد بن مسلمة بالتحقيق في ذلك ورَفْعِ الأمر اليه .

وكان مليح دليلاً خبيراً . وهكذا خرج مَنْدوبُ الخَلِيفَة سِرّاً في المهمة الإدارية المُكَلَّف بالتحقيق فيها وتقديم نتيجة تحقيقاته عنها اليه .
ثم أمر عمر — بعد وصول الحقيقة الايجابية اليه عن الباب الخشبي ، والحص القصبي — أمر عمرُ ، مُحَمَّدَ بنَ مسلمة بأن يحرق الباب والحص معاً ، ففعل .. وأمره بأن يُقيمَ سعداً ، لأهل الكوفة في مساجدهم ، بسبب ما بلغ عمر من بعض أهل الكوفة — من أن سعداً حابى في بيع خُمُسٍ ، باعه . ففعل .. فأقام محمدُ بن مسلمة ، سَعْدَ بن أبي وقاص ، في مساجد الكوفة ، فجعل يسألهم عن سعد ويخبرهم بأن أمير المؤمنين أمره بهذا ، فلا يجد أحداً يخبره إلا خيراً[1] ..

هي سعاية من بعض من تنقصهم متانة الخلق الإسلامي على سعد بن أبي وقاص ، لم ير أمير المؤمنين العادل إلا أن يستكشف حقيقة أمرها ، حتى تظهر جليةً للجمهور ، فلا يكثر اللغط والاشاعات المفتراة بين الناس سِرّاً وجهراً على هذا الصحابي النزيه الجليل ، فكان عمر بذلك خليفة بارعاً وعبقرياً حكيماً . كما أنه كان مثالاً للعدل إذ أجرى التحقيق الدقيق وأحرق الباب والحص ، وأقام سَعْدَ بن أبي وقاص صاحبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس حتى تنجلي حقيقة ما زعمه بعضهم من قيامه بالمحاباة وهو أمير على الكوفة . وهكذا كان عمر مُنَفِّذاً دقيقاً لتعاليم الإسلام على الجميع لا فرق لديه بين أمير ومأمور ولا كبير ولا صغير .

١ الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ص ٦٢ ، المجلد الخامس .

تابعيات من بني سليم

أم عيسى

روت أم عيسى بن عبد الرحمن السُّلمي ، عن عائشة رضي الله عنها ، وروى عنها ابنها عيسى بن عبد الرحمن السُّلمي . وذكرها محمد بن سعد في « الطبقات الكبرى » في باب : « تسمية النساء اللواتي لم يَرْوِينَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَيَرْوِينَ عن أزواجه وغيرهن » [1] .

وأمّ عيسى ، لا ندري مما ذكر ، هل هي سلمية أصلاً ، أو سلمية في أهل زوجها وفي ابنها فحسب . وقد كانت لها مكانتها في رواية الحديث حتى إن ابنها المذكور روى عنها الحديث . وقد وضعناها في هذا المكان أخذاً بالاحتمال الأول ريثما تظهر حقيقة نسبها .

---

١ ص ٤٩١ و ٤٩٢ ، المجلد الثامن من الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد .

علماء ومفتون وقضاة

من بني سليم

هذا الفصل – بطبيعة الحال – ليس حصراً ولا إحصاءاً للعلماء والمفتين والقضاة من بني سليم ، وإنما هو عرضٌ لنماذج من هؤلاء جميعاً ، تسنى لنا من مطالعاتنا للمراجع التي بين أيدينا أن نطلع على تراجمهم التي منها الموجز ، ومنها المسهب . وهذا الفصل من هــذه الناحية هو قرين للفصول السابقة في التراجم ومثيل لها في هذا الشأن . وقد دَوّنّا فيه تراجم طائفة لا بأس بها من بني سليم ، من القرن الهجري الأول إلى الثالث عشر .

ونعني بصيغة العلماء في هذا الفصل ما كانت تعنيه وما لا زالت تعنيه هذه الصيغة في التاريخ الإسلامي والاصطلاح الإسلامي ، أي علماء الدين . ونعني بالمُفْتِين ، من يتعاطون مهمة الإفتاء من أولئك العلماء للمستفتين . ونعني بالقضاة مَنْ يحكمون بين الناس في قضاياهم وخُصوماتهم وحقوقهم ، ويعيدون الحق إلى أهله وإلى نصابه ، على أن تكون أحكامهم بمقتضى الشريعة الإسلامية .. فالمفتي والقاضي عالمان إسلاميان ، يقومان بمهمتين إسلاميتين جليلتين ، زيادة على علمهما أو تدريسهما للعلم الإسلامي مثلاً .

وأول من تمكّنا من ترجمته – حسب المصادر الموجودة لدينا – من هؤلاء العلماء السلميين الإسلاميين ، من عاش في القرن الهجري الأول ومات فيه ، ألا وهو تميم بن سلمة الكوفي السلمي .

وآخر من تمكنا من ترجمته – حسب مصادرنا – من هؤلاء العلماء السلميين الإسلاميين ، من كان عائشاً في أخريات القرن الثالث عشر الهجري ومات فيه .. وهو محمد بن حمدون المرداسي الفاسي السلمي .

وبمقارنة زَمَنَيْ ومَوْطني هذين العالمين السلميين ، اللذين يفصل بينهما عشرة قرون من الزمن ، وكان أولهما يقيم بالكوفة ، وثانيهما يقيم بفاس . والكوفة تقع في غرب آسية ، وفاس تقع في افريقية الشمالية القصوى – ندرك مدى حيوية بني سُلَيم عبر التاريخ الإسلامي المديد ..

تميم بن سلمة الكوفي السلمي

روى عن سليمان بن الزبير ، وشريح بن الحارث القاضي ، وعبدالرحمن ابن هلال العبسي . وروى عنه الأعمش ، ومنصور ، وطلحة بن مصرف ، وأبو صخرة جامع بن شداد ، وجماعة .

قال ابن معين والنسائي : ثقة . وقال ابن عاصم وغيره : مات سنة ١٠٠ ﻫ . وقاله ابن سعد . قال : وكان ثقة ، وله أحاديث . وذكره ابن حبان في الثقات ، وفرق بينه وبين تميم بن سلمة الخزاعي .

روى عن جابر بن سمرة ، وعنه المسيب بن رافع . قال : وهو الذي روى عن عروة بن الزبير [١] .

---

١ تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، ص ٥١٢ و ٥١٣ ، المجلد الأول، طبعة حيدرآباد دكن ، سنة ١٣٢٥ ﻫ .

منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي

يكنى أبا عتاب . من أعلام رجال الحديث . ولم يكن أحفظ منه للحديث . وكان ثقة . وهو من أهل الكوفة . مات سنة ١٣٢ هـ ، ٧٥٠ م . ونسب جده عبد الله هكذا : عبد الله بن عتاب بن رُبَيِّعَةَ (بالتصغير) ابن فرقد وهو يربوع بن حبيب الفقيه [١] .

سويد بن عبد العزيز السلمي

مولاهم .. الدمشقي . وقيل : حمصي . وأصله من واسط بالعراق أو من الكوفة . كان شريك يحيى بن حمزة في القضاء . قرأ القرآن على يحيى بن الحارث الذماري ، والحسين بن عمران العسقلاني . وروى عن حميد الطويل ، والأوزاعي ، ومالك ، وجماعة . وقرأ عليه أبو مسهر ، وهشام بن عمار ، وغيرهما . وروى عنه ، أبو مسهر ، وصفوان بن صالح ، وغيرهما . قال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه : متروك الحديث . وقال ابن معين : ليس بثقة . قال أبو حاتم : قلتُ لدحيم [٢] : كان سويد عندك ممن يقرأ إذا دفع اليه ما ليس من حديثه . قال : نعم ! وقال عثمان الدارمي عن دحيم : ثقة ، وكانت له أحاديث يغلط فيها .

مات سويد السلمي سنة ١٩٤ هـ . وقال دحيم : سمعته يقول : وُلِدْتُ سنة ١٠٨ هـ [٣] .

١ الاعلام ، للأستاذ خير الدين الزركلي ، ص ٢٤٥ ، الجزء الثامن ؛ وجمهرة أنساب العرب ، لابن حزم .

٢ لا يزال هذا الاسم مستعملا في أنحاء نجد كما قدمناه . وتدل التسمية بـه في أول القرن الهجري الثاني ، على أنه كان مستعملا معروفاً قبل ذلك .

٣ تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، ص ٢٧٦ و ٢٧٧ ، المجلد الرابع .

عمر بن عامر السلمي

من القضاة . قال أبو عبيدة : لما عَزَلَ سليمانُ بن علي ، الحجاجَ ابن أرطاة (من قضاء البصرة) أعاد عياد بنَ منصور على قضائها ، ثم عزله في سنة سبع وثلاثين ومائة . وولّى عُمَرَ بن عامر السُّلَمِيّ ، وسوارَ ابن عبد الله (قضاءها) فكانا يجلسان جميعاً . وكان عمر بن عامر يكلم الخصوم ، وسوار ساكت[1] .

قال عمر بن شبة : سمعت أبي يقول : تقدّم خالد بن يوسف التميمي ، إلى عمر بن عامر ، في منازعة ، وكان رجلاً بديناً ، فأمر باقامته ، فَعنف به الذي أقامه ، فأظهر من جسده شيئاً ، فأصبح ميتاً ، فخرج بجنازته ، وتبعه صوارخ يصرخن : وا قتيل عمراه !.. فخرج من ذلك جزعاً فاحشاً ، فجعل يدعو بالموت والراحة من القضاء ، فلم ينشب أن مات فجأة .

قال أبو بكر : ولعمر بن عامر حديث صالح ، وروى عنه الناس .

هُشَيْمُ بن بشير السلمي

من واسط . وقدم بغداد وأقام فيها حتّى الممات .

نابغة من بني سليم ، في القرن الهجري الثاني ، في علم الحديث وفي روايته .

---

١ أخبار القضاة ، لوكيع ، ص ٥٥ ، الجزء الثاني ، طبع الاستقامة بمصر . وما بين الحاصرتين : ( ) من تكملاتنا لدلالة السياق عليه . « المؤلف »

وهو هُشَيْمُ بن بشير بن أبي خازم — القاسم — بن دينار السلمي . ويكنى أبا معاوية . ومقره ومقر أبيه : واسط — المدينة التي بناها الحجاج بن يوسف . وقيل : إنه بُخاريّ الأصل ، أي الموطن ، لا النسب ، فإنه سُلَمِيٌّ النسب .

وكان بشير ، والدُ هشيم طبّاخاً للحجّاج بن يوسف . وكان يطبخ « الصحناة » — إدام يتخذ من السمك الصغار مُشَهّ مُصْلِحٌ للمعدة — وقد طلب ابنه — هشيم — الحديث ، فاشتهاه ، وكان أبوه يمنعهُ ، فكتب الحديث حتى جالس أبا شيبة القاضي ، فكان يناظر أبا شيبة في الفقه ، فمرض هشيم فقال أبو شيبة : ما فعل ذلك الفتى الذي كان يجيء إلينا ؟ قالوا : عليل . قال : فقال : قوموا بنا حتى نعوده ، فقام أهل المجلس جميعاً يعودونه ، حتى جاءوا إلى منزل بشير ، فدخلوا إلى هشيم ، فجاء رجل إلى والده بشير ، ويده في « الصحناة » ، فقال : إلْحَقِ ابنك فقد جاء القاضي اليه يعوده ، فجاء بشير ، والقاضي في داره ، فلما خرج قال لابنه : يا بُنَيّ قد كنت أمنعك من طلب الحديث . فأما اليوم فلا .. صار القاضي يجيء إلى بابي ، متى أمّلْتُ أنا هذا ؟

وكان جد هشيم — القاسم — وأبو شعبة الحجاج شريكين في بناء قصر الحجاج — بواسط .

سمع هشيم ، عَمْروَ بن دينار ، والزّهْرِيَّ ، ويونس ، وعبيداً ، وأيوبَ السختياني ، وغيرهم . وروى عنه مالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، وشعبة ، وعبد الله بن المبارك ، ويحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وغندر ، ووكيع ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وعلي بن المديني ، وأبو خيثمة ، وغيرهم . وهو محدث بغداد . قال يحيى القطان : هو أحفظ من رأيت بعد سفيان

وشعبة . وكان عنده عشرون الف حديث . ومكث يصلي الفجر بوضوء العشاء ، عشرين سنة قبل موته . وله من الكتب : كتاب السنن في الفقه ، وكتاب التفسير ، وكتاب القراءات [1] .

ومولده بسنة ١٠٤ هـ . ويبدو أن ولادته كانت بواسط . وحينما كبر لم يخضب ، بل ظل أبيض شعر الرأس واللحية .

وتوفي ببغداد ، في يوم الاربعاء لعشر مضين من شعبان سنة ١٨٣ هـ . فله من العمر اذن ٧٩ عاماً .

وكان هشيم سريع الحفظ ، قويّ الذاكرة ، يقول عن نفسه : سمعت من الزهري نحواً من مائة حديث فلم أكتبها : يقصد أنه اكتفى بحفظها الراسخ ، وما احتاج إلى أن يكتبها .

وَثّقَهُ أئمة الحديث ، وأعلامه ، في عصر الإسلام الذهبي ، بالنسبة لعلوم الحديث خاصة . قال عبد الرحمن بن مهديّ : كان هشيم أحفظ للحديث من سفيان الثوريّ .

وَوَثّقَهُ شعبة وحماد بن زيد وعبد الرحمن بن مهدي وأبو عبد الله ووكيع ويزيد بن هارون وأبو داود سليمان بن الأشعث ويحيى بن سعيد القطان ، وعلي بن حجر ، وابن المبارك ، وابن عمار . وقال عنه ابن عمار : لم يُعَدّ عليه خطأ . وقال عنه ابراهيم الحربي : كان حفّاظ الحديث أربعةً . كان هشيمٌ شَيْخَهُمْ . كان هشيم ، يحفظ هذه الأحاديث — يعني المقطوعة — حفظاً عجيباً .... وكان يصفُ المعنى .

وممن وَثّقَهُ ، مالك بن أنس . جاءه رجل من العراق ، وذاكره

---

١ كتاب الفهرست ، لابن النديم ، ومرآة الجنان ، لأبي محمد اليافعي اليمني المكي ، ص ٣٩٣ الجزء الأول ، طبع حيدرآباد دكن .

بحديث ، فقال مالك : (وهل بالعراق أحد يُحْسِنُ يُحَدِّثُ إلا ذاك الواسطيّ ؟)[1] يعني هُشَيْماً .

وكفاه توثيقاً في الحديث أن يكون مالك وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين — من طلاّبِهِ ومن رُوّاةِ الحديث النبويّ عنه .

حفص بن عبد الله السلمي

قال ابن عميرة عنه : إنه سرقسطي . روى عن مالك بن أنس ، ومات بالأندلس قريباً من سنة ٢٠٠ هـ[2] . وكان حفص بليغاً حافظاً . ولازم مالكاً سبعة أعوام . وكان مالك يُدْني منزله ، وصام أربعين سنة . وكان الحكم (الأموي) يستقدمه في كل عام من شهر رمضان يؤمّ به[3] .

أبو عبد الله محمد السلمي

قيرواني . سكن المهدية — (بتونس) آخراً وسمع أبا ذر الهروي ، وأبا عمران الفاسي ، وسمع منه أبو بكر بن عطية رحمه الله[4] .

عمر بن عبد الله بن رزين السلمي

هو نيسابوري الموطن . محدث . رحل ، وسمع محمد بن اسحق

---

١ تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، ص ٨٥ – ٩٢ ، المجلد الرابع عشر .
٢ الحلل السندسية ، للأمير شكيب ارسلان ، ص ١٥٧ ، الجزء الثاني ، طبع المطبعة الرحمانية بمصر .
٣ تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ، لابن الفرضي ، ص ١٣٩ ، الجزء الأول ، طبع مصر .
٤ ترتيب المدارك ، للقاضي عياض ، ص ٧٩٨ ، المجلد الرابع .

وطبقته . قال سهل بن عمار : لم يكن بخراسان أنبل منه . توفي سنة ٢٠٣ هـ [١] .

يزيد بن هارون السُّلمي

هو مولاهم . ويكنى أبا خالد . توفي بواسط ، سنة ست ومائتين . وله من الكتب : كتاب الفرائض [٢] .

أسد بن الفرات

له ترجمة وافية في فصل : (أمراء ومحتسبون وفرسان وقادة وولاة وموظفون من بني سليم) فراجعها ان شئت هناك .

حسان بن عبد السلام السلمي

من أهل سَرَقُسْطَةَ ، بالأندلس . رحل إلى مالك بن أنس من الأندلس إلى المدينة وسمع منه مع أخيه حفص . ذكره محمد بن حارث الخُشني في كتابه [٣] .

عبد الغافر بن عبد السلام السلميّ

من أهل ريّة بالأندلس . كان فقيهاً حافظاً زاهداً ، كثير التلاوة .

---

١ شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، ص ٧ ، الجزء الثاني .

٢ الفهرست ، لابن النديم ، ص ٣٣٢ و ٣٣٣ .

٣ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، لأبي عبد الله محمد بن فتوح الحميدي ، المتوفى سنة ٤٨٨ هـ ، طبع القاهرة ، ص ١٨٣ .

ذكره اسحق [1] .

محمد بن يعلى السلمي

قدم بغداد من الكوفة . ويلقب بزنبور . حَدَّث عن محمد بن عمر ابن علقمة المديني وغيره . وفي بغداد حدث ، وروى عنه من أهلها محمدُ بن عبد الله المنادي . روى عن الربيع بن صبيح عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن ، قال : لما كان من بعض همج الناس ما كان — يريد في الفتنة التي قُتِل فيها عثمان رضي الله عنه — جعل رجل يسأل عن أفاضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل لا يسأل أحداً إلاّ دَلّهُ على سعد بن مالك ، قال فقيل له : إن سعداً رجل إذا أنت رفقت به ، كنت قَمِناً أن تصيب منه حاجتك ، وإن أنت خرَقت به ، كنت قَمِناً أنَ لا تصيب منه شيئاً . فجلس أياماً لا يسأله عن شيء ، حتى استأنَس به ، وعرف مجلسه ، ثم قال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم : (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى) إلى آخر الآية ، قال فقال سعد : هات ما قلت ، لا جرم والذي نفس سعد بيده لا تسألني عن شيء أعلمه إلا أنبأتك به . قال : أخبرني عن عثمان ؟ قال : كنا إذ نحن جميع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحْسَنَنا وضوءاً ، وأطْوَلَنَا صلاةً ، وأعْظَمَنَا نفقة في سبيل الله . فسأله عن شيء من أمر الناس ، فقال : أما أنا فلا أحدثك بشيء سمعته من وُرّادنا ، لا أحدثك إلا بما سمعت أذناي ، ووعاه قلبي .. سمعت رسول الله

---

١ تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، لأبي الوليد أبي عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي ، المتوفى سنة ٤٠٣ هـ ، ص ٣٣٩ ، وترتيب المدارك للقاضي عياض ، ص ٥٠٩ المجلد الثاني ، طبع بيروت .

صلى الله عليه وسلم يقول : (إن استطعت أن تكون أنت المقتول ، ولا تقتل أحداً من أهل الصلاة فافعل) .. قالها ثلاثاً .

وقال محمد بن اسماعيل البخاري في نقده وتجريحه : محمد بن يعلى السلمي الكوفي يُقال له : زنبور ، يُتكلم فيه وهو ذاهب .

مات محمد بن يعلى السلمي هذا في سنة ٢٠٥ هـ [١] .

جمعة بن عبد الله السلمي

جمعة بن عبد الله بن زياد بن شداد السلمي أبو بكر البلخي . وقيل : إن جمعة لقبه ، واسمه يحيى .

روى عن مروان بن معاوية ، وأسد بن عمرو البجلي ، وعمرو ابن هارون البلخي ، وهُشَيمٍ ، وغيرِهم .

وروى عنه البخاري ، والحسين بن سفيان ، ومحمد بن إسحق بن عثمان السمسار ، والحسن بن الطيب .

قال ابن حبان : في الثقات ، مستقيم الحديث ، كان ينتحل مذهب الرأي قديماً ، ثم انتحل السنن ، وجعل يذب عنها .

وقال اللالكائيّ : يُقال إنه مات سنة ٢٣٣ هـ . وقال العسقلاني : جزم به الكلاباذي وابن عساكر ، وزاد : لخمس بقين من جمادى الآخرة .

وقال ابن منده : جمعة أخو خاقان ، وليس له في الصحيح سوى حديث واحد في فضل الهجرة [٢] .

---

١ تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، ص ٤٤٧ و ٤٤٨ ، الجزء الثالث .

٢ تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، ص ١١٠ ، المجلد الثاني ، طبع حيدر آباد دكن .

عبد الملك بن حبيب السلمي

هو عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهمة – جلهمة – ابن عباس بن مرداس السلمي ..

ذكر الأمير شكيب أرسلان تراجم من أقاموا بالأندلس من العرب بعد استقرار قَدَمِ الإسلام فيها ، غِبَّ فتحها ، وأورد من هؤلاء من أقاموا بها من قيس عيلان العدنانية وذكر منهم من ينتسب إلى سُليم ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس . ومن هؤلاء : عبد الملك ابن حبيب السلمي الفقيه صاحب الإمام مالك رضي الله عنه »[1] .

وقد أفرد القاضي عياض لعبد الملك بن حبيب ، ترجمة مطولة جامعة ، تقع في نحو ١٨ صفحة من كتابه « ترتيب المدارك » وقد خَرَجْتُ من هذه الترجمة بما سأورده فيما يلي :

فهو عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن عباس بن مرداس السلمي . ويكنى أبا مروان . وكان أبوه يعرف بالحبيب العصار ، لأنه كان يعصر الأدهان ويستخرجها . فوالده إذن من رجال الصناعة . وقال الإمام الفرضي : إنه من مواليهم ، وقال ابن حارث : إنه من أنفسهم . وسلسلة نسبه المتقدم ذكرها آنفاً تدل على أنه من سليم نسباً لا ولاءاً .

وكانت إقامته بإلبيرة من الأندلس . انتقل اليها أبوه في فتنة الربض ، ورحل إلى المشرق سنة ثمان ومائتين ، بعد وفاة الإمام مالك بن أنَس بنحو ثلاثين عاماً .

وفي رحلته إلى المشرق سمع من ابن الماجشون ، ومطرف ، وإبراهيم

١ الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، لشكيب أرسلان ، ص ٢٩٣ ، الجزء الأول ، طبع المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٣٥٥ هـ – ١٩٣٦ م ؛ وجمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص ٢٦٣ .

ابن المنذر ، وغيرهم . وانصرف إلى الأندلس سنة عشر ومائتين ، وقد جمع علماً عظيماً . ومن هنا نزل بلدة إلبيرة ، ثم سكن قرطبة . وقد انتشر علمه وروايته ، فنقله الأمير عبد الرحمن بن الحكم إلى قرطبة ، ورتبه في طبقة المفتين بها ، فأقام مع يحيى بن يحيى زعيمها ، في المشاورة والمناظرة . وكان الذي بينهما يسيء جداً . وبعد وفاة يحيى انفرد عبد الملك بالرئاسة مُدَيْدَةً .

ولعبد الملك السلمي ، مكانة من العلم ممتازة . وقد أثنى عليه العلماء الأعلام بها .. فقال ابن الفرضي : « كان عبد الملك حافظاً للفقه على مالك [1] ، نبيهاً فيه ، غير أنه لم يكن له علم بالحديث ، ولا معرفة بصحيحه من سقيمه » .

وسئل ابن الماجشون : مَنْ أعْلَمُ الرجلين : القروي التنوخي ، أم الأندلسي السلمي ؟ فقال : « السلمي مَقْدَمُهُ علينا أعلم من التنوخي مُنْصَرَفَهُ عنا » . ثم قال للسائل : أفهمت ؟ وكان يخرج من الجامع وخلفه نحو من ثلاثمائة : من طالب حديث وفرائض وفقه وإعراب . وكان يجمع إلى إمامته في الفقه ، التنجيح في الأدب والتفنن فيه ، وفي ضروب العلم . وكان فقيهاً مفتياً ، نحوياً لغوياً ، نسابة إخبارياً ، عروضياً فائقاً ، شاعراً محسناً ، مرسلاً حاذقاً ، مؤلفاً متفنناً .

ذكر بعض المشيخة أنه لما دنا من مصر — في رحلته إلى المشرق من الأندلس — أصاب جماعة من العلماء بارزين لتلقي الرفقــة على عادتهم ، فكلما أطلّ عليهم رجل له هيبة ومنظر رجحوا الظن به ، وقضوا بفراستهم عليه ، حتى رأوه ، وكان ذا منظر جميل ، فقال قوم : هذا فقيه . وقال آخرون : شاعر . وقال آخرون : طبيب .

---

١ سبق لنا آنفاً انه لم يدرك مالك بن أنس في رحلته إلى المشرق، اذ بين وفاة مالك ورحلته إلى المشرق نحو ثلاثين عاماً .

وقال آخرون : خطيب . فلما كثر اختلافهم تقدموا نحوه ، وأخبروه باختلافهم فيه ، وسألوه عما هو ؟ فقال لهم : كلهم قد أصاب ، وجميع ما قررتم أُحْسِنُهُ ، والخبرة تكشف الحيرة ، والامتحان يجلي عن الإنسان . فلما حط رحله ، ولقي الناس ، شاع خَبَرُه ، فقصد إليه كل ذي علم يسأل عن فنه ، وهو يجيبه جوابَ مُحَقِّقٍ . فعجبوا من ثبوت علمه » .

مؤلفاته

ولعبد الملك بن حبيب مؤلفات كثيرة ، ذكروا أنها « حِسَانٌ » في الفقه ، والتاريخ ، والأدب .

ومن أهم كتبه في الفقه : الكتب المسماة بـ « الواضحة » في السُّنَنِ والفقه . قالوا إنه لم يُؤلَّفْ مِثْلُهَا .. ومنها « الجوامع » ، وكتاب « فضائل الصحابة » و « غريب الحديث » و « سيرة الإمام في الملحدين » وكتاب « تفسير الموطأ » وكتاب « حروب الإسلام » وكتاب « المسجدين » وكتاب « طبقات الفقهاء والتابعين » وكتاب « مصابيح الهدى » وكتاب « إعراب القرآن » وكتاب « الحسبة في الأمراض » وكتاب « الفرائض » وكتاب « السخاء واصطناع المعروف » وكتاب « كراهية الغناء » وكتاب في « النسب » وفي « النجوم » وكتاب « الجامع في الفقه » وكتاب فيه « مناسك النبي صلى الله عليه وسلم » وكتاب « الرغائب » وكتاب « الورع في العلم » وكتاب « الورع في المال وغيره » في ستة أجزاء ، وكتاب « الرياء » وكتاب « الحكم والعدل والعمل بالجوارح » وغير ذلك ، وكتاب « الرهائن » في ثمانية أجزاء ، وكتاب « الباه والنساء » ثمانية كتب أي أجزاء ، وكتاب « المواعظ » سبعة أجزاء ، وكتاب « فضائل عمر بن عبد العزيز » و « فضائل مالك بن أنَس » وكتاب « في أخبار

قريش [1] وأنسابها » . وقال القاضي عياض : إنه في خمسة عشر جزءاً . وكتاب « السلطان وسيرة الإمام » في ثمانية كتب – أي أجزاء – وكتاب « الأصول والمغازي والحدثان » خمسة وتسعون كتاباً – أي جزءاً – وكتاب « مغازي مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم » اثنان وعشرون كتاباً – أي جزءاً – وله تواليف في الطب والحديث والفقه وتفسير القرآن ستون كتاباً – أي جزءاً .

مكانته في الدولة الأموية بالأندلس

كان ذا مكانة مرموقة في الدولة الأموية بالأندلس ، وكان ذا حظوة لدى الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، وحصلت له حوادث ومشاكل ، سلم منها باخلاصه وعلمه الغزير وتقواه . ومن كان في منزلته لا بد أن تناله قوارص الحساد ، فكل ذي نعمة محسود ، فكيف من كان ذا نعمتين كبيرتين : نعمة العلم الغزير ، والجاه الرفيع .

روى القاضي عياض عن ابن الفرضي ، ان ابن حبيب كان يأخذ بالرخصة ، في السماع ، وأنه كان له « جَوارٍ يُسْمِعْنَهُ » . وقد انتقد القاضي عياض هذه الحكاية فقال : « الأشبه بُطْلاَنُ هذه الحكاية ، فإن لابن حبيب ، كتاباً في كراهة الغناء » وقد سبق أن ذكرناه آنفاً في جريدة أسماء مؤلفاته . ولا ننسى أن ابن الفرضي هذا قال عن عبد الملك بن حبيب : إنه من بني سليم ولاءاً ، لا من بني سليم بُنُوّةً .. وقد يُشَمُّ من حكايته عن سماع ابن حبيب وحكايته أنه مَوَلًى – قد يشتم من ذلك وجودُ غرض مُعَيَّنٍ دفينٍ عند ابن الفرضي

---

[1] تكررت كلمة « أخبارها » هنا في المطبوعة ، ولما يبدو انها من زيادة الطابع أو الناسخ أشرنا اليها هنا مكتفين بذلك .

على ابن حبيب . وقديماً كان في الناس الحسد .. والمعاصرة تذهب المناصرة ...

لباسه وسيرته

اعتناء المؤرخين القدامى بذكر لباس عبد الملك بن حبيب ، يدلنا على مكانته الدينية والعلمية والاجتماعية ، فقد ذكروا أنه كان يلبس إلى جسمه مسح شعر ، تواضعاً .

وكان صواماً قواماً ، ولم يكن مثرياً ، آثر الفقر على الغنى . وحينما نُعي إلى سحنون استرجع وقال : مات عالم الأندلس ، بل — والله — عالم الدنيا ...

· ويقول صاحب « نفح الطيب » : إن تواليف ابن حبيب بلغت ألفاً ، على ما رآه في بعض التواريخ ، ومن أشهرها كتاب (الواضحة) في مذهب مالك ، كتاب كبير مفيد . وقال عنه : « ولابن حبيب مذهب في كتب المالكية مسطور ، وهو مشهور عند علماء المشرق ، وقد نقل عنه الحافظ ابن حجر ، وصاحب المواهب وغيرهما » وأورد له أبيات شعر ، خاطب بها سلطان الأندلس .

وأورد المقري في « المطمح » ترجمة عبد الملك بن حبيب التي أنشأها « الفتح » فيه ، جاء فيها قوله : (الفقيه أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي ، أيّ شرف لأهل الأندلس وأيّ مَفْخَرٍ ، وأي بحر بالعلوم يَزْخَرُ) ، إلى أن قال : (وسمع بالأندلس وتفقه ، حتى صار أعلم من بها وأفقه ، ولقي أنجاب مالك ، وسلك في مناظرتهم أوعر المسالك ، حتى أُجْمِعَ عليه بالاتفاق ، ووقع على تفضيله الإصفاق — أي الاجماع — ويقال : إنه لقي مالكاً في آخر عمره . وروي عنه عن

سعيد بن المسيب أن سليمان بن داود صلى الله عليهما وسلم ، كان يركب إلى بيت المقدس فيتغدى به ، ثم يعود فيتعشى باصطخر [1] .

وأوجز « بروكلمان » ترجمته ، فقال : (وُلِد عبد الملك بن حبيب السّلمي ، في حصن واط (Hut Orvega) القريب من غرناطة ، بعد سنة ١٨٠ هـ — ٧٩٦ م . ولما ذهب إلى الحج ، تعرف بالمدينة على مذهب مالك بن أنس ، واعتنقه . فلما رجع إلى وطنه الأندلس ، بذل نشاطاً كبيراً في نشر هذا المذهب بالأندلس . واشتهر أيضاً أديباً وشاعراً . وتوفي يوم ٤ من رمضان سنة ٢٣٨ هـ — ١٨ من فبراير سنة ٨٥٣ م .. وقيل : يوم ١٢ من ذي الحجة سنة ٢٣٩ هـ — ٥ من أبريل سنة ٨٥٤ م . وكانت وفاته بقرطبة .. وأول كتاب صنف في تاريخ الأندلس ، وبقي إلى الآن يُنْسَبُ إلى أبي مروان عبد الملك بن حبيب السلمي المرداسي الإلبيري القرطبي [2] .

نماذج من شعره

تدلنا النماذج التالية من شعره ، على شاعرية متمكنة ، مطعمة بالعلم والدين ، واستيعاب أوضاع المجتمع الذي يعيش فيه الشاعر العلامة عبد الملك بن حبيب السلمي .

كتب إلى « الرشّاش » الأديب ، يستهديه « مدَاداً » ووجه اليه مع الأبيات بقارورة كبيرة ليملأها « الرشاش » له حبراً .. قال :

احتجت من « حبر » إلى « سقبه » فامدد لنـــا منه مُرَسَّـــاكَ

---

١ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، لأحمد بن محمد المقري التلمساني ، ص ٢١٤ و ٢١٥ طبع مطبعة السعادة بمصر .

٢ تاريخ الأدب العربي ، لبروكلمان ، ص ٨٦ ، المجلد الثالث ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م .

وابعثْ ، وإن قَلّ ، به طَيِّباً ولا تكن دوناً فنلحاك
ولا تهولنَّك قارورتي فانها أقْنَعُ من ذاك

وله يرفع طلبته إلى الله تعالى أن يهبه « ألْفاً من الصُّفر » — ولعلها عملة نقدية ذهبية معروفة إذ ذاك بهذا الاسم أو وصفٌ للدنانير — قال :

صلاح أمري والذي أبتغي هَيْنٌ على الرحمن في قدرته
« ألْفٌ من الصّفْرِ » — وأقْلِلْ بها لِعَالِمٍ ، أوفى على بغيته
« زرياب » قد يأخذها قفلة وصنعتي أشرف من صنعته

و « زرياب » هو المغني المعروف الذي رحل من المشرق إلى الأندلس ولاقى — غناؤه — إقبالاً منقطع النظير هنالك .

وتقدم لنا أن عبد الملك بن حبيب قد رحل إلى المشرق في طلب العلم ، لأن المشرق كان يومئذ مصدر العلم والدين . وقد اشتاق عبد الملك إلى أهله ، وهو بالحجاز ، فألهمته أشواقه الحَرّى اليهم هذه القصيدة التي مُلِئَتْ حَنيناً وذكريات إلى المغرب الذي هو موطنه ومسقط رأسه ومرتع شبابه :

أُحِبُّ بلاد الغرب ، والغرب موطني ألاَ كل غربيّ إليّ حبيب
فيا جسداً أضناه شوق كأنّه إذا نُضِيَتْ عنه الثيابُ ، قضيب
ويا كبداً عادت رُفاتاً ، كأنّها يُلَدّغُها بالكاويات طبيب
بَلِيْتُ وأبلاني اغترابي ونأيه وطول مُقامي بالحجاز أجوب
وهولٌ كَرِيهٌ ، ليله كنهاره وسَيْرٌ حثيثٌ للرِّكاب دؤوب
فما الداء إلا أن تكون بغربة وحسبك داءاً ، أن يُقال «غريب» !
فياليت شعري هل أبيتَنّ ليلة بأكناف نهر الثّلْج حين يصوب
وحَوْليَ شيخانٌ ، وبِنْتي وأمُّها ومَعْشَرُ أهلي ، والرؤوف مجيب

والمتأمل في هذه القصيدة تلوح له بين ثناياها ، روحُ « حب الوطن »

الغامرة .. كما يلوح له منها أن الشاعر كان قد استأنس في بعض أبياتها ومعانيها بقول بلال بن رباح حين ألمت به الحُمى في المدينة ، أثناء هجرته اليها :

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة بِوَادٍ وحولي إذْخِرٌ وجَلِيلُ ؟

و « بعض الأبيات » التي تطل من قريب على هذا البيت لبلال هي قول عبد الملك :

فيا ليت شعري هل أبيتنّ ليـلة بأكناف نهر الثلج حين يصوب ؟
وحولي شيخَانٌ وبنتي وأمُّها ومَعْشَرُ أهلي ، والرؤوف مجيب

كما يلوح للمتأمل في قصيدة عبد الملك أنه قد نسي دفعة واحدة أنه في الأصل من أهل الحجاز .. وأن أسلافه من « بني مرداس بن العباس » وجده « العباس بن مرداس » كانوا يستوطنون بهذا الحجاز الذي أصبح حفيدُهم (عبد الملك) يتبرم من المكث فيه لشوقه العارم إلى وطنه الجديد : « الأندلس » الذي تطفح عليه ذكرياته المتلامعة النضرة ... فيقول عن نفسه :

بليت وأبلاني اغترابي ونأيُهُ وطول مقامي بالحجاز أجوب
فما الداء إلا أن تكون بغربـة وحسبك داءاً أن يقال : غريب

وهكذا نرى ابن حبيب يتمثل فيه تماماً قول ابن الرومي :

وحَبّبَ أوطان الرجال إليهمُ مآربُ قضّاها الشبابُ هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهـم عهود الصبا فيها ، فَحَنُّوا لذلكا

... ونموذج من نثره

بلغ عبدَ الملك بنَ حبيب ، تحامُلُ الفقهاء عليه ، وحَسَدُهم

له ، فَشَقّ عليه ذلك .. فكتب إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأموي ، رسالة بليغة ، بثّه فيها ما يجيش بخاطره ، وما يستدعي آلامه وقلقه .. وقد استشهد فيها بأبيات شعرية سوائر ، تُناسِبُ مقتضى الحال . قال :

(أسبغ الله على الأمير كرامته ، وأعلى في الجنة درجته ، إنّ العذريّ قال — أكرم الله الأمير — أبياتاً أعجب بها العلماء ، ما فيها مثل يضرب على الأمير في خاصة نفسي ، واليسير من التعرض يكفي غيره من التصريح .. قال الشاعر :

لذي اللب قبل اليوم ما تُقرع العصا　　وما عُلِّمَ الإنسان إلا ليعلما

وهي :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فضله　　فالقوم أعداءٌ له وخصومُ
كضرائر الحسناء قلن لوجهها　　حسداً وبُغْضاً : إنّه لدميمُ
يلقى اللبيب مُشتَمِاً لم يَحْتَرِمْ　　شِيَمَ الرجال ، وعِرْضُه مَشْتومُ

وما هذا إلا كما قال زهير :

وأخو التحمي ليس يبرح حاملاً　　ذنباً عليك عرفت أم لم تعرف)

وفاته

توفي ابن حبيب في ذي الحجة سنة ٢٣٨ هـ ، وقيل سنة ٢٣٩ هـ أو ٢٣٧ هـ إلا ستة أشهر ، وقد بلغ ستا وخمسين سنة ، أو ثلاثاً وخمسين . وقبره بقرطبة ، بمقبرة أم سلمة في قبلة مسجد الضيافة . وصلى عليه ابنه محمد أو يحيى . وكانت وفاته في ولاية الأمير محمد ، وقد رثاه أبو عبادة الرشاش ببيتين رواهما القاضي عياض ، كما أورد

بيتين آخرين رثاه بهما أحمد بن باجي . وخلَّفَ ابنين ، هما : محمد وعبد الله [1] .

عبد الله بن عبد الملك بن حبيب السلمي

من أهل إلبيرة في الأندلس . وقد سمع من أبيه . وكان رجلاً صالحاً وله حظ من العلم . حدث عنه محمد بن فطيس .

خلاد بن يحيى السلمي

يكنى خلاد ، أبا محمد ، وهو كوفي ، نزيل مكة .

روى عن اسماعيل بن عبد الملك بن أبي الصفيراء ، وعبد الرحمن ابن أيمن ، ومالك بن مِغْوَل ، ومِسْعَر بن كدام ، وغيرهم .

وروى عنه البخاري ، ومحمد بن اسحق الصاغاني ، وبشير بن موسى ، وحنبل بن إسحق ، ومحمد بن سليمان الْبَاغَنْدِيّ ، وأبو زرعة الرّازيّ ، وآخرون ، وروى له الترمذي (السُّلمي) وأبو داود السجستاني . ووصفه ابن نُمَيْرٍ بأنه « صدوق إلا أن في حديثه غلطاً قليلاً [2] » . وقال أبو داود : « ليس به بأس » . وقال أبو حاتم : « محله الصدق ، ليس بذاك المعروف » . وقال أحمد بن حنبل : « ثقة أو صدوق ولكن كان يرى شيئاً من الإرجاء » . وذكره ابن حبان في الثقات .

---

١ ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، لمعرفة أعلام مذهب مالك ، ص ٣٠ – ٤٨ ، المجلد الثالث ، طبع بيروت . وفي جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، ص ٢٥٠ ، طبع القاهرة أن عبد الملك بن حبيب السلمي توفي سنة مائتين ونيف وتسعين .

٢ المصدر السابق ، ص ٤٨ .

وقال البخاري في « التاريخ الكبير » : سكن مكة ، ومات بها قريباً من سنة ثلاث عشرة ومائتين . وقد حصل اختلاف في تاريخ موته ما بين سنة ٢١٣ و ٢٢٠[١] .

أحمد بن يوسف السلمي

نيسابوري . من الحفاظ . كان ممن رحل إلى اليمن ، وأكثر عن عبد الرزاق وطبقته . وكان يقول : كتبتُ عن عبد الله بن موسى ، ثلاثين ألف حديث .

توفي سنة ٢٦٤ هـ[٢] .

أبو عبد الله السلمي

بغدادي . حدث عن ضمرة بن ربيعة ، وأبي داود الطيالسي ، وابراهيم بن عيينة ، وعن أحمد بن حنبل وروى عنه عبد الله بن أحمد ابن حنبل .

ومن حديثه عن ابن حنبل عن زائدة عن الشيباني ، عن عبد الملك ابن ميسرة . قال : كنت بالمدينة ، فشهد رجل انه رآى الهلال ، فأمر ابن عمر أن يجيزوا شهادته[٣] .

أبو سوار السلمي

له حديث أورده كتاب « تاريخ واسط » لأسلم بن سهل الرزاز

---

١ العقد الثمين ، في تاريخ البلد الأمين ، لتقي الدين الفاسي ، ص ٢٤١ و ٢٤٢ ، الجزء الرابع .

٢ مرآة الجنان ، لليافعي ، ص ١٧٦ ، المجلد الثاني .

٣ تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، ص ٤٠٤ ، المجلد الرابع عشر .

المتوفي سنة ٢٩٢ هـ — ٩٠٥ م . وقد روى أبو سوارالسلمي هذا الحديث عن أبي حاضر عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : (احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقاحة وهو صائم[١] .

ابن خزيمة السلمي

هو محمد بن اسحق بن خزيمة السلمي ، أبو بكر : إمام نيسابور في عصره . كان فقيهاً مجتهداً عالماً بالحديث . ولد وتوفي بنيسابور . ورحل إلى العراق والشام والجزيرة ومصر وتفقه على المزني وغيره . ولقبه السبكي بإمام الأئمة ، تربو مصنفاته على ١٤٠ كتاباً . منها كتاب « التوحيد وإثبات صفة الرب » ومولده بسنة ٢٢٣ هـ — ووفاته بسنة ٣١١ هـ . وقال الدارقطني : كان إماماً معدوم النظير[٢] .

بكار بن أحمد بن بكار السلمي

نسبه ابن حزم هكذا : « بكار بن أحمد بن بكار بن عبد الله بن سعيد بن العباس بن مرداس . وقال عنه : « محدث ، عابد ، مات بمصر[٣] ولم يعين سنة وفاته .

أحمد بن عبد الله بن نصر بن هلال السلمي

ذكوه الذهبي . وقال عنه : توفي سنة ٣٣٤ هـ[٤] .

---

١ تاريخ واسط لأسلم بن سهل الرزاز ص ١٤٨ طبع بغداد ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ والقاحة موضع على ثلاث مراحل من المدينة في طريق مكة . معروفة الى اليوم بهذا الاسم .
٢ الاعلام ، للأستاذ خير الدين الزركلي ، ص ٢٥٣ ، المجلد السادس ، ومرآة الجنان ص ٢٦٤ الجزء الثاني .
٣ جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص ٢٦٢ .
٤ تذكرة الحفاظ ، ص ٨٤٧ ، الجزء الثالث .

محمد بن مسعود العياشي السلمي

أبو النضر . فقيه من كبار الإمامية ، من أهـل سمرقند . اشتهرت كتبه في نواحي خراسان اشتهاراً عظيماً . وتزيد كتبه على مائتي كتاب . وقد أورد ابن النديم أسماء أكثرها [1] .

وفي نسخة (فهرست ابن النديم) المطبوعة بمطبعة الاستقامـة بمصر عنه – وهي كثيرة الأغلاط المطبعية : « أبو النضر محمد بن مسعود من أهل سمرقند ، وقيل إنه من بني تميم ، من فقهاء الشيعة الإمامية ، أوحد دهره وزمانه في غزارة العلم [2] .

وربمـا كانت لفظة (تميم) المذكورة محرفة عن (سُليم) لأنهما متقاربتان في الخط . ولم يعول الأستاذ خير الدين الزركلي في (سُلمية) العياشي على « فهرست ابن النديم » وحده ، بل أتى بمستندات أخرى على ذلك هي : النجاشي ، وسفينة البحار ، ومنهج المقال ، والذريعة . ويدلنا إسناد كونه سلمياً إلى فهرست ابن النديم على ان هناك نسخة تنص على ذلك . توفي العياشي السلمي نحو سنة ٣٢٠ هـ – ٩٣٢ م .

هياج بن العلاء السلمي

هو صاحب واصل بن عطاء أحد رؤساء المعتزلة . صحبه في عـلم الكلام ، وتضلع فيه [3] .

---

١ الأعلام ، للأستاذ خير الدين الزركلي ، ص ٣١٦ ، الجزء السابع ، الطبعة الثالثة ببيروت .
٢ الفهرست لابن النديم ، ص ٢٨٨ و ٢٨٩ ، طبع مطبعة الاستقامة بمصر .
٣ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، لأحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبري زاده ، ص ١٦٩ ، الجزء الثاني .

أبو عروبة الحسن بن أبي معشر السلمي

هو الحافظ أبو عروبة الحسن بن أبي معشر محمد بن مودود السلمي . توفي سنة ٣١٨ ﻫ وهو في عشر المائة [1] .

منصور بن عمار السلمي الواعظ

أصل منصور من خراسان ، أو البصرة . سكن بغداد ، وحدث بها . وجدُّهُ كثير . وكنيته أبو السري . وهو واعظ بليغ مؤثر ، فصيح البيان . حدث في بغداد عن جملة علماء . منهم معروف أبو الخطاب صاحب واثلة بن الأسقع ، وليث بن سعد ، وغيرهما . وروى عنه ابنه : سليم السُّلمي ، وعلي بن خشرم ، ومحمد بن جعفر لقلوق وغيرهم .

وقال أبو عبد الرحمن بن محمد الحسين السلمي : انه من أهل مَرْوَ ، من قرية يقال لها : (دنداقان) ويقال : من أهل (أبيورد) أو من أهل (بوشنج) .

لمنصور بن عمـــار حديث بسنده المتصل إلى واثلة بن الأسقع . قال واثلة : لما أسلمت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلمت على يديه ، فقال لي : « اذهب فاحلق عنك شعر الكفر واغتسل بماء وسدر » .

قدوم منصور إلى مصر

حين قدم منصور بن عمار إلى مصر جلس يقص على الناس ، فسمع كلامَهُ اللَّيْثُ بن سعد فاستحسن قصصه ، وفصاحته . فقال له الليث :

---

١ مرآة الجنان ، ص ٢٧٧ ، المجلد الثاني .

يا هذا ! ما أقدمك إلى بلدنا ؟ قال : طلبتُ أكتسب بها ألف دينار . فقال له الليث : فهي لك على رصين كلامك هذا الحسن ، ولا تتبذل . فأقام بمصر في جملة الليث بن سعد وفي جرايته ، إلى أن خرج عن مصر فدفع له الليث ألف دينار ، ودفع إليه بنو الليث أيضاً ألف دينار ، فخرج فسكن بغداد وبها توفي .

ويتحدث منصور بن عمار عن نفسه أثناء إقامته بمصر .. فيقول : لما قَدِمْتُ إلى مصر ، وكان الناس قد قحطوا ، فلما صَلَّوُا الجمعة رفعوا أصواتهم بالبكاء والدعاء ، فحضرتني النية ، فصرتُ إلى صحن المسجد ، فقلت : يا قوم ! تقربوا إلى الله بالصدقة ، فانه ما تُقُرِّبَ إليه بشيء أفضل منها .. ثم رميت بكسائي ، ثم قلت : اللهم هذا كسائي ، وهو جهدي وفوق طاقتي . فجعل الناس يتصدقون ، ويعطوني ويلقون على الكساء ، حتى جعلت المرأة تلقي خُرْصَها ، وسخابها (قلادتها) حتى فاض الكساء من أطرافه ، ثم هطلت السماء ، فخرج الناس في الطين والمطر ، فلما صُلِّيَتِ العصرُ ، قلتُ : يا أهل مصر ! أنا رجل غريب ولا علم لي بفقرائكم ، فأين فقهاؤكم ؟ فَدُفِعتُ إلى الليث بن سعد ، وابن لهيعة ، فنظرا إلى كثرة المال ، فقال أحدهما لصاحبه : لا تحرك ، ووكلوا به الثقات حتى أصبحوا ، فَرُحْتُ ، أو قال : فادلجتُ إلى الإسكندرية ، وأقمت بها شهرين . فبينا أنا أطوف على حصنها وأُكبِّرُ ، فإذا أنا برجل يرمقني ، فقلت : مالك ؟ قال : يا هذا ! أنت قدمت من مصر ؟ قلت : نعم ! قال : أنت المتكلم يوم الجمعة ؟ قال : قلت : نعم ! قال : فإنك صرت فتنة على أهل مصر . قلت : وما ذاك ؟ قال : قالوا : كان ذاك الخضر دعا ، فاستجيب له . قلت : ما كان الخضر ، بل أنا العبد الخاطىء .. قال : فادلجت فقدمت مصر ، فلقيت الليث بن سعد ، فلما نظر إليَّ ، قال : أنت المتكلم يوم الجمعة ؟ قال قلت : نعم ! قال : فهل لك في المُقام عندنا ؟ قال :

قلت : وكيف أقيم وما أملك إلا جبتي وسراويلي ؟ قال : قد أقطعتك خمسة عشر فداناً . ثم صرت إلى ابن لهيعة ، فقال لي مثل مقالته – مقالة الليث – وأقطعني خمسة فدادين . وهكذا أقام منصور بن عمار السلمي ، بمصر مُكرماً منعماً .

مدلولات القصة

والقصة المذكورة آنفاً تدلنا على أمور :

أولاً – أنّ منصور بن عمار كان واعظاً قديراً ومخلصاً ، وصالحاً موفقاً في حياته ولم يكن دجالاً من الدجاجلة .

ثانياً – أن الليث بن سعد وهو إمام من أئمة العلم والدين من طبقة الإمام مالك بن أنس ومن أصدقائه – كان ثريّاً وجيهاً في مصر . وكان ينفق ماله في وجوه البر والخير ، فهو ممن ينطبق عليه أول بيت الشاعر :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

ثالثاً – وكذلك كان شأن زميله ابن لهيعة إلا أنه ربما كان أقل ثراء منه بدليل أنه أعطى منصوراً ثُلث عطية الليث .

رابعاً – أن أهل مصر كانوا منذ القدم ، سريعي التأثر بالخيالات . فها هو ذا أحدهم يتحدث عنهم ويقول لمنصور بن عمار ما معناه : إنه بعد استجابة دعائه وهطول المطر في مصر اعتقد أهلها أنه الخضر .

خامساً – أن أهل مصر كانوا منذ صدر الإسلام يتسابقون إلى فعل الخيرات رجالاً ونساءاً .

من شواهد فصاحة منصور بن عمار

كتب اليه بشر الحافي يقول له : اكتب إليّ بما منّ الله علينا .

فكتب إليه منصور هذه الرسالة الوجيزة الضاربة في البلاغة صوب القمة:

(أما بعد يا أخي – فقد أصبح بنا من نعم الله ما لا نحصيه، في كثرة ما نعصيه. ولقد بقيتُ متحيراً فيما بين هذين : لا أدري كيف أشكره لجميل ما نشر، أو قبيح ما ستر) .

إثراء منصور وإنفاقه في الخير

ويبدو جليّاً أن منصور بن عمار قد أثرى بأخَرَةٍ، ونحن نراه ينفق إنفاق من لا يحسب للفقر حساباً، قال محمد بن موسى : شهدتُ منصور بن عمار القاصّ، وقد كلمه قوم، فقالوا له : هذا رجل غريب يريد الخروج إلى عياله.. فقال لابنه أحمد بن منصور : يا أحمد! امضِ معهم إلى أبي العوام البزاز، فقل له : أعطه ثياباً بألف درهم، بل بأكثر من ذلك، حتى إذا باعها صحّ له ألف درهم .

ويمكن أن نستنتج من « تحويله » العطاء إلى أبي العوام البزاز، أن أبا العوام هذا ربما يكون وكيل دكان منصور بن عمار الذي يباع فيه البز، ولذلك حوّل عليه إعطاء الغريب من البز الذي بالدكان. وربما يكون أيضاً صديقه الأثير لديه.. الذي يعرف عن تجربةٍ أنه سيدفع له قيمة ما حوله عليه من البز.. والتأويل الأول أقرب عندي، وخاصة إذا نظرنا إلى قول منصور في آخر كلامه : (حتى إذا باعها – أي الثياب – صح له ألف درهم).. فإن هذا التعليل للتحويل وإعطاء الغريب من بز الدكان الذي يعمل فيه أبو العوّام – يضع أصابعنا على أن الدكان لمنصور بن عمار، ويدلنا في نفس الوقت على أنّه كان كل ما يملك أوجله، ويدلنا في نفس الوقت على انه لم تكن لديه نقود بهذا القدر يوم أمر بالتحويل على أبي العوام .

وفاته

توفي منصور بن عمار ، ودفن ببغداد ، بباب حرب ، ووُضِع على قبره لوح منقوش عليه اسمه ، وإلى جانبه قبر ابنه سليم .. وهو غير ابنه أحمد الذي سبق ذكره آنفاً[1] .

هذا وقد ترجم الشيخُ عبدُ الرزاق البيطار ، منصورَ بن عمار بن كثير السلمي الخراساني الواعظ ، وسماه باسمه المذكور ، وذكر اسم أبيه : عمار ، واسم جده : كثير ، ونسبه إلى سليم ، ووصفه بأنه (صوفي) بدلاً من وصف (الواعظ) الذي وصفه به الخطيب البغداديُّ في « تاريخ بغداد » . والبغدادي من أهل القرن الخامس الهجري ، ومنصور بن عمار من أهل القرن الثالث الهجري . وجَعَلَهُ الشيخ عبد الرزاق (دمشقياً) ..

وموضوع كتاب الشيخ عبد الرزاق البيطار على ما ورد نصّاً في عنوان الكتاب : (حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر) هو تراجم أهل القرن الثالث عشر الهجري .

وقال الشيخ البيطار عن منصور بن عمار أثناء ترجمته له كشخصية صوفية بارزة من أهل القرن الثالث عشر الهجري ما نصه : « إنه كان مسرفاً على نفسه ثم تاب » وأورد قصة وجوده رقعة مكتوباً فيها : (بسم الله الرحمن الرحيم) فلم يجد لها موضعاً يضعها فيه فأكلها فرآى في المنام قائلاً يقول له : قد فتح الله عليك باب الحكمة لاحترامك للرقعة . فقام من نومه نادماً على أفعاله ، تائباً من وقوعه في أوحاله ، مقبلاً على

---

١ تاريخ بغداد ، ص ٧١ – ٧٩ ، المجلد الثالث عشر .

مولاه ، معرضاً عما سواه .. ففتح الله عليه أبواب القبول ، وسهل له أسباب الوصول ، ومنحه من العلوم الإلٓهية والتجليات العرفانية مـا أثبت له الفضيلة) الخ . وقد جعل الشيـخ عبد الرزاق البيطار ، وفاة (منصور ابن عمار بن كثير السلمي) (في دمشق في سنة ألف ومائتين و ..) [1] .

ويبدو لي أن الثابت في التاريـخ هو أن منصور بن عمار السلمي الواعظ كان معاصراً لليث بن سعد ، وكان أهل القرن الثالث الهجري ، وقد استوفى ترجمته الخطيبُ البغدادي في كتابـه « تاريـخ بغداد » حسب ما سبق بيانه .

عباس بن الوليد بن صبح الحلال أو (الخلال) السلمي

أبو الفضل الدمشقي . روى عن زيد بن يحي بن عبيد الدمشقي ، وأبـي مسهر ، وعبد السلام بن عبد القدوس الشامي وغيرهم . وروى عنه ابن ماجه ، وأبو حاتم ، وغيرهما .

قال أبو حاتم : شيـخ .

وقال الأجري عن أبـي داود : كتبتُ عنه : وكان عالماً بالرجال والأخبـار . وقال محمد بن عوف الطائي : كان أبو مسهر ومروان بن محمد يقدمانه ، ويرحبان به .

وقال عمرو بن دحيم : مات لثلاث بقين من صفر سنة ثمان وأربعين ومائتين .. وذكره ابن حبان في الثقات [2] .

---

١ (حلية البشر في تاريـخ القرن الثالث عشر) ، الجزء الثالث ، ص ١٥٦٢ ، طبـع مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٩٦٤ م .

٢ تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، ص ١٣١ ، المجلد الخامس ، طبع حيدر آباد دكن .

محمد بن أحمد بن حكيم بن كثير السلمي : أبو الحسن

بغدادي . كان يذكر أنه ابن أخي منصور بن عمار .

وحدث عن سليم بن منصور بن عمار ، وروى عنه عبد الله بن عدي الحافظ وذكر انه سمع منه بجرجان [1] .

أبو عون أحمد بن المنجم السلمي

هو ابن أخي هلال أبي المنجم ، وأحمد بن أبي المنجم ، وهو شاعر ومتكلم ومترسل .

له من الكتب : كتاب التوحيد ، وأقاويل الفلاسفة ، وكتاب النواحي في أخبار الأرض . وقيل إن الكتاب الأخير هو لأبي إسحق بن أبي عون الذي هو ابن هذا المُترجَم [2] . ولم يفدنا ابن النديم في (فهرسته) عن تاريخ مولده ومكان مولده ، وتاريخ وفاته ومكانها . وله العذر ، فإن كتابه إنما هو كاسمه (فهرست) ، والفهرست ليس من شأنه أن يحمل التفاصيل ، كما تحملها الكتب التي هي أوسع نطاقاً من الفهارس أو من كتب الفهارس .

أبو اسحق بن أبي عون السلمي بالولاء

أبو عون الذي هو والد إسحق ، هو ابن أحمد بن المنجم . وكان أبو إسحق من أصحاب جعفر محمد بن علي الشلغاني المعروف بابن أبي العزاقر . وأُخِذَ معه أبو إسحق فضربت عنقه بعده .. وذلك أن أبا إسحق

١ تاريخ بغداد ، ص ٢٩٣ ، الجزء الأول .

٢ الفهرست ، لابن النديم ، ص ٢١٧ ، مطبعة الاستقامة ، بمصر .

عُرِضَ عليه أن يشتم ابن أبي العزاقر ، وأن يبصق عليه ، فأبى وأرعد ، وأظهر خوفاً من ذلك ، لِلْحَيْنِ والشقاء[1] . وهذا يدل على أنه يعتقد فيه ما يحول بينه وبين توجيه أية إهانة منه إليه . فكان عقابه القتل معه ، استئصالاً لفتنته وزيغه في عَصْرٍ كثر فيه مروجو الفتنة والزيغ والإلحاد .

وكان ابن اسحق – على ما حكاه ابن النديم – من أهل الأدب ، مؤلفاً للكتب ، ناقص العقل . ولولا نقصان عقله ما تَعَبَّدَ لابن أبي العزاقر ، واعتقد فيه الألوهية .

وله كتاب « النواحي في أخبار البلدان » . وتتمة عُنْوان هذا الكتاب هي : « الأرض » لا « البلدان » .

وكأنَّ ابن النديم سها أخيراً ، عما كتبه أولاً ، في ترجمة أبي عوف ، والد أبي اسحق ، فيما يتعلق باسم هذا الكتاب ، فأخذ تكملة اسمه من معنى اسمه الذي سبق أن أورده . فالأرض والبلدان متقاربتا المعنى .

ولأبي إسحق أيضاً كتاب « الجوابات المسكتة » . وكتاب « التشبيهات » وكتاب « بيت مال السرور » وكتاب « الدواوين » وكتاب « الرسائل »[2] .

محمد بن عيسى بن سورة الترمذي السلمي

الإمام الترمذي صاحب « الكتاب الجامع » في الحديث النبوي ، الذي

---

١ في النسخة المطبوعة بمطبعة الاستقامة من كتاب الفهرست ، لابن النديم : (للجبن) بالجيم والباء التحتية الموحدة . وقد رجحنا أن تكون صحة الكلمة : (للحين) بفتح الحاء المهملة بعدها ياء تحتية مثناة ساكنة ، وذلك بدليل سياق الكلام .. فقد وردت بعدها كلمة : (والشقاء) .. وهي تتناسب مع (الحين بمعنى الهلاك) بخلاف كلمة (الجبن) .

٢ الفهرست لابن النديم ، ص ٢١٧ .

هو أحد الصحاح الستة هو من بني سُليم بن منصور فهو من مفاخرهم الخالدة في الدين والعلم الإسلامي .

وقد ذكروا أن اسم جده الثاني لأبيه هو : موسى .

والترمذي أحد حفاظ حديث الرسول . وكتابه « الكتاب الجامع » من أهم كتب الحديث النبوي ، ومن أحسنها تأليفاً وتنسيقاً وصحة .

كان مولده سنة بضع ومائتين للهجرة . وسمع كثيراً من كبار العلماء ، وأخذ علم الحديث عن أبي عبد الله البخاري ، وروى عنه كثيرون . وذكره ابن حبان في الثقات . وكان ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر . ومن كتبه غير الكتاب الجامع : شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتاب العلل ، ورسالة في الخلاف والجدل والتاريخ .

وينسب إلى « بوغ » فيقال له : (البوغي) ويضرب به المثل في علم الحديث ، وكان ضريراً [1] .

هذا وقد غلط الأستاذ ناجي معروف حينما سماه « عيسى بن سورة » [2] .. فعيسى بن سورة هو اسم أبيه وليس اسمه هو .. إن اسمه — كما أسلفناه آنفاً — هو : « محمد بن عيسى » وربما كان هذا الغلط ناشئاً من الطبع لا من المؤلف . فما أكثر أغلاط المطابع العربية في هذا الزمان وفيما سبقه من الأزمان .

---

١ الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين الصفدي ، الجزء الرابع، ص ٢٩٤ و ٢٩٥ ، والتاج المكلل لصديق حسن القنوجي ، ص ١١٢ ، طبع بومبايسنة ١٣٨٣هـ = ١٩٦٢ م، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ، ص ١٠٤ و ١٠٥ ،الجزء الحادي عشر،والأعلام للأستاذ خير الدين الزركلي ، ص ٢١٣ ، الجزء السابع ، طبع مصر ، ومرآة الجنان ، لليافعي ، ص ١٩٣ ، الجزء الثاني ، طبع مطبعة حيدر آباد دكن .

٢ علماء ينسبون إلى مدن أعجمية وهم من أرومة عربية، للأستاذ معروف ناجي، ص ٢ طبع بغداد سنة ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م .

وفاته

توفي الترمذي في ثالث عشر رجب سنة ٢٧٩ ﻫ بترمذ أو بقرية بوغ.

سفيان السلمي

من أهل مدينة واسط وقدم بغداد.

وهو سفيان بن حسين بن الحسن، مولى بني سُليم. ومولاه بالذات هو عبد الله بن خازم السلمي القائد البطل المعروف. حدث سفيان عن الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وابن شهاب الزهري، وأبي بشر جعفر بن إياس. وروى عنه شعبة، وهشيم، ومحمد بن يزيد، وعباد بن العوام، ويزيد بن هارون، وغيرهم.

ضمه المنصور أبو جعفر العباسي إلى المهدي، يُعلمه، وخرج معه إلى الريّ.

وكان مؤدِّبَ عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، ثم أدب ولد يزيد ابن هبيرة، ثم ضمه المنصور إلى المهدي.

وكان حسن الصوت في قراءة القرآن. وطلب منه أبو جعفر المنصور أن يقرأ له شيئاً من القرآن فقال له: القرآن لا يُتَلَذَّذُ به. فقال له الخليفة: عالم أنت؟ فسكت. فقال له الربيع: «حاجب أبي جعفر المنصور»: أجب أمير المؤمنين! فقال له: سألني عن مسألة لا جواب لها.. إن قلتُ: لستُ عالماً وقد قرأت كتاب الله كنت كاذباً. وإن قلت: أنا عالم كنت بقولي جاهلاً.

وهذه براعة من سفيان، جابَهَ بها تدخل الربيع المعروف في تاريخه بالقسوة والضراوة. وقد أفحمه سفيان السلمي بهذا الجواب البارع، وسد عليه أبواب الاعتراض والتدخل من كل جهة..

كان سفيان ثقة مضطرباً في الحديث . وكان صاحب تفسير .

سئل أحمد : سفيان أحبُّ إليك أو صالح بن أبـي الأخضر ؟ قال : سفيان بن حسين .

ووثقه يحيى بن معين ، ولكنـــه قال : (هو ضعيف الحديث عن الزهري) وقال عنـــه : (لأنـــه ليس من أكابر أصحاب الزهري .. أكابرهُـمُ المعتمد عليهم منهم : معمر ، وشعيب ، وعقيل ، ويونس ، ومالك . وربما قال : وابن عيينة .

ووثقه أحمد بن عبد الله العجلي وقال : (سفيان بن حسين واسطي ثقة) .

وفاته

مات بالري في خلافة المهدي العباسي [1] .

محمد بن أحمد بن العباس : أبو جعفر السلمي ، نقاش الفضة

سمع محمد بن محمد بن سليمان الباغندي والحسن بن محمد المخرمي ، وعبد الله بن محمد البغوي وغيرهم . وقد سأل الخطيبُ البغدادي ــ الأزهريَّ ، عن أبـي جعفر النقاش . فقال : ثقة ، وقال : كان أحد المتكلمين على مذهب الأشعري ، ومنه تعلم أبو علي بن شاذان ، الكلام .

ولد أبو جعفر السلمي للنصف من جمادى الأولى سنة ٢٩٤ هـ . وقال الخطيب البغدادي : (سمعت منه في سنة أربع وسبعين وثلثمائة ، وكان يسكن درب الديزج . وتوفي سنة ٣٧٩ هـ بين الأحد أو الاثنين لست خلون من المحرم) [2] .

---

١ تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، ص ١٥٠ و ١٥١ ، الجزء التاسع .

١ تاريخ بغداد ، ص ٣٢٥ و ٣٢٦ .

الحسن بن أحمد : أبو محمد السُّلمي

هو الحسن بن أحمد بن سعيد بن محمد بن يحيى بن خالد .

حدَّث ببغداد عن جده سعيد بن محمد ، وغيره عمن رواه عنه يرفعه إلى ابن عمر : أن رسول الله (ص) كان إذا جَدَّ به السير جمع بين المغرب والعشاء .

توفي الحسن السُّلمي الرهاوي بسنة ٣٢٩ هـ في الرها [1] .

أبو عمرو بن نجيد السلمي

اسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف السُّلمي النيسابوري أبو عمرو : زاهد عابد ، له جزء في الحديث . قال ابن الجوزي : كان ثقة . وكان شيخ الصوفية في نيسابور . وكان يقول : (من أظهر محاسنه لمن لا يملك ضره ولا نفعه فقد أظهر جهله) . (ومن لم تهذبه رؤيته فاعلم أنه غير مُهَذَّب) . توفي بمكة سنة ٣٦٦ هـ – ٩٧٧ م [2] .

أبو طاهر السلمي

هو ابن الفضل بن محمد بن اسحق بن خزيمة السُّلمي الفقيه الإمام أبو عبد الله بن بطة الحنبلي . توفي سنة ٣٨٧ هـ [3] .

ولعل أبا طاهر هذا ، حفيد الإمام محمد بن اسحق بن خزيمة الذي مرت بنا ترجمته في هذا الفصل .

---

١ تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، ص ٢٧١ ، الجزء الثاني .
٢ الأعلام للأستاذ خير الدين الزركلي ص ٣٢٦ المجلد الأول الطبعة الثانية بمصر .
٣ مرآة الجنان لليافعي ص ٤٣٥ الجزء الثاني .

أبو عمر عبد الله السلمي

عبد الله بن عبد الوهاب السلمي الأصبهاني المقري. توفي سنة ٣٩٤ [1].

أبو عبد الرحمن : محمد بن الحسين بن موسى النيسابوري السلمي

له ترجمات في كتب الأنساب. وممن ترجمه : الحافظ الذهبي. قال : « محمد بن الحسين : أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري ، شيخ الصوفية ، وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم. تكلموا فيه ، وليس بعمدة.

روى عن الأصم وطبقته ، وعُني بالحديث ورجاله ، وسئل الدارقطني قال قال الخطيب قال لي محمد بن يوسف القطان : كان يَضَعُ الأحاديث للصوفية. وقال الحافظ عبد الغافر الفارسي في تاريخ نيسابور : جمع من الكتب ما لم يسبق إلى ترتيبه ، حتى بلغ فهرست تصانيفه مائة أو أكثر. وكتب الحديث بمرو ، ونيسابور ، والعراق ، والحجاز.

وقال الخطيب البغدادي : قدم بغداد مرات ، وحدَّث بها عن شيوخ خراسان ، وصنف للصوفية سُنَناً وتفسيراً وتاريخاً. ونقده محمد بن يوسف القطان النيسابوري فقال عنه : « كان غير ثقة وكان يضع للصوفية الأحاديث ».

ولكن الخطيب البغدادي قال عن أبي عبد الرحمن السلمي ما نصُّه : (قَدْرُ أبي عبد الرحمن عند أهل بلده جليل ، وكان مع ذلك مجوداً ، صاحب حديث ، وله دُوَيْرةٌ للصوفية.

وقال اليافعي في « مرآة الجنان » : إنه صحب جده أبا عمر بن نجيد ، وصنف التفسير والتاريخ. وترجم له ابن الأثير ، فقال عنه : (وأبو

---

[1] مرآة الجنان ص ٤٤٧ الجزء الثاني.

عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى السُّلمي الصوفي ، وهو ابن بنت أبـي عمرو بن نجيد السلمي ، له تصانيف في علوم الصوفية لم يسبق إليها . ومُؤلَّفُه : « طبقات الصوفية » كبير [1] .

وكان مكثراً من الحديث . روى عنه الحاكم أبو عبـد الله . ومات قبله بسبع سنين .

مولده ووفاته

ولد سنة ٣٣٠ هـ وقد اتفق الحافظ الذهبي ، وابن الأثير ، واليافعي ، على أن وفاته كانت في شعبان سنة ٤١٢ هـ إلا أن ابن الأثير حدد وفاته بثالث شعبان من تلك السنة [2] .

محمد بن الحسين بن موسى السلمي

يُلقب بأبـي عبد الرحمن . صنف كتاب « عيوب النَّفْس ومداواتها » [3] . وقد توفي في شعبان ٤١٢ هـ الموافق ١٠٢١ م . ذكره حـاجي خليفة في كشف الظنون [4] .

---

١ طبع بمطابع دار الكتاب العربـي بمصر سنة ١٣٧٢ هـ ١٩٥٣ م في ٥٧١ صفحة .

٢ ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، للذهبي ، طبع دار إحياء الكتب العربية ، القسم الثالث ، ص ٥٢٣ و ٥٢٤ ، واللباب في تهذيب الأنساب ، لابن الأثير ، ص ٥٥٤ ، الجزء الأول ، طبع مكتبة القدسي بالقاهرة سنة ١٣٥٧ هـ ؛ ومرآة الجنان ، ص ٢٦ ، الجزء الثالث .

٣ مخطوط في خزانة الرباط ورقمه ١٤١٩ د .

٤ فهرس المخطوطات العربية برباط الفتح القسم الثاني ، الجزء الأول، للاستاذين علوش وعبد الله الرجراجي ، طبع باريز ١٩٥٤ ، بمكتبة الأستاذ خير الدين الزركلي .

أحمد بن عيسى أبو عقيل السلمي

من بغداد . وهو أحمد بن عيسى بن زيد بن الحسن بن عيسى بن موسى بن هادي بن مهدي ، أبو عقيل السُّلمي القزاز .

سمع أحمد بن سلمان النجاد وغيره . وقال عنه الخطيب البغدادي : كَتَبْتُ عنه ، وكان يسكن باب البصرة . وروى له حديثاً بسنده إلى عمرو بن تغلب .. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تقوم الساعة حتّى تقاتلوا قوماً كأنَّ وُجُوههم المجَانُّ المُطْرقَة) .

مولده ووفاته

ولد في صفر من سنة ٣٣٨ هـ . وقال الخطيب البغدادي : (مات في يوم الأحد الثالث من شوال سنة ٤٢١ هـ[1] ومعنى ذلك أنَّ وفاته كانت قبل وفاة الخطيب البغدادي باثنين وأربعين عاماً .

أبو الحسن أحمد بن عبد الواحد السلمي

هو أبو الحسن أحمد بن عبد الواحد بن أبي الحديد السُّلمي . اقتصر اليافعيُّ في « مرآة الجنان » على القول بأنه توفي في سنة ٤٦٩ هـ[2] . وقال عنه عبد الحي بن العماد الحنبليّ : « أحد رؤساء دمشق وعدولها » . « روى عن جده أبي بكر محمد بن أحمد بن عثمان وجماعته . وسمع بمكة من ابن جهضم . وحدَّد شهر وفاته وسنتها فقال : توفي في ربيع الأول سنة ٤٦٩ هـ في عشر التسعين . قاله في العبر »[3] فهو إذن معمر .

---

١ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، ص ٢٨٤ ، الجزء الرابع .

٢ ج ٣ ، ص ٩٧ .

٣ شذرات الذهب في أخبار من ذهب – لابن العماد الحنبلي ، ص ٣٣٣ ، الجزء الثالث .

سلامة بن سليمان أبو الحسين السُّلمي

هو سلامة بن سليمان بن أيوب بن هارون ، أبو الحسين المقري الباجَدائي . حدَّث في بغداد بعد قدومه إليها عن جماعة ، منهم أبو يعلى الموصلي . ويقول عنه الخطيب البغدادي : « ما علمت من حاله إلا خيراً » .

وروى عنه بسنده إلى بندار مناماً رآى فيه بندارٌ ، سفيانَ الثوري بعد موته ، على ما وصفه له عبد الرحمن بن مهدي . وكان قد طلب منه أن يصفه له ففعل [1] .

محمد بن حامد السلمي

قدم بغداد .

وهو محمد بن حامد بن محمد بن ابراهيم بن إسماعيل ، أبو أحمد السلمي الخراساني .

قدم بغداد حاجّاً في حياة الحافظ الخطيب البغدادي . وحدَّث بها عن محمد بن يزيد السلمي النيسابوري ، وغيره ، أحاديث منكرة ، منها ما رواه عن محمد بن يزيد بن عبد الله السلمي ، عن سليمان بن قيس ، عن أبي المعلى بن المهاجر عن أبان ، عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (سيأتي من بعدي رجل يقال له النعمان بن ثابت ويُكنّى أبا حنيفة ، لَيحيْيَنَّ دِينُ الله وسنّتي على يديه) ويقول الخطيب البغدادي : لم أكتب هذا الحديث إلا من هذا الوجه ، وهو باطل موضوع .. ومحمد بن يزيد متروك الحديث ، وسليمان بن قيس ، وأبو المعلى ، مجهولان ، وأبَانُ بن أبي عياش رُمِيَ بالكذب [2] .

---

١ تاريخ بغداد ، ص ٢٠٢ و ٢٠٣ ، الجزء التاسع .
٢ تاريخ بغداد ، ص ٢٨٨ و ٢٨٩ ، الجزء الثاني .

محمد بن علي بن عبد الله السُّلمي

من بغداد .

هو محمد بن علي بن عبد الله بن يعقوب بن إسماعيل بن إبراهيم ابن الحسن بن يزيد بن عُتْبة بن فرقد : أبو الحسن السلمي . ويعرف بالحبريّ ، لأنه كان يبيع الحبر بباب الشام — ببغداد . وقد روى حديثاً بسنده المتصل إلى أبي أمامة قال قال رسول الله (ص) : (لا يقوم الرجل من مجلسه إلا لبني هاشم) .. وقد وثقه الخطيب البغدادي .. قال : (سألت عبد العزيز بن علي ، عن هذا الشيخ ؟ فقال : بَغْداديٌّ ثقة[1]

يوسف بن عبد الواحد السلمي

سمع من أبي البيان القرشي الدمشقي : نَبإِ بن محمد بن محفوظ المعروف بابن الحوراني شيخ الطريق البيانية بدمشق[2] .

ابن أبي الفضل المريسيُّ السلمي

هو محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي ، أبو عبد الله . مفسر علاّمة . ولد في ذي الحجة سنة ٥٦٩ ه أو ٥٧٠ ه بمرسية . وكان رحالة . سمع بالمغرب من جماعة ، ورحل من المغرب سنة ٦٠٣ ه . وعمره نحو ثلاث أو أربع وثلاثين سنة . وتجول في أنحاء العالم الإسلامي لطلب العلم ، فدخل مصر ، وسمع بها من علمائها ، وبدمشق من قضاتها .

١ تاريخ بغداد ، ص ٨٨ ، الجزء الثالث .

٢ معجم الأدباء لياقوت الحموي ، ص ٢٠٤ ، الجزء السابع ، طبع هندية بمصر .

ودخل بغداد ، فصنع مثل ذلك . وممن سمع منهم ببغداد أبو أحمد ابن عبد الوهاب . وممن سمع منهم بنيسابور ، زينب الشعرية ، سمع منها جُزءَ ابن نجيد وغيره . ودخل هراة ، وسمع من علمائها ، وجاء مكة فتلقى من الشريف يونس بن يحيى الهاشمي وطبقته . وحدث بالكثير في أماكن عدة ، منها مكة . وتردد إليها مرات ، وجاور بها كرات . سمع منه الحفاظ والأعيان من العلماء ، وبالغوا في الثناء عليه .

وهو ضليع في علوم الحديث والقراءات والفقه والخلاف والنحو واللغة . وله مصنّفات فيها . وكان زاهداً متورعاً ، كثير العبادة . وقد جاور بمكة سنين كثيرة .

وله تفسير كبير يزيد علي عشرين سِفْراً ، وتفسير أَوْسَطُ ، في عشرة أجزاء ، وصغيرٌ ، في ثلاثة أجزاء . واختصر صحيح مسلم ، في جزأين . وله كتاب « الضوابط الكلية في علم العربية » وكتاب « الكافي في النحو » (ولم يتمه) بقي منه يسيرٌ . وكان مالكيَّ المذهب ، كأكثر أهل الأندلس والمغرب .

وفاته

توفي بين الزعقة أو الرعقة أو غزة ، وبين العريش في مُتَوجَّهِهِ من مصر إلى دمشق . ودُفِنَ بيومه بِتَلِّ الزعقة . وكان ذلك اليوم يوم الاثنين منتصف شهر ربيع الأول سنة ٦٥٥ هـ وكانت له كتب كثيرة بيعت بعد وفاته في نحو من سنة وكان فيها نفائس .

نماذج من شعره

ومحمد بن عبد الله السلمي هذا كان يقول الشعر . وشعره أقرب

إلى شعر الفقهاء الأدباء .. قال :

قالوا محمد ! قد كبرتَ وقد أتى داعي المنون وما اهتممتَ بزاد
قلتُ : الكريمُ مِنَ القبيح لضيفه عند القدوم مجيئه بالزاد

ومن شعره عندما دخل بعض بلاد العجم ، ولم يُعبأ به كأيّ غريب مجهول وافد :

أُيجْهَلُ قدري في الورى ومكانتي تزيد على مرقى السماكين والنسر
ولي حَسَبٌ لو أنه متقسم علىأهلِ هذا العصر تاهوا على العصر

وقال عندما دخل هرات في إحدى رحلاته العلمية الواسعة في أنحاء العالم الإسلامي آنذاك :

دخلتُ هراة أستفيد علومها فألفيتُ ما فيها خيرَ الورى فهما
يمرون بي لا يعرفون مكانتي كأنّيَ دينار يمر به أعمى

والبيت الثاني مضمن لغيره [1]

شمس الدين بن سيده السُّلمي

هو الشيخ شمس الدين أبو طالب محمد بن عبد الله بن صابر السلمي . عرف بلقب « ابن سيده » . وهو من أهل بيت كبير في دمشق ومن أهل العلم والحديث والتصوف . صحب الشيخ عتيقاً وغيره . وكان يخضب شعَره . توفي سنة ٦٣٧ هـ [2]

---

١ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ص ٨٥ و ٨٦ ، الجزء الثاني .
٢ تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين ، لأبي شامة المقدسي الدمشقي ، ص ١٦٨ ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م .

سلطان العلماء :

أبو العِزّ عبد العزيز بن عبد السلام السلمي

هو أبو محمد عز الدين ، عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم ابن الحسن بن محمد بن المهذب الدمشقي ، الملقب بسلطان العلماء . واشتهر بالعز بن عبد السلام . والسُّلمي نسبة إلى بني سليم احدى القبائل المشهورة من مُضَر .

ويبدو لي أنه ربما كان من نسل بني سليم الذين دخلوا سورية مع القرامطة من قبل .

زار « سلطانُ العلماء » بغدادَ في سنة ٥٩٩ هـ فأقام بها شهراً ، وعاد إلى دمشق .

وسمع من عبد اللطيف بن أبي سعد ، والقاسم بن عساكر ، وجماعة ، وتفقه على فخر الدين بن عساكر ، والقاضي جمال الدين بن الحرستاني ، وقرأ الأصول على الآمدي ، وبرع في الفقه والأصول والعربية ، وفاق الأقران ، والأضْراب ، وجمع بين فنون العلم من التفسير والحديث والفقه واختلاف أقوال النـاس ومآخذهم . وقد بلغ رتبة الاجتهاد في الفقه ، ورحل إليه الطلاب من سائر البلاد ، وصنَّف التصانيف المفيدة ، وروى عنه الدمياطي ، وخرَّج له أربعين حديثاً ، وروى له ابنُ دقيق العيد ، وهو الذي لقبه بسلطان العلماء ، وخلقٌ غيرهما .

وحينما عاد من بغـداد إلى دمشق ، تولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي ، ثم بالجامع الأموي . وفي خطابته أزال كثيراً من بدع الخطباء ، ولم يلبس سواداً ، ولا سجع في خُطبه ، كان يقولها مترسلاً ، واجتنب الثناء على الملوك ، وإنما كان يدعو لهم ، وأبطل صلاة الرغائب والنّصف من شعبان فوقع بينه وبين « ابن الصلاح » بسبب ذلك . وحينما سَلَّم

الصالح إسماعيل ، قلعة (الشقيف)[1] و (صفد) للفرنج ، نال منه الشيخ ، على المنبر ، ولم يَدْعُ له . فغضب الملك من ذلك ، وعزله وسجنه ، ثم أطلقه ، فتوجه إلى مصر ، فتلقاه صاحب مصر الصالح نجم الدين أيوب ، وأكرمه ، وولاه قضاء مصر ، دون القاهرة والوجه القبلي ، مع خطابة جامع مصر ، فقام بمهمات المنصب خير قيام . ومكنه « الصالح » من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم اعتزل القضاء ، وعزله السلطان من الخطابة ، فلزم بيته ، يُدرِّس الناس ، وأخذ في التفسير في دروسه ، وهو أول من أخذه في الدروس .. قال الشيخ قطب الدين اليَوْنيني : كان مع شدته فيه حسن محاضرة بالنوادر والأشعار . ولما مرض أرسل اليه الملك الظاهر يقول : (إن في أولادك من يصلح لوظائفك !) فقال : لا !

وقد انتهت إلى الشيخ عز الدين السلمي ، معرفةُ المذهب الشافعيّ مع الزهد والورع ، وقمعه للضلالات والبدع ، وكان يحضر السماع ، وكان قائماً خير قيام بالذب عن السنة ، لا يقبل الهوادة أو المسايرة في ذلك مطلقاً ، مع أي إنسان ، ولو كان السلطان .

وهيبته العلمية في النفوس وصلاحه وورعه وتقواه لُقِّبَ بسلطان العلماء .. مما يذكرنا بما قاله الشاعر في الإمام مالك بن أنَس :

يأبى الجواب فما يُراجَع هيبة والسائلون نواكس الأذقان
أدب العلوم و « عزّ سلطان » التقي فهو المهيب وليس ذا سلطان

ومن لطائف المصادفات أن الشاعر الذي مدح الإمام مالكا ، جاء في بيته الثاني قوله : « وعز سلطان التقي » .. وهذه العبارة جمعت بين أوائل لقبي عبد العزيز بن عبد السلام السلمي اللذين هما : (عز الدين) و (سلطان العلماء) .

---

[1] قلعة الشقيف الآن في لبنان بالجنوب وتشرف على فلسطين .

مؤلفاته

للعز بن عبد السلام مؤلفات كثيرة ، في التفسير ، وقواعد الأحكام ، وفي الحديث ، والعقائد ، والأصول ، والفتاوي ، والسيرة ، والتصوف ، وفضائل الاعمال . وتربو مؤلفاته على ثلاثين كتاباً ، أكثرها مخطوط .

ومن مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن : كَشْفُ الإشكالات عن بعض الآيات ، ويلوح لي أنه هو الكتاب الذي قامت بطبعه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت .. وكان عنـوانه : (الفوائد في مشكل القرآن) .

ومن مؤلفاته في علم الحديث : مختصر صحيح مسلم .

ومن مؤلفاته في العقائد : كتاب الأنواع في علم التوحيد ، ويوجد في مكتبة برلين .

ومن مؤلفـاته في علم الفقه الإسلامي : كتب في الصلاة والصوم ، ومناسك الحج ، وأحكام الجهاد وفضله ، واختصار النهاية في الفقه الشافعي ، والجمع بين الحاوي والنهاية ، والفتاوي الموصلية والفتاوي المصرية .

ومن مؤلفاته في أصول الفقه : قواعد الأحكام في مصالح الأنام .

ومن مؤلفاته في السيرة النبوية : بداية السول في تفضيـل الرسول عليه الصلاة والسلام .

ومن مؤلفاته في التصوف : حل الرموز ومفاتيح الكنوز .

ومن مؤلفاته في فضائل الأعمال والعلوم المختلفة : شجرة المعارف ، وأدلة الأحكام ، والفتن والبلايا والمحن والرزايا ، وترغيب أهل الاسلام في سكني الشام .

وله وصية ، منها نسخة بالمكتبة الظاهرية بالرقم ٥٢٥٨ .

وقد وُصِفَ العز بن عبد السلام بأنه « رزق قسامة في الوجه ، ونعومة الأسارير ، فهو مقبول الصورة ، وكان مع ذلك جليلاً ، وكان قويَّ الشخصية ، ومع ذلك كان متواضعاً في مظهره بعيداً عن التكلف ، لا يتأنّق لكاذب الحشمة ومألوف الوقار ،حتى لم يكن يتقيد بلبس العمة ، على عادة العلماء والفقهاء بل ربما لبس قبع لباد (طاقية الصوف) وكان يحضر المواكب السلطانية به .

وقد روى الاستاذ خير الدين الزركلي أن من أمثال مصر القديمة قولهم : (ما أنت إلا من العوام ولو كنت ابن عبد السلام) [1]. وقال عنه أبو محمد عبد الله بن سعد اليافعي ، في كتابه « مرآة الجنان » (: ومرتبته في العلوم الظاهرة مع السابقين في الرعيل الأول) [2] .

مولده .. ووفاته

ولد العز بن عبد السلام بدمشق ونَشَأَ بها . ومولده كان سنة ٥٧٧ هـ أو ٥٧٨ هـ .

وكانت وفاته بالقاهرة في جمادى الأولى سنة ٦٦٠ هـ ومشى في جنازته الخاصُّ والعام ، وشيعه الظاهر . ولما بلغ خبرُ وفاته ، السلطانَ قال : (لم يستقر ملكي إلا الساعة ، لأنه – أي عز الدين – لو أمر الناس فيَّ ، بما أراد ، لبادروا إلى امتثال أمره) .

ابو جعفر محمد بن علي السلمي : مسند الشام

العباسي الدمشقي . كان متزهداً . حج مراراً ، وجاور . وتفرد عن أبي القاسم بن حصري ، والبهاء عبد الرحمن ، ورحل إليه .

---

١ كتاب الأعلام للأستاذ خير الدين الزركلي ، ص ١٤٥ ، الجزء الرابع .
٢ مرآة الجنان لليافعي ، وأيمة الفكر الإسلامي : العز بن عبد السلام – لرضوان علي الندوي ، من ص ٧٢ إلى ص ٨٣ ، طبع دمشق .

توفي عن أربع وتسعين سنة ، في عام ٧٠٨ ﻫ [1]

يحيى بن خضر السلمي البصري

يلقب بمحيي الدين كان يعمل الحياكة في بيته . له نظم . فمن ذلك قوله في مليح أصابه رمد :

لما بدا وعلى عينيه من رمد   شعْرٌ به ما لها شبه سوى الغسق
حسبته البدر فوق الجو يستره   غيم وقد كحلت للشمس بالشفق

وله ايضاً في مثل ذلك :

هيهات ما عينه محمرّةٌ رمدا   ولا بها مثل ما قال الورى ألمُ
لكن اراق دم العشاق ناظرها   وشاهد القتل في حد الحُسامِ ، دمُ

توفي سنة ٧١١ ﻫ [2]

سيف بن سليمان السلمي

هو سيف بن سليمان بن كامل بن منصور بن علوان بن ربيعة ، الموازيني السُّلمي الزرعي القاضي شرف الدين. سمع من ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليسر ، ومن غيرهما . وحَدَّثَ ، واشتغل وولي القضاء بعدة بلاد .

وُلِدَ سنة ٦٤٣ ﻫ ، ومات بالقدس سنة ٧١٣ ﻫ في شهر جمادى الأولى . وكان مشكور السيرة ، وله نظم قليل [3] .

---

١ مرآة الجنان ، ص ٢٤٥ ، الجزء الرابع .
٢ درة الحجال – لابن القاضي ، الجزء الثاني ، طبع المطبعة الحديثة بالرباط سنة ١٩٣٤ ، من مكتبة الأستاذ خير الدين الزركلي .
٣ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة – لابن حجر العسقلاني ، ص ١٨٣ ، الجزء الثاني ، طبع مجلس دائرة المعارف بحيدر آباددكن .

أبو بكر السلمي

ابن محمد بن أحمد بن عنتر السلمي : كمال الدين ابن شرف الدين .

سمع من إسماعيل بن عبد الرحمن القوصي ، وحدّث بالإجازة عن سبط السلفي ، فأكثروا عنه جداً . وخرّج له البرزالي ، جزءاً لطيفاً من عواليه . وحدّث عنه جماعة من شيوخ ابن حجر العسقلاني ، وذكره أبو جعفر بن الكويك ، في معجم ابن جماعة .

ولد سنة ٦٤٥ هـ – ومات في ربيع الآخر سنة ٧٨٣ هـ[1] .

بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز بن عرض بن عمر السلمي الدميري

عالم فقيه مالكي ، مغربي .

يلقب بتاج الدين أبي البقاء . له ثلاثة شروح على مختصر خليل ، وله كتاب شامل في الفقه المالكي وغير ذلك من تآليفه .

ولد سنة ٧٣٤ هـ – وتوفي سنة ٨٠٥ هـ[2] .

أبو البركات المعروف بابن الحاج البلفيقي السُّلمي

من مشاهير القضاة بالأندلس .

وهو محمد بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن خلف السلمي .. من ذرية

---

١ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة – لأحمد بن حجر العسقلاني ، ص ٤٥٦ ، المجلد الأول ط دار الكتب الحديثة بمصر .

٢ درة الحجال في غرة أسماء الرجال لأحمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن القاضي ، ص ١١٨ ، الجزء الأول ، طبع المطبعة الجديدة في رباط الفتح بالمغرب ، بمكتبة الأستاذ خير الدين الزركلي .

العباس بن مرداس . فهو ابن عم عبد الملك بن حبيب السلمي المرداسي المترجم في هذا الكتاب .

ويعرف أبو البركات في بلده بابن الحاج ، وفي غير بلده بالبلفيقي . و « بلفيق » حصن من عمل مدينـــة المُرِيَّة بالأندلس .. وبيت أبي البركات بيت دين وفضل .

ذكر ابنُ الأبار جدّه الأعلى (أبا إسحق) وأطنب في الثناء عليـــه بالخير والصلاح . وكان أبو البركات ممن نشأ على طهـــارة وعفاف ، واجتهد في طلب العلم صغيراً وكبيراً ، وعبر البحر إلى بجاية فأدرك بها المدرس المعمر أبا علي منصور بن عبـــد الحق المشدّالي ، وحضر مجالسه العلمية ، وأخذ عنه وعن غيره من أهلها ، ثم قـــدم إلى مُراكش ، وتجول فيما بينها من البلاد وأثار (آثر) السكنى بسبتة ، على طريقـــة جده ابراهـــيم الأقرب اليه ، ثم عاد إلى الأندلس ، فأقام منهـــا بمالقة واختص بخطيبها الشيـخ أبي عبد الله الطنجالي ، وروى عنه وعن غيره ، وقيد الكثير بخطه ، ورام في ابتداء طلبه التشبه بالقاضي أبي بكر بن العربي في لقاء العلماء ، ومصاحبة الأدباء ، والأخذ من المعارف كلها ، والتكلم في أنواعهـــا . وكان كثير الضبط لحاله ، مهتمّاً بالنظر في تثمير ماله . على رأي ابن سحنون الذي يقول : « ما أحب أن يكون عيش الرجل إلا على قدر ذات يده ، ولا يتكلف أكثر مما في وسعه » .

وكان أبو البركات يميل إلى القول بتفضيل الغنى على الفقر ، ويبرهن على صحة ذلك . ويقول : « وبخصوص البـــلاد الأندلسية ، لضيق حالها ، واتساع نطاق مدنها ، ولا سيما في حق القضاة فقد شرط كثير من العلماء في القاضي أن يكون غنياً ، ليس بمديان ولا محتاج » .

ومن كلامه : (من اقتصر على التعيش من مرافق الملوك ضاع هو : ومن له ، وشمله القُلُّ ، وخامره الذُّلُّ . اللهم إلا من كان من القوة

بالله قد بلغ من الزهد في الدنيا إلى الحد الذي يكسبه الراحة بالخروج من متاعها ، وترك شهواتها ، قليلها وكثيرها ، مالها وجاهها ، بأمر آخر ، ومن لنا بالعون على تحصيل هذا المقام ، ولا سيما في هذا الزمان ، ولم يسمع من الولاة المتقدمين بالأندلس إلا ما حُكِيَ عن إبراهيم بن أسلم ، وقد أراد الحكم المستنصر بالله رياضته ، فقطع عنه جرايته فكتب اليه عند ذلك :

تزيد على الإقلال نفسي نزاهة وتأنس بالبلوى وتقوى مع الفقر
فمن كان يخشى صرف دهر فإنني أمنت بفضل الله من نُوَبِ الدهر

فلما قرأ الحكم بيتيه ، أمر برد الجراية وحَمْلِها اليه ، فأعرض عنها ، وتمنع من قبولها ، وقال : « إني والحمد لله ، تحت جراية من إذا عصيته لم يقطع عني جرايته ، فليفعل الأمير ما أحب » .

فكان الحكم بعد ذلك يقول : « لقد أكسبنا ابن أسلم بمقالته ، مخزاة عظم منا موقعها ، ولم تسهل علينا المقارضة فيها » .

تولى الشيخ أبو البركات ، القضاء في بلاد عديدة ، منها : مالقة صدْر عام ٧٣٥ هـ ثم نقل إلى قضاء الجماعة بحضرة غرناطة والخطابة فيها ، ثم صُيِّرَ إلى مدينة المُرِيَّة ، ثم أعيد إلى قضاء الجماعة ، واستعمل في السِّفارة بين الملوك ، فكان موفقاً في مهماته السياسية وكان كثير الرحلات من قطر إلى قطر ، والتنقل من عمل إلى عمل ، من غير استقرار في منزل أو محل ويقول في هذا المعنى عن نفسه :

ماذا تقول : فدتك النفسُ في حالي يَفْنَى زَمَانيَ في حل وترحال

وكان شاعراً ، وله ديوان كبير سماه : « العذب الأجاج » .. وهي تسمية لطيفة تدل على ذوق أدبي وشعريّ مرهف ، لا سيما إذا علمنا أن ديوانه يحتوي من ضروب الأدب جداً وهزلاً ، وله كتاب سماه :

« المؤتمن في أنباء من لقيته من أبناء الزمن » .

وفي مدينة المرية كان استقراره ، إلى أن توفي فيها في شهر رمضان عام ٧٧٣ هـ عن بنت أَمَتِهِ ، وعن أربع زوجات ، وعاصب بعمد .

نماذج من شعره

يقول ملغزاً :

ومُصْفَرَّةِ الخدين مطوية الحشا على الجمر، والمصفرّ يُؤذِنُ بالخوف
لها بهجة كالشمس عند طلوعها ولكنها في الحين تغرب في الجوف

ويقول في كتمان السر وحكمته :

إذا ما كتمت السِّرَّ عمن أَوَدُّهُ توهـم أنَّ الود غير حقيق
ولم أُخْفِ عنهُ السِّرَّ من ضِنَّةٍ به ولكنني أخشى صديق صديقي

ويقول في الغُربةِ وأسبابها وملابساتها :

قالوا : تغربت عن أهل وعن وطن فقلت : لم يبق لي أهل ولا وطن !
قضَى الأحبة والأهلون كلهم وليس بعدهم سكنى ولا سكن !
أفْرَغْتُ دمعي وحزني بعدهم فأنا من بعد ذلك لا دمع ولا حزن !

ويقول عن « إخوان الخيانة » :

رعى الله إخوان الخيانة إنهم كَفَوْنَا مؤُونَات البقاء على العهد
ولو قربوا كنا أُسارى حقوقهم نراوح ما بين النسيئة والنقد

ويقول متغزلاً :

يلومونني بعد العذار على الهوى ومثلي في حبي له لا يُفَنَّدُ !
يقولون أَمْسِكْ عنه قد ذهب الصِّبا وكيف أرى الإمساكَ والخيطُ أسود ؟

ابن عشائر السُّلمي

ولد محمد بن علي بن محمد السلمي الحلبي أبو المعالي ، ناصر الدين ابن عشائر في سنة ٧٤٢ هـ – الموافقة لسنة ١٣٤١ م – وتوفي في سنة ٧٨٩ هـ – الموافقة لسنة ١٣٨٧ م .. وهو حافظ مؤرخ . كان خطيب حلب . وسافر إلى القاهرة فتوفي بها . وله مصنفات منها : « ذيل على تاريخ حلب لابن العديم » في أربعة مجلدات . و « تاج النسرين في تاريخ قنسرين » [١] .

أبو الفضل السُّلمي

أحد علماء إفريقية الشمالية . ولعل اسمه وكنيته شيء واحد . ويكنى أيضاً أبا القاسم السلمي الباجي وهو أحد فقهاء تونس المدرسين بها . قال أحمد القلقشاني : كان فقيهاً محققاً ، من أهل الدين والفضل والعلم التام .

توفي بتونس أول المحرم عام ٧٧٠ هـ [٢] .

حسن بن أحمد السُّلمي المكي البزاز

هو حسن بن أحمد بن محمد بن سلامة بن عطوف بن يعلى السُّلمي الملكي البزاز – بزاءين منقوطتين – ويلقب : بدر الدين .

أجاز له جماعة من أصحاب الفخر بن البخاري وغيرهم . وحدّث ،

---

١ الاعلام للاستاذ خير الدين الزركلي عن مصادره .

٢ الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، لمحمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج ، ص ٦٨١ و ٦٨٢ ، الجزء الأول ، القسم الثالث ، طبع تونس .

وهو من شيوخ مكة الذين خرَّج لهم المحدث جمال الدين بن مرسي المراكشي . وصار كفيف البصر ، بأخَرَة ، وكان يبيع الحرير والبزّ ، ومن هنا لُقِبَ بالبزاز [1] . وزاد السخاوي أنه يعرف بابن سلامة .

مولده ووفاته

ولد حسن البزاز السلمي سنة إحدى وخمسين وسبعمائة بمكة ، وتوفي في ليلة ثالث جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وثمانمائة ، بمكة . ودفن بالمعلاة [2] .

محمد بن ابراهيم الصدر السُّلمي

هو محمد بن ابراهيم بن اسحق بن ابراهيم بن عبد الرحمن الصدر : أبو المعالي ابن الشرف السلمي المناوي نسبة لمنية القائد فضل بن صلح من أعمال الجيزية — (الجيزة) ثم القاهري الشافعي القاضي ، سبط الزين عمر البسطامي القاضي .

حفظ القرآن والتنبيه وغيره . وسمع من الميدومي وغيره . وناب في الحكم وهو شاب . وولي إفتاء دار العدل ، والتدريس بالشيخونية والمنصورية والسكرية . ودرَّس ، وأفتى قليلاً ، وخرَّج أحاديث المصابيح ، وتكلم على أماكن منه ، وسماه : « كشف المناهي والتنافيح في تخريج أحاديث المصابيح » . وكتب شيئاً على جامع المختصرات ، وغير ذلك . وولي

---

١ في الضوء اللامع للسخاوي جاء لقبه هكذا : (البزار) بالراء في الآخر .. ولعله تحريف إما من الناسخ أو من الطابع . راجع الصفحة ٩٤ ، المجلد الثالث .

٢ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للفاسي ، ص ٦٦ و ٦٧ ، الجزء الرابع ، والضوء اللامع للسخاوي ، ص ٩٤ ، المجلد الثالث .

القضاء بالديار المصرية ، استقلالاً في أيام المنصور حاجي ، ومدبر المملكة منطاس ، عوضاً عن الناصري بن الميلق ، وذلك في يوم الخميس سلخ شوال ٧٩١ هـ فباشر القضاء بشهامة واستقامة ، إلى أن صُرِفَ عنه بعد أقل من شهرين في ٢٧ ذي الحجة منها ، بالبدر بن أبي البقاء ، ثم أعيد في ثاني المحرم ٧٩٥ هـ ثم صرف في سنة ٧٩٦ هـ بالبدر بن أبي البقاء أيضاً ، ثم أعيد في شعبان ٧٩٦ هـ ، ثم صرف بأحد نوابه : التّقيّ الزبيري ، في جمادى الأولى ٧٩٩ هـ . ثم أعيد في رجب ٨٠٠ هـ . ودرّس بجامع طولون وجامع الشافعي ، وغيرهما ، من الوظائف المضافة إلى القضاء . ومات الظاهر برقوق أثناء ولايته هذه ، فَأَمِنَ على نفسه ، لكونه غير مطمئن إليه ، لما اتفق من أن ابتداء ولايته كان من قبل منطاش والناصري . وفي أيام غير الظاهر برقوق لا يتجرأ أحد عليه ، لما ثبت له من المهابة في قلوب الناس ، وعندما سافر « الناصر فرج » إلى الشام لقتال الطاغية تيمورلنك سنة ٨٠٣ هـ كان « محمد السلمي » مِمَّن برز معه ، ولم يحسن المداراة مع عدوه فأهانه ، وبالغ في ذلك حتى مات في القيد ، غريقاً في نهر الزاب بالفرات عند قنطرة باشا ، في شوال من السنة المذكورة . وكان بعض التمرية أسروه . ولما جازوا به النهر خاض الأمير هو وأتباعه ، لازدحام غيرهم على القنطرة ، فغرق القاضي ، لتقصيرهم في حقه ، بعد أن قاسى أهوالاً . وكان مولده في ثامن رمضان سنة ٧٤٢ هـ وأبوه (ابراهيم) كان عندئذ ينوب في القضاء عن العز بن جماعة .

وله ترجمات في كتب عديدة . وممن ترجمه ابن ظهيرة . والمقريزي وآخرون .

وكان ذا هيبة عظيمة ، وذا نزاهة ، وقوة نفس ، وحشمة ، وكان ذا دنيا متسعة ، وكان كثير التودد إلى الناس ، مُوَقَّراً عند الخاص والعام ، محبباً إليهم .. وكان يُعْنَى بتحصيل نفائس الكتب ، ولما استقل

بالقضاء لانَ جانبُه كثيراً ، مع تفضل على الطلاب بالإطعام ، وسع مداراة لمن قد يقصر في حقه بالستر ، مع قدرته على هتك ستره بالانتقام منه . ولم يعقب [1] .

محمد بن عثمان بن محمد بن اسحق السلمي

جده الثالث هو : ابراهيم البدر بن الفخر بن التاج السلميّ المناوي ثم القاهريّ الشافعيّ ، أخو البهاء أحمد الماضي . استقر شريكاً له بعد موت أبيهما في تداريسه . وقد رأى السخاوي بخطه أنه يروي عن ابن عم والده : الصدر المناوي . وقال في ترجمته : (والظاهر أنه من أهــل هذا القرن » . وأضاف قوله : « ثم رأيت من عرض عليه سنة ثلاث وثمانمائة » [2] . وبذلك تأكد أنه من أهل القرن الهجري التاسع الذي ترجم لهم السخاوي في كتابه وقصر تراجمه عليهم .

محمد بن مسعود السمرقندي السلمي

صاحب التصانيف الكثيرة التي تزيد على مائتي مــؤلف . وهو من اهل سمرقند .

ابو بكر السلمي

هو أبو بكر آخر غير من سبقت ترجمته في هذا الفصل .

---

١ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع–لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي ، ص ٢٤٩ و ٢٥٠ ، الجزء السادس ، طبع بيروت .

٢ الضوء اللامع ، ص ١٤٩ ، الجزء الثامن .

واسم أبيه : محمد بن اسحق بن ابراهيم بن عبد الرحمن الشرف ابن التاج السلمي المناوي الشافعي . ولد قبل سنة ٧٦٠ ﻫ . واجاز له ابن جماعة فهرست مروياته ، واشتغل قليلاً ، وقرأ (التنبيه) وسمع على البهاء ابن خليل وغيره ، وناب في الحكم عن ابن عمه الصدر محمد ابراهيم الذي تقدمت ترجمته في هذا الفصل ، ودرّس بعدة أماكن ، وخطب بالجامع الحاكمي ، وكان مُزْجَى البضاعة .

مات ابو بكر السلمي هذا في جمادي الآخرة سنة ٨٠٩ ﻫ وقد قارب الخمسين . وقال المقريزي : مات عن نحو الخمسين [١] .

محمد بن عثمان بن محمد السلمي السويدي الدمشقي

سمع من ابن الشيرجي ، جزء الانصاري ، ومن علي بن موسى الصفدي ، والتقي بن رافع ، وجماعة ، ووقّع في الحكم ، في ولاية البلقيني لقضاء دمشق ، وفاق أقرانه في ذلك . قال ابن حجي : كان صحيح العدالة ، محرراً عارفاً بالشروط ، انفرد بذلك في وقته ، مع حسن خطه ، وجودة ضبطه . وقد حَدَّثَ قليلاً .

مات في ربيع الأول سنة ٨١٥ ﻫ [٢] .

محمد بن عبد الله السلمي

اسم والد أبيه المذكور : موسى بن رسلان بن زين الدين موسى بن إدريس بن موسى بن موهوب ، البدر أبو عبد الله بن الجمال أبي محمد ابن الشرف أبي البركات السُلمي . بضم المهملة — الدمشقي الشافعي .

---

١ الضوء اللامع ، ص ٦٩ ، الجزء الحادي عشر .

٢ الضوء اللامع ، ص ١٥٠ ، الجزء الثامن .

ولد في ذي الحجة ليلة عرفة سنة ٧٥٣ ﻫ وحضر – وهو في الخامسة في عاشر رمضان سنة ثمان وخمسين [1] على العماد ابن كثير الحافظ ، منتقى من رابع حديث سعدان بسماعه على الحجار ، وسمع على محمد بن موسى ابن سليمان بن الشيرجي جزء الأنصاري مع الفوائد ، وعلى الشمس محمد ابن موسى بن سند الحافظ ، بعض المائة انتقاء العلائي من مشيخة الفخر.. وحدّث وسمع منه الفضلاء .

مات محمد بن عبد الله السلمي في ذي الحجة سنة ٨٣٧ ﻫ . أي في الشهر الذي ولد فيه بعد أربع وثمانين سنة من عمره المديد [2] .

محمد بن حسن السلمي

جده الأول هو : أحمد بن محمد بن سلامة بن عطوف بن يعلى السلمي المكي .

مات المترجم – في مكة سنة ٨٤٤ ﻫ [3] .

منصور بن محمد بن عبد العزيز السلمي

نَسَبَهُ السخاوي فقال : منصور بن محمد بن عبد العزيز بن سليمان بن عمر السلمي المتناني . – متنانة من أعمال بجاية – البجائيُّ المغربي المالكي .

ولد سنة ٨٦٥ ﻫ . وحفظ القرآن المجيد ببلده ، ثم تحول إلى بجاية في سنة ٨٧٨ ﻫ فاشتغل في الفقه والأصلين والعربيـة والمنطق والفرائض

١ العماد ابن كثير توفي سنة ٧٧٤ ﻫ . راجع الاعلام للزركلي ، ص ٣١٧ و ٣١٨ ، الجزء الأول .

٢ الضوء اللامع ، ص ١١٥ ، الجزء الثامن .

٣ الضوء اللامع ، ص ٢١٨ ، الجزء السابع .

والحساب ، وغيرها ، وارتحل إلى تونس ، وقدم القاهرة سنة ٨٧٩ ه ليحج فلم يتيسر له ، وتخلف عن الحج ، وكتب السخاوي له اجازة ، وكان والده محمد حيّاً ، إذ ذاك ، وكان يقرىء الناس في البادية . وحينما ترجم السخاوي لمنصور هذا ، كان عمره قد بلغ ٦٥ عاماً [1] .

أحمد بن محمد بن علي بن محمد :
الشهاب ، السلمي ، المنصوري ، الشافعي ثم الحنبلي

يعرف المُتَرْجَمُ بابن الهائم وبالمنصوري . و « المنصوري » نسبة إلى المنصورة بمصر .

ولد ابن الهائم في سنة ٧٩٨ ه . وقال فيما كتبه إنّ مولده كان سنة ٧٩٩ ه . وبلفظه انه قبيل القرن بيسير ، في المنصورة . ونشأ بها فحفظ القرآن ثم انتقل منها إلى القاهرة ، فحفظ التنبيه والملحة في النحو : (لمحة الأعراب) ودرس التنبيه على الشرف عيسى الأقفهسي ، وألفية ابن مالك على الشمس ابن الجندي .. وسمع الحديث على شيخ السخاوي والرشيدي ، وتنزل في حنابلة الصوفية ، بالشيخونية ، وتعانى الأدب ، وطارح الشعراء ، وصار بأخَرَةٍ أوْحَدَ شعراء القاهرة مع عدم تقدمه [2] في الفنون ، حتى كان العز قاضي الحنابلة – وناهيك به – يرجحه على كثيرين . وقد حج وامتدح النبي (ص) بعدة قصائد .

وقال في مولودٍ وُلِدَ للسخاوي ، يهنؤه به :

لِيَهْنِكَ شمسَ الدين فَرْعُكَ مشبهٌ سجاياكَ ، والقطر الشهيُّ من الطّخا

---

١ المصدر السابق ، ص ١٧٢ ، الجزء العاشر .

٢ مما يسترعي الانتباه ، استعمال محمد بن عبد الرحمن السخاوي وهو من أهل القرن الهجري العاشر . لصيغة : (التقدم) في المعنى الذي تستعمل له في العصر الحديث وفي الأدب الحديث .

وذلك من جود الإله وفضله ففرعك من جود[1] وأصلُك من سخا

وإذا كان هذا « نموذج » روائع شعر ابن الهائم السلمي في نظر السخاوي ومعاصريه من أهل القرن التاسع الهجري — وقد قال السخاوي في شعره : (صار بأخرَة ، أوحد شعراء القاهرة) — فإن الشعر في ذلك العصر ، عامة كان في دركة منحطة ..

وعجيبٌ أن يضيف السخاوي إلى وصفه لابن الهائم بالأوحدية بين شعراء القاهرة ، قوله : (مشاراً اليه بالشعر في الآفاق) إذ مفهوم ذلك أنه كان في نظر معاصريه من أعلام شعراء الآفاق ، مشاراً اليه بينهم برفعة الشاعرية والإبداع فيها والإمتاع ..

مات ابن الهائم بعد انقطاعه يوم الاثنين ، سادس جمادى الآخرة سنة ٨٨٧ هـ[2] .

ابن الحاج السلمي

هو : « الطالب بن حمدون بن الحاج حمدون السلمي ، المعروف بابن الحاج . وهو مغربي الموطن على ما يبدو من اسمه .. وله من المؤلفات : « حاشية على شرح « مَحْرَق » على لامية الأفعال لابن مالك »[3] وكتابُ العقد الجوهريّ ، من فتح الحيّ القيوم في حل شرح الأزهريّ على مقدمة ابن آجروم » .. وهي حاشية على شرح الشيخ خالد الأزهريّ على الآجرومية . أتمّها سنة ١٢٦٩ هـ[4] .

---

١ في طبعة أوفست كونروغرافير ، بيروت ، ما نصه : (فقرعك) بالقاف بعد الفاء . وواضح من سياق البيت أن الصحة : (ففرعك) بفاءين كما أثبتناه .

٢ الضوء اللامع ، ص ١٥٠ و ١٥١ ، الجزء الثاني .

٣ طبعت بفاس في سنة ١٣١٥ هـ وبمصر .

٤ معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف إليان سركيس ، ص ٧٠ .

محمد بن حمدون المرداسي السُّلمي

عالم جليل من فاس ، بالمغرب الأقصى .. له مشاركة في العلوم ، وكُتُبٌ كثيرة ، منها : « النشر على مبادىء العلوم العشر » و « الإشراف على من مات بفاس من مشاهير الأشراف » .

توفي سنة ١٢٧٤ هـ — ١٨٥٨ م .

وقال عنه صاحب « معجم المؤلفين » استناداً إلى « معجم المطبوعات العربية والمعربة » لإليان سركيس وعلى « فهرس المكتبة التيمورية » بمصر ، و « فهرس دار الكتب المصرية » — إنه « نَظَمَ » أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك » و « حواشي عليه » لابن هشام ، مع شرح النظم للمؤلف .

وقد راجعنا ما ورد في « معجم المطبوعات العربية والمعربة » فإذا الأمر كما ورد في معجم المؤلفين ، وقد أضاف إليانُ سركيس إلى ما ذُكر قولَهُ : « وبأوله ترجمته ، وإنه — أي الكتاب الذي نظم به أوضح المسالك طبع بفاس سنة ١٣١٨ هـ »[1] .

١ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ، ص ٢٧٠ ، الجزء التاسع ، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ، ص ٧٠ ، طبع مطبعة سركيس بمصر سنة ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٨ م .

عالمات من بني سُليم

مشاركة النساء للرجال ، في العلوم الإسلامية ، وعلم الحديث النبوي خاصة ، أمر سارت بذكره الركبان .. بل إن النساء بالنسبة لعلم الحديث خاصة ، قد كُنَّ في طليعة رواته عن النبي صلى الله عليه وسلم .. وتدوينُ علم الحديث وطبقات رواته من صحابة وصحابيات ومن تابعين وتابعات وممن جاءوا أو جئن بعدهم ، طفحت به الكتب المعتبرة من قديم الزمان .

وكثيراً ما نجد من حُفاظ الحديث ورجاله ممن يشار اليهم بالبنان ، من يذكر في مشايخه وإسناده بعض النساء المزكيات في الورع والرواية والدراية . ومن يراجعْ أسفار هذا العلم يجد الشواهد تترى على ما قلناه .

وفي أثناء تجوالنا بين المصادر القديمة والحديثة وجدنا امرأة واحدة من بني سُليم ، قد أسهمت في هذا الميدان . فادرجناها في هذا الفصل .

زينب بنت الخطيب يحيى
ابن الشيخ عز الدين
ابن عبد السلام السلمية

هي حفيدة « سلطان العلماء » عبد العزيز السلمي المشهور بلقبي :

«سلطان العلماء : والعز بن عبد السلام» . وقد مرت بنا ترجمته الوافية في فصل العلماء من هذا الكتاب .

كانت زينب مُعَمَّرَةً ، إذ بلغت من العمر ٨٧ سنة . وقد رَوَتْ عن جماعة ، وحَدَّثتْ بالكثير وتفردت .

وكانت وفاتها سنة ٧٣٥ هـ [١] .

---

١ مرآة الجنان لليافعي ، ص ٢٩٠ ، الجزء الرابع .

أمراء ، وزعماء ، ومحتسبون ، وفرسان
وقادة ، وو ُلاة ، وموظفون
من بني سليم

جمعنا هذه الأنواع من بني سليم ، في هذا الفصل ، لتقــارب صفاتهم .. ووظائفهم في المجتمع .. فالأمير .. قريب الصفة من الزعيم ، والمحتسب ، كذلك . والفارس ، والقائد ، والوالي ، والموظف ، ليسوا بعيدين عن بعض في الصفة الاجتماعية العامة بالنسبة لحياة الفارس والقائد والوالي والموظف وطبيعة أعمالهم . وهم جميعاً ليسوا بمنأىً عن طبيعة ما يقوم به الأمير والزعيم والمحتسب . وإذن فهناك رابط دقيق خفي أو جلي يربط بين هؤلاء الأفراد أو هؤلاء الطوائف .. وهذا الرابط الخفي الموجود فعلاً فيما بينهم هو الذي سَهَّلَ لي أن أجمع فيما بينهم في رابط آخر ، علمي ، يلم شملهم ويبرز كيانهم كوحدات مستقلة عن بعض ، لينسجم جميعاً نــوع من الوحدة العامة والتواؤم الاجتماعي الشامل .. ويمثل هذا الرابط العلمي هذا الفصل .

نبيشة بن حبيب السلمي

يفيدنا « المبرد » بأن ربيعة بن مكدم الكناني ، كان الذي قتله هو

أهْبان بن غادية الخزاعي .

أما « قيس » فتقول غير ذلك . إنها تقول : إن قاتل ربيعة بن مُكدم هو نبيشة بن حبيب السلمي . وكان أهبان ، أخاً لنبيشة لأمه ، وكان أتاه زائراً ، وأغار ربيعة بن مكدم على بني سليم ، فخرج أهبان مع أخيه لأمه : نبيشة ، فحمل أهبان على ربيعة بن مكدم ، فقتله ، وحمل أخو ربيعة بن مكدم على أهبان فقتله . وفي تأييد ما تدعيه خزاعة من أن أهبان لا نبيشة هو قاتل ربيعة يقول أهبان :

ولقد طَعَنْتُ رَبيعةَ بنَ مُكَدّمٍ يوم الكَديدِ فَخَرَّ غير موسدِ
في عارض شَرِقٍ بناتُ فؤاده عنه بأحمر كالنقيع المُجْسَدِ
ولقد وهبتُ سلاحه وجواده لأخي : نُبَيْشَةَ قبل لوم الُحسّد [1]

وهكذا تَرَكَنا أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد ، في متاهة حول البطل الحقيقي لهذه المسرحية .. مسرحية قتل ربيعة بن مكدم .. أهي من نسج يد أهبان الخزاعي ، أم من صنع نبيشة السلمي !

إن « المبرد » في هذه القصة لم يأت لنا بالخبر الواضح الفصل .. ولعل السبب في ذلك يعود إلى تناقض ما ورد في حقيقة قاتل ربيعة ابن مكدم .. فهي قصة تدور حول أهبان الخزاعي ، ونبيشة بن حبيب السلمي . ولعل السبب في هذا « الخلط » يعود أيضاً إلى القرابة التي بين أهْبان ونُبَيْشَة من جهة الأم التي ولدتهما معاً . وهي سلمية .

هذا وقد نص ابن دريد على أن قاتل ربيعة بن مكدم الكناني هو نبيشة بن حبيب [2] .

---

١ الكامل للمبرد ، ص ٨٩ و ٩٠ ، الجزء الرابع ، طبع مطبعة النهضة بمصر .
٢ الاشتقاق – لابن دريد ، ص ٣١١ ، طبع مطبعة السنة المحمدية بمصر ، سنة ١٣٧٨ ﻫ = ١٩٥٨ م .

مرداس بن أبي عامر السلمي

هو والد عباس بن مرداس الصحابي الشاعر الفارس البطل . ووالد أبي عامر جد مرداس هو : رفاعة ، وقيل جارية بن عبد بن عبس ابن رفاعة بن الحارث بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان بن مضر [١] .

وكان مرداس ممن حضر يوم شعب جبلة في صف بني عامر وأبلى في ذلك اليوم بلاءاً حسناً .

وكان مرداس من سادة العرب ، ومن سادة سليم وفرسانها وأثريائها . وقد اشترك مع حرب بن أمية القرشي في « الْقُرَيَّة » ، وهي غيضة شجر ملتف لا يُرام .. قيل : إنهما مرّا بها يوماً ، فقال مرداس لحرب : أما ترى هذا الموضع ؟.. قال : بلى !.. قال : نِعْمَ الْمُزْدَرَعُ هو ، فهل لك أن تكون شريكي فيه ، ونحرق هذه الغيضة ثم نزدرعه بعد ذلك ؟ قال : نعم !.. فأضرما النار في الغيضة . فلما استطارت النار وعلا فيها لهبٌ ، سُمع فيها أنين وضجيج كثير ، ثم ظهرت منها حيّاتٌ بيضٌ تطير حتى قطعتها وخرجت منها . ولم يلبث مرداس وحرب أنْ ماتا . وينسبون موت مرداس إلى الجن — ربما لأنه هو صاحب الفكرة الذي أشار على حرب بن أمية بازدراع الغيضة وبإشعال النار فيها حتى ظهرت منها الحيات البيضُ وطارت هاربة منها — ودفن مرداس بن أبي عامر بالْقُرَيَّة التي استصلحها وازدرعها ، ثم ادعاها بعد ذلك كُلَيْبُ بن أبي عهمة السلمي ثم الظفري . وقد طالبَ العباس بن مرداس بحقه في (القرية) ، وقال قصيدته النونية يُخاطب بها كُلَيباً ويهجوه ويحذره من مغبة الظلم ..

---

١ مقدمة ديوان العباس بن مرداس ليحيى الجبوري ، ص ١ ، طبع بغداد ، ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨م.

وكان كُلَيب السّلمي هذا قد جحد بني مرداس حصتهم من (القرية) التي عمرها أبوهم مرداس مع حرب بن أمية . قال عباس يُخاطب كُلَيباً :

أكُلَيْبُ ! ما لك كُلّ يوم ظالماً ... والظلم أنكد وجهه الملعونَ
قد كان قومك يحسبونك سيداً ... وإخال أنك سيّدٌ معيونُ
فإذا رجعت إلى نسائك فادّهِنْ ... إن المسالم رَأسُهُ مدهونَ
وافعل بقومك ما أراد بوائل ... يوم الغدير سَميُّكَ المطعونُ
وإخال أنك سوف تلقى مثلها ... في صفحتيك سنانها المسنونُ
إن (القُرَيّةَ) قد تبَيّنَ أمرُها ... إن كان ينفع عندك التّبْيِينُ
حيث انطلقت تخطها لي ظالماً ... وأبو يزيد بجوها مدفونُ

و « أبو يزيد » في البيت الأخير هو والد عباس بن مرداس .

وهكذا نرى عباساً يهدد كليباً السلمي تهديداً مباشراً ، مما يدل على أن هذا الشعر قاله في الجاهلية قبل أن يسلم ويحسن إسلامه .

ولمرداس هذا بيتان في حادث تعميره (القُرَيّةَ) التي لا نستطيع تحديد موضعها بالدقة الآن ، وربما تسعفنا بها المصادر فيما بعدُ — هو وحربِ بن أمية شريكهِ في هذه الشركة الاقتصادية المساهمة . يقول :

إني انتخبتُ لها حرباً واخوته ... إني بحبل وثيق العقد دساسُ
اني أقوّمُ قبل الأمر حجته ... كيما يقال : وليّ الأمر مرداسُ [1]

وفي هذين البيتين عدة فوائد .. منها أن مرداساً هو الذي دفع حرباً

---

[1] مقدمة ديوان العباس بن مرداس السلمي – للدكتور يحيى الجبوري نقلا عن مصادره ، ص١ و ٢ و ١٠٨ ، طبعة بغداد .

إلى العمل معه في زراعة الغيضة التي آضت مكاناً صالحاً للزراعة فسُميت (القُريّة) وعرفت بهذا الاسم . ومنها ان مرداس بن أبي عامر ، قد احتاط لأمر نجاح الشركة والعدل فيها فأشرك مع حرب إخوته ، ولم يكتف بذلك بل أبرم بينه وبينهم عقداً ربما كانَ مكتوباً ، ولذلك قال : انه يُقوِّمُ للأمر حجته وبرهانه ، قبل مباشرته ، ليقال : إن وليَّ هذا الأمر الناجح وهذه الشركة الناجحة هو مرداس الحصيف الذي لا يمكن أن يُخدَعَ أو يغرر به .

ولعباس بن مرداس ترجمة في كتاب «معجم الشعراء» للمرزباني ، وقال عنه : يكنى أبا الهيثم ، ويقال : أبو الفضل ، وأضاف أنه «أحد فرسان الجاهلية وشعرائهم المذكورين ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ومدحه ، فأسلم ، فأعطاه مع المؤلفة قلوبهم» وقال عنه (وهو القائل :

أشُدُّ على الكتيبة لا أبالي أحتفي كان فيها أم سواها)

وهذا البيت من جملة أبيات قالها موجهاً «الانذار» فيها إلى خصمه ومنافسه : خُفاف ، وهي :

ألا من مُبْلِغٌ عني خُفافاً أَلُوكاً بيت أهلك منتهاها
أنا الرجل الذي حُدِّثْتَ عنه إذا الخَفِرَاتُ لم تَسْتُرْ بُراها
أشُدّ على الكتيبة لا أبالي أحَتْفي كان فيها أم سواها
ولي نَفْسٌ تتوق إلى المعاني ستَتْلَفُ أو أبلغَها مناها [1]

و «الألوك» : الرسالة . و «بُراها» : زينتها . وكل حلقة من سوار وقرط وخلخال وما أشبهها : برة .

---

[1] معجم الشعراء للمرزباني ، ص ١٠٢ و ١٠٣ ؛ وديوان العباس بن مرداس ، ص ١١٠ .

العباس بن أنس الأصم السلمي

هو من فرسان الجاهلية وشجعان العرب ، وله ذكر في وقائعهم [1] .

عمرو بن رياح – الشريد السلمي

من سادة سليم بن منصور . وهو والد الخنساء ، وصخر ، ومعاوية ومالك . اعترف له العرب بشرف المكانة .

ووالده : رياح بن عمرو .. وقد غلب عليه لقب « الشريد » لقوله :

تولى إخوتي وبقيت فرداً وحيداً في ديارهمو شريدا [2]

وقد أورد المؤرخون قصة النعمان بن المنذر مع كسرى ملك الفرس . وكان كسرى طعن في شأن العرب ورد عليه النعمان في ذلك ، في بيان عربي فصيح مؤدّب ، مما استوجب إعجاب كسرى ببيانه وكِسْوَتَهُ . ولكن النعمان شعر من فحوى كلام كسرى في توهين أمر العرب والحط من كرامتهم ، أنّ وراء الأكمة ما وراءها .. فلما غادر إلى الحيرة رأى أن يبعث إلى نفر من سادة العرب يدعوهم للحضور اليه . وكان من بينهم عمرو بن الشريد السلمي ، وقد حدثهم النعمان بما كان من أمر كسرى ومقاله ، وقال لهم : « قد سمعت من كسرى مقالات تَخَوّفْتُ أن يكون لها غَوْرٌ ، ويكون إنما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خَوَلاً – عبيداً – كبعض طماطمته – أي قومه الذين في

---

١ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – لجواد علي ، ص ٢٦١ ، الجزء الرابع ، طبع دار العلم للملايين في بيروت ؛ وكتاب الاشتقاق ، ص ٣١١ .
٢ البيان والتبيين – للجاحظ ، ص ٢٨٩ ، الجزء الأول ، طبع المطبعة الرحمانية بمصر .

لسانهم عجمة ولا يفصحون – في تأديتهم الخراج اليه) .. وقد استحسن الحاضرون من رؤساء العرب كلام النعمان ورأيه ووافقوه في اتباع ما ينصح به .. فَبَيَّنَ لهم أن من رأيه أن « يسيروا بجماعاتهم إلى كسرى ، وأن يتكلم كل منهم بما حضره من الكلام المرتجل ، لكي يعلم كسرى أن العرب على غير ما يظن ، أو تحدثه نفسه به ، على أن لا ينطق أحد منهم بما يغضبه ، ولا ينخزلوا – ينخذلوا – انخزال – انخذال – الخاضع الذليل . وكتب معهم كتاباً إلى كسري يخبره فيه بأنه أوفد اليه رهطاً من العرب ، لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم ، وعقولهم وآدابهم ، لِيَسْمَعَ منهم ، ويُكرمه باكرامهم ، وتعجيل سراحهم ، وقال له : إنه قد نسبهم في أسفل كتابه إلى عشائرهم . فخرج القوم بعد أن كساهم النعمان بما في خزائنه من طرائف حُلَلِ الملوك . كسا كل رجل منهم حُلّةً ، وعَمّمَهُ عمامة ، وختّمه بياقوتة ، وأمر لكل واحد منهم بنجيبة .

ودخلوا على كسرى ، وأذن لهم بالكلام ، فتتابعوا في خُطبهم المرتجلة : أكرم بن صيفي ، فحاجب بن زرارة التميمي ، فعمرو بن الشريد السُّلمي . وقال له عمرو بن الشريد : (أيها الملك ! نعم بالك ، ودام في السرور حالك . إن عاقبة الكلام متدبرة ، وأشكال الأمور معتبرة ، وفي كثير قلة ، وفي قليل بُلْغَةٌ ، وفي الملوك سَوْرة العز ، وهذا منطلق له ما بعده . شَرُفَ فيه من شَرُفَ ، وخمل فيه من خمل . لم نأت لِضَيْمِكَ ، ولم نَفِدْ لسخطك ، ولم نتعرض لِرِفْدك . إنّ في أموالنا مُنْتَقَداً ، وعلى عزنا معتمداً . إن أوْرَيْنَا ناراً أثْقَبْنَا ، وإن ارودرفق – دهر بنا ، اعتدلنا ، إلا أنا مع هذا لجوارك حافظون ، ولمن رامك كافحون ، حتى يُحمد الصّدَرُ ، ويُستطاب الخبر » .

وقد أجابه كسرى بقوله : « ما يقوم قصد منطقك بإفراطك ، ولا مدحك بذمك » .

عباس بن رعل السلمي

كان عباس هذا أحد القادة ، في حرب الفجار التي وقعت بين قريش وأحلافها من الأحابيش ، وبين قيس عيلان ، ومنهم بنو سليم . وكانت الدبرة أول النهار لقيس على قريش وكنانة ، ومن ضوى اليهم . ثم صارت الدبرة آخر النهار لقريش وكنانة على قيس ، فقتلوهم قتلاً ذريعاً ، حتى نادى عتبة بن ربيعة يومئذ — وانه لشاب ما كملت له ثلاثون سنة — إلى الصلح . فاصطلحوا على أن عدّوا القتلى ، وودت قريش لقيس ، ما قتلت ، فضلاً عن قتلاهم . ووضعت الحرب أوزارها . وقد حضر النبي صلى الله عليه وسلم ، مع عمومته هذه الحرب ، ورمى فيها بأسهم ، وكان عمره يومئذ عشرين سنة . وكان الفجار قبل الفيل بعشرين سنة . وقالت العرب في الفجار — كدأبها في هذه المواقف — أشعاراً كثيرة [1] .

حكيم بن أمية السلمي

والد جد حكيم السلمي هو : حارثة بن الأوقص [2] بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة . كان حكيم هذا نصب نفسه « محتسباً » بمكة ، في زمن الجاهلية ، فكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . وهذا أمر عجيب : أن يقوم جاهلي في مكة من سليم بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهذا الأمر يدل على أنه كان

١ الطبقات الكبرى – لمحمد بن سعد ، ص ١٢٧ و ١٢٨ ، الجزء الأول .

٢ لعل حارثة بن الأوقص هذا ، أخ لعاتكة بنت الأوقص جدة النبي صلى الله عليه وسلم من قبل بني زهرة ، وقد ذكرت في ترجمة سيابة بن عاصم السلمي الصحابي الذي مرت بنا ترجمته في فصل الصحابة .

بمكة جالية مهمة من سليم ، وإلا ما استطاع حكيم أن يقوم بهذا الأمر الذي ربما ترى قريش نفسها أحق به منه ، لأنهم سدنة بيت الله ، المقيمون بجواره ، والمقيمون لشعائر الحج من رفادة وسقاية الخ ... وقد بلغ نفوذ حكيم السلمي محتسب مكة المتطوع إلى أن بعض سفهائها عَبّرَ – شعراً – عن « مطاردة » حكيم له ولأضرابه من السفهاء وأصحاب اللهو والمجون .. فقال ذلك السفيه :

أُطَوِّفُ في الأباطح كل يوم مخافة أن يشردني حكيم[1]

فحكيم إذن كان ذا مكانة عالية لا تُنَال ، وكان ذا نفوذ واسع في أحياء مكة ، حتى إنه كان يُطارِدُ ويُلاحِقُ مُجّانهم ، ويطهر بيت الله من وجودهم حوله . وقد يكون حكيم اكتسب هذه المنزلة الرفيعة لقرابته من « عاتكة » جَدّةِ النبي صلى الله عليه وسلم ، من قبل بني زهرة أهل والدته .

قيس بن خزاعي السلمي

ارتفع صيتُ بني سليم ، بين العرب ، حينما بعث (يوسطنيان) رسولاً اسمه : « يوليانوس » (جوليانوس) (Julianus) – إلى النجاشي ، وإلى (السميفع أشوع) (Esimphanu) حاكم اليمن في القرن السادس الميلادي[2] ليتودد اليهما وليطلب منهما باسم (العقيدة المشتركة) التي تجمعهما أن يُكَوّنا مع الروم جبهة واحدة في محاربة الساسانيين – (الفرس) ، وان يقوما مع من ينضم اليهما من قبائل العرب بمهاجمتهم ، وحَمّلَ (يوسطنيان) سفيره الآنف الذكر ، إلى (السميفع

---

1 جمهرة أنساب العرب – لابن حزم ، ص ٢٦٣ .

2 راجع ص ٤٩١ من كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، لجواد علي ، الجزء الثالث .

أشوع) رجاءاً آخر ، هو طلب موافقته على تعيين رئيس عربي اسمه (Kaisos) — (قيس) — عاملاً : (فيلارخاً) (Phyiarch) على قبيلة عربية تدعى : (معديني) — (Msddeni) أي قبيلة (معد) ليشترك معه ، ومع عدد كبير من أفراد هـــذه القبيلة ، بمهاجمة الساسانيين (الفُرس) ..

وقد رجع سفير (يوسطنيان) مغتبطاً بنجاح مهمته ، معتمداً على الوعود التي أخذها من العاهلين : « النجاشي » ملك الحبشة ، و « السميفع أشوع » حاكم اليمن ، غير أنهما لم يفعلا شيئاً مما تعهدا به للسفير ، فلم يَغْزُوَا الفرس ، ولم يعين (السميفع أشوع) « قيساً »—(فيلا َخاً) — أي عاملاً على قبيلة معد .

وقد وصف المؤرخ (بروكوبيوس) (Kaisos) (Caisus) (قيساً) بأنه كان شجاعاً ، ذا شخصية قوية مؤثرة ، حازماً ، من أسرة سادت قبيلة معد ، وقتل أحد ذوي قرابة (السميفع أشوع) (Esimiphaeus) (Esimaphaios) فتعادى معه — فعاداه — بذلك حتى اضطر إلى ترك دياره والهرب إلى مناطق صحراوية نائية ، فأراد القيصر أن يشفع له لدي (Esimaphaios) ورجاه أن يوافق على إقامته رئيساً (Phylarch) على قبيلة معد .

وهناك روايةٌ لابن اسحق جاء فيها أنّ أبرهة عَيّـنَ محمد بن خزاعي عاملاً له على مُضَرَ ، وأنّ (قيساً) كان يرافق أخاه محمداً حين كان في أرض كنانة ، فلما قتل (محمد) فرَّ — فر — إلى أبرهة [1] .

---

١ في المحبر – لمحمد بن حبيب الهاشمي البغدادي ، ص ١٣٠ ، طبعة حيدرآباد دكن ، اسم محمد ابن خزاعي هذا ،وقد وضعه في فصل :(المسمون بمحمد لما كان يبلغهم أنه يبعث في العرب نبي=

ولعلنا نستطيع من تحليل الحوادث السالف ذكرها أن نتوصل إلى تقرير هذه النظرية أو هذه النتيجة : وذلك أنه لما لم يقبل (السميفع أشوع) حاكم اليمن ، وساطة القيصر (يوسطنيان) في تعيين قيس السلمي فيلارخاً — عاملاً على قبيلة معد — أي قبيلة بني سليم المَعديّة ، ظلت فكرة تولية سلمي بَطَلٍ حازم على قبيلة بني سليم للاستعانة بقوتهم وبكثرة عددهم وببطولتهم في تطويع الخارجين على طاعة أبرهة من العرب بأرض كنانة — تراود ذهن أبرهة .. ومن ثَمَّ وَلّى محمد ابن خزاعي رئاسة القبيلة المذكورة .. ولما كان محمد أكبر سناً — فيما نرى — من أخيه قيس المرشح من قبل يوسطنيان للزعامة ، رأى قيس أن ينضوي تحت زعامة أخيه . فزعامته زعامة له هو أيضاً .. وقام محمد ابن خزاعي بمهمته حتى قتل خلال ذلك .. ففر قيس إلى أبرهة باليمن خوفاً من حدوث ما لا تحمد عقباه عليه .. ودليلنا على أن قيساً سُلمي ، هو ما ورد في سلسلة نسب أخيه محمد بن خزاعي ، من أنه : محمد ابن خزاعي بن علقمة بن محارب بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان السُّلمي . وما ذكر من أنه كان في جيش أبرهة مع الفيل يجعلنا نرى أن قتله ربما كان مع أصحاب الفيل في طريقهم إلى مكة المكرمة .

والوساطة المشار اليها آنفاً من القيصر لقيس لدى السميفع أشوع ، بأن يوليه رئاسة قبيلة معد التي نرى أن المقصود منها هو قبيلة سُلَيم المعدية ، لا قبائل معد كلها كما يتبادر من ترجمة النص الأجنبي — تضع أصابعنا على أمرين : بُعْدِ صيت سُلَيم الذي بلغت أصداؤه

= يقال له « محمد » فجعل الله النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم) . وقد أفادنا « المحبر » بسلسلة نسب محمد بن خزاعي هذا .. فهو (محمد بن خزاعي بن علقمة بن محارب بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان السلمي) ، وقال عنه : (وكان في جيش أبرهة مع الفيل . وفي ابن اسحق ان ابرهة عين عاملا له على مصر) ، « المفصل ، ص ١٧٣ ، الجزء الرابع » .

يومئذ أنحاء العالم المجاور لبلاد العرب . وشهرة بسالة قيس في مختلف الأوساط ، هي مما حمل القيصر على أن يطلب إلى (السميفع أشوع) توليته على قبيلته المعدية ، ليكون له خير معين على تطويع من يجافي دولته من العرب لتأمين سبل تجارتها الخارجية .

ولقيس هذا ابن ، اسمه معاوية . وقيس ومعاوية من الأسماء الشائعة قديماً في بني سُلَيم .. ومن هؤلاء ، الصحابي ، قيس بن نسيبة السُّلمي المُتَرجَم في فصل : (صحابة من بني سليم) ، وقيس بن سباع بن خزاعي بن محارب بن هلال ، ومعاوية بن عمرو بن الشريد ، أخو الخنساء الشاعرة السلمية المشهورة ، ومعاوية بن قرة السُّلمي الصحابي .

وقد زار والد (نونوسوس) (Nonnosos) « قيساً » مرتين ، وذلك قبل سنة ٥٣٠ م ، وزاره « نونوسوس » نفسه أيضاً ، أثناء حكمه — حكم قيس — وربما كان ذلك أثناء رئاسته لقبيلة بني سليم التي يُعَبَّر عنها في النص الأجنبي المنقول إلى العربية بقبيلة معد ... و « معد » والد قبائل ، لا قبيلة واحدة ، وربما كانت رئاسة قيس للقبيلة المذكورة بعد مقتل أخيه محمد بن خزاعي وقبل فراره هو ، إلى أبرهة أو بعده . وقد أرسل قيس ابنه معاوية إلى (يوسطنيان) ، وأعطى القيصر الإمارة لمحمد بن خزاعي أخي قيس ثم لابن قيس ، وكانت هذه الإمارة على فلسطين [1] . وربما كان هذا كله بعد إخفاق وساطة القيصر لدى « السميفع أشوع » حاكم اليمن ، في تنصيب

---

١ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – لجواد علي ، ص ١٧٣ و ١٧٤ ، الجزء الرابع . وفي الجزء الثالث منه ، ص ٤٩٢ ، أن يوسطنيان عين (حرثم بن جبلة) : الحارث بن جبلة ، عاملا (فيلارخاً) على عرب السرسين(Saracens) بفلسطين وانه كان رجلا صاحب قابليات وكفاية وتمكن من تأمين الحدود ومن منع الأعراب من التعرض لها ، وكان شديداً على المخالفين .

قيس « فيلارخاً » — عاملاً ، على قبيلة بني سليم أو على « قيس » المعدية كلها .

هذا وبمراجعتنا لعمود نسب حكيم بن أمية السّلمي ، الذي سبقت ترجمته في هذا الفصل ، والذي نصب نفسه « محتسباً » في مكة ، في زمن الجاهلية ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويطارد المُجّانَ والعابثين والسفهاء .. ويُجْليهِم عن مكة — وجدناه هكذا : (حارثة — وهو جد حكيم الأول — ابن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج — فالح — بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة السلمي .

وقيْسٌ — على ما نرى ، ويُلَمِّحُ إليه صاحب كتاب « المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام » — سُلَمِيٌّ . وإذا تأملنا نَسَبَهُ فاننا نجده هكذا : (قيس بن خزاعي بن علقمة بن محارب بن مرة ابن هلال بن فالج — فالح — بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة السلمي) .

وفي البيان المقارن التالي يتضح أن « حكيماً » و « قيساً » متساويان في عدد الآباء إلى جدهما : (مرة بن هلال) :

(١) (٢) (٣) (٤)
١ — حكيم بن أميـــة بن حارثة بن الأوقص بن مرة

(١) (٢) (٣) (٤)
٢ — قيس بن خزاعي بن علقمة بن محارب بن مرة

ويتفق محمد وقيس ابنا خزاعي في الانتساب إلى محارب بن مرة بن هلال . ومحارب — كما يبدو — أخو الأوقص ، وهما ابنا مرة بن هلال بن فالج — فالح — . كما يتفق في هذه السلسلة من النسب ، كل من البطلين : عُمير بن الحباب ، والجحّاف بن حكيم السلميين ، إلا أن خزاعي بن محارب هو الجد الرابع للجحاف ، ومحارباً هو الجد

الرابع في عمود نسب عمير [1] .

الضحاك بن عبد الله السُّلمي

كان الضحاك بن عبد الله السّلمي رئيس بني سُلَيم ، حينما كان العباس بن مرداس وخُفاف بن ندبة السلميان يتلاحيان ويتقاتلان بعد ما حَمِيَ وطيس الهجاء بينهما .. وقد جرّا معهما قبيلة بني سليم إلى التعادي والتقاتل . وقد تألم الضحاك من هذه الحرب الأهلية فأسدى لهما النصح بمجانبة ما هما عليه ، ابقاءً لمكانة القبيلة ، وصوناً لوحدتها وقوتها .. فما أصغيا لنصحه ، ولَجّا في الخصام ، وكثرت القتلى في سليم ، وحينئذ خلعتهما بنو سليم [2] .

مجاشع السلمي

قدمنا له ترجمة في فصل : (صحابة من بني سليم) ، لأنه من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونحن هنا نأتي بموجز من ترجمة حياته الإدارية والحربية والاجتماعية . فقد ولي إمارة البصرة ، نيابة عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنهما . وفي أثناء إمارته على البصرة نيابة عن المغيرة بن شعبة عاملها الأصيل من قِبَلِ عمر بن الخطاب انتهز الفرصة فغزا كابل بافغانستان ، وصالحه صاحبها « الأصبهبذ » . وكان على يديه فتح حِصْن أبرويز بفارس . وكان في يوم الجمل مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، أميراً على كتيبة بني سُلَيم ، وقد قتل في ذلك اليوم قبل الوقعة ، ودفن بداره في بني سدوس بالبصرة .

---

١ راجع جمهرة أنساب العرب – لابن حزم ، بحث سليم بن منصور ، ص ٢٦٤ .
٢ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – للدكتور جواد علي ، ص ٢٥٨ ، الجزء الرابع .

وكان مجاشع من الأجواد .. وفد عليه عمرو بن مَعْدِيكَرِبَ ، وهو في البصرة ، فأعطاه عشرة آلاف درهم ، وفرساً ، وسيفاً ، ودرعاً [1] وقال لعمرو بن معديكرب حينما وفد عليه : « أذكر حاجتك ! » فقال له عمرو : « حاجتي صلة مثلي » . فأعطاه ما ذكر آنفاً . وأضاف إلى عطيته السالفة ، غلاماً خبازاً . فلما خرج عمرو من عنده قال له أهل المجلس : كيف وجدت صاحبك ؟ قال : لله درُّ بني سليم ، ما أشَدَّ في الهيجاء لقاءها ، وأكرم في اللأواء عطاءها ، وأثبت في المكرمات بناءها . والله يا بني سليم ! لقد قاتلناكم في الجاهلية فما أجْبَنّاكُمْ ، ولقد هاجيناكم فما أفحمناكم ، وقد سألناكم فما أبخلناكم [2] ..

فلله مسؤولاً نوالاً ونائلا وصاحب هَيْجٍ يوم هَيْجٍ مجاشعُ [3]

وجاء في رواية أخرى أن مجاشعاً أمر لعمرو بن معديكرب بعشرين ألف درهم ، وفرس عتيق جواد ، وسيف صارم ، وجارية نفيسة ، فمر ببني حنظلة ، فقالوا له : يا أبا ثور ! كيف رأيت صاحبك ؟ فقال : لله بنو مجاشع : ما أشد في الحرب لقاءها ، وأجزل في اللزبات عطاءها ، وأحسن في المكرمات ثناءها ، ولقد قاتلتُها فما فَلَلْتُها ، وسألتها فما أبخلتها ، وهاجيتُها فما أفحمتُها [4] .

وهاتان الروايتان ، وان اختلفتا شكلاً ولفظاً فهما متفقتان موضوعاً ومعنى .

---

١ الأعلام – للأستاذ خير الدين الزركلي ، ص ١٦٠ ، الجزء السادس ، الطبعة الثالثة في بيروت.
٢ أي فما وجدناكم جبناء ، ولا مفحمين ولا بخلاء .
٣ العقد الفريد – لابن عبد ربه ، ص ٦٦ و ٦٧ ، المجلد الثاني ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر .
٤ لباب الآداب – لأسامة بن منقذ ، ص ٣٤٩ و ٣٥٠ ، طبع المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م .

يزيد بن معن السلمي

من الحديث التالي الذي دار بين يزيد ومعاوية يبدو لنا أنه كان أثيراً لدى معاوية ، فقد قال له حينما شق عليه سقوط مقادم فمه : والله ما بلغ أحد سنك ، إلا كَرِهَ بعضه بعضاً . ففوك أهون علينا من سمعك وبصرك .. فطابت نفس معاوية بهذه الكلمة [1] ، ولا بدّ ان معاوية كان يركن إلى رأيه ولذلك استحسن قوله . فهو اذن بمثابة مستشار خاص له فيما نفترضه من فحوى ما ذكر .

طُرَيْفَةُ بن حاجز السُّلمي

من أمراء الإسلام في بني سليم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه . وقد ثبت على دينه وحارب بني عمه المرتدين حتى نصر الله الإسلام . كتب إليه أبو بكر الصديق في قتال الفجاءة السلمي الذي ارتد ، والذي أحرقه أبو بكر بالنار . فسار طريفة في طلب الفجاءة . وكان طريفة وأخوه : معن بن حاجز ، الذي تلي ترجمته ، مع خالد ابن الوليد . وكان مع الفجاءة ، نجبة بن أبي الميثاء ، فالتقى نجبة ، وطُرَيْفَةُ ، فتقاتلا ، فقتل الله نجبة على الردة ، ثم سار طريفة مع أخيه حتى لحقا بالفجاءة السلمي ، واسمه إياس بن عبد الله بن ياليل ، فأسره وأنفذه إلى أبي بكر ، فلما قدم عليه أوقد له ناراً ، وأمر به فقذف فيها حتى احترق [2] .

---

١ البيان والتبيين – للجاحظ ، ص ٦٦ ، الجزء الأول .

٢ الاستيعاب في معرفة الأصحاب – لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ، القسم الثاني ، ص ٧٧٦ ، طبعة نهضة مصر ، بمصر .

مَعْن بن حاجز السلمي

كان هو وأخوه طُريفة بن حاجز مع خالد بن الوليد مُسلميْن في الردة .. وكان معن أميراً لأبي بكر رضي الله عنه على بني سُليم ، وقد ثبته الله على الإسلام هو وأخاه طُريفة بن حاجز ، وولاه أبو بكر قيادة المسلمين من بني سليم ، لمحاربة المرتدين عن دين الله منهم . وعندما تلقى كتاب أبي بكر بذلك استخلف أخاه طُريفة بن حاجز على عمله ، وسار إلى المرتدين من قومه ليُنَاجزهم ، وقد تقدم لنا في ترجمة أخيه أنهما قاتلا الفجاءة ووقع في الأسر ، وقد أحرقه أبو بكر في ناحية المصلى — مسجد الغمامة بالمدينة [1] .

عمرو بن سفيان أبو الأعور السلمي

« فارس أهل الشام ، وكان فيمن كفر وغدر ، بِرُسُلِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقنت رسول الله ، شهراً يدعو على قبائل من سُلَيم ، منها رِعْلٌ وذَكوانُ وعُصَيّةُ ، وقال عنها الرسول : « عَصَتِ الله ورسوله » وسمى عمرو بن سفيان باسمه ولعنه ولعن سهلاً ذا الاسنان — الأشنان — وأبا سفيان . وأسلم أبو الأعور بعد ذلك وحضر فتوح الروم بالشام ، وأبْلَى ، ورأس هناك ، ثم كان رئيس الفتنة القيسية يــوم صفّين بالشام ، وعظيم القدر عند معاوية ، ومشهور الخبر ، ويقول الشعر » .

وأورد ابن الحجاج أيضاً ، أنّ معاوية غَرِضَ بجلسائه فقال لحاجبه : أطْلُبْ لي قوماً يحدثوني سواهم ، فوجد ببابه أبا الأعور ومعن بن يزيد بن

---

١ الاستيعاب — لابن عبد البر ، ص ١٤٤١ ، القسم الرابع ؛ وتاريخ الطبري ، ص ٤٩٢ ، المجلد الثاني .

الأخنس ونصر بن الحجاج بن علاط السلميين ، فأدخلهم ، فخاطبهم معاوية ، وخاطبوه بكلام طويل ، ثم أمر بإخراجهم ، فكتب اليه أبو الأعور :

مُعَاوِيَ ! أما الْتَمَسْتَ الرجا ل فتلك التي مِثْلُها يُلْتَمَسَ
فقد أمكنتك لعمري الأمو ر من الكاشفي عنك ما قد لبسْ
من ايراد أمْرٍ ، وإصدارِه وَهَمٍّ تطاولَ فيه النَّفَسْ
فاما تُرِدْنا لِيهَنْيِ الجِمَال ومَدِّ الدِّلاء وجَرِّ الْفَرَسْ
وإطراقنا بعد ثِنْي السؤا ل فليس بنا — يا ابن هند — خرَس [1]

وأبو الأعور جد عبيد السلمي أو « عبيدة » والي افريقية أو عم أبيه . واسمه عمرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعد بن خائف بن الأوقص ابن مرة بن هلال .

وكان أبو الأعور أحد قواد معاوية بن أبي سفيان [2] .

ذكر ابن عبد البر في « الاستيعاب » أنه يعد في الصحابة .. ولكن أبا حاتم الرازي أنكر ذلك وقال : لا يصح له صحبة ولا رواية . وكان من أشد الناس على عليّ رضي الله عنه . وحدث بقصة هزيمة حنين . وكان عليٌّ يذكره في القنوت ، في صلاة الغداة يقول : « اللهم عليك به » مع قوم يدعو عليهم في قنوته .

عُمَيْر بن الحُبَاب السُّلمي

هو عمير بن الحباب بن جعدة ، رأس القيسية في العراق . وأحد

١ مخطوطة « من سمي من الشعراء عمراً » — لابن الجراح ، ص ٥٤ — ٥٥ ، بمكتبة الدكتور عزة حسن المدير العام للمكتبة الظاهرية بدمشق .

٢ تاريخ ابن خلدون ، ص ٦٣٦ ، المجلد الثاني ، طبع بيروت ؛ وجمهرة أنساب العرب — لابن حزم ، ص ٤٩ .

الأبطال الدهاة .

كان عمير ممن قاتل عبيد الله بن زياد ، مع إبراهيم بن الأشتر ، بالخازر ، ثم أتى قرقيسيا ، خارجاً على عبد الملك بن مروان ، وتغلب على نصيبين ، واجتمعت عليه كلمة قيس كلها ، ونشبت بينه وبين اليمانية ، وبني كلب ، وتغلب — وقائع منها يوم ماكسين ، ويوم الثرثار الأول ، ويوم الثرثار الثاني ، والفدين ، والسكير ، والمعارك ، والشرعبية ، والبليخ ، ويوم الحشاك . وهذا اليوم الأخير — يوم الحشاك — هو الذي قتل فيه عمير بن الحباب السلمي . قتله بنو تغلب [1] . وكان بَطَلَ هذه الوقائع كلها .

وقد استشهد « المبرد » بقول عمير بن الحباب السلمي :

أنا عمير وأبو الْمُغَلَّسْ وبالقناة مازِنِيٌّ مِدْعَسْ

استشهد به على أن معنى : (دعسه بالرمح : طعنه) .

وكان مقتل عمير بن الحباب بسنة ٧٠ هـ [2] — ٦٩٠ م .

عبيدة (أو) عبيد بن عبد الرحمن السلمي [3]

هو أخو الأعور السلمي ، أو ابن أخيه . هكذا نسبوه ، وأرى

---

١ الأعلام للأستاذ خير الدين الزركلي ، ص ٢٦٤ ، المجلد الخامس ، طبع مصر ، الطبعة الثانية .
٢ الكامل للمبرد ، ص ٣٩ ، الجزء الأول طبع مطبعة نهضة مصر .
٣ في كتاب جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ورد اسمه هكذا : « عبيد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي الأعور » . وقال عنه : « ولي إفريقية » . وكذلك اسمه عند ابن خلدون ، ففي كتاب العبر لابن خلدون ، أنه : « عبيد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي الأعور =

بناءاً على ما سبق عن أبي الأعور أن المناسب أن يكون عبيدة ، حفيده ، أو ابن عم أبيه .

قَدِم عبيدة ، أو عبيد بن عبد الرحمن السلمي إلى « افريقية » في سنة عشر ومائة ، والياً عليها من قبل هشام بن عبد الملك ، الخليفة الأموي بدمشق .

وقد حَدَّثَ موسى بن أشعث عن قصة مقدم عبيدة أو عبيد من المشرق إلى المغرب — كما شاهدها — وهي قصة طريفة ومثيرة تعبّر عن نفسية عبيدة أو عبيد السّلمي ، وعن اتجاهاته وأخلاقه .. وخاصة في الفقرة التي يُخاطب فيها الأميرُ عبيدةُ أو عبيدٌ ، هذا الرجلَ الذي يقابله مصادفة وهو على مداخل القيروان ، وأعني به موسى بن الأشعث فيقول له : (أنا أميرك عبيدة بن عبد الرحمن) .. وهذا اعتزاز واضح بالنفس وبالمنصب ، لعله هو الذي حمله على أن ينكل بكبار الناس في إفريقية ، عقِبَ مباشرته لأعمال منصبه . وكان من هؤلاء « أبو الخطّار » ابن ضرار الكلبي المجاهد السريّ الكريم ، والشاعر الفحل ، وقد حمل عليه أبو الخطّار حيال تنكيله به ، في نفسه ، فأرسل — سِرّاً — قصيدته السياسية المثيرة العنيفة إلى الخليفة هشام ، فلما قرئت عليه استشاط غضباً على عبيدة وعزله عن ولاية إفريقية ، وَوَلّى مكانه أحدَ الموالي مما سيأتي تفصيله . ونحن نعلم ما كان قد حدث بين قيس — ومنهم بنو سُلَيم معشر عبيدة — وبني كلب من قتـال ضارٍ في « مرج راهط » وعقابيل ذلك ، ولعل هذه الحرب الضروس التي انهزمت فيها

= السلمي » ، ص ٦٣٦ ، المجلد الثاني . وفي تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق القيرواني ، ص ١٠٤ ورد اسمه (عبيدة) بالتاء المربوطة . وفي الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى – لأحمد ابن خالد الناصري ، أنه « عبيدة بن عبد الرحمن السلمي » أيضاً وأنه« ابن أخيأبي الأعور السلمي وقيل ابن ابنه » ، ص ١٠٤ ، المجلد الأول ، طبع دار الكاتب بالدار البيضاء بالمغرب الأقصى .

قيس ، ووقعت فيها مقتلة عظيمة منهم ، كانت السرّ الدفين وراء حرد عبيدة على أبي الخطار ، ونحن نعلم أيضاً مكانة بني كلب في الدولة الأموية منذ تزوج معاوية ابنتهم ميسون وأولدها يزيد بن معاوية ، ومنذ ناصروا ، الأمويين ، وأيدوا خلافتهم ضدّ عبد الله بن الزبير ، وضد أشياعه الكثر في الشام حتى وضعوا في يد الأمويين صولجان الخلافة أو الملك .. فلا غرو أن يأخذ هشام — وهو ابن عبد الملك — الخليفة أو الملك الذي ساعدته بنو كلب باصرار على توليه الحكم ومشت في ركابه حتى آخر الشوط ضد خصمه الألَدّ في مكة : عبد الله بن الزبير ، وضد مناصريه القروم من قيس ومنهم بنو سُلَيم .. لا غرو أن يأخذ بناصر أبي الخطار الكلبيّ فيستشيط غضباً للاهانة التي لحقته فيعزل الوالي السّلمي الجريء المتهور : عبيدة أو عبيد بن عبد الرحمن الذي تجاوز حده ، فقسا على أبي الخطّار الكلبي .

بعد هذه المقدمة ، ها نحن أولاء ننقل لك ما دار بين عبيدة أو عبيد بن عبد الرحمن السلمي أمير إفريقية ، وموسى بن الأشعث ، من حِوارٍ . قال موسى بن الأشعث :

« خَرَجْتُ من منزلي إلى الرملة . وكانت سكةً للبريد .. فبينا أنا متوجه نحو القيروان ، إذ أنا بركب ثمانية على دواب البريد ، فتصديت للقائهم ، فإذا قوم سَراة ، أجد عرف المسك كلما ضَرَبَتِ الريحُ إليّ ، منهم ، فسلم أحدهم ، وهو من أحسنهم هيئة وملبساً ومركباً ، فرددتُ عليه السلام ، وقال : سِرْ هاهنا !.. فَمِلْتُ اليه ، آخذاً معهم نحو القيروان ، فسألني عن بعض حديث الناس والبلد ، سُؤالَ من لا يعرف البلد . فقلت : إذا توالت الغيوث ، فالواحد مائة . قال : ينبغي أن يكون فحصاً مِسْناتاً ، يعطي عاماً في أعوام . قلت : أجل ! وقد سألتني ، فأخبرتك ، وأنا أُحِبُّ — أصلحك الله — أن أعرف من أنت ؟ فإني أرى شَارَةً . قال : (أنا أميرك عُبيدة بن عبد الرحمن)

فما زلتُ أساقطه الحديث ، مرة أُنشِئ ، ومرة أُجيبُ ، حتى جئنا مدينة القيروان ، فمال إلى دار الإمـــارة ، وذلك يوم الجمعة ، فألفى العبّاس بن ناصعة الكلبي ، قد تهيأ لشهود الجمعة ، ولبس ثيابه ، فقيل له : هذا عبيدة قد قدم أميراً . فقال : (لا حول ولا قوة إلا بالله . هكذا تقوم الساعة بغتة !) فألقى بنفسه ، فما حملته رجلاه . ودخل عبيدة بن عبد الرحمن ، بجمع الناس ، وأخذ عُمّال بِشْرٍ ، فحبسهم وأغرمهم ، وتحامل عليهم ، وعذب بعضهم ، وكان فيهم أبو الخطّار بن ضرار الكلبي ، وكان قائداً جليلاً ، ورئيساً شريفاً في قومه ، مع فصاحة وبيان ، وقَوْلِ حَسَنِ الشِّعْرِ ، ووَلِيَ في إفريقية ولايات كثيرة في إمارة بشر بن صفوان ، وولي بعد ذلك إمارة الأندلس . فقال :

أفادت بنو مروان قيساً دِماءَنا ... وفي الله إنْ لم يعدلوا ، حَكَمٌ عدلُ
وقيناكُمُ حرّ القنا بصدورنا ... وليس لكم خيل سوانا ولا رَجلُ
فلما بلغتم نيل ما قـــد أردتمو ... وطابت لكم فيها المشارب والأكلُ
تغافلتمو عنا كأنْ لم نَكُنْ لكم ... صَدِيقاً وأنتم ما علمت لنا وصلُ

وبعث بها إلى « الأبرش الكلبي » ، فدخل على هشام ، وقرأها ، فغضب هشام ، وأمر بعزل عبيدة بن عبد الرحمن ، عن إفريقية ، فقفل منها ، واستخلف على إفريقية ، عقبة بن قدامة التجيبي ، وذلك في شوال سنة أربع عشرة ومائة . وولّى هشامُ بن عبد الملك على إفريقية ، عبيد الله بن الحبحاب مولى بني سلول »[1]

---

[1] تاريخ إفريقية والمغرب – للرقيق القيرواني ، ص ١٠٤ – ١٠٦ ، طبع تونس . ونرى أن تولية هشام لعبيد الله بن الحبحاب لإفريقية كانت ضربة سياسية بارعة . فعبيد الله بن الحبحاب مولى ولا عصبية له ، وليس له من يفيء اليه سوى هشام . وقد تخلص بتوليته من تقديم أحد الفريقين المتنازعين المتنافسين على الآخر ، وهما : بنو قيس وبنو كلب على السواء .

وهكذا كانت عاقبة ولاية عبيدة السلمي . لم يصانع في أمور كثيرة ، كان على مثله أن يصانع فيها ، ليظل في إمارة هذا القطر النائي عن دار الخلافة ، أطول مدة ممكنة . لقد تعجل وطغت عاطفته ونزعاته الْقَبَلِيّةُ على عقله وحكمته ، فكانت عاقبته العزل السريع العنيف من قبل هشام . وكما قال زهير بن أبي سلمى :

ومن لم يُصَانِعْ في أمور كثيرة   يُضَرَّسْ بأنْيابٍ ويُوطَأْ بمنسم

عبد الله بن خازم السُّلمي

يكنى أبا صالح . كان شجاعاً صنديداً ، وفارساً مغواراً ، وقائد حرب مُحنكاً ، وكانت أمه سوداء .. فهو من هذه الناحية يماثل خُفافَ ابن ندبة الذي كانت أمّه (نُدْبَةُ) سوداءَ ، وكان أقوى الناس أيْداً ، وأعظمهم بسالة . وقد وُصفت قوته البطولية الخارقة فقيل ، كان أقوى من الأسد .. وذلك لأنه فتح مدينة وحده . كان على خراسان عشر سنين . وكان الحشرج بن الأشهب جمع له جموعاً ، وغلب على قهستان فسار اليه عبد الله بن خازم ، فقتله ، وأخذها منه ، ثم فتح الطبسين ، ثم ثار به أهل خراسان من العرب ، وقاتلوه فخر صريعاً بالمعركة .

ولما قدم قُتَيْبَةُ بن مسلم ، خراسانَ ، أبْلَغَ الناسَ بقوله : « من كان في يديه شيء من مال عبد الله بن خازم ، فلينبذه ، وإن كان في يده فليفظه ، وإن كان في صدره فلينفثه » . وقد عجب الناس من حسن ما فَصّل وقَسّمَ . ثم غبر بعد ذلك عيال عبد الله بن خازم ، وما بخراسان أحسن حالاً منهم ١ .

١ البيان والتبيين للجاحظ ، ص ٨٧ و ٨٨ ، طبع المطبعة الرحمانية بمصر .

ويبدو لي أن حسناً السندوبي قد دخل عليه وهم في تحقيقه الذي شرح به سيرة عبد الله بن خازم . فقد ذكر فيما ذكر أن (قَتْلَهُ بالمعركة كان في عهد معاوية سنة ٥٦ هـ)[١] . والواقع الذي يقرره التاريخ الصحيح أنّ عبد الله بن خازم كان والي خراسان لعبد الله بن الزبير ، وحاول عبد الملك بن مروان ، أن يستميله اليه بمختلف وسائل الاغراء السياسي والمادي فلم يقبل نقض بيعته لابن الزبير ، وأصرّ عليها كل الاصرار . فلما يئس عبد الملك من اجتذابه اليه سلط عليه تيار دهائه فجعل كبار معاونيه ورجاله الذين يعتمد عليهم في كفاحه وولايته ، ينقلبون عليه خفية وهو لا يدري ، ولقد تآمروا عليه حتى قتلوه في معركة ضارية جرت بينهم وبينه ، وكان ذلك بعد مقتل مصعب بن الزبير في عهد عبد الملك بن مروان وفي سنة ٧٢ هـ .

هذا وقد ترجم لعبد الله بن خازم ، كثير من المؤرخين ، وممن ترجمه ترجمة وافية صاحب « خزانة الأدب » فقال عنه : (هو أحد غربان العرب في الإسلام[٢] . وكان من أشجع الناس ، وقتله بنو تميم بخراسان في سنة اثنتين وسبعين . وكان الذي ولي قتله وكيع بن الدورقية القريعي . وكان ابن خازم أمير خراسان من قِبَل ابن الزبير . وكان أولاً استعمله ابن عامر ، على خراسان ، في أيام عثمان ، وكان أحد الأبطال المشهورين ، وقد حضر مواقف مشهورة وأبلى فيها) .

وبعد ذلك وصف لنا عبد القادر البغدادي كيف قتل ، فقال : (وهذا خبر مقتله من تاريخ النويري ، قال : (ولما قُتِلَ مصعب بن الزبير كان ابن خازم يُقاتل بجير بن ورقاء التميمي بنيسابور ، فكتب عبد الملك بن مروان ، إلى ابن خازم يدعوه إلى البيعة ، ويطعمه

١ شرح البيان والتبيين للسندوبي ، هامش الصفحة ٨٨ .
٢ خزانة الأدب ، ص ٦٥٨ ، المجلد الثالث ، طبع المطبعة الاميرية ببولاق بالقاهرة .

خراسان سبع سنين ، فامتنع ، وأطعم كتابه لرسوله . وكتب عبد الملك إلى بكير بن وشاح [1] – وكان خليفة ابن خازم على مرو – وتعهده على خراسان ، ووعده ومناه . فخلع بكيرٌ ، ابنَ خازم ، ودعا إلى عبد الملك ، فأجابه أهل مرو ، وبلغ ابْنَ خازم ، فخاف أن يأتيه بكير ، فيجتمع عليه أهل مرو ، وأهل نيسابور ، فترك بُحَيْراً [2] وأقبل إلى مرو ، فاتّبَعَهُ بحير ، فلحقه بقرية على ثمانية فراسخ من مرو ، فقاتله ، فقتل ابن خازم . وكان الذي قتله ، وكيع بن عمرو القريعي [3] .. اعتوره وكيع وبحير بن ورقاء وعمار بن عبد العزيز ، فطعنوه ، فصرعوه . وقعد وكيعُ على صدره ، فقتله ، وبعث بشيراً بقتله إلى عبد الملك ، ولم يبعث برأسه . وأقبل بُكَيْرٌ في أهل مرو ، فوافاهم حين قتل ابن خازم ، فأراد أخذ الرأس وانْفاذَهُ إلى عبد الملك فمنعه بحير) .

هذا ما قاله النويري ، ونقله عنه عبد القادر البغدادي ، صاحب « خزانة الأدب » . وقد نقد البغداديّ قَوْلَ النويري هذا ، وعلق عليه بقوله : (كذا قال النويري ، وهو خلاف قول الفرزدق :

فما منهما إلا بعثنا برأسه إلى الشام فوق الساجحات الرواسم[4]

وأقول : ان الضمير في قول الفرزدق : (فما منهما) يعود إلى « ابن قتيبة وابن خازم » – حيث قال الفرزدق في القصيدة نفسها وقبل

---

١ في تاريخ الكامل لابن الأثير ، طبعة صادر ببيروت : (ابن وساج – بالسين المهملة والجيم – ص ٣٤٥ ، المجلد الرابع .

٢ في الكامل ، لابن الأثير : (بحيراً) – بالحاء المهملة – ص ٣٤٦ ، طبعة دار صادر ببيروت .

٣ في الكامل : (أعثره) ، ص ٣٤٦ ، ط دار صادر .

٤ خزانة الأدب – لعبد القادر البغدادي ، ص ٦٥٩ ، طبع المطبعة الأميرية ببولاق ، المجلد الثالث .

البيت المار ذكره :

أتغضبُ أنْ أُذْنا قتيبة حُزّتا جهاراً ولم تَغْضَبْ لقتلِ ابن خازم

وقد حَدّثنا ابنُ الأثير ، بقصة رأس ابن خازم ، حيث قال عن رغبة بكير في أخذه إلى عبد الملك : (فمنعه بحير ، فضربه بكير بعودٍ وحبسه ، وسَيّرَ الرأس إلى عبد الملك ، وكتب اليه يخبره بأنه هو الذي قتله . فلما قدم الرأس دعا عبد الملك رسول بكير ، وقال : ما هذا ؟ قال : لا أدري ، وما فارقتُ القوم حتى قتل ابن خازم) . ثم أوْرَدَ ابنُ الأثير الروايةَ القائلة بأن قتل ابن خازم كان بعدُ .

أبو العاج : كثير بن عبد الله السلمي

هو أبو العاج كثير بن عبد الله بن فروة بن الحارث بن حنتم بن عبد بن حبيب بن مالك بن عوف بن يقظة بن عصية . ولي البصرة [1] .

الجحاف بن حكيم السلمي

أحد شجعان بني سليم وفُتّاكِهِمْ الشعراء . كان مُعاصراً لعبد الملك ابن مروان . ولما أوقعت تغلب ، ببني سليم ، وقتلت عمير بن الحباب السّلمي ، كما سبقت الإشارة اليه في ترجمته في هذا الفصل ، وتحداه « الأخطل » الشاعر التغلبي الفحل في الشعر ، لا في الحرب . تحداه في أبيات معروفة ، نهض عند ذاك الجحاف بقومه : (بني سُلَيم) مستعملاً دهاءه وشجاعته وحميته معاً ، فقتل كثيراً من التغلبيين ،

---

١ جمهرة أنساب العرب – لابن حزم ، ص ٢٦١ ، طبع دار المعارف بمصر .

وَبقَرَ بطون النساء الحوامل ، وقتل غير الحوامل ، فما كان من تغلب إزاء هذه الفتكة «الجحّافية السلمية» غير المتوقعة إلا أن يستجيروا بعبد الملك ، فأهدر دم الجحاف ، فهرب إلى بلاد الروم ، فأقام سبع سنين . وبعد موت عبد الملك أمنه الخليفة بعده : الوليد — في رواية — فرجع [1] .

هذا ومنذ معركة مرج راهط ، كانت المعارك مستعرة بين قيس وتغلب بالشام والجزيرة . وفي سنة ٧٣ هـ كان مقتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه . فهدأت الفتنة بين القبيلتين ، واجتمع الناس على عبدالملك ابن مروان ، وتكَافَتْ قيس وتغلب عن المغازي ، وإن كان في أنفس زعمائهما ورجالهما شيء كبير من الحقد على بعض ، وتكلم عبد الملك في ذلك ولكنه لم يُحكم الصلح . وبينما هم على ذلك الحال من المهادنة إذ قام الأخطل فأنشد عبد الملك بن مروان — وعنده وجوه قيس ، وفيهم الجحّاف بن حكيم السلمي — أنشده قَوْلَهُ من قصيدة كان نظمها مدحاً في بعض بني أميّة :

ألا سائِلِ الجحاف هل هو ثائر بقتلى أُصيبتْ من سُلَيمٍ وعامرِ؟!
أجحافُ إن نهبط عَلَيْكَ فتلتقي عليك بحور طاميات الزواجر
تكن مثل أبْداءِ الحُباب الذي جرى به البحر تزهاه رياح الصراصر

فوثب الجحاف ، يجر مطرفه من الغضب ... فقال عبد الملك للأخطل : ما أراك إلا قد جررت على قومك شرّاً ... ومضى الجحاف ، فأتى قومه ، وافتعل كتاباً ، وحشا جُرُباً — جمع جراب — تراباً . وقال لهم : إن عبد الملك قد ولاني بلاد تغلب . وهذه الجُرُبُ فيها المال ، فتأهبوا وامْضوا معي .. فمضوا معه . فلما أشرف على

---

١ الأعلام — للأستاذ خير الدين الزركلي ، ص ١٠٣ ، المجلد الثاني ، وغير الأعلام ، من المراجع القديمة والحديثة .

بلاد تغلب نثر التراب ، وخرق الكتاب ، وقال : ما من ولاية ، ولكني غَضِبْتُ لكم — وأخبرهم بقول الأخطل عند عبد الملك — فَاثْأرُوا بقومكم . فشدّ على بني تغلب بالبشر — ماء لهم أو جبل — ليلاً ، وهم غَارّونَ آمنون .. فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وهرب من ليلته . وكان ممن وقع في أيدي بني سُلَيم « الأخطل » الشاعر نفسه ، وكانت عليه عباءة دنسة ، فسألوه ، فذكر أنه عبد من عبيدهم ، فأطلقوه ، فقال ابن صفار في ذلك يخاطب الأخطل :

لم تَنْجُ إلا بالتّعَبّدِ نَفْسُهُ ... لَمّا تَيَقّنَ أنهم قومٌ عِدّا
وتشابهت برق العباء عليهم ... فنجا ، ولو عرفوا عباءته هَوَى

وقُتِلَ ابْنُ الأخطل المسمى بأبي غياث في غزاة الجحاف ، لبني تغلب . قال جرير ، يخاطب الأخطل في ذلك :

شَرِبْتَ الخمر بعد أبي غياث ... فلا نعمت لك النّشوات بالا

وقد بلغ الأخطلُ في طريق هروبه بليله ، عبدَ الملك بن مروان ، فاستغاث به . وقال حينما دخل عليه :

لقد أوقع الجحاف بالبشر [1] وقعة ... إلى الله منها المشتكى والمعول
فإن لا تُغَيّرْها قريش بملكها ... يَكُنْ عن قريش مُسْتَرادٌ ومرحل

وفي رواية : (مستزاد ومزحل) .

فقال له عبد الملك : إلى أين يا ابن اللخناء ؟ [2] . قال : إلى النار ،

---

١ في لسان العرب — لابن منظور : (البشر) — بباء مكسورة بعدها شين ساكنة فراء مهملة — وفسره قوله : « البشر : ماء لتغلب . والبشر : اسم جبل ، وقيلَ جبل بالجزيرة » . (أنظر مادة بشر) .

٢ في رواية معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، (مادة : بشر) : « إلى أين يا ابن النصرانية » .

يا أمير المؤمنين ... قال : أوْلَى لك لو قُلْتَ غيرها [1] .

ثم إن الجحاف لقي الأخطل فيما بعد ، فقال :

أيا مالك هل لمتني إذ حضضتني على القتل ؟ أم هل لامني لك لائم ؟[2]

وقد أورد كتاب « الهفوات النادرة » تأليف غرس النعمة أبي الحسن محمد بن هلال الصابي المتوفي سنة ٤٨٠ قصة الجحاف السلمي ، مع الأخطل ، ولكنه اختصرها بالنسبة لما جاء في كتاب « الموشح » وبينهما بعض الاختلاف في الأقوال .. وهو اختلاف غير جوهري .

قال : حضر الأخطل عند عبد الملك بن مروان ، فأنشده :

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر بقتلى أصيبت من سليم وعامر ؟

قال : فاتفق أن كان الجحاف حاضراً فكلح — فعبس — وجهه في وجه الأخطل ، وقال مجيباً :

نعم سوف نبكيهم بكل مهند ونبكي عُمَيْراً بالرماح الخواطر

يعني عمير بن حُباب السُّلمي الذي قتلته تغلب .. ثم قال (الجحاف) : لقد ظَنَنْتُ يا ابن النصرانية ، أنك لم تكن لتجترئ عليّ ، ولو رأيتني مأسوراً .. وأوعده .. فما زال الأخطل في موضعه حتى حُمّ ، فقال له عبد الملك : أنا جارك منه [3] .

أما ياقوت ، في « معجم البلدان » ، فقد ساق القصة في مـــادة (بشر) بإسهاب ، وزاد على كلا « الموشح » و « الهفوات » النادرة »

---

١ في رواية معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، (مادة : بشر أيضاً) : (لقتلتك) بعد كلمة (غيرها) بدلا من رواية الأغاني المكتفية بـ (أولى لك لو قلت غيرها) .

٢ الموشح للمرزباني ، ص ٢١٧ – ٢١٩ ، طبع دار نهضة مصر ١٩٦٥ م .

٣ الهفوات النادرة – لغرس النعمة أبي الحسن محمد بن هلال الصابي ، ص ٨٥ ، طبع دمشق ، ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

أشياء من أهمها ذِكْرُهُ أن (البشر) — بكسر أوله وسكون ثانيه — هو اسم جبل يمتد من عرض إلى الفرات ، من أرض الشام ، من جهة البادية ، وفيه أربعة معادن : معدن القار ، ومعدن المغرة ، ومعدن الطين الذي يُعمل منه البَواتِقُ التي يُسْبَكُ فيها الحديد ، ومعدن الرمل الذي في حلب ، يعمل منه الزجاج ، وهو رمل أبيض ، كالاسفيداج . وهو — أي جبل البشر — من منازل بني تغلب بن وائل ، قوم الأخطل الشاعر بطل القصة الجبان ، إلى جانب بطلها الآخر الفتّاك : الجحاف السلمي .

ويفيدنا ياقوت بأن جبل البِشْر سُمِّيَ باسم شخص هذا اسمه ، من النمر بن قاسط ، كان خفيراً لفارس ، وقد قتله خالد بن الوليد في طريقه إلى الشام .. وكان من حديث ذلك أن خالد بن الوليد لمّا وقع — (أوقع) بالفرس ، بأرض العراق ، وكاتبه أبو بكر بالمسير إلى الشام ، نجدةً لأبي عبيدة ، سار إلى عين التمر ، فتجمعت قبائل من ربيعة ، نصارى — لحرب خالد ، ومنعه من النفوذ ، وكان الرئيس عليهم ، عَقّةَ بن أبي عَقّة قيس بن البشر بن هلال بن البشر بن قيس بن زهير بن عَقّةَ بن جشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة ابن عوف بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط ... فأوقع بهم خالد ، وأسر عَقّةَ ، وقتله وصلبه ، فغضبت له ربيعة ، وتجمعت إلى الهذيل بن عمران ، فنهاهم حُرْقُوص بن النعمان عن مكاشفته ، فعصوه ، فرجع إلى أهله وهو يقول :

ألا يا اسْقياني قبل جيش أبي بكر ... لعل منايانا قريب ولا ندري
ألا يا اسقياني بالزجاج وكررا ... علينا كُمَيْتَ اللَّوْنِ صافيةً تجري
أظُنُّ خيولَ المسلمين وخالداً ... ستطرقكم عند الصباح على «البشر»
فهل لكمُ بالسير قبل قتالهم ... وقبل خروج المعصرات من الخدر ؟
أريني سِلاحي يا أميمة إنّني ... أخاف بيات القوم أو مطلع الفجر

فطرقهم خالد ، وأعجلهم عن أخذ السلاح ، وضرب عنق حرقوص ، فوقع رأسه في جفنة الخمر [1] .

وقد تحقق ظنه في طروق خالد لهم في صباح تلك الليلة . والبلاء موكل بالمنطق كما يقولون .

وقصيدة الأخطل التغلبي التي فيها بيته :

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعةً   إلى الله مِنْها المُشْتَكى والمعولُ

وردت في أول ديوانه ، في رواية أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي ، عن أبي سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي . وجاء في مقدمة تلك القصيدة أن الأخطل قالها في مدح خالد بن عبد الله بن أسيد بن أبي العيص بن أمية .. وجاء في المقدمة المذكورة قولها : (ويذكر وقعة الجحاف بن حكيم السلمي) . وبعد البيت المتقدم :

فسائل بني مروان ما بال ذمة   وحَبْلٍ ضعيف لا يزال يُوَصّلُ

إلى أن يقول :

أتاك بها الجحاف ثم أمرته   بجيرانكم عند البيوت تُقَتّلُ
لقد كان للجيران ما لو دعوتمُ   به حافل الأروى أتتكم تغزل
فإن لا تغيرها قريش بملكها   يكن عن قريش مستماز ومرْحل [2]
وتَعْرُرْ أناساً عرة تكرهونها   ونحيى كراماً أو نموت فنقتل [3]

أما البيت الذي أثار ثائرة الجحاف ، فهو مطلع خمسة أبيات

---

١ معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، ص ٦٣١ و ٦٣٢ ، المجلد الأول ، طبع إيران .

٢ هذه هي رواية الديوان . أما « الأغاني » للأصفهاني فروايته هي : (مستراد ومرحل) كما أسلفناه .

٣ ديوان الأخطل ، ص ١٠ و ١١ ، طبع مطابع أوفست علي بن علي بالدوحة ، عاصمة قطر .

للأخطل وردت في ديوانه الآنف ذكره بعد ذلك البيت الذي هو :

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر بقتلى أصيبت من سليم وعامر ؟

وفيها يقول الاخطل مُهدداً متوعداً بني سليم عامة في شخص الجحاف بن حكيم السلمي :

أجَحّافُ إنْ تَصْطَكَّ يوماً فَتَصْطَدِمْ
عليك أَوَاذِيُّ البحور الزواخر [1]
تَكُنْ مِثْل أقْذَاءِ الْحُبَابِ الذي جرى
به الماء أو جاري الرياح الصراصر [2]
لقد حان كُلَّ الْحَيْنِ من رام شاعراً
لدى السَّوْرَةِ العلياءِ عن كُلِّ شاعر

ويحدّثنا كتاب الأغاني للأصفهاني ، فيقول ما ملخصه : (إن عبد الملك أمر الوليد بن عبد الملك فحمل الدماء التي كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب ، وضَمَّنَ الجحاف ما حُمِّلَ ، فلحق بالحَجاج في العراق يسأله ما حمل ، لأنه من هوازن . وبعد لأي أعطاه عطاءاً جزيلاً ، وأدّوا البقية .

ثُم تَألّهَ الجحاف بعد ذلك ، واستأذن في الحج ، فأذن له ، فخرج في المشيخة الذين شهدوا معه ، قد لبسوا الصوف ، وأحرموا ، وبَرَوْا أنوفهم – أي خرَمُوهَا وجعلوا فيها البُرى – ومشوا إلى مكة فلما قدموا المدينة – لأنها على طريقهم من الشام إلى مكة – وقدموا مكة – ، جعل النـــاس يخرجون فينظرون اليهم ويعجبون منهم . وقـــد سمع

---

١ – ٢ هذه رواية ديوان الأخطل . أما الأغاني ففيه ، ص ١٠٦ ، المجلد الحادي عشر :

أجحاف ان نهبط عليك فتلتقي عليك بحور طاميات الزواجر
تكن مثل أبداء الحباب الذي جرى به البحر تزهاه رياح الصراصر

عبدُ الله بن عمر الحجّافَ ، وقد تعلق بالكعبة وهو يقول : اللهم اغفر لي ، وما أراك تفعل . فقال له ابن عمر : يا هذا ، لو كنت الحجّاف ما زدت على هذا القول . فقال له : أنا الحجّاف . فسكت ابن عمر . وسمعه محمد بن علي بن أبي طالب وهو يقول ذلك ، فقال له : يا عبد الله قنوطك من عفو الله أعظم من ذلك .

وكان مولد الحجّاف بالبصرة ، فهو من أبناء الجالية السلمية التي اختارت البصرة موطناً عقب إنشائها . وتوفي نحو سنة ٩٠ هـ - ٧٠٩ م

أشرس السلمي

هو أشرس بن عبد الله السّلمي . أميرٌ من الفضلاء ، كانوا يسمونه : « الكامل » لفضله . ولاّه هشام بن عبد الملك إمارة خراسان سنة ١٠٩ هـ فقَدِمَها ، وسُرّ به الناس ، واستمر إلى سنة ١١٢ هـ . وفي تلك السنة غزا المسلمون مدينة فرغانة ، وعليهم أشرس بن عبد الله السلمي فالتقاهم الترك ، وأحاطوا بالمسلمين ، وبلغ الخبرُ هشامَ بن عبد الملك ، فبادر إلى تولية جنيد بن عبد الرحمن المريّ ، على بلاد ما وراء النهر ، ليحفظ ذلك الثغر .

توفي أشرس سنة ١١٢ هـ - ٧٣٠ م [٢] أي في سنة غزوه لفرغانة وربما كان سبب وفاته اغتمامه من الاخفاق الذي مني به في هذه الغزوة وعزله من الإمارة على اثر ذلك .

عمرو بن معاوية السُّلمي

هو من ولد عمير بن الحباب السلمي ، أحد الفرسان الأربعة من

١ الأعلام - للأستاذ خير الدين الزركلي ، ص ١٠٣ ، المجلد الأول ، طبعة مصر الثانية ، والأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ، ص ١٠٥ - ١٠٩ ، المجلد الحادي عشر .

٢ جمهرة أنساب العرب - لابن حزم ، ص ٢٦٣ ؛ والأعلام - للزركلي ، ص ٣٣٢ ، المجلد الأول ، طبعة مصر الثانية .

بني سليم ، وهم : عبدالله بن خازم [1] ، والجحاف بن حكيم ، وقد مرت ترجمتهما ، وعمير بن الحباب جد عمرو هذا ، وزفر بن الحارث .

تولى عمرو بن معاوية ناحية القصرين من إفريقية ، وخرج على ابراهيم بن الأغلب مع عمران بن مجالد ، وكان وزيرَه الغالب عليه في أموره ، ثم خرج ثانية على ولده : زيادة الله بن ابراهيم . وكان قد ولاه القصرين وما إليهما ، فتغلب على تلك الناحية ، وأظهر الخلاف ، فلما ظفر به زيادة الله ، قتله وولديه : الحباب وسكتان ، ودعا أهل بيته ، فشرب معهم ، ورؤوسهم بين يديه ، فغضب لهم منصور بن نصر الجشمي المعروف بالطنبذي — وكان عاملاً على طرابلس — وتابعه الجند ، فاضطربت إفريقية على زيادة الله ، وحُصِرَ في قصره ، ولم يبق في يده إلا الساحل وقابس إلى أن قُتِلَ المنصور .

ومن شعر عمرو بن معاوية قوله يخاطب مُبارِزَه من أصحاب تمام ابن تميم يوم التقى هو وابراهيم بن الأغلب عند خروج تمام على ابن العكيّ :

مَنْ مُبْلِغٌ قولي إلى التمَّامِ   حِلْفاً بربِ الحل والحرامِ
إنك محمول على الصّمصامِ   وقد تلاقت حِلَقُ الحزامِ

ثم شد عليه عمرو بن معاوية فأرداه [2] .

يزيد بن أسيد السلمي

اسم جده : زافر بن أبي أسماء بن أبي السيد بن منقذ « فرقد » بن

---

[1] في المطبوعة التي حققها الدكتور حسين مؤنس من الحلة السيراء للقضاعي : (حازم) — بالحاء المهملة — ، ص ١١٠ ، المجلد الأول ، طبع القاهرة . والصواب أنه (خازم) بالخاء المنقوطة من فوق .

[2] الحلة السيراء ، ص ١١١ ، الجزء الأول .

مالك بن عوف بن امرئ القيس . وكان يزيد هذا من القادة في دولة بني العباس[1] ولاه أبو جعفر المنصور العباسي ارمينية ، وتولاها لولده المهدي ، وغزا الروم سنة ١٥٨ هـ ، واستولى على حصون من ناحية قاليقلا سنة ١٦٢ هـ . وكانت أمه نصرانية . وهو الذي فَضَّلَ الشاعرُ ربيعةُ الرقي عليه ، يزيدَ بن حاتم الأزدي ، في الكرم في قوله من أبيات مشهورة متداولة على ألسنة الأجيال المتعاقبة حتى الآن :

لَشتان ما بين اليزيدين في الندى　　يزيد سليم والأغر ابن حاتم
فهم الفتى الأزدي إتلاف ماله　　وهم الفتى القيسي جمع الدراهم

توفي يزيد بن أسيد السلمي سنة ١٦٢ هـ وقد تأمر ابنه أحمد بن يزيد السلمي أيضاً[2] .

أحمد بن يزيد السلمي

والده يزيد بن أسيد بن زافر بن أبي أسماء بن أبي السيد بن فرقد بن مالك بن عوف بن امرئ القيس ، من قواد بني العباس .. له ذكر في « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم .. وهو الذي فَضّل الشاعرُ ثابتٌ الرقيّ ، يزيد بن حاتم المهلبي على أبيه يزيد بن أسيد في أبيات سارت مسير الأمثال وأوردناها جميعاً في فصل « قصص من ماضي سُلَيم ».. وقد روينا له قصة مع سمسار جوار لها علاقة بالأبيات التي قيلت في هجاء أبيه .. وذلك في الفصل المذكور آنفاً .

وقد وصفوا ابنه أحمد بأنه أمير .. وقد كان ركناً ركيناً ومرجعاً أميناً للجالية السلمية التي كانت تقيم في زمنه بجرجان .. على ما يفهم من

١ جمهرة أنساب العرب – لابن حزم ، ص ٢٦٢ ، ط مصر .
٢ راجع تاريخ الكامل لابن الأثير وغيره .

فحوى أبيات للشاعر « أشجع السّلمي » .. وقد توفي أحمد هــذا بجرجان ..

وكونه ركناً ومرجعاً لقومه في جرجان يدلنا على أنه كان كريماً ووجيهاً وذا مكانة مرموقة لديهم .

معن بن أبي عاصية السُّلمي

هو مدني شاعر . استعمله زياد بن عبد الله الحارثي حينما كان عاملاً على المدينة للمنصور — استعمله على ينبع ، فحبس بعض أولياء عبد الله بن حسن ، فشتمه عبد الله فهجاه ، وقَبَّحَ . وستأتي بقية ترجمته في فصل : (شعراء من بني سليم) .

يعقوب بن داود بن عمر السُّلمي

والد جده عمر هو عثمان بن طهمان مولى أبي صالح عبد الله بن حازم — خازم — السُّلمي .

يُكَنّى يعقوب : أبا عبد الله الوزير .

كان ذا فضل في فنون العلوم ، سمحاً جوَاداً ، كثير الصدقــة والبر . وكان كاتباً لإبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب الذي خرج هو وأخوه محمد ، على المنصور ، وقُتِلَ الأَخوان في سنة خمس وأربعين ومائة ، فظفر المنصور بيعقوب فضربه واعتقله في السجن المُطْبِق ، فلما مات المنصور أطلقه ابنه المهديّ وواخاه ، وحل منه محلاً عظيماً حتى كانت كُتُبُ المهدي لا تَنْفُذُ حتى يرد كتابه بإنفاذها ، ثم استوزره في سنة ثلاث وستين ومائة ، فأنفق أموال بيت المال ، وأقبل على اللذات والشرب وسماع

الغناء ، فكثرت الأقوال فيه ، ووَجَدَ أعداؤه مقالاً فيه . فقالوا ، وذكروا خروجه على المنصور ، مع إبراهيم بن عبد الله العلوي ، فامتحنه المهدي في مَيْلِهِ إلى العلويين ، فدفع اليه بَعْضَهُم ، وقال : أشتهي أن تكفيني مؤونته ، وتريحني منه ، بعد أن توثق منه ، ووهب له مائة ألف وجارية ، فاستعطف العلويُّ ، يعقوبَ ، فأطلقه وأحسن إليه ، ووصله بمال ، فعرّفت الجاريةُ المهديَّ بالخبر ، فبعث اليه من أحضر له العلويَّ والمالَ ، واستدعى يعقوبَ ، وسأله عن العلوي ، فأخبره بأنه كفاه أمره ، فاستحلفه بالله وبرأسه [1] فحلف ، فأمر المهديُّ العلويَّ بالخروج ، فخرج ، فبقي يعقوب متحيراً . فأمر بحبسه في المُطْبِقِ أو في البئر ، فحبس فيه ، واستمر به سنين ، في أيام المهديّ والهادي ، وخمس سنين في أيام الرشيد ، حتى شفع فيه يحيى ابن خالد بن برمك عند الرشيد ، ورد اليه ماله ، وخيّرَهُ في المُقامِ حيث شاء ، فاختار مكة ، فأذن له في ذلك ، فأقام بها إلى أن مات سنة ١٨٢ هـ . وقيل سنة ١٨٧ هـ . وقيل سنة ١٨٥ هـ . كان يعقوب عالماً سمحاً جَوَاداً كثير البرّ والصدقة واصطناع المعروف مقصوداً ممدوحاً [2] . فلعل ما أصابه من الميل إلى اللذات بعد اعتقاله في السجن المطبق كان من أثر الصدمة النفسية التي مُني بها .

أسد بن الفرات السُّلمي بالولاء أيضاً

يُكنى أسد ، أبا عبد الله . وهو إمّا من خراسان من نيسابور ،

---

١ هذا من الحلف بغير الله وحكمه في الشرع الإسلامي معروف .

٢ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، لتقي الدين الفاسي المكي ، ص ٤٧٤ و ٤٧٥ ، من الجزء السابع ، طبع مصر ؛ ومرآة الجنان – لليافعي اليمني المكي ، ص ٤١٧ و ٤٢٠ ، الجزء الأول .

أو مولود بِحَرّانَ من ديار بكر .. وقيل : بل قدم أبوه ، وأمه حامل . وكان علّم القرآن ببعض القرى ، ثم اختلف إلى علي بن زياد بتونس ، فلزمه ، وتعلّم منه وتفقه بفقهه ، ثم رحل إلى المشرق ، فجمع من مالك بن أنس « موطأه » وغيره ، ثم ذهب إلى العراق ، فلقي أبا يوسف ، ومحمد بن الحسن ، وأسد بن عمرو ، وكتب عن يحيى بن أبي زائدة ، وهشيم ، والحسيب ، وأبي شريك ، وأبي بكر بن عياش وغيرهم ، وأخذ عنه أبو يوسف ، موطأ مالك .

حدّث عن نفسه ، فقال : لما خرجتُ من المشرق ، وأتيت المدينة فقدمت مالكاً ، وكان إذا أصبح خرج آذنُهُ ، فأدخل أهل المدينة ، ثم أهلَ مصر ، ثم عامّةَ الناس ، فكنتُ أدخل معهم ، فرأى مالكٌ رغبتي في العلم ، فقال لآذنه : أدْخِل القَرَوِيّ مع المِصْريين . فلما كان بعد يومين أو ثلاثة قلتُ له : إن لي صاحبين وقد استوحشتُ أن أدخل قبلهما ، فأمر بإدخالهما معي . وكان ابن القاسم وغيره ، يحملني أن أسأل مالكاً ، فاذا أجابني قالوا لي : قل له : فإذا كان كذا وكذا ؟ فضاق عليّ يوماً ، وقال : هذه سلسلة بنت سلسلة : إن كان كذا كان كذا .. إن أرَدْتَ فعليك بالعراق . فلما وَدّعْتُهُ حين خروجي إلى العراق ، دخلتُ عليه وصاحبان لي ، وهما : حارث التميمي ، وغالب صهر أسد ، فقلنا له : أوْصِنَا ! فقال لي : أوصيك بتقوى الله العظم ، والقرآن ، ومناصحة هذه الأمة خيراً — فراسة من مالك لمستقبل أسد — فوَلِيَ أسَدٌ القَضاءَ .. وقال لصاحِبَيّ : أوصيكما بتقوى الله ونشر هذا العلم .

ولما سمع أسد ، الموطأ عن مالك ، قال له : زدني سماعاً ! قال : حسبك ما للناس .

وذهب أسد إلى العراق ، وتتلمذ على أبي يوسف ، ثم ارتحل إلى

إفريقية بعدما نُعِيَ إليه أستاذه الإمام مالك بن أنَس الأصبحيّ ، وقد ارْتَجَّت العراق لموته ، وقد رآى بعيني رأسه وسمع بأذنيه كيف يقدر العراقيون مالكاً . فندم أسد على ما فاته ، وأجمع أمره على الانتقال إلى مذهبه ، فقدم مصر ، وقال : إن كان فاتني لزوم مالك فلا يفوتني لزوم أصحابه [1] . وفي مصر ألّفَ كتاب « الأَسَدِيّة » دونها عن ابن القاسم ، أكبرِ تلاميذ مالك فهي المُدَوَّنةُ . وانتشر صيت أسد ابن الفرات في تونس ، وقد كان ثقة لم يُرْمَ ببدعة .. وبسببه ظهر العلم بإفريقية ، وسمع منه علماء القيروان ووجوهها في القيروان : سحنون بن سعيد ، وأمثاله من المدنيين وغيرهم . وحينما مات قال أبو محرز الكناني — وهو أحد أعلام العلم والقضاء بتونس وكان منافساً لأسد — : (اليوم مات العلم) .

ولايته للقضاء ، فالإمارة مع القضاء

وَلّى زيادة الله ، أسَداً ، القضاء ، مشاركاً فيه لأبي محرز الكناني سنة ثلاث أو أربع ومائتين للهجرة . وكان أسَدٌ أغزر علماً وفقهاً . وكان أبو محرز أسَدّ رأياً ، وأكثر صواباً . ومكث أسد في القضاء ، مع أبي محرز إلى أن ولاّه زيادة الله سنة ٢١٢ هـ ، إمارة جيش فتح صقلية ، وأضاف اليه مع الإمارة ، القضاء . فكان ممن جمع بين منصبي القضاء والإمارة ، وَهُمْ قِلّةٌ جداً في تاريخ العالم الإسلامي . وكان أسد مع علمه أحد الشجعان . وسبب توليته الإمارة والقضاء معاً يتلخص في أن ملك صقلية نَقَضَ العهد الذي بينه وبين زيادة الله . وقد كان ملك صقلية في هدنة مع زيادة الله ، وكان في شرط الهدنة

---

١ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك — للقاضي عياض ، ص ٤٦٥ — ٤٦٩ الجزء الثاني ، منشورات دار مكتبة الحياة في بيروت .

أنّ من دخل اليهم من المسلمين وأرادوا أن يَرُدوهُ فعليهم رَدُّهُ ، فوصل إلى زيادة الله أن عندهم أسرى من المسلمين ، وأحَسّ ملك صقلية بالخطر ، فأرسل رُسُلاً من عنده إليه . فجمع زيادة الله ، العلماءَ ، وسألهم عن الأمر ، فقال أبو محرز : يُستأنَى حتى يتبين . وقال أسد : يُسألُ رُسُلهم عن ذلك . فقال أبو محرز : كيف يُقْبَلُ قولهم عليهم ؟ فقال أسد : بالرّسُل هادنّاهم ، وبهم نجعلهم ناقضين ، قال الله تعالى : (فَلاَ تَهِنُوا وَتَدْعُوا إلى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ) فَنَحْنُ الأَعْلَوْنَ .. فسأل زيادةُ الله ، الرّسُلَ — ومعنى هذا أنه أخذ برأي أسد لا برأي أبي محرز — فاعترفوا (كما قَدَّر أسد) بأنهم في دينهم لا يحل لهم ردهم . فأمر زيادة الله بالغزو إلى صقلية ، وولّى أسد ابن الفرات ، إمارة الجيش الغازي لصقلية في سبيل الله ،، فقال له أسد : من بَعْدِ القضاء والنظر في الحلال والحرام تعزلني وتوليني الإمارة ؟ فقال له زيادة الله : لا ، ولكني وليتُك الإمْرَة ، وهي أشرف . وأبقيتُ لك اسم القضاء ، فأنت أمير وقاضٍ . فخرج أسد إلى صقلية ، وشيعه كل أهل البلاد ، تنفيذاً لأمر الأمير زيادة الله . فلما نظر أسدٌ ، الناس ، حوله من كل جهة ، وقد صهلت الخيل ، وضُربَت الطبول ، وخفقت البنود ، قال : لا اله إلا الله وحده لا شريك له . والله يا معشر المسلمين ، ما وَلِيَ لي أبٌ ، ولا جَدّ ، ولا رأى أحدُ الناس من سلفي مثل هذا ، ولا بَلَغْتُ ما ترون إلاّ بالأقلام — فاجتهدوا — فأجهدوا — أنفسكم فيها ، وثابروا على تدوين العلم ، تنالوا به الدنيا والآخرة . ثم ذهب أسد بن الفرات الأمير القاضي ، إلى صقلية على رأس الجيش الإسلامي الغازي البالغ عشرة آلاف رجل ، منهم ٩٠٠ فارس ، وتصادم الجيش المسلم مع جيش ملك صقلية فهزمه الله ، وسالت الدماء على قناة لواء أسد حتى صار الدم تحت إبطه . وَرَدّ يده في بعض تلك الأيام ، فلم يستطع

مما اجتمع من الدم تحت إبطه [1] . وتوفي أسد وهو مُحاصِرٌ لسرقوسة ، أميراً قائداً ، وقاضياً . وكان ذلك سنة ثلاث عشرة ومائتين للهجرة . وقيل : أربع عشرة ، وقيل ٢١٧ هـ . وقبره ومسجده بصقلية .

كانت ولادة أسد سنة ١٤٥ هـ بِحَرّانَ ، وقيل بسنة ١٤٣ هـ ، وقيل سنة ١٤٢ هـ .. وكان قدومه إلى إفريقية من المشرق سنة ١٨١ هـ . فعلى القولين الأولين كان عمره ثمانياً وستين سنة قمرية .

هذا ولأسد بن الفرات عدة تراجم في كتب التاريخ والفقه . ومن هذه الكتب : (طبقات علماء إفريقية وتونس) — لمحمد بن أحمد ابن تميم القيرواني المتوفى سنة ٣٣٣ هـ بعد وفاة أسد بن الفرات بمائة وعشرين عاماً فقط .

عزيزة (أو) عزيرة بن قطاب السلمي

كان المقدم على بني سليم ، إبان غزو القائد (بغا) لهم من بغداد ، وهم في بلادهم الأصلية ، وذلك انفاذاً لأمر الخليفة العباسي « الواثق بالله » . وكان بنو سليم قد عاثوا في الأرض ، وأغاروا على جيرانهم من باهلة ، وكنانة بميناء الجار : (البُرَيكة) [2] — الذي كان ميناء المدينة قبل « ينبع البحر » وأوقعوا بهم — على ما فصلناه في فصل : (دور بني سليم في الأحداث العربية والإسلامية) .

كان عزيرة أو عُزيزة مقدم بني سليم ، وكان بطلاً مغواراً وفارساً

---

١ ترتيب المدارك — للقاضي عياض ، ص ٤٧٦ — ٤٧٧ .

٢ قمنا برحلة إلى البريكة من جدة مرتين ... وقد تأكد لدينا أن ميناء الجار الذي كان يمون المدينة من البحر هو هذه (البريكة) لا الرايس المجاور لها .. وقد نشرنا بحثاً مسهباً عن الرحلة وعن ميناء الجار المعروف حالياً باسم (البريكة) في مجلة المنهل بعدد جمادى الأولى «الخاص» سنة ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م .. فراجعه فيه إن شئت .

صنديداً لا يُشق له غبار . وكان يحمل على الجيش الذي يقوده بُغَا ويرتجز ويقول :

لا بد من زحم وإن ضاق البابْ انّي أنا عُزيزة بن قطابْ
لَلْمَوْتُ خيرٌ للفتى مِنَ العَابْ

وظل يقاتل إلى أن قتل ، وصلب بسنة ٢٣٠ هـ [١] .

ومن شعره :

لقد رعتموني يوم ذي الغار روعة بأخبار سوء دونهن مشيبي
نعيتم فتى قيس بن عيلان غدوة وفارسها تنعونـــه لحبيب

وقد اختلف في تحرير اسم هذا البطل السلمي . ففي النجوم الزاهرة ورد هكذا (عُزَيْرَة) . وفي الطبري كذلك ، كما ورد أيضاً هكذا (غزيرة وغديرة وغويرة) . ولا بدُّ أن تقارب الحروف أوجد هذا لاختلاف في اسمه .

علي بن وداعة السلمي

أحد الأمراء الشعراء من بني سليم في الأندلس . كان قريباً من سنة ٤٠٠ هـ .

وكان « صاعد » اللغوي المشهور قد انتهت به الحال إلى أن أُغْرِم ، فاستغاث عليَّ بن وداعة أحد الفرسان الأبطال ، وأحدَ نبهاء الدولة في ذلك الأوان ، وقد مدحه بقصيدة استعطفه فيها لاتصال نسبيهما : فصاعِدٌ من ربيعة (وربيعةُ مِن سُلَيْم سِنَانٌ زان عالية الرماح) . قال صاعد :

---

١ النجوم الزاهرة ، ص ٢٥١ و ٢٥٨ ، الجزء الثاني وغيره .

أبا حَسَنٍ ! ربيعةُ من سُلَيْمٍ سِنَانٌ زان عالية الرمــاح
وإني عائذ بك من هَنَاةٍ [1] تَحُسُّ دعائمي تحت الْقِداح
فَكُرَّ على ابن عمك وانْتَشِلْهُ فليس حِمَى ابن عمك بالمباح
فإن الجار عندك بين جَنْبَيْ عُقابُ الدَّجْنِ كاسرة الجناح
نظنك طالعــاً ببني سليم عليها عند مفتضح الصَّباح
إذا ساورت قِرْنَكَ في مكر جعلت له ذراعك كالوشاح

وله في ابن أبي وداعة (ابن وداعة) :

زار الحبيب فمرحباً بالزائر أهلاً ببدر فوق غصن ناضر
قَبَّلْتُ من فرحي تراب طريقه ومسحتُ أسفل نعله بمحاجري
وخشيتُ أن يَتَنَقَّدَ أخمص رجله من رقة فبسطتُ أسود ناظري [2]

وقد قتل علي بن وداعة في عهد هشام بن الحكم الأموي بالأندلس .

قاسم بن مرة بن أحمد السلمي

قام قاسم بن مرة بالدعوة إلى الدين الحق والسّنّة ، وذلك في المائة السابعة للهجرة ، يقول عنه ابن خلدون : « ويختلف حال صاحب الدعوة معهم — مع الأعراب — في استحكام دينه وولايته في نفسه دون تابعه . فإذا هلك انحلّ أمرهم ، وتلاشت عصبيتهم . وقد وقع ذلك بإفريقية لرجل من كعب من سليم ، يُسَمَّى قاسم بن مرة بن أحمد في المائة السابعة » .

---

١ معنى « الهناة » هنا هو : (الداهية) .
٢ الحلة السيراء — لمحمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار ، ص ٢٨٢ و ٢٨٣ ، الجزء الأول ، طبع مصر .

أبو محمد السُّلمي

كان أبو محمد السلمي ، كاتب الأمير محمد بن سعد بن مردنيش . فهو موظف رسمي ، وكانت له لماحية وذكاء وثقافة واسعة .. حدَث أن وزير ابن مردنيش بمرسية الذي هو : عبد الرحمن بن عبد الملك تحاور – ذات يوم – بين يدي الأمير مع حاتم بن سعيد من ذرية عمار ابن ياسر ، وكان صاحِبَ آراء الأمير ومن ذوي الخاصة من وزرائه ، فقال عبد الرحمن بن عبد الملك ، يخاطب الأمير ، ويلمز حاتماً : لعل الأمير اغتر بسماع اسمه : (اسم حاتم) .. ما فيه من الكرم إلا الاسم ... فقال حاتم : ولعل الأمير اغتر بسماع أمانة عبد الرحمن وما عنده من الأمانة الا الاسم . وكان عبد الرحمن بن عبد الملك هذا ، بيده المَجابي والأعال ، فقدمه على وزرائه .

فقال الأمير محمد بن سعد بن مردنيش – وقد ضحك – : الأولى فَهِمْتُ ، ولم أفهم الثانية . (يقصد أنه فهم خُلُوّ حاتم بن سعيد من الكرم ، وإن كان اسمه على اسم (حاتم طيْ) . ولم يفهم النكتة الثانية التي رمز اليها حاتم بن سعيد في غمزه لعبد الرحمن بن عبد الملك وزير الجباية والخزانة .. وعندئذ انبرى الكاتب أبو محمد السُّلمي – فشرح للأمير ابن مردنيش ما رمز اليه حاتم من الطعن في أمانة عبد الرحمن ابن عبد الملك بأن قال للأمير : (إن حاتماً أشار إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في « عبد الرحمن بن عوف » رضي الله عنه : (أمير هذه الأمة ، وأمير في أهل السماء ، وأمير في أهل الأرض »[1] .. ومعنى ذلك أن عبد الرحمن بن عبد الملك الأمين لديك أيها الأمير ، رسمياً ، على جباية الأموال والأعمال ، وإن كان اسمه على اسم

---

١ الإحاطة بأخبار غرناطة – للسان الدين الخطيب ، ص ٤٩١ و ٤٩٣ ، طبع دار المعارف بمصر .

« عبد الرحمن بن عوف » الذي هو أمين حقاً وصدقاً ، فانه – أي عبد الرحمن بن عبد الملك ليس أميناً فعلاً .. وعندما شرح أبو محمد السُّلمي الكاتب هذا المعنى العميق لهدف حاتم بن سعيد البعيد « طرب الأمير ابن مردنيش » وجعل يقول : أحسنتما .. أحسنتما .. » ... قال ذلك وهو يخاطب المتحاوريْنِ أمامه : عبد الرحمن بن عبد الملك وحاتم ابن سعيد) .

هذا ومما يلاحظ أن مطبوعة دار المعارف بمصر ، من كتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة » ورد فيها النصّ الذي سبق ذكره من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم – محرفاً . إذ ورد فيها كما سبق أن بَيّنّاهُ : « أمير هذه الأمة ، وأمير في أهل السماء ، وأمير في أهل الأرض » بالراء في ثلاث صيغ الأمير . والصواب أن الصيغ الثلاث المذكورة ، كلهن بالنون ، لا بالراء .. جاء ذلك نصّاً في كتاب « الاستيعاب » للحافظ أبي عمر بن عبد البر : (قال عبد الرحمن بن عوف لأصحاب الشورى : هل لكم أن أختار لكم ، وأنتفي منها ؟ قال علي رضي الله عنه : أنا أول من رضي .. فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أنت أمين في أهل السماء ، وأمين في أهل الأرض) .. وقال الزبير بن بكار : كان عبد الرحمن بن عوف ، أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسائه)[1] .

---

١ الاستيعاب في معرفة الصحاب – لابن عبد البر ، ص ٨٤٦ ، المجلد الثاني ، طبع مطبعة نهضة مصر ، وتحقيق محمد علي البجاوي .

سَراة وتجار ومزارعون
من بني سُليم

ربما كان السَّراة والتجار ، والمزارعون كثيرين في بني سليم ، لاتساع دائرة وجودهم في أنحاء العالم الإسلامي ، قديماً وحديثاً . وأغلب المؤرخين القدامى لا يعنون بهذه الناحية الاقتصادية ، عنايتَهُم بالنواحي التاريخية الأخرى : الدينية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والأدبية .

ولهذا – كما نرى – حُرِمْنا من الاطلاع على تراجم حيوات كثير من التجار ورجال الأعمال والسَّراة السُّلميين الذين وجدوا في مختلف الأصقاع الإسلامية منذ صدر الإسلام .. وكما زاول كثير من بني سليم شؤون العلم و الحرب والسياسة والإدارة والأدب ، وكما خاضوا معمعة خضم الحوادث وصار منهم أفراد مشهورون ذوو تاريخ خالد ومجيد ، فلا بد أنهم كذلك يوجد بينهم نفر عديدٌ في الأجيال الماضية عملوا في الحقل الاقتصادي ونجحوا فيه نجاحاً يتراوح بين السفح والوسط والقمة .

وقد مرّ بنا في فصل : « ديار بني سليم الأصلية » أن العرب في الجاهلية القريبة من صدر الإسلام كانوا يقدرون مواهب بني سليم ، ويفيدون من ثرائهم وثراء بلادهم ، فيتاجرون معهم ، ويشاركونهم

في استثمار مزارعهم وفي تجاراتهم ، كما مرَّ بنـــا في ذلك الفصل أيضاً انهم كانوا يملكون المصادر المعدنية ، وان كثيراً من أُسَرِ مكة تحالفت معهم واشتركت معهم في استغلال ثروات البلاد الزراعية والتجارية ، وأن أهم ثروات بني سليم إذ ذاك هو الذهب والفضة .

ومَرّ بنـــا أيضاً في فصل : « صحابة من بني سُلَيم » في ترجمة (الحجاج بن عِلاط السُّلمي) انه كان يملك معدن الذهب الذي يقع في ديار بني سليم . ومَرّت بنـــا أيضاً قصة مرداس والد العباس الذي أحيى هو وشريكه القرشي غابة القُرية . ومَرّ بنـــا كذلك حديث : (أبي الحصين السلمي) الذي قدم المدينة بذهب من معدن بني سليم ، فقضى ديناً كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تَحَمَّل به ، وفضل ذهبٌ مع أبي الحصين مثل بيضة الحمامة فحاول جاهداً ، أن يتقبله الرسول منه ، فأبى ذلك ، صلوات الله وسلامه عليه . وأشار له إشارة حكيمة من طريق الكناية لا التصريح بأن يصرف هذه البقية من ذهبه على من يعول .

كل هذا وذاك ، وغيره يجعلنا نؤكد — من مقتضيات الأحوال — أن هناك أشخاصاً عديدين عبر التاريخ الإسلامي من بني سُلَيم — مارسوا فن التجارة والأعمال وبرعوا فيهما .. ولا بد ان لبعضهم ذكراً في التاريخ المبعثر ، وإن كنا لم نعثر إلا على قلة ضئيلة منهم لا تكاد تذكر ، كما أن فيهم سَراة لهم مكانتهم في مجتمعاتهم .

ونحن نرى اليوم بعض بني سليم في المملكة يمارسون التجارة والأعمال الزراعية .

وهناك سلميٌ تَاجَر في الجاهلية القريبة من صدر الإسلام .

وهو :

قيس بن شيبة السلمي

ذكروا أن قيساً هذا ، كان قد تاجر بمكة في أواخر أيام الجاهلية . وكان قدم إلى مكة ، ليبيع تجارته فيها ، وحدث أن باع متاعاً له من «أبي خلف الجُمَحِيّ» ، فذهب أبو خلف بحقه ، ولم يعطه إياه ، فاستجار قيس بن شيبة السلمي ، بآل قُصَيّ ، فأجاروه . وقيل : إن هذا الحادث الذي وقع لهذا التاجر السلمي في مكة كان السَّبَبَ المباشر في عقد «حلف الفضول» المعروف [1] .

ابن الدُّغُنَّةِ السلمي

اسمه ربيعة بن رفيع بن حيّان بن ثعلبة السلمي ، وابن الدغنة هذا كان من سادة الأحابيش الذين يديرون أمورهم . ولم ينصّ ما اطلعتُ عليه من المراجع : هل كان ابن الدّغنّة السلمي ، و «الحليس» الحارثي ، عربيين صريحين ، أم كانا من بني سليم وبني الحارث بالولاء ، ولكن مكانة ابن الدغنة الاجتماعية ربما تدلنا على انه سلمي النسب .

وقد أجار ابن الدّغنّة السّلمي ، أبا بكر الصديق في مكة المكرمة ، وهذا يدل على عظم مكانته في البلد الأمين في نفوس قريش أجمعين ، كما أنه شهد معركة حنين [2] . وله ترجمة في مادة (دغن) بـ «تاج العروس شرح القاموس» ، وفي «الاستيعاب» لابن عبد البر أيضاً أن اسمه : ربيعة بن رفيع بن أُهبان ، بدلاً من — حيان — ، ابن ثعلبة السلمي ، وقال عنه : (كان يُقال له ابن الدّغنّة ، وهي

---

١ تاريخ اليعقوبي ، ص ١١ وما بعدها ، الجزء الثاني وغيره .

٢ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، للدكتور جواد علي ، ص ٣٣ و ٣٥ ، الجزء الرابع .

أمّه ، فغلبت على اسمه)[1] . وفي « جمهرة أنساب العرب » أنه (الربيع بن ربيعة بن ربيع بن أهبان بن ثعلبة بن ضبيعة بن ربيعة ابن يربوع بن سماك بن عوف بن امرئ القيس بن بُهثة بن سليم قاتِل دريد بن الصمة يوم أوطاس)[2] . وقد مرّتْ بنا ترجمته في فصل : (صحابة من بني سليم) .. وهناك أوردنا ما ذكره صاحب (الاستيعاب) من أن قتله لدريد بن الصمة كان يوم حنين ، وقد أدركه فيه ، فأخذ بخطام جمله وهو يظن انه امرأة ، فإذا برجل ، فأناخ به ، فإذا شيخ كبير ، وإذا هو دريد ، ولا يعرفه الغلام ، ثم ضربه بسيفه فلم يُغْنِ شيئاً ، قال دريد : بئسما سلحتك أملك ، خذ سيفي هذا من موئخر الرّحْلِ ، ثم اضرب به ، وارفع عن العظم ، واخفض عن الدماغ ، فاني كذلك كنت أضرب الرجال ، فإذا أتيت أمّك فأخبرها أني قتلت دريد بن الصمة ، فرب والله يوم قد منعتُ فيه نساءك . ولما رجع ربيعة إلى أمّه ، أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً[3] .

ويدلنا فحوى هذه القصة على استشراء الفوضى في بلاد العرب في جاهليتهم القريبة من الإسلام ، وأن القتل لديهم ، لسبب موجب أو لغيره ، كان أمراً مألوفاً وسنّة متبعة ، وعادة سائدة .. وإلا لماذا قَتَلَ الغلامُ ربيعةُ بن رفيع أو الربيع بن ربيعة السلمي ، هذا الشيخَ الكبيرَ في غير ترة ولا معركة ولا خصومة أو مطمع ؟...

---

١ الاستيعاب في معرفة الأصحاب – للحافظ ابن عبد البر ، ص ٤٩١ ، القسم الثاني ، طبع مطبعة نهضة مصر .
٢ جمهرة أنساب العرب – لابن حزم ، ص ٢٦٢ .
٣ الاستيعاب ، ص ٤٩١ ، الجزء الثاني .

الشريد السلمي

الشريد السّلمي كان بقية أهل بيته ، وسمّي لذلك بالشريد ، وكانت له مزرعة كبيرة عرفت في التاريخ باسم «ثنية الشريد» .. وكان فيها أعناب ونخل لم يُرَ مثلها . وحينما قَدِمَ معاوية بن أبي سفيان المدينة طلب المزرعة من صاحبها ، فأبى . ثم إن الشريد ركب ذات يوم إلى مزرعته فوجد عُمّاله في الشمس فقال لهم : مالكم ؟ فقالوا له : نسجم البثار . فركب إلى معاوية فقال : يا أمير المؤمنين إنه لم يزل في نفسي منعي إياك ما طلبت مني ، فهو لك ، بما أردت . فكتب إلى ابن أبي أحمد : أن يدفع اليه الثمن . قال : وسمعتهم يُكثِّرونه جداً ، فقال له ابن أبي أحمد : إن أمير المؤمنين لم يَسُمْكَ بها وهي على هذه الحال . فقال : إني رجوت حين صار أمري اليك ، التيسير عليّ . فدفع اليه الثمن [1] .

---

١ وفاء الوفا – للسمهودي ، ص ١٠٦٦ و ١٠٦٧ ، الجزء الثالث .

شعراء بني سليم

الشعر ديوان العرب . وبنو سليم كان منهم في الجاهلية ، وفي صبح الإسلام وضحاه وظُهْرِه ، شعراء مبرزون . وقد سبق لنا في فصل : (إزاحة شبهة عِلْميّة) أنّ أبا القاسم الحسن الآمديّ المتوفي سنة ٥٧٠ ه كان قد ألّف ستين ديواناً من دواوين القبائل العربية ، كان الرابع والعشرون من هذه الدواوين هو : ديوانَ بني سُلَيْم ، وأنّ هذا الديوانَ الجامعَ لأشعار السُّلميين وأخبارهم عبثت به أصابع الدهر . وهذا الفصل الذي خصصناه لشعراء بني سليم وشعرهم العربي الفصيح منذ الجاهلية حتّى القرن الهجريّ السابع . والفصل الذي يليه المخصص لشاعراتهم وأشعارهن هما ذَوَا فائدة واضحة من هذه الناحية ، فقد جمعنا فيهما تراجم بعض شعرائهم وطاقات من أشعارهم حتّى القرن الهجريّ السابع .. أي إلى ما بعد زمن جامع شعرهم : (الآمدي) بثمانية قرون ونيف . وقد قفيناه بشيء من شعرهم النبطي او الحميني المعاصر ، ربطاً لحلقات التاريخ قديماً وحديثاً بقدر الإمكان ، فان الشِّعر نبتة مغروسة في أعماق غرائز العرب يستوي في ذلك شعراءُ الشعر الفصيح وشعراء الشعر العامي الملحون ، المعروف في الحجاز باسم : (الحُميني) ، وفي نجد باسم : (النبطي) بفتح النون والباء .

المتنكث – او – المتنكب السُّلمي

شاعر جاهلي. له حديث مع عنترة بن شداد العبسيّ ، فهو معاصر له.

قال المتنكث أو المتنكب ، يذكر يوم النُّخَيْل ، وقد قُتِلَ فيه دَهْرٌ الجعفيْ :

ومنا أبو حرب ومنا مصرف ومنا عقال إذ وردنا إلى دَهْر
يسوق الصفايا عن خيار نسائنا ونحن غيارَى كالمسدمة الزُّهْر [1]

وللمتنكث أو المتنكب الأبيات التالية ، يمدح فيها بني خفاجة بن عُقَيْلٍ :

فسقى الإلَهُ بني خفاجة من ماء السماء بطيب الخمر
أبداً ولا زالت نفوسهمو مَحْبُوَّةً بجباية الدهر
هم يطعنون الخيل مقبلة حتى يَصُدَّ مجدة النَّفْر [2]

عمرو بن رياح بن عمرو الشريد السلمي

أبو الخنساء الشاعرة المعروفة. غلب الشريد على اسمه : (عمرو) بقوله :

تولَّى إخوتي وبَقِيتُ فرداً وحيداً في ديارِهِمُ شريدا [3]

وقد سبق لنا أن أوردنا في فصل : « أمراء وزعماء محتسبون وفرسان وقادة وولاة وموظفون من بني سليم » ترجمة عمرو بن رياح « الشريد »

---

١ الصفايا : ما يصطفيه قائد الجيش لنفسه . والمسدمة : بمعنى الفحول المشدودة الأفواه ، الممنوعة من الضراب .

٢ المحمدون من الشعراء وأشعارهم ، لعلي القفطي ، ص ٣٥٣ ،منشورات دار اليمامة . ومعجم الشعراء للمرزباني ، ص ٤٥٤ .

٣ البيان والتبيين ، ص ٢٨٩ ، الجزء الأول .

هذا كأحد زعماء العرب في الجاهلية ، وذكرنا في ترجمته ما يتعلق به من قصة إيفاد النعمان بن المنذر لنفر من سادات العرب إلى كسرى ليرى بعينيه ويسمع بأذنيه أحاديثهم المُضَمَّخَةَ بشهامة العرب ، وليطلع على إبائهم وشممهم وحيويتهم البالغة من كثب .

معاوية بن عمرو السلمي

أخو الخنساء الشاعرة المشهورة .. ذكره المرزباني في « معجم الشعراء » وأورد بعض شعره وهو شاعر جاهلي . مات قتيلاً في الجاهليـــة ، في وقعة أوردنا قصتها في فصل : « أيام بني سُليم في الجاهلية والإسلام » . وكانّ قتله قبل قتل أخيه صخر بزمن .

وقد رثتها أختها الخنساء بشعر رائع يذيب الصَّخْرَ ، وجُمع هذا الرثاء الحزين في ديوانها المطبوع .

صخر بن عمرو السلمي

أخو الخنساء أيضاً . قُتِل في أيام الجاهلية في احدى المعارك القَبَلِيَّةِ حسب ما فصلناه أيضاً في فصل : « أيام بني سليم في الجاهلية والإسلام » .

ولم يدرك صخر الأسلام .

وقد وصفوه بأن كان حليماً جواداً ، محبوباً في عشيرته ، شريف قومه . وكان أبوه عمرو ، يأخذ بيـــده ويد أخيه معاوية ، ويقول : (أنا أبو خَيْرَيْ مُضَرَ) فتعترف له العرب بذلك .

كان صخر أخا الخنساء لأبيها ، فليس بشقيق لها . وقاتِلُ صخر هو ربيعة بن ثور الأسدي . ولصخر قصيدة عالية النَّفَسِ ، تكشف لنـــا

عن سماحته وشهامته . يقول فيها :

وقالوا : ألا تهجو فوارس هاشم ومالي وإهداء الخنا ثُمَّ ماليا ؟
أبى الهجوَ أنّي قد أصابوا كريمتي وأنْ ليس اهداء الخَنَا ، مِنْ شماليا

* * *

إذا ما امرُؤٌ أهدى لميت تحية فحياك ربُّ الناس عني معاويا
لنعم الفتى أدّى ابنُ صرمة بَزَّهُ إذا راح فَحلُ الشَّوْلِ أحْدَبَ عاريا
إذا ذُكِرَ الإخوانُ رقرقتُ عبرة وحَيَّيْتُ رَمْساً عِنْدَ لِيَّةَ ثاويا
وطَيَّبَ نفسي أنّني لم أقل له : كَذَبْتَ ، ولم أبخلْ عليه بماليا
وَذِي إخوةٍ قطَّعتُ أقْرانَ بينهم كما تركوني واحداً لا أخا لِيا

ولو أردنا أن نحلل مدلولات هذه القصيدة لاستطعنا أن نقول : إن صخراً في رثائه لأخيه معاوية إنما يَمْتَحُ من بئر غزيرة فياضة بالشعر البديع وبالحزن الممض ، وقد أجاد في التعبير عما في ضميره المكبوت الخفاق بالآلام والأوصاب من جراء الفراق الأبدي المحزن لأخيه الحبيب (معاوية) ولست أدري أرثاؤه له ، نابع من روح أخته الخنساء ، أم رثاؤها له ولصخر راثي أخيه بعد مقتله هو النابع من رثائه البليغ ؟! أم هناك تفاعل بين رثاء الأخوين الشاعرين البارعين خاصة . في شعر الرثاء ، الذي بلغا فيه القمة ، بساطةً وتأثراً وتأثيراً وإشجاءاً .. لست أدري !

ومن أخبار قتل صخر ، أنه لما طعنه أبو ثور الأسدي أدخل حَلَق الدرع في جوفه ، فمرض زماناً ، فجعل ينفث الدم ، وينفث معه حلق الدرع ، وكانت امرأته (سليمى) تقوم عليه ، فطال مرضه عليها وملته ، فمر بها رجل — وكانت ذات خَلْق — فقال : أيُباعُ الكَفَلُ ؟ فقالت : عما قليل . فسمع صخر ما دار بينهما من الحوار . وقال لها رجل آخر : كيف صخر ؟ فقالت : لا حيٌّ فيرجى ، ولا ميت

فيُستَراح منه ، فسمعها صخر أيضاً .. فَهَمّ بأمْرٍ في نفسه ، وقال لها : ناوليني سيفي – وهو يريدها – أنْظُرْ ما بقي من قوتي . فناولته السيف ، فاذا يده لا تُقِلُّهُ . فقال صخر عندئذ (وكأنه يرثي نفسه ، وهو الشاعر الذي يجيد الرثاء كل الإجادة) .. قال :

أرى أمَّ صخر ما تجفُّ دموعُها وملَّتْ سُلَيْمى مضجعي ومكاني
وما كنتُ أخشى أن أكون جنازة عَلَيْكِ ، ومن يغترُّ بالحدثانِ
فأيُّ امرىء ساوى بأُمٍّ حليلةً فلا عاش إلا في شقاً وهوانِ
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العَيْرِ والنَّزَوانِ

* * *

وحَيٍّ حِلال قد صَبَّحْتُ بغارة كَرَجْلِ جراد ، أو دَباً كتفانِ
فلو أنَّ حيّاً فائتَ الموت فاته أخو الحرب فوق القارح الغذوانِ [1]

معاوية بن مالك السلمي

شاعر جاهلي . قال في يوم جَبَلَةَ ، وكان قتل دثار بن وهب :

لما رأيت نساء قومي حُسَّراً وترت إليَّ النفس غير مزاح
أقدمتُ حتى لم أجِدْ مُتَقَدَّماً وعلمتُ أن اليوم يوم فضاح
إني ثأرت أخي فلم أُسْبَقْ به وشفيتُ نفسي من «بني الطماح»

هند بن خالد السلمي

يسمى العربُ الذكر والأنثى كليهما باسم « هند » . وهذا هند بن

١ الغذوان : السريع .. عن هذه القصة راجع كتاب المصون في الأدب ، للحسن العسكري ، ص ١٨٦ و ١٨٧ ، طبع الكويت .

خالد شاعر جاهلي ، نسبه : هند بن خالد بن صخر بن الشريد السلمي . ومن شعره :

ألا أبلغ لديك بني كـلاب وشاعرها وفي الأقوال عُورُ
ألم تر أننـا لبني فـراس تَسمَوْنا ، تحتنا الوُقُحُ الذكور
وكُلُّ طِمِرَّةٍ مَرَطى إذا ما تحدر عن مغانيها العصير
فأشبعْنا ضباعَ الفَيْفِ منهم وطيراً لا تغب ولا تطير

وقد أجاب هند ، بهذه الأبيات على رثاء يزيد بن الصعق الكلابي ، لمالك بن خالد بن الصخر بن الشريد — الذي هو أخوه .

سباع بن كوثل السلمي

ذكره ثعلب ، فقال : وأنشدني زُبير ، لسباع بن كوثل السليمي — هكذا بالياء قبل الميم :

نظرتُ إلى مَيٍّ خِلاساً عشية على عجل والكاشحون حضورُ
كذا مثل طرف العين ثم أجَنَّها رواقٌ أتى من دونها وسُتورُ
فقالت : حَذَارِ القوم إن نفوسهم — وعَيْشِ أخي — وجْداً عليك تفور[1]

وقد ذكر ابن منظور ، كَوْثَلاً السلمي — في مادة (كثل) . وقال عنه : رجل معروف ، إليه يعزى سباع بن كوثل أحد شعرائهم[2]

---

١ مجالس ثعلب — لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، ص ٨١ ، القسم الأول ، طبع دار المعارف بمصر .
٢ لسان العرب ، ص ٥٨٤ ، المجلد الحادي عشر ، مادة « كثل » .

عرعرة بن عاصية السلمي

كان عرعرة بطلاً وشاعراً . أوقع ببني سهم بن معاوية ، من هذيل في الجُرُفِ ، وبذلك أدرك ثأر أخيه عمرو بن عاصية السلمي ؛ القتيل .

قال عرعرة في ذلك :

ألا أبلغْ هُذيلا حيث كانت مغلغلة تخُبُّ عن الشفيق
مقامكم غداة الجُرُفْ ، لمـا تواقفت الفوارس بالمضيق

وكان الجرف الذي أوقع فيه عرعرة بأعدائه يسمى (العُيرْضَ) . وكان مخضوضراً . قال كعب بن مالك فيه :

فلما هبطنا « العُيرْضَ » قالسَراتُنا : عـَلام إذا ما لم نمنع «العرض» نزرع ؟

قـالوا : وسبب تسمية « العرض » بالاسم الجديـد الذي هو : « الجُرُفُ » هو قولُ تُبّعٍ عنه في مسيرته : (هذا جُرُفُ الأرض) .. فلزمه هذا الاسم [1] .

مالك بن عمير السلمي

لقبه المرزباني بـ « الناصري » .

له مع النبي (ص) حديث . وهو القائل :

ومن يبتدع ما ليس من سوس نفسه يدعه ويغلبه على النفس ضيمها [2]

ضمضم بن الحارث السلمي

كان ضمضم أحدَ فرسان بني سُليم .

---

١ معجم ما استعجم ، للبكري : ص ٣٧٨ ، الجزء الثاني .
٢ معجم الشعراء – للمرزباني ، ص ٢٦٢ .

وكانت ثقيف أصابت كنانة بن الحكم بن خالد بن الشريد ، فَقَتَل به ، ضمضمٌ ، محْجَناً ، وابن عم له ، وهما ثقفيان . فقال ضمضم من قصيدة له يخاطب ثقيفاً :

نحن جلبنا الخيل من غير مجلب إلى جُرَشٍ من أهل زَيَّان والفمِ
نُقَتِّلُ أشبال الأسود ونبتغي طَوَاغيَ كانت قبلنا لم تُهَدَّمِ
فإن تفخروا بابن الشريد فإنني تَرَكْتُ بوَجّ ، مأتماً بعد مأتمِ
أبَاْنُهما بابن الشريد وغَرَّهُ جِوَارُكُمُ وكان غير مُذَمَّمِ
تُصيبُ رجالاً من ثقيف رِمَاحُنَا وأسيافُنا يكْلِمْنَهُمْ كل مَكْلَمِ [1]

ومن شعر ضمضم ، القصيدةُ التاليـة ، وهي قصيدة تتحدث عن شؤون اجتماعية ، وقد تحدث فيها عن أخلاق النساء « الحلائل » مع أزواجهن ، في شخص تجاربه مع « حليلته » . ويبدو من « أبياته » أنه لم يكن زوجاً مغتبطاً ولا سعيداً مع هذه الحليلة ، وقد قاس أخلاق سائر الحلائل على أخلاق زوجه . قال :

أبْلغْ لديك ذوي الحلائل آية : لا تَأمَنَنَّ الدهرَ « ذات خمار »
بعد التي قالت لجارة بيتها : قد كُنْتُ لو لبث الْغَزِيُّ بدار
لما رأت رجلاً تسفع لونه وغزا المصيفة والعظامُ عوار
مُشُط العظام تراه آخر ليله متسربلاً في درعه لغوار
إذ لا أزال على رحالة نهدة جرداء تلحق بالنجاد إزاري
يوماً على أثر النهاب وتارة كُتُبَتْ مجاهدة مع الأنصار
وَزُهَاءَ كل خميلة أزهقتها مَهَلاً تَمَهَّلُهُ وكل خَبَار
كيما أُغَيِّرُ ما بها من حاجة وتردُّ أني لا أؤوب فَجَارِ [2]

---

١ راجع سيرة ابن هشام ، ص ١١٣ ، المجلد الرابع .
٢ سيرة ابن هشام ، ص ١١٤ ، المجلد الرابع .

« شاعر حُنَيْنٍ »

العباسُ بن مرداس السُّلمي

العباس بن مرداس السلمي ، من الشخصيات البارزة في بني سليم ، في الجاهلية والإسلام ، هو فارس وشاعر ، ومن أسرة مرموقة في قومه. وفي يوم حوزة كان شابّاً في مقتبل العمر متميزاً بالحسن . والحسُن في فتيان بني سُليم صفة مشهورة . وأبوه مرداس وأمـه الخنساء .. أشهر شواعر العرب ، وأبعدها صيتاً في الحسب والنسب والأدب .

وأمه مخضرمة أدركت طرفاً من الجاهلية وأدركت الإسلام ، وأسلمت وحسن إسلامها .. وهو مثلها في هذه الشمائل . وقيل : بل أمه هند بنت سنَّة بن سنان بن جارية بن عبد السُّلمية ولدت (يزيد ذا الرمحين ، وهُريماً ، وسراقة ، وأنساً ، وهبيرة ، وعبَّاساً) بني مرداس بن أبي عامر السلمي [1] .

كان لوالد العباس الذي هو « مرداس » صنم اسمه ضماد أو ضمار [2].. ولما حضرت الوفاة مرداساً أوصى (العباسَ) به وبعبادته والقيام عليه ، فجعل العباس يأتيه في كل يوم وليلة مرة .. فلما ظهر أمـر رسول الله

---

١ المحبر ، ص ٤٥٦ .

٢ ليس مرداس والد العباس السلمي ، السلمي الوحيد الذي تعبد وسدن صنماً في الجاهلية ، فقد ذكر هشام الكلبي في كتاب الأصنام ان سدنة العزى كانوا بني شيبان بن جابر بن مرة بن عبس ابن رفاعة بن الحارث بن عتبة بن سليم بن منصور من بني سليم ، وكان آخر من سدنها منهم دبية بن حرمي السلمي فلم تزل العزى كذلك حتى بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم فعابها وغيرها من الأصنام ونهاهم عن عبادتها ونزل القرآن فيها ... وفي عـام فتح مكة دعا النبي صلى الله عليه وسلم ، خالد بن الوليد فقال له : « انطلق إلى شجرة ببطن نخلة فاعضدها » ، فانطلق فأخذ دبية فقتله وكان سادنها . ص ٢٢ – ٢٤ ، طبع المطبعة الأميرية بالقـاهرة ، ١٣٣٢ هـ = ١٩١٤ م .

صلى الله عليه وسلم قال العباس : (سمعت صوتاً في جوف الليل راعني ، فوثبت إلى ضماد فإذا الصوت في جوفه يقول :

قل للقبائل من سُليم كلها : هلك الأنيسُ وعاش أهلُ المسجد
إن الذي ورث النبوة والهدى بَعدَ ابنِ مريم من قُريشٍ مُهتدي
أودى الضِّماد ، وكان يُعبَد مرة قبل الكتاب إلى النبيّ « محمد »

قال : فكتمت الناس ذلك ، فلم أُحدِّث به أحداً ، حتى انقضت غزوة الأحزاب ، فبينا أنا في إبلي في طرف العقيق ، وأنا نائم ، إذ سمعت صوتاً شديداً ، فرفعت رأسي ، فإذا أنا برجل على حيالي ، بعمامة ، يقول : (إن النور الذي وقع بين الاثنين وليلة الثلاثاء ، مع صاحب الناقة العضباء ، في ديار بني أخي العنقاء) . فأجابه طائف عن شماله لا أبصره .. فقال : بَشِّر الجن وأجناسها ، إن وَضعت المطيُّ أحلاسها ، ووكفت السماء أحراسها ، أن بعض السوق أنفاسها) .

قال العباس : « فوثبت مذعوراً ، وعرفتُ أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مُصطفىً ، فركبتُ فرسي ، وسرتُ حتى انتهيتُ إليه ، فبَايَعتُه ، وأسلمتُ ، وانصرفتُ إلى ضماد ، فأحرقته بالنار » .

وقصة الهاتف الذي سمعه العباس بن مرداس من جوف الصنم ، وقصة الهاتف الآخر الذي سمعه ولم يره ، فيما بعد ، مُبَشِّرَيْن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، تتفق كلتا القصتين مع ثبوت وجود العالم غير المنظور .. بالنسبة لأبصارنا نحن البشر .. وآيةُ ذلك أن هنا في آفاقنا وفي أجوائنا ملايين المخلوقات الصغرى جداً ، التي لا نراها نحن البشر بأبصارنا المجردة ، وقد ظلت أُلوفَ السنين مجهولة الوجود لدى بني الإنسان قاطبة مع شدة التصاقها بأجسامهم وأبصارهم وشدة تأثيرها الإيجابي والسلبي على صحتهم وفي مآكلهم ومشاربهم .. فلما هيأت المقادير لبعض

بي الإنسان أن يخترعوا « المجاهر المُكبِّرة » أبصروا هذا العالم المتموج واستكشفوا وجوده بالوسائط المجهرية التي اخترعوها والتي بَصَّرتهم به من كثب .. بعد جهل مطبق بوجودها وحيويتها يتصاعد في القدم إلى أجيال البشرية الأولى . ويقاس على وجود هذه المخلوقات الصغرى « الذَّرَّةُ » التي بدأت في عصرنا الحديث تفعل الأفاعيل الكبرى ، وهي لا تُرى بالعين المجردة ، وما كان يتحقق وجودها وعظم مفعولها قبل استكشاف الأجهزة التي تجليها وتؤثر في كيانها . ومثلها هذه الكهرباء أيضاً التي تعطينا النور المتوهج وتقوم بشتى الأفعال .. فوجود عوالم غير منظورة لنا نحن البشر ، واختفاؤها عن حواسنا ومدركاتنا لا ينافي وجودها ولا يقتضي عدم وجودها . وأعني بهذه العوالم الخفية من مُحَسَّاتِنا البصرية : الملائكة والجن .. وما جاز على المثل — من ناحية الاختفاء عن أبصارنا مع ثبوت الوجود — يجوز على المماثل .. وما دامت الجراثيم قد ثبت وجودها على أرضنا وثبتت حياتها معنا ، وحولنا ، وفوقنا وتحتنا ، وثبت أننا كنا في جهل مطبق حيال وجودها وتكاثرها المريع على سطح الأرض مع أنها حيوان مثلنا .. فبالأحرى أن يثبت لدينا وجود الملائكة والجن ، برغم عدم رؤية أبصارنا لها إذ عدم رؤيتنا للجراثيم والذرة والكهرباء ثبت أنه لا ينهض دليلاً على عدم وجودها ، بل ثبت أنه قام دليلاً على وجودها ، وما ينطبق على الجراثيم الحيوانية المائجة حولنا ينطبق على ما هو أبلغ منها شفوفاً وروحانية وخفاءً عن الأبصار البشرية . وما صنعته أيدي الناس وعقولهم من الآلات هو الذي كشف لهم بأَخَرَةٍ عالم الجراثيم الصغير الكبير الخطير ، فالملائكة والجن أشف كياناً من الجراثيم وأعمق استتاراً من الجراثيم عن العيون وعن وسائل الإدراك البشرية المادية .. ولذلك يراهم صفوة الخَلْق من الأنبياء ، ويرى الجِنَّ ذوو الشفافية الروحانية وبالمناسبات إذا تشكلوا بأشكال غير أشكالهم الطبعية البالغة الشفوف والاحتجاب .

وعباس بن مرداس لا يوجد سبب مادي أو أدبي يدعوه إلى اختلاق هذه القصة . فإنه إذا أراد ، آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم ، لمجرد تصديقه برسالته ، كما فعل كثير غيره من مشركي العرب الذين ضربوا بالشرك والوثنية عرض الحائط ، جهاراً نهاراً ، ورفضوا عبادة الأصنام بإصرار وحماسة ودخلوا في الإسلام وآمنوا برسالة محمد (ص) بمجرد إيمان قلوبهم وعقولهم بها وبه ، ولا حاجة مطلقاً ولا ضرورة ملجئة لعباس إلى أن يختلق قصة وهمية خيالية لإسلامه كهذه القصة . وقد آمن برسالة محمد (ص) أكابر السلميين وغيرهم من دون وقوع قصص كهذه لهم .

هذا وتمضي بنا قصة إسلام العباس بن مرداس ، فتفيدنا بأنه كانت تحته « حبيبة بنت الضحاك بن سفيان السلمي ، أحد بني رعل ، وقد خرج العباس حتى انتهى إلى إبله ، وهو يريد النبي ، فبات بها ، فلما أصبح دعا براعيه ، فأوصاه بإبله ، وقال له : (من سألك عني فحدثه أني لحقت بيثرب ، ولا أحسبني إن شاء الله تعالى إلا آتياً محمداً ، وكائناً معه ، فإني أرجو أن نكون برحمة من الله ونور ، فإن كان خيراً لم أُسبَقْ إليه ، وإن كان شراً أبصرته لخزلته — لخذلته — الخ) . ثم سار إلى النبي ، وانتهى الراعي نحو إبله فأتى امرأته حبيبة السلمية ، فأخبرها بالذي كان من أمر زوجها عباس ، ومسيره إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقامت فقوضت بيتها ولحقت بأهلها[1] .

وقد ذكرنا فيما سلف أن العباس شاعر ، والشاعر مرهف الشعور ، يسجل بريشة شاعريته ، عواطفه وانفعالاته وأحواله الفكرية والنفسية والاجتماعية . ولهذا لا غرو أن نرى العباس بن مرداس يسجل لنا بشعره قصة دخوله في الإسلام من أولها إلى آخرها . ووجود القصة في شعره مما يؤكد وقوعها

---

١ الأغاني — للأصفهاني ، ص ١٢١ .

وأنها ليست من صنع الرواة . قال :

لَعَمْرِيَ إني يوم أجْعلُ جاهداً « ضِماداً » لرب العالمين مشاركا
وتركي رسولَ الله ، والأوسُ حوله أولئك أنصار له ، ما أولئكا
كتاركِ سَهْلِ الأرض، والحَزْنِ يبتغي لِيَسْلُكَ في غيب الأمور المسالكا
فآمنتُ بالله الذي أنا عبده وخالفتُ من أمسى يريد المهالكا
ووجهتُ وجهي نحو مكة قاصداً وتابعتُ بين الأخشبين المُبَاركَا
نبيٌّ أتانا بعد عيسى بناطق من الحق ، فيه الفصل منه كذلكا
أميناً على الفرقان أوّلَ شافع وآخِرَ مبعوث يُجيبُ الملائكا
تَلاَفَى عُرَا الإسلام بعد انفصامها فَأحْكَمَها حتّى أقام المناسكا

* * *

رأيتُكَ يا خير البرية كلها تَوَسَّطْتَ في القربى من المجد مالكا
سبقتهمُ بالمجد والجود والعلا وبالغاية القصوى تَفُوتُ السّنابِكا
فأنت المُصَفَّى من قريش إذا سَمَتْ غلا ِصمُها تُبْقِي القرومَ الفوارِكا

وكان قدوم العباس بن مرداس على النبي في المدينة ، وهو يريد المسير إلى مكة ، لفتحها ، فواعده رسول الله (ص) قُدَيْداً ، وقال : (القني أنت وقومك بقديد) فلما نزل رسول الله ، قُدَيْداً ، وهو ذاهب لَقِيَهُ — في رواية — عباسُ بن مرداس ، في ألف من بني سُليم . وفي ذلك يقول :

بَلِّغْ عباد الله أن محمداً رسولُ الإله راشداً أين يَمَّمَا
دعا قومه واستنصر الله ربه فأصبح قد وافى الإله وأنعمَا
عشية واعَدْنَا قُدَيْداً « محمداً » يؤم بها أمراً من الله مُحكمَا
حلفتُ يميناً برّةً ، لمحمد فأوفيته ألفاً من الخيل مُعلمَا

سرايا براها الله وهو أميرها يؤم بها في الدين من كان أظلما
على الخيل مشدوداً عليها دُروعنا وخَيْلاً كدُفاع اللواتي عرمرما
أطعناكَ حتى أسلم الناسُ كلهم وحتى صَبَحْنا الخيلَ أهلَ يَلَمْلَما

وسار العباس وقومه إلى فتح مكة ثم إلى حنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقسم الرسول غنائم هوازن ، فأكثر العطايا لأهل مكة ، وأجزل لهم القسم ولغيرهم ، ممن خرج إلى حنين ، حتى إنه كان يعطي الرجل الواحد ، مائة ناقة ، والآخر ألف شاة ، وزوى كثيراً من القسم عن أصحابه ، فأعطى الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن ، والعباس ابن مرداس ، عطايا ، فضل فيها عيينة والأقرع ، على العباس ، فتأثر العباس من ذلك ، وما سكت على تأثره ، لأنه كان مؤمناً صادق الإيمان يكاشف الرسول بدخيلة نفسه ، وقد جاءه وأنشده :

وكانت رزايا تلافيتُها بِكَرِّي على المُهْرِ في الأجرع
وإيقاظِيَ الحيَّ أن يرقدوا إذا هجع القوم لم أهجعِ
فأصبح نهبي ونهبُ العُبَيْدِ[1] بين عيينة والأقرعِ
وقد كنتُ في الحرب ذا تُدْرَإٍ فلم أُعْطَ شيئاً ولم أُمْنَعِ
وما كان حِصْنٌ ولا حابس يفوقان مرداس في مجمعِ
وما كنتُ دون امرىءٍ منهما ومَنْ تَضَعِ اليوم لا يُرْفَعِ .

فبلغ قوله رسول الله ، فدعاه ، فقال له : أنت القائل :

أصبح نهبي ونهب العبيـ ـد بين الأقرع وعيينة

فقال أبو بكر : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لم يقل ذلك ، ولا والله ما أنت بشاعر ، ولا ينبغي لك الشعر وما أنت براوية ، قال :

---

١ العبيد – بضم العين المهملة وفتح الباء التحتية الموحدة – : اسم فرس العباس بن مرداس .

فكيف ؟ قال : فأنشده أبو بكر رضي الله عنه ، فقال الرسول (ص) : هما سواء ، لا يضرك بأيهما بدأت : بالأقرع أم بعيينة . وقال رسول الله : اقطعوا عني لسانه . وأمر بأن يعطوه من الشاء والنعم ما يرضيه ، ليمسك ، فأُعطي[1] . وهكذا كان العباس من المؤلفة قلوبهم ..

ويقول عبد البديع صقر : إن العباس بن مرداس وُلِدَ في عهد النبي صلى الله عليه وسلم[2] . ولم أرَ هذا القول لغيره فيما لديَّ من المراجع ، فإنها تكتفي بأن تقول : إنه مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وأسلم .

ومن رأيي أنه إذا كان قول عبد البديع صقر ، مطابقاً للواقع فلا بد أن يكون مولد العباس في الحقبة التي سبقت البعثة النبوية إما بقليل أو أكثر من القليل ، وذلك لأننا نعرفُ العباس بن مرداس ، وهو فارس وشاعر في عام فتح مكة ، ونعرفه قبل ذلك بطلاً معلماً خاض المعارك مع خُفَافِ بن ندبة السلمي ، وقال في حروبه معه شعراً نشرنا شيئاً منه . وعام الفتح هو السنة الثامنة للهجرة — وبين الفتح ومولد الرسول (ص) حقبة من الزمن هي واحد وستون عاماً . فإذا كان عباس بن مرداس ولد في حياة الرسول فمولده — على ما نقدر — في العقد الثاني من عمره صلى الله عليه وسلم .. ومعنى هذا أنه كان وقت البعثة شاباً مكتمل الشباب ، وسنه حول العشرين عاماً . وعندما كان الفتح ، وهو بعد البعثة بواحد وعشرين عاماً كان في آخر أيام شبابه ، فهو يؤمئذ يقف على عتبة الكهولة والنضج . ونحن نراه قبل الفتح زوجاً لحبيبة السلمية التي لم ترضَ عن تحوله إلى الإسلام ، فارتحلت عنه وهجرته مفارقة له . ونحن نراه قبل الفتح ذا خيل وإبل ولأنعامه راعٍ خاص بها . كما نراه قبل

---

١ الأغاني – لأبي الفرج الأصفهاني ، ص ١٢١ – ١٢٦ ، الجزء الثالث عشر ، القسم الأول .
٢ شاعرات العرب ، ص ٦٢ ، منشورات المكتب الإسلامي ببيروت .

إسلامه سادناً للصنم الذي كان والده يرعاه وقد أوصاه به وبعبادته بعد وفاته ففعل . ومن كان كذلك لا بد أن يكون رجلاً يتحمل المسؤوليات ، ويؤثل الأموال ويعهد إليه بالمهام .. ونحن نرى أن الحرب التي نشبت بينه وبين خُفاف ، نشبت بعد البعثة النبوية وقبل فتح مكة .. وقد كانت رحاها تدور بينهما قبل إسلامه وقبل إسلام خصمه وابن عمه : خُفاف بن ندبة .. ولا يقوم بأعباء حرب كهذه إلا رجلٌ قوي البِنْيَةِ مكتمل الشباب والفتوة .

وظل العباس بن مرداس على بداوته - بعد الإسلام - كان أليف الفيافي ، فلم يسكن بعد إسلامه مكة ولا المدينة ، ولم يُقِمْ في أي بلد إقامة دائمة .. وكان إذا حضر إحدى غزوات النبي لا يلبث أن يعود بعدها إلى مضارب قومه في قلب البادية ، يستنشق نسيمها العليل ، ويأنس بنغمات طيورها البرية ، ويرتاح إلى عشبها وأشجارها ، ويهفو إلى صحوها وغيمها ، ويغرم بصحاراها وجبالها ، وأوديتها .. وقالوا إنه قدم البصرة مع من قدموا إليها من قومه بعد تمصيرها في خلافة عمر بن الخطاب ، ولكنه لم يتخذها موطناً ، كما اتخذها غيره من بني عمومته ، بل إنه عاد لسكنى البادية التي تخفق الأرواح في أبياتها الشَّعَرَيَّة أو الجِلْدِيَّة . وكان منزله بالعقيق مما يلي سفوان .

وقد حرَّم على نفسه الخمر وهو في الجاهلية ، وهذه مزية نفسية تدلنا على أنه كان لبيباً وذا رأي قويم في بعض الأمور الضارة أو النافعة للصحة العامة والخاصة ، وللمروءة والكرامة الإنسانية ، فالخمر أمُّ الخبائث وشُرْبُها يؤدي إلى ارتكاب المحرمات الأخرى . لأنها تسلب عقْلَ العاقل ، وكرامة الكريم ، ولُبَّ اللبيب . وقليل هم الذين حرموها على أنفسهم من عرب الجاهلية ، في الفترة الأخيرة من الجاهلية ، لشفوف أذهانهم وانجلاء بصائرهم وتفهمهم لعواقبها الوخيمة على الفرد والمجتمع .

توفي العباس بن مرداس في الشام سنة ١٦ هـ وله من الأولاد : جاهمة أو جلهمة وله صحبة ، وأُبيّ ، وسعيد . ومن ذرية جاهمةَ ، عبدُ الملك وهارون ابنا حبيب ، ومن ذرية سعيد ، بكار بن أحمد بن عبد الله بن سعيد المحدث العابد ، مات بمصر .

خصائص شعره

يمتاز شعر عباس بن مرداس بالطراوة والطلاوة مع الوضوح ، ومع أنه بدوي موغل في البداوة أليف صحراء ووهاد ونجود .. ورب سيف ، وخوّاض معارك ، فإن شعره الذي بين أيدينا كان رطباً سلساً خفيف الروح ، لا تجد فيه شيئاً من جفاف البداوة ، ولا شيئاً من عنجهية الجاهلية ، ويمكن أن نشبهه في هذه الناحية بالنابغة الذبياني ، مع الاختلاف بينهما في سعة الأفق ، وفي أن النابغة قد يقول من الشعر ما لا يختلف عن أضرابه في كزازة اللفظ وجهامة التعبير بعض الأحيان . وفي ديوان شعره شواهد واضحة على هذا المسلك الجاهلي الماثل في كثير من الشعر العربي الجاهلي .. إلى جانب شعره الرطب السمح الجميل ..

ونحن نتحدث هنا (خاصة) عن شعر عباس بن مرداس قبل إسلامه .. أما شعره بعد الإسلام فقد صقلته تعابير الإسلام ، وصقله وهذبه الإسلام ، ومصطلحاته الرائعة الجديدة على دنيا العرب وحياتهم .

نماذج من شعره الجاهلي

كان قيس بن شيبة السلمى من رهط العباس بن مرداس باع بمكة متاعاً من أُبَيّ بن خلف ، فلواه وذهب بحقه ، فاستجار برجل من بني

جمح فلم يُجِرْهُ فقال قيس :

يال قصي كيف هذا في الحرم ... وحرمة البيت وأخلاق الكرم !

أُظلم لا يمنع عني من ظلم

فبلغ العباس بن مرداس قوله ، فقال :

إن كان جارك لم تنفعك ذمته ... وقد شربت بكأس الذل أنفاسا

فأتِ البيوت وكن من أهلها صدداً ... لا تلق نادمهم فحشاً ولا باسا

وثم كن بفناءِ البيت معتصما ... تلق ابن حرب وتلق المرء عباسا

قرمَيْ قريش وحلاَّ في ذؤابتها ... بالمجد والحزم ما عاشا وما ساسا

ساقي الحجيج وهذا يا سر فلج ... والمجد يورث أخماسا وأسداسا [1]

ويبدو أن قيساً أخذ بنصيحة عباس بن مرداس فرد العباس وأبو سفيان عليه ما له وكان ذلك سبَّب حلف الفضول الذي قام على رد المظالم .

* * *

وقال العباس بن مرداس يهجو خفاف بن ندبة السلمي ، وطالما تلاحيا وتهاجيا وتقاتلا في جاهليتهما :

أراني كلما قاربت قومي ... نأوا عني وقطعهم شديدُ

سئمتُ عتابهم فصفحتُ عنهم ... وقلتُ : لعل حلمهمُ يعودُ

وعلَّ اللّه يمكن من خفاف ... فأسقيه التي عنها يحيدُ

بما اكتسبت يداه وجرَّ فينا ... من الشحنا التي ليست تبيدُ

فإنّي لو يؤدبني خفافٌ ... وعوفٌ والقلوب لها وقودُ

وإني لا أزال أريد خيراً ... وعند الله من نعم مزيدُ

فضاقت بي صدورهم وغصّتْ ... حلوقٌ ما يبض لها وريدُ

---

١ ديوان العباس بن مرداس ، جمع وتحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، ص ٧٥ و ٧٥ ، طبع بغداد . وقول العباس في أبيات الشعر السينية : (وكن من أملها صدداً) أي كن قريباً من أهلها .

متى أبعدْ فشرهمُ قريب وإن أقرُبْ فوُدُّهمُ بعيدُ
أقول لهمْ وقد لهجوا بشتمي : ترقوا يا بني عوف وزيدوا
فما شتمي بنافع حيِّ عوْف ولا مثلي بضائره الوعيد
فما أدري وما يدريه عوْفٌ أينفعني الهبوط أم الصعود ؟
أتجعلني سَراةُ بني سُليْم ككلب لا يهر ولا يصيد
كأني لم أقُدْ خيلا عتاقاً شوازبَ مثلُها في الأرض عود
أُجشِّمُها مَهَامِهَ طامسات كأن رمال صحصحها قعود
عليها من سراة بني سُليْم فوارس نجدة في الحرب صيد
فأُوطِئُ مَنْ تريد بني سليم بكلكلها ومَنْ ليست تريد [1]

تلوح من هذه القصيدة من شعر عباس بن مرداس مسحة من الألم المكبوت ، وشكوى مكنونة من الاستخفاف به الذي لمسه من بني قومه .. وربما كان ذلك منهم إبَّان القتال الناشب بينه وبين ابن عمه « **خفاف** » .. وهو يذكر هنا أسماءاً معينة ، يوجه إليها قوارص العتب واللوم والتقريع ، جزاء شتمهم له .. وهؤلاءهم : حيُّ عوْف الذين لهجوا بشتمه . وقد ضمهم إلى خفاف في استنكار موقفهم منه ، وقد خاطبهم بقوله : (ترقوا في سلم شتمي وزيدوا فما يشفي غيظكم شتمي ولا يضرني وعيدكم) . وشعره هذا شعر جاهليٌّ بالنسبة إليه ، لأنه يتحدث فيه يوم قاله عن الملابسات القائمة فيما بينه وبين خفاف من هجاء وملاحاة وقتال .

وهجا عباس بن مرداس عمرو بن معديكرب بقوله :
ألا أبلغا عمراً على نأي داره فقد قُلْتَ قولاً جائراً غير مهتد
أُتهْدِي الهجاء لامرىء غير مفحم وتُهْدِي الوعيد لامرىء غير مُوعَدِ
فإن تلقني تلق أمرأً قد بلوته حديثاً وإن تفجر عليَّ ، تُفنَّدِ

---

١ ديوان العباس بن مرداس السلمي ، ص ٤٢ و ٤٣ .

ألا تعلمن يا عمرو أني لقيتكم لدى مَأْقط والخيل لم تتبدد
وَعرَّدَ عني فارساكم كلاهما وقد علما بالجزع أن لم أعرِّدِ
وما زلت أحمي صحبتي وأذودكم برمحي حتى رُحْتُ قطرا بمفردي

ويُذكر أن عمرو بن معديكرب فر من العباس في احدى المعارك وأن العباس أسر أخته ريحانة ، وقال في ذلك شعراً .

ومن قصائده « المنصفات » — ومعنى المنصفات : القصائد التي يُنصف فيها الشاعر خصومه الحربيين فيذكر ما حدث له ولقومه ، وللخصوم معاً من نصر وهزيمة ، وإقبال وإدبار ، وكر وفر — من هذه القصائد قصيدته السينية المثبتة في ديوانه الذي جمعه وحققه الدكتور يحيي الجبوري (طبع بغداد) .

ومطلعها قوله :

لأسماء رسم أصبح اليوم دارسا وأقفر منها رَحْرَحانُ فراكسا *

وفي هذه القصيدة يذكر لنا أن « المتغزل فيها » :

تضوع منها المسك حتى كأنما تَرَجَّلُ بالريحان رطبا ويابسا

و (تَرَجَّلُ) بمعنى تُسَرِّحُ الشَّعرَ . ومن هذا يبدو أن تسريح شعر النساء بالريحان رطباً ويابساً عادة كانت لديهن مألوفة في الجاهلية .

وقد قطع عباس نسيبه في « أسماء » قطعاً ، بالانصراف إلى شؤون أعدائهم فقال :

فَدَعْها ولكنْ قد أتاها مَقادُنا لأعدائنا تُزْجى الثِّقالَ الكوادِسا

إلى أن يقول :

سَمَوْنا لهم سبعا وعشرين ليلة نجوب من الأعراض قفراً ويابسا

(*) يبدو أن في هذا البيت أقواءاً ... إذ الفصيح ان يقول : فراكس ، لأنه معطوف على (رحرحان) المرفوع لكونه فاعلا لـ (أقفر) ، والمعطوف على المرفوع مرفوع لا منصوب.

وهو يصف بُعْدَ منازل أعدائهم الذين غزوهم في عقر دارهم ، مصعدين ، لأن منازلهم بتثليث قرب نجران ، وتثليث بعيدة عن منازل بني سليم .. هي في الجنوب ، وهم في الشمال . قال :

فبتنا قعوداً في الحديد وأصبحوا على المركبات يجردون الأيابسا
فلم أرَ مثل الحيِّ حيّاً مُصَبَّحاً ولا مثلنا لمّا التقينا فوارسا
أكرَّ وأحْمى للحقيقة منهم وأضْرَبَ منا بالسيوف القوانسا

وبينما يصف الشاعر هنا قومه بالفروسية والبطولة ، ينثني فيصف أعداءهم بأنهم أكَرُّ على الأبطال وأحمى للحقيقة . وبأن قومه هو – بني سليم – أضربُ للأبطال بالسيوف .. وهذا إنصافٌ من الشاعر .

ويعود إلى وصف شجاعة قومه فيقول :

وأحْصَنَنَا منهم فما يبلغوننا فوارسُ منا يحبسون المحابسا

وهو هنا يصف لنا موقف قومه الدفاعيّ .. وهذا إنصاف آخر منه . فما أحسن الحقيقة حين تقال في مثل هذه المواقف .

ثم يعود ليُفَصِّلَ موقف الجانبين المتساوي إزاء بعضٍ في حومة الوغى فيقول :

اذا ما شددنا شَدّةً نَصَبُوا لها صدور المَذاكي والرِّماحَ المداعسا

والمذاكي من الخيل ما دخل السنة السادسة . والمَداعِسُ من الرماح : الغليظ الشديد الذي لا ينثني . ومعنى دعسه بالرمح : طعنه به ، كما فسرناه في مكان آخر من هذا الكتاب .

وهنا ينصف عباس إنصافاً صريحاً واضحاً .. فيصف لنا الموقف المتكافىء بين قومه وعدوهم على حقيقته دون تحيز .. إذ يقول : إنّا إذا شددنا عليهم شدة ، أي إذا هجمنا عليهم هجوماً شديداً ، قابلوا هجومنا الشديد بصدور الرماح وصدور الخيل المسومة .. فنقف هجومنا وتتوازن كفتا

القتال الدائر بيننا وبينهم عندها فلا غالب ولا مغلوب .

ويعتذر عن أسباب غزوهم لمراد في «تثليث» النائية عنهم ، وهم قوم شُوسٌ مغاوير وليوث حرب ، بقوله :

نطاعن عن أحْسابنا برماحنا ونضربهم ضرب المُذيد الحَوامسا

ويعود إلى تبيان فعاله في هذه الحرب الضروس المتكافئة :

وكنتُ أمام القوم أوّلَ ضارب وطاعنتُ إذ كان الطّعانُ تَخالُسا

ولا يكتفي بمديح بطولته التي جعلته أمام القوم أول ضارب ، فنراه يستشهد على تقدمه لغيره من الأبطال في الإقدام في ساحة المعركة بشهود عدول أحياءٍ شاهدوا موقفه المشرف :

فكان شهودي مَعْبَدٌ ومُخارِق وبِشْرٌ،وما استشهدتُ الاالأكايسا

لكنه يعود ، فيفيد سامع شعره وقارئَهُ بأنه لم يكن (منفرداً) في مقدمةِ الصفوف بل كان معه ابنا صُرَيْمٍ دارعَيْنِ — أي لابِسَيْنُ للدروع الواقية من وقع السيوف وطعن الرماح ، ومعهما عُرْوة أيضاً . وإنصافاً لهؤلاء الأبطال الأماجد الثلاثة الذين شاركوه في الإقدام وتقدم الصفوف للنزال والضرب والطعان يقول :

مَعِي ابنا صُرَيْمٍ دارعانِ كلاهما وعُرْوَةُ لولاهم لَقيتُ الدّهارسا

ومن إنصافه أن يقول : إنه لولا حماية هذا النفر الثلاثة له لَلَقِيَ الدّواهي . فالدهارس هي الدواهي .

ويستمر في وصف وقائع المعركة فيقول : فأما زيد فقد مارس الإقدام ، لولا إقصار خُطا مهره . وبنو سليم كانت الخيل لديهم كثيرة وفيرة .. كما قدمناه :

ومارس زيد ثم أقصَر مهره وحقٌّ له في مثلها أن يمارسا

ولعنترة في معلقته وصف يماثل ما وصف به العباس « زيداً » .. يقول عنترة : (ولكني تضايق مقدمي) .

وأما قرة فكان موقفه حمايةَ المنهزمين والمنفرقين في المعركة ، وطَعْنَ الأعداء بقوة وضراوة ، فلله دره من فارس مغوار :

وقُرَّةُ يحميهم إذا ما تبددوا ويطعنهم شزراً، فأبْرَحْتَ فارسا

ويجلي لنا الموقف تماماً أنَّ بني سليم في غزوهم لمراد في أرضهم : «تثليث» تمكنوا من (جَرْحِ) الكثير من رجالهم ، فقط ، ولم يجهزوا عليهم .. ولو مات الجرحى من أعدائهم لاغتبطت الضباع هنالك بكثْرة القتلى ، والسبب في عدم تمكن السلميين الغُزاة من القضاء على خصومهم يعود إلى أن هؤلاء الخصوم كانوا يلبسون الدروع المضاعفة فلا تصل إلى أجسامهم سيوف بني سليم ولا رماحهم :

ولو مات منهم من جَرَحْنا لأصبحت ضِبَاعٌ بأكناف الأراك عرائسا
ولكنهم في « الفارسيّ » فلا يُرَى من القوم إلا في المُضَاعَفِ لابسا

ويقصد بـ « بالفارسي » هنا ، الدروع الفارسية المضاعفة أي المنسوجة حلقتين حلقتين ، فهي لذلك تَقي لابسها من الضرب والطعن .

ويزيدُ الموقفَ (انجلاءاً) : فيذكر أن أعداءَهم إذا تمكنوا من قتل كريم منهم فانهم هم أيضاً قد قتلوا به منهم قَتْلى تُذِلُّ أنوفهم ، فقد قتلوا بالقتيل السلمي الواحد ، خمسة بل ستة من أعدائهم :

فإن يقتلوا منا كريماً فاننا أبأنا به قَتْلاً تُذِلُّ المَعاطسا
قتلنا به في ملتقى الخيل خمسة وقاتِلَه زِدْنا مع الليل سادسا

وقد اقتضى المشهد هنا أن يبرز شهامة قومه وإباءهم في الحروب ، وتقدمهم اليها كما يتقدم حبيب لحبيبٍ :

وكنا إذا ما الحرب شَبَّتْ نَشبُّها ونَضْربُ فيها الأبْلَجَ المتقاعسا

و « الأبلجُ » : « المتكبر . والمتقاعس » : المتمنع الذي لا يطأطىء رأسه .

وهنا يختتم الشاعر قصيدته « المنصفة » بوصف شامل لما حدث في الصدام المسلح بينهم وبين مراد .. فيقول :

فأُبْنا وأبقى طعْنُنا في رماحنـــا   مَطَارِدَ خطِّيٍّ وحُمْراً مَدَاعِسا

والمطارِدُ : ما يبقى من الرماح إذا انكسرت . والخطيُّ : الرمح المنسوب إلى خط البحرين .

وجُرداً كأنَّ الأُسْدَ فوق مُتُونها   من القوم مَرْؤُوساً وآخر رائسا

وهكذا عاد الغزاة السُّلَمِيُّونَ من صدام مسلح لم يكن لهم فيه نصر ولا انكسار .. ولكنهم حققوا في غزوتهم معنى البطولة ، ودافعوا بالهجوم البعيـــد المدى الذي شنوه على أعدائهم في عقر ديارهم عن أعراضهم وسمعتهم وشرفهم وحماهم .. والهجوم من أنجع وسائل الدفاع وأنجحها .. قديماً وحديثاً .

هذا وقد ذكَّرني (اختتامُ) العباس بن مرداس (لسينيته المنصفة) هذه ، بقول عمرو بن كلثوم في (قصيدته المنصفة) — معلقته النونية المعروفة :

فآبوا بالنهاب وبالسبايا   وأُبْنا بالملوك مصفدينا

ويبـــدو أن العباس كان على علم بقول عمرو بن معديكرب له من قصيدة سينية أو هما بيتان فقط :

أعباس لو كانت شياراً جيادَنا   بتثليث ما ناصَبْتَ بعدي الأحامسا

ولكنهـــا قِيدتْ بصعدة مرَّةً   فأصبحن ما يمشين الا تكاوُسا

نماذج أخرى من شعره الإسلامي

لَقَّبْنا عباس بن مرداس السلمي ، بشاعر حنين ، لما اتضح لنا من

دراسة شعره الإسلامي ، من أنه أكثر من قال الشعر في يوم حنين وأنداهم صوتاً ، خاصة وإنه شهد المعركة مع بني سليم وخاض معهم غمارها .

من ذلك قوله في حنين :

فإني والسوانح يوم جَمْعٍ ... وما يتلو الرسول من الكتابِ
لقد أحببتُ ما لَقِيَتْ ثقيفٌ ... بجنب الشعب أمس من العذابِ

* * *

ركضنا الخيل فيهم بين بَسٍّ ... إلى الأورال تنحط [1] بالنهابِ
بذى لجب رسول الله فيهم ... كتيبته تَعَرَّضُ للضِّرابِ

ومن ذلك قوله أيضاً في يوم حنين :

ويوم حنين حين سارت هوازن ... إلينا وضاقت بالنفوس الأضالعُ
صبرنا مع الضحاك لا يستفزنا ... قراعُ الأعادي منهم ، والوقائعُ
أمام رسول الله يخفق فوقنا ... لواءٌ كخذروف [2] السحابة لامع
عشية ضحاك بن سفيان مُعْتَصٍ ... بسيف رسول الله والموت كانع [3]

إلى ان يقول :

نذود أخانا عن أخينا ولو نرى ... مصالاً لكنا الأقربين نُتَابِعُ
ولكن دين الله دين محمد ... رضينا به ، فيه الهدى والشرائع
أقام به بعد الضلالة أمرنا ... وليس لأمر حَمَّهُ الله ، دافع

---

١ في ديوانه : الأوراد ، وقال جامع الديوان ومحققه : موضع عند حنين . أما الأورال باللام فهو ما ورد في السيرة .. والأورال : أجبل ثلاثة سود بجانبها ماء لبني عبد الله بن دارم . ومعنى تنحط بالنهاب : أي تخرج أنفاسها عالية بما تنهب .

٢ خذروف السحابة : طرفها .. أراد بذلك سرعة تحرك هذا اللواء المظفر .

٣ معنى (معتص) : ضارب بسيف رسول الله . والضحاك بن سفيان هو من كلاب ، أمره رسول الله على بني سليم وكان قائدهم في معركة حنين.وحذف الألف واللام في (الضحاك) لضرورة وزن الشعر .

يقول في الأبيات الثلاثة الأخيرة : إنهم يقاتلون إخوتهم (هوازن) الذين تجمعهم بهم وشيجة النسب من كثب ، في (قيس) — يقاتلونهم عن إخوتهم في الإسلام الذين يربطهم ببعض ، ما هوَ أقوى من وشيجة النسب من كثب ، وإن بني سُلَيم لو كانوا يرون في حكم الدين مصالاً ومجالاً أو تطاولاً على الناس لكانوا مع الأقربين نسباً : أي مع هوازن في حربها الضروس للإسلام . ولكنه الإسلام فرّق بين بني سليم ، وهوازن إذ ذاك بحق .. فبنو سليم دخلوا الإسلام ، وهوازن ما زالت على شركها القديم : ويقول : اننا مع ذلك نريد لهم الهداية والرشاد .

وللعباس بن مرداس غير هذه القصائد والأبيات شعر كثير في غزوة حنين ، ضمنه كل ما يطفح به قلبه المؤمن من ذكريات رائعة لانتصار الإسلام ، وعظمة الإسلام .

* * *

على أن من أروع ما قاله في يوم حنين ، قصيدتهُ (الكافيّة) التي استهلها بمدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وقد ضَمّنها الاشادة بشجاعة الضحاك بن سفيان الكلابي قائد بني سليم البطل الذي عينه الرسول قائداً عليهم .

قال :

يا خاتم النُّبّاءِ ! إنك مرسل — بالحق ، كلُّ هُدى السبيل هُداكا
إن الإله بنى عليك محبـة — في خلقه و (مُحَمّداً) سمّاكا
ثم الذين وفوا بما عاهدتهم — جُنْدٌ بَعَثْتَ عليهم الضّحاكا
رَجُلاً به ذَرَبُ السلاح كأنه — لما تكنفه العدو ، يراكا
يغشى ذوي النسب القريب وإنما — يبغي رضا الرحمن ثمَّ رضاكا

أُنْبِيكَ أني قد رأيت مَكَرَّهُ — تحت العجاجة يدفع الإشراكا
طوراً يعانق باليدين ، وتارة — يَفْرِي الجماجم صارِماً بتّاكا
يغشى به هام الكُماةِ ، ولو ترى — منه الذي عاينتُ كان شفاكا
و « بنو سُليم » مُعْنِقون أمامه — ضَرْباً وطعناً في العدو ،دِراكا
يمشون تحت لوائه وكأنهم — أسْدُ العرين أرَدْنَ ثَمَّ عِراكا
ما يرتجون من القريب قرابة — إلا لطاعة ربهم وهواكا
هذي مشاهدنا التي كانت لنا — معروفةٌ . وَوَلِيُّنَا مولاكا [1]

خُفَاف بن عمير السلمي

أحد شعراء بني سليم المعروفين . وصفه الأصمعي حينما سئل عنه ، وعن عنترة ، والزبرقان بن بدر ، بقوله : (هؤلاء أشعر الفرسان ، ومثلهم عباس بن مرداس السلمي) ولم يقل انهم فحول [2] .

ولخفاف ترجمة وافية سبقت لنا في فصل : (صحابة من بني سليم) اكتفينا بها عن تكرار ترجمته في هذا الفصل حيث إن في تلك مقطوعات طيبة من شعره .

الفَرَّار السلمي

(حيان بن الحكم) . شاعر مخضرم ، صحابي ، وكان أحد أصحاب راية بني سليم يوم فتح مكة . وتقدمت ترجمته في فصل : « صحابة من بني سليم » أيضاً .

١ سيرة ابن هشام وغيرها .
٢ الموشح للمرزباني ، ص ١٢٠ ، طبع دار النهضة مصر ، ١٩٦٥ م .

وله شعر جزل رصين .

وقد مكنته شاعريته القوية من أن يُحَسِّنَ (الفِرَارَ) على قبحه ، حتى حَسُن . قال :

وكتيبة لَبَّسْتُهَا بكتيبةٍ حتى إذا التبستْ نفضتُ لها يدي
فتركتهم تَقِصُ الرماحُ ظُهورَهم ما بين مقتول وآخر مسند
هل ينفعنّي أن تقول نساؤهم ، (وقُتِلْتُ دون رجالها) : لا تبعد[1]

ويذكرنا تحسينه للفرار في شعره هذا ، بقول الحارث بن هشام حين فر عن أخيه أبي جهل بن هشام ، واعتذر عن ذلك في قوله :

الله يعلم ما تركتُ قتالهم حتى علَوْا فرسي بأشقر مُزْبِدِ
وشممتُ ريح الموت من تلقائهم في مأزق والخيل لم تتبددِ
وعلمتُ أني إن أقاتلْ واحداً أُقْتَلْ ، ولا يضررْ عدوي مشهدي
فصدرتُ عنهم والأحبةُ فيهم طمعا لهم بعقاب يومٍ مُرْصَدِ

وكان حسان بن ثابت قد هجا الحارث بقصيدة — بسبب فراره — يقول فيها :

إن كُنْتِ كاذبة الذي حَدّثْتِني فنجَوْتِ منجى الحارث بن هشام
تَرَكَ الأحبة أن يُقاتِلَ دونهم ونجا برأسِ طِمرّةٍ ، ولجام

وأبيات الحارث المتقدمة قالها جواباً عن هجاء حسان هذا .

---

١ العقد الفريد — لابن عبد ربه ، ص ١٣٩ و ١٤٠ ، المجلد الأول . وفي شرح ديوان الحماسة : (ما بين منعفر وآخر مسند) ، والمنعفر : الملقى في التراب .. فالمعنى واحد . جاء في القاموس المحيط ان المترجم (حبان) — بالباء التحتية الموحدة — ، لأنه أورد اسمه في (مادة حب) .

مالك بن عمير السلمي

صحابي وشاعر . له حديث رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم في الشعر . راجع ترجمته في فصل : (صحابة من بني سليم) .

أبو شجرة : عمرو السلمي

هو عمرو بن عبد العُزّى بن عبد الله بن رواحة بن مُلَيْلٍ – بضم الميم بعدها لام مفتوحة فياء ساكنة فلام – ابن عُصية . أمّه الخنساء الشاعرة . أورد ابن حزم أنه شاعر [1] .

ارتد أبو شجرة مع من ارتد من قومه في خلافة أبي بكر . وله شعر في ذلك يقول فيه :

فلو سألتْ عنا غداة مُزَامِرٍ ... كما كنتُ عنها سائلاً لو نأيْتُها
لقاء بني فهر وكان لقاؤهُمْ ... غداة الجِواء حاجةً فقضيتُها
صبرتُ لهم نفسي وعرّجْتُ مُهرتي ... على الطعن حتى صار ورداً كُمَيْتُها
إذا هي صدت عن كَميٍّ أريده ... عدَلْتُ اليها صدرها فهديتُها

وقال في ردته عن الإسلام :

صحا القلب عن ميٍّ هواه وأقصرا ... وطاوع فيها العاذلين فأبْصرا
وأصبح أدنى رائد الجهل والصِّبَى ... كما وُدّها عنا كذاك تغيرا
وأصبح أدنى رائد الوصل منهم ... كما حبلها من حبلنا قد تبترا ...
ألا أيها المُدْلي بكثرة قومه ... وحظك منهم أن تضام وتُقْهرا
سل الناس عنا يوم كل كريهة ... إذا ما التقينا دارعين وحُسّرا

---

[1] جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٦١ .

ألسنا نعاطي ذا الطِّماح لجامَــه ونطعن في الهيجا إذا الموت أقفرا
وعارضة شهباء تخطر بالقنا ترى البُلْق في حافاتها والسنورا
فروَّيْتُ رمحي من كتيبة خـــالد وإني لأرجو بعدها أن أُعَمَّرا

وقد عُمِّرَ أبو شجرة بعد الردة كما رَجَا .. ومن حسن حظّه أن أسلم ودخل فيما دخل فيه الناس ،

أبو شجرة وعمر بن الخطاب

وفي زمن عمر بن الخطّاب قَدِم أبو شجرة المدينة ، وأناخ بصعيد بني قريظة — وإخاله شرقي المدينة حيث حَرَّةُ بني قريظة ، لأن هذه الناحية هي الموالية لبلاد بني سليم — ثم أتى عمر ، وهو يعطي المساكين من الصدقة ، ويقسمها بين فقراء العرب . فقال : يا أمير المؤمنين ! أعْطِني فإني ذو حاجة . قال : ومَنْ أنت ؟ قال : أبو شجرة ابن عبد العُزّى السُّلمي . قال عمر : أبو شجرة ؟! أي عَدُوَّ الله ! ألَسْتَ القائل :

فَروَّيْتُ رمحي من كتيبة خـــالد وإني لأرجو بعدها أن أُعمَّرا

ثم جعل عمر يعلوه بالدِّرَّة — السَّوْطِ — في رأسه حتى سبقه أبو شجرة عَدْواً . فرجع أبو شجرة إلى ناقته فارتحلها ثم أسندها في حرة شَوْران [1] راجعاً إلى أرض بني سليم . وقال يحكي ما حدث بينه وبين عمر بن الخطاب في المدينة :

---

١ شوران — بفتح الشين وسكون الواو — : جبل مطل على السد مرتفع بجنوب غرب المدينة المنورة ، وفيه مياه كثيرة يقال لها : البحيرات . وعن يمينك حينئذ عير . وبحذاء شوران هذا جبل ميطان (معجم البلدان لياقوت الحموي مادة « شور » .

ضَنّ علينا « أبو حفص » بنائله | وكل مختبط يوماً له ورق
ما زال يُرْهِقُني حتى خذيتُ له | وحال من دون بعض الرغبة الشفق
لما رَهِبْتُ « أبا حفص » وشرطته | والشيخُ يفزع أحياناً فينحمق
ثُمّ ارعويت اليها وهي جانحة | مثل الطريدة لم ينبت لها ورق
أوْرَدْتُها الخل من شَوْران صادرة | إني لأزري عليها وهي تنطلق
تطير مَرْوُ أبان عن مناسمها | كما توقد عند الجهبذ الورق
إذا يعارضها خَرْقٌ تُعارضه | وَرْهاءُ فيها إذا استعجلتها خَرَقُ
ينوء آخرها منها بأولها | سُرْحُ اليدين بها نهاضة العنق [1]

ولقصة أبي شجرة مع عمر بن الخطاب ذكر في كتاب « الكامل » للمبرد [2] .

نضلة السلمي

شاعر من بني سليم . روى له ثعلب في « مجالسه » شعراً قاله في قصة خلاصتها أن قوماً من بني سليم مروا على رجل مُزَنيّ يقال له : « نضلة » في إبل له ، فاستسقوه لَبَناً فسقاهم ، فلما رأوا أنه ليس في الإبل غيره ، ازدروه ، فأرادوا أن يستاقوها ، فجالدهم حتى قتل منهم رجلاً ، وأجْلَى الباقين عن الإبل ، فقال في ذلك رجل من بني سليم ، قال « لسان العرب » : إنه نضلة السلمي . والأبيات

---

١ تاريخ الطبري ، ص ٤٩٣ – ٤٩٥ ، الجزء الثاني .. وهكذا وردت كلمة (العنق) في المرجع المذكور ، مضافاً اليها .. ويجب عندئذ أن تكون مكسورة الحرف الأخير ، وهذا فيه إقواء ظاهر ، لأن القصيدة مضمومة حرف الروي . وربما كانت صحتها : « عنق » بدون (أل) والعنق : محركة سير مسبطر للإبل (القاموس) .

٢ ص ٣٨٨ و ٣٨٩ ، الجزء الأول . وفيه أن أبا شجرة أقبل ناقته حرة بني سليم .

هي هذه :

ألم تسأل فوارس من سُلَيم بنضلة وهو موتور مشيح
رأوه فازدروه وهو خِرقٌ وينفع أهلَهُ الرجلُ القبيحُ
فَشَدَّ عليهمُ بالسيف صَلْتاً كما عرض الشبا الفرسُ الجموحُ
وأطْلَقَ غُلَّ صاحبه وأرْدى قتيلاً منهم ونجا جريحُ
ولم يخشوا مصالته عليهم وتحت الرّغْوَةِ اللّبَنُ الصريحُ [1]

وقد عزا الجاحظ هذه الأبيات إلى أبي محجن الثقفي . ولاحظ عليه « المعلق » حسن السندوبي قوله : (لم أجد هذه الأبيات في ديوان أبي محجن ، وليس فيها ما يدل على أنها له . ولعلها لنضلة السُّلمي المذكور فيها باسمه وصفته) .

هل عَمْرُو بن مسعود سُلميّ ؟

بعد ما أورد محمد بن داود بن الجراح ترجمة عمرو بن مسعود الشاعر المعمر على أنه ثقفي ، وذكر له أبياتاً مدح بها معاوية بن أبي سفيان يُذَكِّرهُ فيها بالأيام الحلوة التي قضاها عمرو مع والده أبي سفيان في الجاهلية صديقاً حميماً له ، ويطلب رفد معاوية ، لكبر سنه — سِنِّ عَمْرو — وذهاب ثرائه ، مع الأيام — عاد ابن الجراح فذكر أنه كتب إليه « عبد الله بن أحمد بن سوادة مولى بني هاشم ما رواه عن مسنده إلى أبي عيسى موسى بن أبي بكر البكري ، قال : قَدِمَ عمرو ابن مسعود السّلمي هذا — قال إنه من بني سُلَيم — على معاوية وكان صديق أبي سفيان فلم يصل اليه شهرين ، فكلمه عبد الله بن جعفر

---

١ مجالس ثعلب ، ص ٨ ، القسم الأول ، طبع دار المعارف .

فيه ، فقال : ما علمتُ أنه باق .. فأذِنَ له ، فذكر الحديث — أي قصة قدومه اليه — وأنشد الشعر ، قال : وقال له : وكم كان ولدك ؟ قال : عشرة كلهم قد دعا عليَّ وكفاني ، فماتوا وبقي الاناث ، وذهب مالي . فأمر له بديتهم وبَرّهُ وحمله وكتب إلى عامله بالمدينة أن يُدْنِيَ مجلسه ، ويقضي حوائجه » .

وقد نقد ابن الجراح رواية سوادة الهاشمي هذه فيما يتعلق بِسُلَمِيّة عمرو بن مسعود وصلة معاوية له نقداً بالغاً ، فقال معقباً عليها : (وفي شعْره الذي أنشدنيه أبو حنيفة ما يصدق حديث ابن سوادة ، أنه — أي عمرو بن مسعود — أقام بباب معاوية شهرين .. فأما نسبه إلى سُلَيْم وما حكى أنه وصله به ، فهو مضطرب ، وكذلك اسناده » .

وكان أبو حنيفة اسماعيل بن عبد الله حدّث المؤلف بأن ابن مسعود الثقفي هذا بعد ما دخل على معاوية عقب المدة التي لم يتمكن من الدخول عليه أنشده قصيدة طويلة وصف فيها ما كان بينه وبين أبيه ، وما مر عليه من ريب الزمان ، وما أصِيب به من ماله وولده ومن حُجّاب معاوية . وأولها :

أصبحتُ شيخاً كبيراً هامَةً لِغَدٍ ... تزقو لدى جدثي أوْلاً فبعد غدِ
أوْدى الزمان حَلُوباتي وما جمعتْ ... كَفّاي من سَبَدِ الأموال واللبدِ
حتى أحال على من كان لي عَضُداً ... يا للرجال! فلستُ اليوم ذا عَضُدِ
والله لو كان — يا خير الخلائق — ما ... لاقيتُ في أحُدٍ ذَلّتْ ذُرى أحُدِ

قال : فبكى معاوية ، وقربه اليه ، وبَرّه وأكرمه ، ووصله بصلة سنية ، وردّه إلى الطائف ، وكتب إلى عامله يُوصيه به ، فلم ينشب أن مات ..

هذا وقد صحب عروةُ بن مسعود أخو عمرو بن مسعود الثقفي — رسولَ الله صلى الله عليه وسلم واستشهد بالطائف .

ومما قاله عمرو بن مسعود الثقفي من الشعر في معاوية قوله :

ما بال شيخك مخنوقاً بجرّته طال الثّواءُ به دهراً وقد صَبَرا
أباك تُرْعَدُ كَفّاهُ لمحجنه لم يترك الدهر من أولاده ذَكَرا
فاذكر أباك أبا سفيان فاحفَظَه[1] في خلّه فلقد ضَيّعْتَهُ عُصُرا

وفي ختام ترجمة عمرو بن مسعود أورد لنا ابن الجراح البيتين التاليين من رواية ابن سوادة له :

قد مر شهر وشهر لا يُرى طَمَعٌ مُدْنيه منك وهذا الموت قد حضرا
أخنى حَلُوبته واجتاح آلته لم يترك الدّهر من أبنائه ذكرا[2]

نصر بن حجاج السلمي

كان نَصْرٌ من أجمل العرب ، وهو تابعي . وأبوه « حجاج » السّلمي من الصحابة . وقد مرت بنا ترجمته في فصل : (صحابة من بني سليم » . ونصر من شعراء سليم .

وقد أورد لنا الرواة قصة افتتان بعض نساء العرب في المدينة بجماله الباهر . وحينما ثبت لدى عمر بن الخطاب — وهو خليفة — تشبيب امرأة به في أبيات شعر أنْشَدَتْهَا ليلاً ، فسمعها أثناء عَسّه وتجواله

---

١ هكذا ورد في مخطوطة « من سمي من الشعراء عمراً (الورقة ٤٩ . ولا ريب أنه خطأ من الناسخ ، إذ فيه اخلال واضح بالوزن ، اللهم إلا ان يعتبر فتح الظاء من ضرورات الشعر .

٢ من سمي من الشعراء عمراً ، لمحمد بن داود بن الجراح ، الورقة ٤٨ و ٤٩ .

في سِكَكِ المدينة – غَرَّبَ نصراً عن المدينة إلى البصرة اتقاء الفتنة به في بلد الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومجمل القصة أن « الذلفاء »[1] هَوِيَتْ نصراً ودعته إلى نفسها ، فزجرها ولم يوافقها ، وبينما عمر يعس في بعض سِكَكِ المدينة ليلاً إذ سمع نشيد شعر من دار فوقف يتسمع فإذا الذلفاء تقول :

يا ليت شعري عن نفسي أزاهقة مني ولم أقض ما فيها من الحاج ؟!
ألا سبيلٌ إلى خمر فأشربها ؟ أم لا سبيل إلى نصر بن حجاج ؟!

فأمر عمر ، فأخرجت من منزلها ، وحَبَسَها . وحينما علمت بالسبب أنِفَتْ على نفسها أن يعاقبها أمير المؤمنين بما سمع منها ... فكتبت اليه شعراً تقول فيه :

قل للإمام الذي تُخْشى بوادره مالي وللخمرِ أو نَصْرِ بن حجّاج ؟
إني عنيت أبا حفصٍ بعدهما : شرب الحليب وطرف قاصر ساجي
لا تجعل الظن حقّاً أو تيقنــه إن السبيل سبيل الخائف الراجي
إن الهوى زَمّهُ التقوى فَخَيَّسَهُ حتى أقر بإلجامٍ وَإسْرَاجِ

فبعث اليها عمر وأطلق سراحها وقال لها : لم يبلغنا عنك إلا خير .. ومن يومئذ لقبت « الذلفاء » « بالمتمنية » ، وسار لقبها هذا في الآفاق ، وشرق وغرب ، حتى وصل إلى العراق ، وعرفته نساؤها ، وتداولته وضربت بها الأمثال .

وقالوا : إن عمر لقب نصراً بالْمُتَمَنَّى – بضم الميم الأولى وفتح

---

١ جزم ابن حزم في « جمهرة أنساب العرب » بأن المرأة التي قالت هذا الشعر هي « فريعة » أم الحجاج بن يوسف أمير العراق ، وكانت زوجة للمغيرة بن شعبة ، وقدم الدليل على رأيه هذا في الصفحة ٢٦٣ .

الثانية وفتح النون وتشديدها — وقد أحضره اليه ، فلما رآه بهره جماله ، فقال له : أنت تتمناك الغانيات في خدورهن ؟ لا أم لك ! ! أما والله لأزيلنّ عنك الجَمالَ . ثم دعا بحجام [1] ، فحلق جُمته — مجتمع شعر الرأس — ثم تأمله فقال : أنت محلوقاً أحسنُ . فقال نَصْرٌ : وأيّ ذَنْبٍ لي في ذلك ؟ فقال عمر : صدقت ! الذنب لي إن تركتك في دار الهجرة . ثم أركبه جملاً ، وسَيّرهُ إلى البصرة ، وكتب به إلى مجاشع بن مسعود السلمي [2] — ابن عمه — بأني « قد سَيّرْتُ « المُتَمَنّى » نصر بن الحجّاج السُّلمي إلى البصرة » . فأنزله مجاشع منزله لقرابته ولمكانته ومكانة أبيه في المجتمع السلمي والإسلاميّ ، ولا بد أنه سمع من قبل ورود خطاب عمر اليه بما حدث جملة وتفصيلاً ، وأخدمه امرأته « شميلة » وكانت أجمل امرأة بالبصرة ، فعلقته وعلقها ، حتى انكشف أمرهما لزوجها مجاشع ، فقال لنصر : « يا ابن العم ، ما سَيّرك عمر إلى خير ، قم فإن وراءك أوسع لك » . فخرج وعدل إلى منزل بعض السلميين ، وفي « خزانة الأدب » (المسلمين) ، بالبصرة . ووقع لجنبه ، وضَنِيَ من حب شميلة ، ومن خدش كرامته مرتين : مرة على يد الخليفة في المدينة ، ومرة

---

١ يفهم من هذا ان الحجامين كانوا يتولون الحلاقة مع مهنة الحجامة ، في عهد عمر . هذا وحسن وجوه رجال بني سليم مشهور في التاريخ ، وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم قدر بن عمار السلمي أو قدداً كما سمته نهاية الأرب بقوله لبني سليم بعد موته : (أين الرجل الحسن الوجه الطويل اللسان الصادق الإيمان) ؟ ووصفت الجهنية زوج هاشم بن حرملة ، له ، العباس بن مرداس ، بقولها : (ورأيت شاباً جميلا له وفرة حسنة) ، فقال هاشم بن حرملة لها : ذاك العباس بن مرداس السلمي .

٢ لمجاشع هذا ترجمة في فصل « صحابة من بني سليم » لأنه صحابي ، وترجمة في فصل : « أمراء وزعماء وفرسان ومحتسبون وقادة وولاة وموظفون من بني سليم » لأنه كان والياً على البصرة بالنيابة في خلافة عمر . وربما كانت كتابة عمر بن الخطاب اليه في شأن تغريبه لنصر بن الحجاج إلى البصرة ، إبان ولايته لها بالنيابة عن المغيرة بن شعبة .

على يـد ابن عمه ومُنْزِلِه عنـده ومكرمه « مُجاشع » نائب أمير البصرة في البصرة . ودنف من جراء الكبت النفسيّ والألم النفسيّ معاً ، حتى صار رحمة — لحمة — وانتشر خَبَرُه ، فضرب نساء البصرة به المثل ، فقلن : (أدنفُ مِنَ الْمُتَمَنَّى) .. ثم إن مجاشعاً وقف على خبر علته ، فدخل عليه عائداً ، فلحقته رقّة لما رأى من الدنف ، فرجع إلى بيته ، وقال لشميلة : (عزمتُ عليكِ لما أخذت خبزاً فَلَبَكْتِهِ بسمن ، ثم بادرت به إلى نصر) ففعلت ، فعادت اليه صحته ، وبَرَأ ، كأن لم يكن به قلبة . فلما فارقته عاوده النكس ، ولم يزل يتردد في علته حتى مات منها .

تلك إحدى روايات قصة نصر بن حجاج السلمي ..

أما « المدائني » فلم يجعل خاتمة حياته ما ذكر آنفاً ، بل قال : (وبعد أن أقام نصر ، حَوْلاً كتب إلى عمر :

لعمري لئن سَيَّرْتَنِي أوحرمتني — وما نلتُ ذنباً إنّ ذا لحرام
وما لي ذنب غير ظن ظننتَهُ — وفي بعض تصديق الظنون أثام
أأن غنّت الحوراء يوماً بمنية — وبعض أمانيّ النساء غرام
ظننتَ بيَ الظنّ الذي ليس بعده — بقاءٌ ومالي في النديّ كلام ؟
وأصبحتُ منفياً على غير ريبة — وقد كان لي بالمكتَيْنِ مُقام
ويمنعني مما يُظنّ تكرمي — وآباءُ صدق سالفون كرام
ويمنعها ممـا تمنت صلاحُها — وطولُ قيام ليلها وصيام
فهاتان حالانا فهل أنت راجعي — وقد جُبّ مني كاهل وسنام ؟

قال صاحب الأوائل : فلما وصلت الأبيات إلى عمر ، نظر فيها ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري ، وأمره بالوصاة به ، إنْ أحبّ ، يُقيمُ بالبصرة ، وإن أحبّ الرجوع إلى المدينة فذاك اليه . فاختار نصرٌ

المقامَ بالبصرة . ولم يزل مقيماً بها إلى أن خرج أبو موسى ، إلى محاربة أهل الأهواز ، فخرج معه نصر بن حجّاج في الجيش ، وحضر معه فتح تستر)[1] .

ويفهم من الرواية التي أوردها ابن الحجاج في كتابه (من سُمِّيَ من الشعراء عمراً) ان نصراً هذا عاش حتى زمن معاوية بن أبي سفيان . وقد أوردنا نص هذه الرواية في ترجمة عمرو بن أبي سفيان أبي الأعور السلمي في الفصل الذي ذكر فيه فوارس سليم من هذا الكتاب

ولنا هنا ملاحظات على هامش رواية المدائني لخاتمة قصة نصر ابن حجّاج .

أولاً — إن لَقَبَيِ (المتمنِّية) و (المُتَمَنَّى) اللذين وُسِمَ بهما كل من الذلفاء أو الفريعة ، ونصر بن حجّاج ، قد بلغا من الاستقرار في النفوس والمجتمعات إلى حد جعل نصراً نفسه يشير اليهما إشارة واضحة حين يقول في الأبيات التي بعث بها إلى عمر :

ويمنعني مما يُظن كرامتي وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها مما « تمنت » صلاحُها وطولُ قيام ليلها وصيام

ثانياً — أرى ان لنصر الحق في اختياره الإقامة بالبصرة عن المدينة .. وذلك لأن أمره وأمر (المتمنية) قد ذاع وشاع في سائر الأوساط الإسلامية ، وبالمدينة خاصة ، وصار موضع التندر والأحاديث العامة والخاصة ، فلو عاد إلى المدينة لعاد معه الحديث المتشعب المتواتر الدائم عن أمره وأمر صاحبته المتمنية ، مما يقض مضجعه ويعيد اليه الشجون والآلام ، فكثرة حديث الناس عن مثل هذا الموضوع يوثر أثراً عكسياً على من يقال فيه .. وخاصة إذا لاحظنا تزيد الجماهير وتوسعتهم لشقة

---

١ خزانة الأدب — لعبد القادر البغدادي ، ص ١٠٨ — ١١١ ، الجزء الثاني .

الظنون ومختلف التفسيرات والتحليلات التي ما أنزل الله بها من سلطان .

ثالثاً – وقيام نَصْرِ بن حجّاج – على رواية المدائني – بمرافقة الجيش الغازي مع أبي موسى ، يدلنا على عمق ايمان نصر وعلى أنه في المستوى الطيب من كرم الأخلاق وطيب العنصر ، فما حال بينه وبين الجهاد في سبيل الله لَوْكُ الألسنة لاسمه بحق وبغير حق .. لقد كان شريفاً وابن شريف وظل على مستواه الاجتماعي وقد رأينا عمر ابن الخطاب (وهو الخليفة الرّجّاع إلى الحق متى لاح له ضياؤه من أيّ مكان ومن أيّ انسان) رأيناه يعطف عليه عطفاً كاملاً ويعيد اليه (اعتباره) ويكتب إلى عامله بالبصرة بتخييره بين المقام بالبصرة والعودة إلى المدينة .. وكم كان نصر حصيفاً ولبيباً عندما فَضّل البقاء في البصرة للبواعث التي أشرنا اليها آنفاً . ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . وليس على أفواه الناس أقفال ..

عباس بن أنَس بن عباس بن مرداس السلمي

يتراءى لي أن عباساً هذا هو أحد أحفاد عباس بن مرداس السلمي الصحابي الشاعر البطل المعروف ١ .

ولعباس بن أنَس رثاء مؤثر في ابن عمه : عبد الله بن خازم السّلمي ، القائد المحنك وبطل الحروب المغوار الذي أوقع به دهاء عبد الملك بن مروان ، حينما حافظ على كلمة الشرف فلم يقبل أن ينقض بيعته لعبد الله بن الزبير ، برغم المغريات الكبيرة التي قدمها له عبد الملك ، وقد فصّلْنَا ترجمة حياته في فَصْلٍ : (أمراء وزعماء

١ يسند ذلك ما ورد في معجم الشعراء للمرزباني ، فقد ساق نسبه كما ذكرناه ، راجع ص ١٠٣ .

ومحتسبون وفرسان وقادة وولاة وموظفون من بني سليم) .

يقول عباس بن أنَس يرثي عبد الله بن خازم :

نفسي الفداء لعبد الله اذ جشأت نفسُ الجبان وضاق الورد والصدرُ
كان المُحافِظَ والحامي حقيقتنا إذا الكماة ارجحنوا والقنا كِسَرُ
وضاقت الخيل تردي في أعنتها خزر العيون ولما ترشح العذرُ
حامَى وخاضَ حياض الموت معتزماً بالسيف .. يخطر حتى عَزَّهُ النفرُ
وفر أصحابُهُ عنه وأسْلَمَهُ للشانئين صروف الدهر والقدرُ
فصادف الموتَ محموداً أخا ثقة كأنّ غُرّتَهُ في القسطل القمرُ [1]

وقصيدة عباس بن أنَس هذه تجري مجرى سائر قصائد بني سُلَيم الذين اطلعتُ على أشعارهم في الجاهلية والإسلام ، من حيث جمالُ الأسلوب ، وحصافة المعاني ، وجزالة البيان ، ووضوح المقاصد والأهداف ، وعدم التعثر في حُوشِيِّ [2] الكلام ولا وَحْشِيِّه .

موسى بن عبد الله بن خازم السلمي

شاعر مُجِيد من شعراء بني سُلَيْمٍ في صدر الإسلام . وهو ابن القائد البطل عبد الله بن خازم .

لموسى قصيدة عصماء رثى بها أخاه (محمد بن عبد الله بن خازم) الذي قتل في ولاية والدهما لخراسان :

ذكرتُ أخي والخِلْوُ مما أصابني يَغطُّ ولا يدري بما في الجوانحِ

---

١ معجم الشعراء ، ص ١٠٣ و ١٠٤ .
٢ حوشي الكلام : غامضه .

دَعَتْهُ المنايا فاستجاب دعاءها وأرغم أنفي للعدو المكاشح
فلو ناله المقدار في يوم غارة صبرتُ ولم أجزع لنوح النوائح
ولكنّ أسباب المنايا صرعنه كريماً محياه ، عريض المنازح
بِكفِّ امرئ كَزٍّ قصير نجاده خبيث ثناه عرضة للفضائح [1]

لقد أجاد موسى في إبْرازِ ما تجيش به نفسه من انفعالات الحسرة والألم بفقده لأخيه في غير معركة ضارية خاضها ، وإنما بيدٍ جانية أثيمة تولت اغتياله غدراً : يَدِ امرئ كَزٍّ قصير نجاده ، خبيثِ ثناه عرضة للفضائح ...

هذا ولا يخرج رثاء موسى هذا ، ولا رثاء أنَس بن عباس قبله عن طريقة بني سُلَيم في المراثي بإبراز ما تكنه صدورهم من مقة وثقة وتقدير لمن يرثونه من ذويهم .. وقد سارت على تلك الطريقة نفسها الخنساءُ السّلمية ُ ، ولكنها برعت فيها براعة رفعتها إلى مستوى القمة من الرّثاةِ من شعراء العرب وشواعرهم في مختلف العصور ومتوالي الأجيال .

وعلى ذكر « الفضائح » في قصيدة موسى السابقة ، فإننا نجد شاعراً سُلميّاً آخر ، هو « معاوية بن مالك » ، يذكر في شعره « الفضيحة » ويفتخر بتنائيه عن مواقعها في ساحة المعركة ، فيقول :

لما رأيتُ نساء قومي حُسّراً وترت إليّ النفس غير مزاح
أقدمتُ حتى لم أجد مُتَقَدّماً وعلمتُ أنّ اليوم يومُ فِضاح

واهتمام شعراء بني سليم بذكر (الفضائح) في أشعارهم يدلنا على شدة مَقْتِهِمْ للوقوعِ فيها ...

---

[1] معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص ٢٨٧ .

ولموسى أبيات قويةُ السَّبْكِ منها قوله :

فتىً كانَ أحْيَى من فتاة حَيِيَّةٍ
وفي الرَّوع أمضى من ضُبَارِيَةٍ وَرْد [1]

ولعلَّ من المناسب أن نذكر هنا ما ترآى لنا أثناء دراسة أشعار بني سُلَيم ، في الرثاء خاصّةً ، فإن أشعارهم تحمل في الرثاء خاصة ، البلاغة واستخراج ما تجيش به صدورهم من ألم ممض وتفجع وحزن قاتل ، في صَوْغٍ مُنسجمٍ مُوسيقيٍّ رائع يستبي القلوب ويستهوي الأفكار ، ويجعل السامع والقارئ يشاطران شاعرهم حزنه العميق .

نقل ترجمة موسى بن عبد الله بن خازم ، مُحَقِّقُ كُتَيِّب « أسماء جبال تهامة وسكانها ، لعرام السّلمي » عن « النجوم الزاهرة » . ومحقق ذلك الكُتَيِّب هو : محمد عبد السلام هارون [2] .

أبو عَدْنان السلمي

عبد الرحمن بن عبد الأعلى البصري ، مولى بني سُلَيم . قال عن نفسه : كان جَدُّ أبي من السُغْدِ أصابه سِبَاءٌ . سباه عبد الله بن خازم السلمي ، فمنَّ عليه .

سمع أبو عدنان من أبي زيد الأنصاري ، وأبي عبيدة ، والأصمعي ، وأبي مالك ، ونظرائهم . وكان أحد الرماة الْمُجِيدِينَ ، وكان شاعراً راوية للحديث ، وله كتب في الأدب حِسَانٌ ... منها : « كتاب قِسِيِّ العرب » لم يسبقه أحد إلى تصنيف مثله ، وكتابٌ في

---

١ معجم الشعراء للمرزباني ، ص ٢٨٧ .
٢ ص و ٢٨ ٦٧ .

« غريب الحديث » .

وأبو عدنان هو قائل هذا البيت الذي :

سار مسير الشمس في كل بلدة وهبّ هبوب الريح في البر والبحر

وذلك البيت هو قوله :

تدس إلى العطار ميرة أهلها ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر [1]

وله زميل لا يقل عنه روعة ، وإن قلّ عنه شهرة ، وهو قوله :

ألم تر أن البان يُجْلَبُ عُلْبَةً ويُتْرَكُ عودٌ لا ضراب ولا ظهر

وعندما سمعت امرأة أبي رجاء الكلبي البيتين السابقين ، أجابته بقولها :

عَدِمْتُ الشيوخ وأشْباهَهُمْ وذلك مِنْ بَعْضِ أفْعَالِيَهْ

ترى زوجة الشيخ مُغْبَرّةً وتمسي بصحبته بَالِيَهْ

لقد كالت له من نفس النوع الذي كاله لها ، وجزاء سيئة بمثلها .

---

١ يفهم من هذا البيت أن نساء العرب في عهد الشاعر كن يستعملن نوعاً من « المكياج » لتجميل وجوههن . وللبيت رواية أخرى :

تروح إلى العطار تصلح وجهها وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر ؟

وقد سبق إلى هذا المعنى ، الشاعر جران العود حيث قال :

عجوز ترجي أن تكون فتية وقد لحب الجنبان واحدودب الظهر

تسوق إلى العطار ميرة أهلها وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر ؟

بنيت بها قبل المحاق بليلة فكان محاقاً كله ذلك الشهر

(راجع تهذيب الألفاظ لابن السكيت ، ص ٥٨٠ ، طبعة بيروت ١٨٩٥ م .

والبادي أظلم ...

ويحدثنا أبو عدنان عن نفسه وعن هذه المرأة ، فيقول : بعد ما سمع بيتيها السالفين : « فَوَثَبْتُ عليها ... فنادت يال كلب! وناديتُ : يال كلب ! فدخل علينا النساء دون الرجال ، فضربني ، وخنقني ، وشققن مَدْرعتي ...

وقال محمد بن الجراح : أبو عدنان الأعور السلمي البصري اسمه : وَرْدُ بن حكيم ، راوية أبي البيداء .

ومن شعر أبي عدنان قوله :

أهملتَ نفسك في هواك ولمتني لو كنتَ تُنْصِفُ لمتَ نفسك دوني
ما بال عينك لا ترى أقذاءها وترى الخفاء من الأذى بجفوني ؟

وقال أحمد بن سليمان : سألت أبا عدنان عن قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي أيوب : (إن طلاق أمِّ أيوب لَحُوبٌ) — أهو الإثم ؟ فقال : لو كان كذا ، لضاق على كل مطلق الطلاقُ ، ولكن الحوب : الوَحْشُ .. وأنشد :

إن طريق مِثْقَبٍ لحوبُ

أي : لَوَحْشٌ . قال : ومِثْقَبٌ : طريق الكوفة إلى مكة . وطريق البصرة إلى مكة يدعى (فَلْجاً) ، وأنشد :

إن بني العنبر أحْمَوْا فَلْجَا ماءاً رَوَاءاً ، وطريقاً نَهْجَا

ويدعى طريق اليمامة إلى مكة : المنكدر .. وأنشد :

لا تأخذ العِلْم طريق المُنْكَدِرْ ولا تكارى من فُقَيْميٍّ عَسِرْ
تسير يومين ويومـاً تنتظرْ ولا يزال قد أتاك يعتذرْ
بالإفْكِ والزّورِ وإياك يَغُرّ [1]

---

[1] نور القبس المختصر من المقتبس لأبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني اختصار أبي المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود الحافظ اليغموري ، ص ٢١٧ و ٢١٩ ، طبع ڤيسبادن ١٩٦٤ م — ١٣٨٤ هـ .

مَعْن بن أبي عاصية السلمي

يقال إن اسمه : يعقوب بن أبي عاصية الأجدع السلمي .

وهو مدنيّ شاعر ، له في مَعْنِ بن زائدة مديح سائر ، وكان ناصبيّاً ، استعمله زياد بن عبد الله الحارثي لما كان على المدينة للمنصور — على يَنْبُعَ ، فَحَبَسَ بعضَ أولياءِ عبد الله بن حسن ، فشهر (فشتمه) عبد الله ، فهجاه وقَبّح ... وسماه عمر بن شبة : يَعْقُوبَ . وقال الزبير : اسمه مَعْن .

وهو القائل لمعن بن زائدة :

إن زال معن بن شريك لم يزل يوماً إلى بلد بعير مسافر
نَذْراً عليّ ، لئن لقيتك سالماً أن تستمر بها شفار الجازر

وهو القائل عند قدومه إلى العراق :

تطاول لَيْلي بالعراق ولم يكن عليّ بأكناف الحجاز يطول
فهل لي إلى أرض الحجاز ومن به بعاقبة قبل الممات سبيل ؟
إذا لم يكن بيني وبينك مرسل فريح الصبا مني اليك رسول [١]

ابن أُقيصر السُّلمي

تنازع ابن أقيصر الشاعر السلمي إلى الحسن بن زيد في قَطيعة سلمة ابن مالك السلمي ، فعرفها الحسن ، فقال : ائتوني ببرهان ، مع معرفتي (قال ابن أقيصر) : فأتينا عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد ابن عمار بن ياسر ، فسألناه ، فأخبَرنا عن أبيه عن جده ، رفعه

١ معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص ٣٢٤ و ٣٢٥ وغيره .

إلى عمار بن ياسر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع سلمة بن مالك السلمي وكتب له : (بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سَلَمَةَ بنَ مالك ، أعطاه ما بين الحناظل إلى ذات الأوساد ، ومن حاقّهُ فهو مبطل ، وحقّه حق) [1] .

ولعل ابن أبي أقيصر السلمي الذي تنازع إلى الحسن بن زيد في أمر قطيعة سلمة بن مالك السلمي هو محمد بن أقيصر الذي هو والد عمر . فقد حدّثَ عن يحيى بن عروة بن أُذَيْنَةَ ، فقال : أتى أبي وجماعة من الشعراء ، هشامَ بنَ عبد الملك ، فأنشدوه ، فنسبهم ، فلما عرف أبي قال : ألست القائل :

لقد علمتُ وما الإسراف من خُلُقي أنّ الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى له فيُعَنّيني تطلبُه ولو قعدت أتاني لا يعنيني

فألاّ جلست حتى يأتيك ؟ قال : فسكت أبي ، فلم يجبه . فلما خرجوا جلس أبي على راحلته حتى قدم المدينة ، وتنبه هشام عليهم ، فأمر بجوائزهم ، ففقد أبي ، فسأل عنه ، فأخبروه بانصرافه ، فقال : لا جرم والله ، ليعلمن هذا أن ذاك سيأتيه في بيته . قال : ثم أضعف له ما أعطى واحداً من أصحابه ، وكتب له فريضتين ، كنت أنا آخذهما [2] .

الأرقم السُّلمي

أورد له العماد الأصفهاني في تراجم شعراء الأندلس وأدبائها ، بيتين

---

١ مجالس ثعلب ، ص ٤٣٥ ، والحناظل : موضع في ديار بني أسد كانت فيه وقعة لبني تميم على بكر . راجع هامش الصفحة ٤٣٥ من مجالس ثعلب لعبد السلام محمد هارون .

٢ مجالس ثعلب ، ص ٤٣٤ .

من الشعر ، هما :

يا ذا الذي يخشى سوى من حكمه ... ما بين كاف الأمر منه ونونه
لا تخش إن الله كافٍ عبده ... أيخوفونك بالذي من دونه ؟[1]

وكتب محققا الخريدة : عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم ، في هامش ما سبق ذكره ، قولهما : ورد اسم أرقم مبهماً في نفح الطيب . وذكر أنه ينتسب إلى بني ذي النون ، ولكنهم تبرؤوا منه ، لأنه كان ابن أمة مهينة . كما أورده ابن سعيد في « المغرب » تحت اسم « الأمير أرقم بن عبد الرحمن بن إسماعيل .... بن ذي النون . وقال نقلاً عن صاحب « المسهب » : إنه أخو اسماعيل أول من ملك طليطلة من بني ذي النون . وقال : انه يُكتنى بأبي الضراس . ويظهر أن أسرته ضاقت به ، ففر منها ، فدسّت له من قتله[2] . وإذا ثبت هذا النسب للأرقم فهو ليس بسلمي وإنما هو بربري ، لأن بني ذي النون أمراء طليطلة بالأندلس برابرة كما هو معروف .

محمد بن أبي بدر السلمي

من شعراء بني سليم . وكان نزل الجبل . وله في زهير بن هلال من قصيدة مخمسة ، أولها :

الحمد لله على السراء ... والحمد لله على الضراء

---

١ يعني الشاعر : أيها الذي يخشى غير الله تعالى الذي أمره بين الكاف والنون (كن) – لا تخش غيره « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » . ويشير الشاعر في البيت الثاني إلى قول الله تعالى : « أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه » .

٢ خريدة القصر وجريدة العصر مع هامشها = القسم الرابع ، الجزء الثاني ، ص ١٥٨ ، ط مطبعة دار نهضة مصر بالقاهرة .

رزاق أهل الأرض والسماء ما أحسن الصبر على البلاء

والشكر لله على الرخاء

ثم حرف الباء خمسة أبيات ، مثل حرف الهمزة ، وهكذا إلى آخر حروف الهجاء[1] .

عمرو بن مَرْثَدٍ أبو الغَرّاف السّلمي

هو أحد شعراء سُلَيم المعروفين . وقد رد على ربيعة الرّقي قولَهُ الذي مدح به يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب وهجا فيه يزيد بن أسيد السُّلمي :

لشتان ما بين اليزيدين في العلى[2] يزيد سُليم والأغرّ بن حاتم

يزيد سُلَيم سالم المال والغنى أخو الأزد للأموال غير مُسَالِمِ

فَهَمُّ الفتى الأزْديّ تفريق[3] ماله وهَمُّ الفتى القيْسيّ جمع الدراهم

وهمُّ الفتى القيسي ُدفّ ولعبة وهم الفتى الأزْديّ ضرب الجماجم

فلا يحسب التّمتام أني هجوتُه ولكنني فَضّلتُ أهل المكارم

وقد عَقّب « ابن الجراح » على ما ذكر آنفاً بقوله : « فهجا أبو الغرّاف ، اليمنَ وربيعةَ .

---

١ معجم الشعراء ، ص ٤٠٥ .

٢ في رواية أخرى « في الندى » وهي أقرب الى المعنى المقصود من هذه الابيات .

٣ في رواية أخرى لهذا البيت : «اتلاف » بدلا من صيغة « تفريق « والرواية الاخرى هذه أدق بالنسبة للهدف المنشود من الابياث جميعاً .

وقال أبو الشمقمق في هذا المعنى يهجو يزيد بن حاتم ويزيد بن أسْيد ، ويفضل عليهما يزيد بن مزيـــد الشيباني :

لشتان ما بين اليزيدين في النّـــدى إذا عُدّ في الناس المكارمُ والمجدُ
يزيدُ بني شيبان أكرمُ منهما وإن غضبتْ قيسُ بن عيلان والأزد
فتىً لم يلده من سُليم قبيلة ولا لخمُ يُنْميه ، ولم يُنْمِـهِ نَهْدُ
ولكن نمتْه الغُرّ من آل وائل وبَرّةُ تنميه ومن بعدها هِنْدُ

ومن هذا ومن استقرائي للكتاب ظهر أن ما قاله المزرباني في « معجم الشعراء » من وجود الأبيات التي هجا بها أبو الغراف السلمي اليمن وربيعة في كتاب « من سُمِّيَ من الشعراء عمراً » لابن الجراح ، هو غير واقع بالنسبة للنسخة المخطوطة القديمة التي اطلعت عليها بمكتبة الدكتور عزة حسن بدمشق فكل ما جاء فيها هو الاشارة إلى تلك الأبيات فقط دون إيرادها .

عمرو بن عبد العزيز السُّلمي

بطل موفق ، وشاعر . عـــاش في عهد العباسيين ، وشارك في حروبهم الداخلية . ترجم له ابن الجراح ، فقال :

عَمْرُو بن عبد العزيز السّلمي شاعر عباسي ، صاحب العصبية في فتنة محمد الأمين ، على مثل ما كان خرج عليه أبو الهيْنام . يقول حمزة بن ميمون : حضرت عبد الملك بن صالح يوماً ، وقد دخل اليه عمرو بن عبد العزيز وهو يسائله بعد أن استأمن إليه ، لما قلّده محمد الأمين الشام ، فأعجبه مُحاورَتُهُ وجوابُه ، فقال : يا عمرو ! لقد

تناهى إليّ من خبر ظفرك بأعدائك في حروبك ما يُعْجَبُ منه ، فهل تعرف لذلك سبباً تُخبرني به ؟ قال : لا والله أصلح اللهُ الأميرَ الا ما قال الشاعر :

فما إن قتلناهم بِأكْثَرَ منهم ولكن بأولى بالطعان وأصْبرا

وقام عمرو من عنده — من عند عبد الملك بن صالح — فقال : أنت والله كما قال الشاعر :

يغدو ، إذا ما خِلاجُ الشك عنّ له على صريمة أمر غير مردود
رَكّابُ ما يكره الأبطالُ يَقْدُمُه رأيٌ جميعٌ وقلب غير رعديد

وأورد «ابن الجراح» من شعره قوله :

دعوتُ بني عمي فكان جوابهم بلبيك فعل السادة النُّجُبِ الغُرِّ
فما لُمْتُهُم في النصر حين دعوتهم ولا لامني قومي لدى النّهْي والأمر

وقوله :

يطلبُ الثأر من إذا هَمّ أمضى هَمّه كان مُخْطِئاً أو مصيبا
ليس يخشى عواقب الأمر يغشا ه إذا ناله وإن كان حُوبا

وقوله :

ما الفتك إلا لمن إن قال يفعله ولا يشاور فيما يرتئي أحدا
لا كالمُشاور فيما يرتئيه ، وقد يخشى العواقب ان بقى له ولدا
لا تخش عاقبة في الفتك وامْضِ لما هَمَمْتَ إن غيّة كانت وإن رشدا

من يستشر يختزل أولى عزيمته   في الفتك أو يطلب الأعوان والمددا [1]

ويبدو جلياً ان الخطة التي يقررها عمرو بن عبد العزيز السّلمي في شعره قد نفّذها في حياته – وهي خطة المبادرة إلى اقتحام المخاطر بدون ترو وبدون مشاورة – هي خطة كثيراً ما توقع صاحبها في مهاوي التهلكة والزلل والفشل .. بخلاف الخطة المضادة التي هي خطة إعمال الفكر ، واستعمال المشورة قبل ركوب المخاطر . فإنها كثيراً ما ترفع صاحبها إلى قمة النجاح وتحقيق الأهداف المثلى . وهذه الخطة الحكيمة هي التي وجه اليها بشار بن برد الأنظار والأسماع في قوله البليغ :

إذا بلغ الرأيُ المشورةَ فاستعن   برأي نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعلِ الشورى عليك غضاضة   مكان الخوافي قوةٌ للقوادم

وهي التي وصف مزاياها أبو الطيب المتنبي في قوله الحكيم :

الرأي قبل شجاعة الشجعان   هو أوّلٌ وهي المحل الثاني
فاذا هما اجتمعا لنفس مرة   بلغت من العلياء كل مكان

علي بن بدال السّلمي

تحدّث أبو القاسم الزجاجي ، فقال : (أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال : (أنشدني عبد الرحمن عن عمه ، علي بن بدال من بني سُلَيم :

---

[1] كتاب : « من سمي من الشعراء عمراً » – لمحمد بن داود بن الجراح : الورقة ٦٤ و ٦٥ .

لعمرك إنني وأبا رياح على حال التكاشر منذ حين
لأبْغَضُهُ ويبغضني وأيضاً يراني دونه وأراه دوني
فلو أنا على حجر ذُبِحْنا جرى الدّمَيانِ بالخبر اليقين [1]

« التكاشر » في البيت الأول بمعنى المباسطة من الكشر وهو التبسم .

وقد أورد عبد القادر البغدادي ، هذه الأبيات ، وعزاها أيضاً إلى علي بن بدال السلمي . [2]

المفضل بن خالد السُّلمي

شاعر مجيد . ويعتبر من شعراء خراسان . ذكره المدائني . وله في الفتنة :

قد قُلْتُ للأزد قولاً ما ألَوْتُ به نُصْحاً لهم وأعدتُ القول لو نفعا :
يا معشر الأزد إني قد نصحت لكم فلا تطيعوا جُدَيْعاً أيّما صَنَعا
فما تَناهَوْا ولا زادتهم عظةٌ إلا لجاجاً ، وقالوا الهجر والقذعا
يا معشر الأزْدِ مَهْلاً قد أظَلّكُمُ ما لا يُطاق له دَفْعٌ إذا وقعا [3]

---

١ أمالي الزجاجي ، ص ٢٠ ، طبع مطبعة المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ، وقول علي بن بدال : « جرى الدميان » يشير إلى زعمهم ان الرجلين المتعاديين إذا ذبحا لم تختلط دماؤهما
٢ خزانة الأدب ، ص ٣٥١ ، الجزء الثالث ، طبع مطبعة بولاق بمصر .
٣ معجم الشعراء ، ص ٢٩٧ .

مؤرج السلمي

أحد شعراء بني سُلَيم . ذكر له البكريّ في « معجم ما استعجم » بيتين في مادة (الربذة) . وكان قد قال ذينك البيتين حول حفائر حفرها المهدي ، على ميلين من جبل القَهْب . وتدعى « ذا بقر » . قال :

قَدَرٌ أحلّكَ ذا النخيل وقد أرى وأبيك مالك ذو النخيل بدار
إلا كداركم بذي « بقر الحمى » هيهات ذو بقر من الزوار !

أشجع السلمي

أسهب عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة) .. في « الشعر والشعراء » — في ذكر مقطوعات أشجع وقصائده مما يدلنا على إعجابه بشاعريته وبشعره . وقد ترجمه مُختصِرُ شَرْحِ التبريزي لديوان الحماسة فأفادنا بأنه : (من ولد الشريد بن مطرود السلمي ، وكان يكنى أبا الوليد .. شاعر إسلاميّ عباسيّ ، نشأ بالبصرة ، وقال الشعر وأجاد فيه حتى عُدّ من الفحول . وكان الشعر يوم نبغ في ربيعة واليمن ، ولم يكن لقيس شاعرٌ ، فلما نجم أشجع ، وقال الشعر افتخرت به قيس ، وانقطع إلى البرامكة ومدحهم ، واختص بجعفر ، فأصفاه مدحه ، فأعجب به جعفر ، ووصّلَهُ إلى الرشيد ، ومدحه ، فأعجب به أيضاً ، وأمده بالمال ، فأثْرَى ، وحسنت حاله في أيامه ، وتقدم عنده ، وله فيه المدائح المختارة والقصائد السائرة » [1]

وقال ابن قتيبة عنه : « أشجع بن عمرو من بني سُلَيم . وكان

١ مختصر شرح التبريزي على ديوان الحماسةلأبي تمام الطائي ، ص ٣٥٤ و ٣٥٥ ، الجزء الأول طبع مطبعة السعادة بمصر .

متصلا بالبرامكة ، وله فيهم أشعار كثيرة ، منها قوله في يحيى بن خالد ، وكان غاب :

قد غاب يحيى فما أرى أحداً يأنس إلا بذكره الْحَسَنِ
أوْحَشَتَ الأرضُ حين فارقها من الأيادي العظام والمنَنِ
لولا رجاء الإياب لانصدعت قلوبُنَا بعَدْده من الْحَزَنِ [1]

ولأشجع أبيات في فائدة الالحاح في طلب الحاجات . يقول :

ليس للحاجات إلا من له وجه وقاح
ولسان طرمذان [2] وغدو ورواح
إن أكن أبطأت الحا جة عنّي والسراح
فعليّ الجهد فيها وعلى الله النجاح

وله مدائح سيارة في هارون الرشيد ، منها قوله :

وصلت يداك السيف يوم تقطعت أيدي الرجال وزلّت الأقدامُ
وَعلى عَدُوّك يا ابنَ عَمّ مُحَمّدٍ .. رصدان : ضوءُ الصبح والإظلامُ
فاذا تنبه رعته ، وإذا هدا .. سَلّت عليه سُيُوفَكَ الأحلامُ

وقد ذكر الجاحظ البيتين الأخيرين : (وعلى عدوك الخ) وقال : إنهما قالهما أشجع السّلمي في هارون الرشيد [3] .

ولأشجع أبيات في منتهى الروعة والطلاوة ، مدح بها جعفر ابن يحيى :

بديهتُه مثلُ تدبيره متى هِجْتَهُ فَهْوَ مُسْتجمعُ

---

١ الشعر والشعراء ، ص ٧٥٨ .
٢ أي مفتخر بما ليس عنده ومتكثر بما لا يفعل .
٣ البيان والتبيين ، ص ١٩٤ ، الجزء الثالث .

إذا هَمَّ بالأمر لم يُثْنِهِ هجوعٌ ولا شادنٌ أفْرَعُ
ففي كفّه للغنى مطلب وللسّرِّ في صدره موضعُ
وكم قائل إذ رأى بَهْجَتي وما في فضول الغنى أصْنَعُ :
غداً في ظلال ندى «جعفر» يَجُرُّ ثيابَ الغِنى «أشْجَعُ»
وما خلفه لامرئ مطمعٌ ولا دونه لامرئ مَقْنَعُ [1]

وقد ترجم عبدُ القادر البغدادي ، أشجعَ ، ترجمة وافية . وفي هذه الترجمة زيادات على ما جاء في الكتب السالف ذكرها .. ومن ذلك أن أباه تزوج امرأة من أهل اليمامة ، فشخص معها إلى بلدها ، فولدت له هناك أشجع ، ونشأ باليمامة ، ثم مات أبوه ، فقدمت به أمه البصرة ، فطلبت ميراث أبيه ، وكان له هناك مال ، فماتت بها ، وربي أشجع ، ونشأ بالبصرة ، فكان من لا يعرفه يدفع نسبته ، ثم كبر ، وقال الشعر ، فأجاد ، وعُدّ في الفحول . وكان الشعر يومئذ في ربيعة واليمن ، ولم يكن لقيسِ عَيْلانَ ، شاعر ، فلما نجم أشجع افتخرت به قيس ، وأثبتت نسبه ، ثم خرج أشجع إلى الرقة ، والرشيد بها ، فنزل على بني سُلَيم ، ومدح البرامكة وانقطع إلى جعفر خاصة ، فوصله الرشيد ، فأثرى ، وحسنت حاله . ولما ولّى الرشيد ، جعفر بن يحيى ، خراسان ، جلس لتهنئة الناس ، وأنشده الشعراء ، ودخل في آخرهم أشجع ، فارتجل مقدمة نثرية مختصرة بارعة الأسلوب ، قال فيها يُخاطب جعفراً : (لِتَأذَنْ في إنشاد شِعْرٍ قضيتُ به حق سؤددك وكمالك ، وخَفّفْتُ به ثِقَلَ أياديك عندي) .. فقال له جعفر : (هات يا أبا الوليد) . فأنشده قوله :

١ الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، ص ٧٦٠ ، طبع بيروت .

أتصبر يا قلب أم تجزع ؟ فان الديار غـداً بلقعُ
غداً يتفرق أهل الهوى ويكثر باكٍ ومسترجعُ

ومضى حتى بلغ قوله :

ودَوّيةٍ بين أقطارهـا مَقَاطعُ أرضِينَ لا تُقطَعُ
تجاوزتُها فوق عَيْرانة من الريح في سيرها أسرعُ
إلى « جعفر » نزعت رغبة وأيّ فتىً نحوه تنزعُ ؟!
فما دونه لامرىءٍ مطمع ولا لامرىء دونه مَقْنَعُ
ولا يرفع الناسُ ما حَطّهُ ولا يضعون الذي يرْفَعُ
يريد الملوكُ ندى جعفرٍ ولا يصنعون الذي يَصْنَعُ
وليس بأوسعهم في الغنى وَلكِنّ معروفه أوسعُ
يلوذ الملوك بآرائـه إذا نالها الْحَدثُ الأفظعُ
بديهتُه مثلُ تـدبيره متى رُمْتَهُ فهو مُسْتَجمع [1]

البلاء موكل بالمنطق

وعندي نقد « بما تحمل صيغة النقد من معنى لغوي وفني شامل » فالقصيدة في وزنها وفي خفة روحها وسلاسة ألفاظها وعذوبتها وروعة معانيها ، هي في ذروة « الشعر السُّلمي » الذي نرى أنه يمتاز بهذه المعاني كلها.. وكلما ارتقى أحد شعرائهم أو شاعراتهم سلم المجد الشعري كان شعره كالشّلال الفياض الشفيف المُفْعم بالجمال حِسّاً ومَعْنىً .. وروحاً ومَبْنىً ..

---

١ خزانة الأدب ، ص ١٤٣ و ١٤٤ ، الجزء الأول .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد يكون الشاعر المفلق «أشجع» ذهب به التأثر من فراق صديقه ومُسْدِي جم الإحسان اليه : « جعفر البرمكي » — إلى أن يبدأ قصيدة تهنئته هذه العظيمة له بمعاني الفراق والجزع ، وخلو الديار ، وتفرق أهل الهوى وكثرة الباكين والمسترجعين لفراقهم لهذا الغيث المنسجم والربيع الخصب الممرع ، والروضة الغناء التي كل ثمارها يانعة بالكرم والجود .. ولكن فاته أهم شيء وهو « اللماحية » التي يحتاج اليها الشعراء دائماً وهم يمدحون العظماء .. فان العبارات المتشائمة الحزينة الباكية التي جعلها مقدمة قصيدته المهنئة لا يحسن بمثله — على كل حال — أن يتفوه بها ولا أن يقدمها بين يدي قصيدة يهنئ بها عظيماً صديقاً وُلّيَ منصباً كبيراً .. لأنها عبارات تشاؤم تحمل ولا بد إلى الممدوح ريحاً كريهة من النكد والتقزز والانزعاج الخفي من المستقبل الذي رسمته له هذه الأبيات . إنها عبارات تغلق شهية المديح ، وتفتح باب الانكماش والشوءم من المنصب الذي قوبل بهذه الألفاظ المكروهة المسمومة . وكان الأجدر بأشجع أن يكون شاعراً لبقاً يعرف من أين توكل الكتف ، فيُبعد جداً ممدوحه عن سماع هذه النغمات الحزينة الممرضة ، ويقدم اليه بدلاً عنها باقات نضرة فواحة باسمة بالأمل والرجاء وبالأماني المعسولة بدوام العز والبهجة والحبور ، وبانتظام الشمل ، وكثرة الأفراح والليالي الملاح .. وأن يفرش الأزاهير والورود الفواحة بين يدي مدحيته العصماء .. في أرضها وفي الأجواء ..

وإني أعتقد أن جعفراً — وهو مثقف وذو إحساس أدبي مرهف ، لا بُدّ أن يكون في قرارة نفسه غير مستحسن لهذا المطلع الأسود القاتم العابس في وجه مستقبله الذي يرجو أن يكون كله باسماً ومشرقاً وعبقاً .. والبلاء ، كما يقولون ، موكل بالمنطق .. فقد وقع كل ما جاء في مقدمة قصيدة أشجع وإن كان غير قاصد له ولا مريد ولا راغب فيه .. فَنُكِبَ البرامكة نكبة تاريخية هائلة ، وتفرق عنهم الأحبة ، وآضَتْ

ديارهم بعد عمران زاهر ، بَلاَقِعَ تندب حظها وحظهم . وبكاهم الباكون ، واسترجع المسترجعون ، ورثوا عزهم الآفل ، ومجدهم الزائل . ورحم الله الشاعر «أشجع» المخلص لجعفر البرمكي ، وغفر له ، حيال ما قدمه لممدوحه الأثير لديه — من الإنذار ، بالمستقبل المظلم العابس المكفهر ، بعد الحاضر الناضر المزدهر ، على طبق زمرديّ رائع من قصيدته هذه البليغة الساحرة ...

هذا ولأشجع قصيدة ممتعة في أحمد بن يزيد بن أسيد السّلمي ، (وكان يزيد قد اعتل ثم أفاق من علته) :

لئن جَرحتْ شكاتُك كُلَّ قلب ... لقد قرت بصحتك العيونُ
وحق لها بأن تخشى المنايا ... عليك وأنت منكبها اليمين
ولو فقدتك قيس يا فتاها ... إذن لتضعضعت منها المتونُ
ولو أن المنون بدت لقيس ... لما نالتك أو يفنى المنونُ

وقد علق الرقيق القيرواني على الأبيات المتقدمة بقوله : « وكان أحمد بن يزيد (السلمي) وأبوه (يزيد) شريفين مذكورين » .
وحينما مات أحمد بن يزيد السلمي الذي يبدو أنه كان ركناً ركيناً للجالية السلمية في «جرجان» ، رثاه أشجع بقصيدة منها :

رحم الله أحمد بن يزيد ... رحمة تغتدي وأخرى تروح
جبلاً أطبقوا عليه بجرجا ... ن ضريحاً ماذا أجَنّ الضريح[1] ؟!

ولأشجع السُّلمي قصيدة طويلة رثا بها عليّ بن الحسين بن علي بن حمزة الملقب بالرضا وهو الذي جعله المأمون الخليفةُ العباسي ، وَليَّ عهد المسلمين ثم توفي في حادث غامض بطوس فدفنه المأمون إلى جانب أبيه هرون الرشيد

---

[1] تاريخ افريقية والمغرب ، للرقيق القيرواني ، ص ١٥٤ و ١٥٥ ، طبع تونس .

وقد روى هذه القصيدة أبو الفرج الاصفهاني وقال عنها : « إنها لما شاعت غيّر أشجع ألفاظها فجعلها في الرشيد .. »

وهذه أبيات مقتطفة من تلك القصيدة :

يا صاحب العيس يَخْدي في أزِمّتها إسْمَعْ وأسْمِعْ غداً يا صاحب العيس
إقْرَ السلام على قبْرٍ بِطُوسَ ولا تَقْرَا السلام ولا النُّعْمى على طوس
فقد أصاب قُلوبَ المسلمين بها رَوْعٌ وأفْرخَ فيها روعُ إبليسِ
وأخْلَسَتْ واحد الدنيا وسيدها فأيّ مُخْتَلِسٍ منا ومخلوس

إلى أن يقول :

أوفى عليه الرّدى في خِيسِ أشْبُلِهِ والموت يلقى أبا الأشبال في الخيسِ
ما زال مقتبساً من نور والده إلى النبيّ ضياءاً غير مَقْبُوسِ

ويختم أشجع السّلمي قصيدته الرثائية البليغة لعليّ الرضا ، بقوله :

أحَلّكَ اللهُ داراً غير زائلة في منزلٍ برسول الله مأنوسِ [1]

رأي في شعر أشجع

لابن الجهم وللبحتري الشاعرين رأي في شاعرية أشجع . يقول البحتري : « فاوضتُ ابن الجهم عليّاً في الشعر ، وذكر أشجع السلمي فقال : إنه كان يُخْلي . فلم أفهمها عنه ، وأنفْتُ أن أسأله عنها ، فلَمّا انصرفتُ فكّرتُ فيها ، ونظرت في شعر أشجع ، فإذا هو ربما مرت له الأبيات مغسولة ليس فيها بيت رائع » [2] .

١ مقاتل الطالبيين ، لأبي الفرج الأصفهاني ، ص ٥٦٨ – ٥٧٠ ، طبعة بيروت .
٢ العمدة في صناعة الشعر ونقده ، لابن رشيق ، ص ٢٥٠ ، الجزء الأول ، طبع مطبعة السعادة بمصر .

وهذا النقد الصادر من علي بن الجهم فالبحتريّ لشِعْرِ أشجع ، يحتمل المناقشة والنقد . وقد درستُ ما وصل إلى يدي من شعر أشجع فما رأيت هذا النقد منطبقاً عليه . ومعلوم أن المعاصرة تذهب المناصرة ، لا سيما وأن أشجع كان قد احتل مكانة طيبة لدى هارون الرشيد ولدى البرامكة . فلا بد أن تناله بعض عقارب الحسد من زملائه في صنعة الشعر . هذا أمر طَبَعيٌّ مألوف . وليس معنى هذا أن شعر أشجع كله درر وغُرر ، فما من شاعر في الدنيا مهما تتعاظم شاعريته إلا وله سقطات . وكفانا بالمتنبي وأحمد شوقي شاهداً ومثالاً .

عمرو بن مسلم الرياحيّ السلمي

هو من بني الشريد . يكنى أبا المسلم ، حجازي ، شاعر مجيد . روى عن نفسه ، قال : أتيت الحسن بن علي بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب ، أخا صاحب فجٍّ ، وكان جواداً ، وهو بينبع ، وقد امتدحته .. فقال لي : من أنت ؟ فقلت : عمرو بن مسلم . قال : الرياحيّ ؟ قلت : الرياحيّ ! قال : لا حياك الله ، يا عاضَّ كذا ، وكذا ... ألَسْتَ الذي تقول في محمد بن خالد العثماني :

أيا ابن الذي حَنَّ الحصا في يمينه ... وأكرم من وافى مِنىً والمحصب [1]
وخَيْرَ إمامٍ كان بعد ثلاثة .. ... مَضَوْا سَلَفاً أرواحُهُمْ لم تشعب
هو الثالثُ الهادي بِهَدْيِ محمد ... على رغم أنف الساخط المُتَعَتِّبِ

---

[1] هذا البيت على هذه الرواية فيه اقواء .. فقد كسرت كلمة (المحصب) تمشياً مع القافية ، وكان حقها أن تفتح ، لأنه معطوف على منصوب .

فقلت : أنا القائل ، ووالله لئن احتملت [1] ...

وقد ترجم له ابن الجراح في كتابه « من سُمِّيَ من الشعراء عمراً » ترجمة وافية ، وقد تحَصَّلْنا في هذا الكتاب على اكمال النقص المذكور آنفاً ، والذي ورد في آخر ترجمة كتاب « الورقة » لابن الجراح نفسه ، في النسخة المطبوعة بالقاهرة والتي أشرف على تحقيقها الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج . ويدل الهامش الذي دوناه أسفل من هذه الورقة والذي كتبه المحققان على انهما لم يطلعا على كتاب « من سُمِّيَ من الشعراء عمراً » وهذه هي تكملة النقص المذكور : « قال : قلت : نعم ، أعزك الله ، أنا قائلُ ذاك ، ووالله لئن احتملتُ رَحْلي حتى أُصَيِّرَ هذه الرحلة بيني وبينك ليأتينّك مني ما قال زهير :

لَئِنْ حللتَ بِجَوٍّ في بني أسد   في دين عمرو ، وحالت بيننا فدكُ
ليأتينّكَ مني منطق قَــذِع   باق كما دنّس القبطيةَ الودكُ

قال : فقال : أدْنُ لا حَيّاك الله .. وأوسع لي ، إلى جنبه ، وأوقر لي رواحلي تمراً » اهـ [2] .

وقد أورد ابن الجراح في كتابه (من سُمِّيَ من الشعراء عمراً » شيئاً من شعر عمرو بن مُسَلّم أبي المُسلم الرياحي هذا بعد أن قال عنه: إنه مديني حسن الشعر يمدح ويهجو وله حظ من أدب . فمن شعره الذي أتحفنا به ابن الحراج قوله عن نفسه :

ألا يا لقومٍ للفؤادِ الْمُعَذَّبِ   وعَيْنٍ تمادتْ في البكا والتّنَحُّبِ

---

١ كتيب « الورقة » لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح ، ص ٧٣ ، طبعة دار المعارف بالقاهرة.. هذا وقد عقب المحققان لكتاب الورقة على العبارة الختامية : « ووالله لئن احتملت» عقبا عليها بقولها في الهامش : (ههنا تبقى عبارة الأصل ناقصة) .

٢ الورقة ٦٢ من كتاب « من سمي من الشعراء عمراً » المخطوط .

وقلبٍ كئيب لا يزال تُهيضُـهُ لِميّةَ ربْعٌ ذو أمان وملعبِ
ليالي لا تُوليكَ إلا تحبُّباً إلينا ، ألا أهْلاً بذاك التحببِ
أقمنا بذاك العيش ثم انتحى لنا من الدهر صَرْفُ المرّة المتقلبِ

وكان الشاعر أبو المسلم قد طلق امرأته ومتّعها وحملها إلى أهلها ، فلما استقلت ركابها قال :

ولستُ بناسٍ إذ غدوا فتحملوا لزومي على الأحشاء من لاعج الوجد
وقولي وقد زالت بِليْلٍ حمولهم بواكر تُخْدِي : لا يَكُنْ آخرالعهد[1]

أبو عمران السلمي

شاعر من بني سليم . أورد أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح شيئاً من شعره ، في كتابه : (الورقة) . ومن شعره الذي أورده ابن الجراح قَوْلُهُ في البَبطِينِ المصريّ الشاعر :

إنما شِعْرُ البَبطِينِ مِثْلُ سَلْحٍ وَسْطَ طين
ليس إنْ فَكّرْتَ فيه لِعَرِيقٍ أو قَطِينِ

وقَوْلُهُ في ابن راشد بن اسحق :

بأبي يا ابْنَ راشِدِ يا كريمَ الْمَشَاهِدِ
أنْتَ أشهى إليّ – واللّـ ـهِ – من كُلّ ناهِدِ[2]

أبو الصّلت مولى بني سليم

شاعر من شعراء بني سليم بالولاء . وكان أعرابياً . وذكَرَ دعبلُ

١ من سمي من الشعراء عمراً ، لابن الجراح ، الورقة ٦٢ و ٦٣ ، من المخطوطة .
٢ كتيب «الورقة» ص ١١ و ١٢ لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح ، ص١١ و ١٢ تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج طبعة دار المعارف بمصر .

ابنُ علي الخزاعي «أحدُ مشاهير شعراء الدولة العباسية» أن أبا الصلت هذا ، صار إلى البصرة ، ثم إلى بغداد ، وكان أبوه يعمل التنانير فيما زعموا .

ولأبي الصلت بيتان من مقذع الهجاء على غرار هجاء الحطيئة أو أشد إقذاعاً ، وهما في أبي عُذافر وَرْدِ بن سعد أو ابن عبد الصمد العَمِيّ الشاعر .. وها هما بحذف الكلمة المقذعة الواردة في الشطر الأول من البيت الأول :

وكان اسمه فيما مضى ... أمّهُ يُسَمّى به في كل بَدْوٍ وحاضرِ
فلما اكتسى ريشاً وعاد جناحه تَسَمّى بِوَرْدٍ واكْتَنَى بعذافرِ [1]

هل أبو المحلم عوف بن المحلم سُلمي أم خُزاعي ؟

أما أبو العلاء المعري فيقرر أنه سُلَمِيّ .. وإليك الدليل : يقول أبو العلاء : (وتلك الثمانون ألْفِيَ فيها الرَّيْع إلى أن يصير قيراطُها قنطاراً ، ولا فتِيءَ كلُّها معطاراً ، أي هو قريب من عطر ، لا يعدم في صيام ولا فطر ، أوْفَرُ حظّاً من التي ذكرها الحرّاني السُّلَمِيّ أبو المحلم عوف بن المحلم في قوله :

إنّ الثمانين — وبُلّغْتَها قد أحوَجتْ سَمْعي إلى تَرْجمانْ
وَبَدّلَتْنِي بالشّطاط انْحنا وكنتُ كالصّعْدَةِ تحت السّنانْ [2]

فهذا نص صريح منه بأن أبا المحلم عوف بن المحلم سُلَميّ ..

وأمّا الأستاذ خير الدين الزركلي في «الإعلام» و(مَصَادِرِه) فيقولان : إنه خزاعي

---

١ كتيب « الورقة » لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح ، ص ٣ ، طبعة دار المعارف بمصر .
٢ رسالة الغفران ، ص ٤٠٥ ، طبع دار صادر — دار بيروت ، ببيروت .

بالولاء ، حَرّانيٌّ الأصل ، ولم ينقل الأستاذ الزركلي فيما استند اليه من المراجع أن أحداً قال عنه إنه سُلَمِيّ . ومن مراجعه على ان عوف بن مُحَلِّم هو خزاعي – ولقبه بأبي المنهال – : فوات الوفيات ، وارشاد الأديب ، ومعاهد التنصيص ، وسمط اللآلى ، والأزمنة والأمكنة [1] .

وقد أيدت الدكتورة (بنت الشاطئ) في تحقيقها وشرحها لرسالة الغفران للمعري ، ما جاء في هذه الرسالة من أن عوف بن المحلم هو سلمي ، وأضافت أنه توفي في عهد المأمون سنة ٢١٤ ﻫ واستندت في قولها هذا إلى كتابين ، أحدهما : شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ، الصفحة ٣٢ والسطر ٢ من الجزء الثاني . وثاني الكتابين اللذين استندت اليهما هو كتاب « الأغاني » ص ١٤٥ والسطر ٤ ، [2] .

وقد راجعتُ في شذرات الذهب ، الصَّفْحَةَ والجُزْءَ اللذين عَيَّنَتْهُما بنتُ الشاطئ فوجدتُ هذا الكتاب لم يتعرض هُنا لنسب عوف ابن المحلم ، ولم ينسبه لا إلى سُلَيم ، ولا إلى خزاعة ، ولا إلى غيرهما ، بل اكتفى بوصفه له بصيغة (الشاعر) [3] . كما راجعنا كتاب الأغاني أيضاً فاتضح أنه لم يقل – في الصفحة والجزء اللذين قالت بنت الشاطئ إنهما مستندها . لم يقل فيهما عن عوف بن محلم إنه سلمي أو غير سلمي ، ولم يترجمه في هذه الصفحة ، وإنما جاء باسم « عوف بن محلم » في معرض حديث . وهذا نص ما ورد في الأغاني : (قال الحارث : اختر من شئت . قال : أختار الشيخ القاعد عوف بن محلم . قال الحارث بن عباد : يا عوف ! أجِرْهُ ! قال : لا ! حتى يقعد خلفي ، فأمَرَهُ فقعد

---

١ راجع كتاب الأعلام للأستاذ خير الدين الزركلي ، ص ٢٨٧ ، المجلد الخامس ، الطبعة الثالثة ، بيروت .

٢ شرح وتحقيق رسالة الغفران للدكتورة بنت الشاطئ ، ص ٥٤٢ ، طبع دار المعارف بمصر .

٣ راجع الصفحة ٣٢ ، والسطر ٢ ، من الجزء الثاني من كتاب شذرات الذهب نشر مكتبة المقدسي بمصر سنة ١٣٥٠ ﻫ .

خلفه ، فقال : أنا مهلهل الخ » .

ومن هذا النص ندرك أن « عوف بن محلم » هذا ، ليس « عوف بن المحلم » الذي عاش إلى زمن المأمون وقال البيتين السابقين « ونصهما في رواية أخرى » :

إن الثمانين — وبُلّغْتَها — قد أحوجت سمعي إلى ترجمان
وبدلتني بالنشاط الخنــا فصرت كالصعدة تحت السنان

والذي أراه انه اسمٌ طابق اسماً ، وقد اختلف المُسَمَّى بهما ... شخصاً وزمناً وتاريخاً .

وقد تحقق هذا الرأي عندي بما ورد في كتاب « الأعلام » (ص ٢٧٨ ، الجزء الخامس) وهو : (عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان ، من أشراف العرب في الجاهلية .. توفي نحو سنة ٤٧ ق . هـ .) .

* * *

هذا وقد أورد أبو العباس المبرد ثلاثة أبيات هي :

ألا يا حمام الأيْكِ إلْفُكَ حاضر وغُصْنُكَ ميّادٌ فَفِيمَ تنوحُ ؟
أفِقْ لا تَنُحْ من غير شيء فإنني بكيتُ زماناً ، والفؤادُ صحيحُ
وَلُوعاً فشطت غُرْبَةً دارُ زينب فها أنا أبكي ، والفؤاد قريحُ !

وعَزَاها المبرد إلى عَوْفِ بن محلم ، فرد عليه محقق المطبوعة : الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم بقوله : (قال المرصفي : الشعر لأبي كبير الهذلي ، لا لعوف ا هـ) .

ويدعم رَدَّ محمد أبي الفضل إبراهيم على المبرد مَا وَرَدَ في كتاب « إرشاد الأديب » لياقوت الحموي [1] .

وأرى أن الأمر اختلط على أبي العباس المبرد في قائل هــذه

---

١ ارشاد الأريب ، ص ٩٧ ، المجلد السادس ، طبع مطبعة هندية بالموسكي بمصر .

الأبيات ، فظن أنـه عوف بن محلم أو « عوف بن المحلم » ، فكتب ذلك في كتابه (الكامل) وربما كتبه اعتماداً على الذاكرة أو على رواية غير دقيقة .. ولعل سر هذا الاشتباه الذي وقع فيه المبرد يعود إلى أن عوف بن المحلم قال قصيدة على رَوِيِّ أبيات أبي كبير وعلى وزنها .

وكان عوف بن المحلم قال تلك الأبيات ، بعد ما كلفه عبد الله بن طاهر . بقولها ومعارضة أبي كثير — أبي كبير — ويلاحظ أن عوفاً « ضَمَّنَ » قصيدته أحد أبيات أبي كبير ، وهي القصيدة التي نسج على منوالها ، قصيدته في الوزن والقافية والمعنى . والبيت الذي أدخله عوف على قصيدته من قصيدة أبي كبير ، هو السادس الذي مبدؤه : (ألاَ يا حَمَامَ الأَيْكِ إلْفُكَ حَاضِرٌ) . قال عوف بن المحلم :

أفي كل عـام غربة ونزوح   فهل أرَيَنَّ البين وهو طليحُ ؟
وأرّقني بالرّيِّ نَوْحُ حمامة   فنحتُ ، وذو البث الغريب ينوح !
على أنها ناحت ولم تُذْرِ دمعةً   ونُحتُ وأسْرابُ الدموع سُفُوح !
وناحت وفرخاها بحيث تراهمـا   ومن دون أفراخي مَهامِهُ فِيحُ
(ألا يا حمام الأيك إلْفُكَ حاضر   وغُصْنُكَ مَيَّادٌ ففيم تنوح ؟)
عسى جود عبدالله أن يَعْكِسَ النوى   فَتُلْقي عصا التطواف وَهْي طريح
فإن الفتى يُدني الفتى من صديقِه   وعُدْمُ الفتى بالمقترين طروح

وقد نجح عوف بن المحلم في بغيته ، إذ إن شعره الباكي الحزين المعبر قد خالط شغاف عبدالله بن طاهر ، فتمثل حقيقة ما يكابده الشاعر الهرم من كربة الغربة ، فاستعبر ، ومن ثم رحم شيبة هـذا الشاعر المتقدم السن ، الغريب الدار ، ذي الوجد المبرح بأفلاذ كبده النائين عنه أمداً مديداً قضاه في خدمة ابن طاهر وتسليته ومدحه السيَّار ، فأذن له بالإياب إلى أهله الذين طال أمد نزوحه واغترابه عنهم ، بعد ما أعرب له عن ضَنِّـهِ بمفارقته ، وأمر له بثلاثين ألف درهم . فَسُرّ

عوف بن المحلم بهذه المكرمات بالغ السرور ، فمدحه ومدح أباه مديحاً أغر محجلاً ، وكرر وصف حاله وضعفه وكبر سنه ورقّة عظمه ، مما جعل حنينه يزداد وأشواقه تتضاعف وحاجته تتفاقم إلى المكث بين أهله وذويه بقية عمره ، ليتمتع بهم حيناً ويستأنس فؤاده الخافق ، المُعَنّى الذي برح به الشوق فهو مُتْلِفُهُ إن لم يعجل الأوبة . وخلال وصفه لما يعانيه وما يقاسيه من كل ذلك نراه يعرج على قصور آل طاهر الذين بلغوا القمة في تكريمه ، فهو في القصيدة ذاتها يدعو لتلك القصور بالسقيا . قال مخاطباً عبد الله بن طاهر :

يا ابن الذي دان له المشرقانْ وأُلْبِسَ الأَمْنَ به المغربانْ
إن الثمانين – وبُلّغتَها – قد أحوجت سمعي إلى ترجمانْ

إلى آخر هذه القصيدة الموسيقية ذات الوزن الخفيف والروي الرنّان ، والتي تتألف من ١٣ بيتاً فقط على ما رواه ياقوت . وقد أذن له عبد الله ابن طاهر ، بالرحيل على مضض من فراقه ، ومن ثم ودعه الوداع الأخير ، وسار هو قافلاً إلى أهله .. ولكنه مات في الطريق قبل أن يصل اليهم [١] فدفنت معه آلامه وأشواقه وأحلامه إلى الأبد ...

موسى بن محمد السلمي : أبو عمران

شاعر بصرى مسجدي متوكلي . من شعره في الشيب والخضاب قوله :

قعد الشَّيْبُ بي عن اللذات ورماني بجفوة القينات
فإذا رُمْتُ ستره بخضاب فضحته طلائع الناصلات
ما رأيت الخضاب إلا سراباً غَرّ في لمعه بأرض فلاة

١ ارشاد الأديب ، ص ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ ، المجلد السادس .

فإذا ما دعا إلى النـــاس داع قلتُ : ما للكبير والشربات ؟
لستُ بعد الشباب ألْتَذُّ بالعيـ ـش فدعني وغصّة العبرات
إنّ فقد الشباب أنزلني بَعْـ ـدَكِ دار الهموم والحسرات
ورماني بأسهم الشيب دهر قارعتني أيامه عن حيــاتي

ويفوح من هذا الشعر أن الشاعر صوفي النزعة فهو من طراز أبي العتاهية في شعر الزهد المُتَصَوِّف .

وله بيتان ينمان عن « تزهده » في شعره .. قال يخاطب شخصاً كبيراً يهابه ويقدره ، ولعل هذا الشخص وجه اليه إساءةً مّا ، وحـــاول إلصاقها بموسى :

أتلزمني ذنباً ، وأنت جنيته ولكنني أخشاك أن أتكلما
ولولا اتقائي أن تميتك دعوتي دعوتُ على ما كان أخفى وأظلما [1]

ابن الطريف السلمي اليامي

علي بن سليمان . ونسبته إلى اليامة تدل إمّا على ولادته بها أو سكناه فيها . وكان أحد شعراء العسكر ، وله أبيات مشرقة الديباجة في رثاء (علي بن يحيى المنجم) :

قد زرت قبرك يا « عليّ » مسلماً ولك الزيارة من أقل الواجب
ولو استطعتُ حملتُ عنك ترابه قد طال ما عني حملتَ نوائبي
ودمي ، فلو أني علمت بأنه يُرْوِي ثراك سقاه صَوْبُ الصائب
لسفكتُهُ أسفاً عليك وحسرة وجعلتُ ذاك مكانَ دمعٍ ساكب
فلئن ذَهبْتَ بملءِ قبرك سؤدداً لَجَمِيلُ ما أبْقَيْتَ ليس بذاهب

---

١ معجم الشعراء ، ص ٢٩٠ .

وعليّ بن المنجم الذي رثاه ابن الطريف بهذه الأبيات هو شاعر أيضاً قال عنه المرزباني : (من بيت الأدب ومعدنه ، ومغاني الشعر وموطنه) ، وأورد له قصيدة لا بأس من إيرادها هنا ، للمناسبة القائمة ، وللتعريف بشعره على مكانته الشعرية . قال علي :

وإني لأُثْنِي النفس عمّا يريبها وأنْزِلُ عن دار الهوان بمعزل
بهمّة نُبْلٍ لا يُرام مكانُها تحل من العلياء أشرف منزل
ولي منطق — إن لجلج القول — صائبٌ بتكشيفِ إلْباسٍ وتطبيق مفصل [1]

ولابن الطريف السُّلَمِيّ أبيات لطيفة :

يا باذل المعروف قبل سؤاله ومن الثناء له خصوصاً مكسب
إن التفضل عادة لك عندنـا وبها إليك جَميعُنَا نتقرب
خُذْ لي بوعدك والذي عودتني كَمَلاً فمالي عن نوالك مذهب [2]

أبو النجم هلال السُّلمي

مولاهم . شاعر معروف من شعراء بني سليم بالولاء . ويكنى

١ معجم الشعراء ، ص ١٤٧ . وعلي هو ابن هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم البغدادي المتوفي سنة ٢٨٨ ﻫ ومصنف كتاب البارع في أخبار الشعراء المولدين ، وقد جمع فيه مائة وواحداً وستين شاعراً ، وافتتحه ببشار بن برد ، واختار فيه من شعر كل شاعر ، عيونه .. وقال ابن خلكان عنه : (وهو من الكتب النفيسة يغني عن دواوين الذين ذكرهم ، فإنه اختصر أشعارهم ، وأثبت منها زبدتها ، وترك زبدها . وإن كتاب الخريدة للعماد الكاتب ، وكتاب الحظيري ، والباخرزي ، والثعالبي ، فروع عنه وهو الأصل الذي نسجوا على منواله ا ﻫ) من مقدمة ديوان بشار بن برد للشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخ جامع الزيتونة في تونس ببعض اختصار ، ص ٧٣ و ٧٤ . وكتاب مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان لأبي محمد عبد الله اليافعي المكي .

٢ الفهرست ، لابن النديم ، ص ٢١٦ و ٢١٧ .

أبا الرميل . يقال إنه أنشد أبا الشيص قوله :

كأنه في الفلك الدّوّ ار صوت المســردن

فقال أبو الشيص : قاتلكم الله يا معشر بني سليم . تقول الخنساء : (كأنه عَلَمٌ في رأسه نار) وأنت تقول هذا [1] ..

الأمير أبو الفتح
الحسن بن عبد الله (بن أبي حُصَيْنَةَ) السُّلمي

ليس هذا الذي أسطره هنا تحليلاً لشاعرية هذا الشاعر السُّلَمي الفحل ، وإنما هو ترجمة له ، يُضاف اليها تقديم فكرة عن شاعريته الثرة ، بعرض نماذج من شعره القويّ الآسر ..

وهذه سلسلة نسبه : أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أحمد بن عبد الجبار بن أبي حصينة السّلَمي المعرّي يتصل نسبه ببني سُليم .

وُلِد أبو الفتح ابن أبي حصينة ، قبل سنة ٣٩٠ ه . ويُرَجَّحُ أن مكان ولادته في المعرة . ولم يوقف على حقيقة السنة التي وُلِد فيها ، فقد اضطربت أقوال المؤرخين في ذلك . وقال ابنُ عساكر أقدمُ مَنْ كَتَبَ عنه : إن ولادته كانت قبل سنة ٣٩٠ ه نفسها .

وتلقى ابن أبي حصينة العلم عن شيوخ يرجح أنهم من شيوخ المعرة ، وأنهم من الطبقة التي تتلمذ عليها أترابه ، من أبي العلاء المعري (٣٦٣ – ٤٤٩ ه) وطبقته [2] . ويبدو أنَّهُ دخل المسجد الجامع الأموي ، وجلس في حلقاته العلمية والأدبية . ثم اتصل بآل مرداس ، أمراء حلب ، بعد انقراض الدولة الحمدانية من سنة ٤٠٦ ه إلى سنة ٤١٥ ه .

وكان أول أمير مرداسي اتصل به هو الشاب ثمال بن صالح ، وقد

---

١ الفهرست لابن النديم ٢١٦ و ٢١٧

٢ مقدمة محمد أسعد طلس لديوان أبي الفتح الذي حققه وطبعه المجمع العلمي العربي بدمشق .

نظم فيه قصائد مدحية جيدة وعُمْرُهُ في نحو ثمانية وعشرين عاماً . وكان ممدوحه الأمير ثمال كريماً مقصوداً ، يعيش عيشة الأمراء من أهل البادية . وفي تلك الفترة استولى صالح بن مرداس أبو (ثمال) على حلب وما إليها حتى طرابلس . وذلك بسنة ٤١٧ ه . وفي سنة ٤٢٠ ه قُتِل صالح وتملّك بعده ابناه : معز الدولة ثمال ، وشبل الدولة نصر . ثم تفرد ، شبل الدولة ، بالأمر سنة ٤٢١ ه ، فخرج ثمال مُغاضِباً له ، وعازماً على قتال أخيه . وتوسط أمراء الأطراف من العرب بينهما بأن تكون حلب لنصر ، وبالس والرحبة لثمال . أما أبو الفتح فقد ظل على ولائه للمرداسيّين الكلابيين ، يمدحهم ، وينال من جوائزهم السّنِيّة حتى أقعدته الشيخوخة عن متابعة ذلك .

وفي حياة أبي الفتح ظهرت في تاريخ الشام « بادرة الإنعام » على كبار الشعراء بألقاب الإمارة .. وهي الألقاب التي كان المتنبي وأضرابه من كبار شعراء جيله يسيل لعابهم طمعاً في إحرازها ، ولكنهم حرموا منها ، لأن أوان تقرير الدولة لها لم يَحِنْ بَعْدُ ، لا لأنهم لم يكونوا أهلاً لها ، فاستحقاق المتنبي لها ومن في مستواه من شعراء زمانه أمر لا ريب فيه . وقد استشرف أبو الفتح لنيل لقب الإمارة الشعرية المرموقة ، حيث إنه رأى نفسه أهْلاً لها .. وكان من حسن حظه أن أوفده الأمير تاج الدولة ابن مرداس ، إلى المستنصر العبيدي ، فمدح المستنصر بقصيدة عصماء ، مطلعها :

ظهر الهدى وتجمل الإسلامُ وابنُ الرسول خليفة وإمامُ
مستنصر باللهِ ليس يفوته طَلَبٌ ولا يَعْتَاصُ عنه مرامُ

ثم مدحه بقصيدة أخرى عام ٤٥٠ ه .. فوعده باعطائه الأمارة . وفي عام ٤٥١ ه أنجز له وعده (وقد تسلم أبو الفتح سِجِلّ «الإمارة الشعرية»

من يدي المستنصر في ربيع الآخر بتلك السنة [1]) . وكان الذي سعى في تأميره ، وكتب له سجل الإمارة هو أبا عليّ صدقة بن اسماعيل ابن فهد الكاتب . فكافأه أبو الفتح علــى صنيعه بأن مدحه بقصيدة غرّاء كان مستهلها :

قد كان صبري عِيلَ في طلب العُلا حتى استندتُ إلى ابن إسماعيلا
فظفرتُ بالخطر الجليل ولم يزل يحوي الجليل من استعان جليلا
لولا الوزيرُ « أبو عليٍّ » لم أجد أبداً إلى الشرف العليّ سبيلا
إن كان ريب الدهر قَبّح ما مضى عندي ، فقد صار القبيح جميلا
وأجلّ ما جعل الرجال، صِلاتُهُمْ للراغبين العزّ والتبجيــلا

* * *

اليوم أدركتُ الذي أنا طالب والأمس كان طِلاَبُه تعليلا

وكان تَسَلُّم الأمير أبي الفتح لسجل الامارة هذه في ربيع الآخر سنة ٤٥١ هـ .

هذا وقد انهالت الجوائز المالية السخية على « أبي حصَيْنَة» شاعر المرداسيين ، فأثرى وعَمّر وبنى .

وكان قد مدح الأمير محمود بن نصر بن صالح بن مرداس عندما

---

١ بوسعنا أن نستنبط من هذا النص نتيجتين : إحداهما إن لمنح لقب إمارة الشعر في عهد العبيديين بمصر ، سجلا خاصاً تدون فيه أسماء الأمراء الشعراء الذين منحوا هذا اللقب بأمر رسمي . كما أن لهم شهادات أو براءات – وهذه ثانية النتيجتين – تسلم اليهم لإثبات ذلك .. كما أن لهم مكانة شرف ممتازة في أوساط مجتمع ذلك العصر .. ا

وإذن ، فإن منح الأمير أحمد شوقي في هـذا القرن ، لقب إمارة الشعر ليس بدعــاً في الحضارة العربية الإسلامية ، بل له سابقات قبل نحو الف عـام . وأحمد شوقي جدير بهــذ اللقب كل الجدارة .. فلم يجيءُ بعد أحمد أبي الطيب المتنبي من يفري فريه غير سميه هذا « أحمد شوقي » .

تملك حلب سنة ٤٥٢ هـ .. فأيد منحه لقب إمارة الشعر .. والقصيدة التي مدحه بها منها قوله :

أبا سلامة عش واسلم حليف عُلاً
وسؤدد بشعاع النجم مقرونِ
أشقي عداكم وأهوى أنْ أدين لكم
وللعدى دينهم فيكم ولي ديني

وقد ثبتت إمارة محمود أخيراً لحلب ، فما كان منه إلا أن خلع طاعة العبيديين ، وخطب للعبّاسيّين ، كما صنع زميله في افريقية الشمالية المعز بن باديس في القرن ذاته . وظل محمود المرداسي حاكماً لحلب حتى مات . وقد تابع صاحبنا أبو الفتح ابن أبي حُصَيْنَةَ مديحه له أسوة بمن سبقه من الأمراء المرداسيين ..

وكان ابن أبي حصينة شاعراً ثَرّ الشاعرية ، جزل التراكيب ينحو في غزله منحى الشعر العربي القديم ، تَصَوُّناً وعفافاً وبُعْداً عن الإسفاف . ولكن شاعريته تأثرت بالبيئة العُبيدية التي تجنح إلى المبالغة والتهويل في مدح الحكام . وكان ذا طموح وطمع في جمع الأموال . وقد أغْدق عليه المرداسيون الأمراء العرب الأجواد فيضاً زاخراً من العطايا السنية السخية ، ما بين عَيْنِيّةٍ وعقاريّةٍ وغيرهما . وَهَبَهُ بعضهم (دارة رحبة جميلة) فسماها (دار المعونة) . وحضر بعض أمرائهم الحفلة التي أقامها بمناسبة بنائه لدار فخمة في قطعة أرض منحها له نصر بن صالح المرداسي ، وكان في رأس قائمة الحاضرين نَصْرُ نفسه ، وبعد أن تناول الطعام سأله : كم أنفق في عمارة الدار ؟ فقال له : ألفي دينار ، فأعطاه ألفي دينار ، مصرية ، تعويضاً عما أنفق ، وزاده ثوباً أطلس ، وعمامة مذهبة ، وحصاناً بطوق ذهب ،

وسرفسار ذهب [1] ، مبالغة في تقديره وتكريمه . ومدح الشاعر أبو الفتح صالح بن مرداس السلمي [2] بقصيدة منها قوله :

تَطَوَّلْتَ وَخَوَّلْتَ عَلى قَدْرِكَ لا قَدْري
وأدْنَيْتَ وأغْنَيْتَ وأقْنَيْتَ إلى الْحَشْرِ
وآمنتَ من الباسـاءِ من يُولَدُ مِنْ ظَهْري
وأثْرَيْتُ بنعمـاكَ وما أمَّلْتُ أنْ أُثْرِي
وقد زِدْتَ فزاد اللهُ من عُمْرِكَ في عُمْري
سَأجزيك وما يَجْزِيـكَ لا طِرْسي ولا حِبْري
وأُقْنيك ثَناً يَبْقَى على غـابرة الدهرِ
وأوصافاً لهـا نَشْرٌ ذكيٌّ الطيِّ والنَّشْرِ
وما يبقى على الدنيا وما فيها سوى الذِّكْرِ

وثلاثة هم شعراء الشام ، في القرن الهجري السادس : أبو العلاء المعري — وكان أرفعهم شأناً — وابن حَيّوس ، وابن أبي حُصينة السلمي . ولكل من هؤلاء الأعلام ديوان شعر مطبوع . وابن حيوس وابن أبي حصينة فرسا رهان فيما يرى محمد أسعد طلس .. ونؤيده .

---

١ السرفسار : تاج الفرس مرصعاً بالذهب .

٢ في مقدمة أبي العلاء المعري لشرحه لـ«ديوان ابن أبي حصينة» نص أبو العلاء على أن بني مرداس سلميون ، إذ وصف طليعة دولتهم : صالح بن مرداس بأنه سلمي . وفي المراجع التاريخية أنهم كلابيون لا سلميون . وقد أيد محمد أسعد طلس في هامش المقدمة نظرية أبي العلاء وأكدها (راجع ص ٥ ، الجزء الأول ، طبع دمشق) . وهذا عكس ما تقول به المصادر التاريخيـة القديمة والحديثة . فبنو كلاب كبني سليم عدنانيون وهم بنو عمومة لبني سليم ولكنهم ليسوا منهم . وكان لبني كلاب شأن يذكر في الشام . وأخيراً أنشأوا دولة لهم على يد صالح بن مرداس .. وقد أحدثوا في زمن سيف الدولة حدثاً أزعج سيف الدولة وأحنقه عليهم فغزاهم في عقر دارهم وسبى نساءهم فتلطف المتنبي وتوسط في قصيدة بائية غراء مدح بها سيف الدولة في أن يصفح عنهم .

فان الدارس لشعرهما يجدهما متوازيين في الطلاوة والفصاحة والجزالة وطُول النّفَس . وابن حَيّوس أقرب إلى طريقة أبي تمام . وابن أبي حصينة أقرب إلى منهج البحتري . وأبو تمّام والبحتري فرسا رهان .. والخمسة جميعهم من زعماء الشعر في الشام .

ومما يسترعي الانتباه في بعض قصائد ابن أبي حصينة أنه سَلَكَ فيها أسلوب أبي الطيب المتنبي .. فقد مدح الأميرَ ثمالاً معز الدولة بن صالح بن مرداس بدالية بليغة وأنفذها اليه من دمشق بمناسبة فتحه لقلعة حلب في شهر ربيع الأول سنة ٤٣٤ هـ . قال :

لِسَيفِكَ بعد الله قد وَجبَ الحمدُ ... فيا ليت جَفْني ما حييتُ له غمدُ

ومضى إلى أن يقول :

غيوثٌ إذا جادوا ، ليوث إذا عَدَوْا ... كثير إذ عادوا ، قليل إذا عُدّوا
يَشْكُونَ في ظهر الْعَدُوِّ أسِنّةً ... إذا خرجت من صدره خرج الحقدُ

ثم يقول واصفاً فتح قلعة الثغر :

وعدتم لذاك الثغر سَدّاً من العدى ... وأيُّ سَديدٍ ما دَرى أنكُمْ سَدُّ !
وما رَدَّ كَيْدَ الروم خَلْقٌ سواكم ... يُنيل إذا لم يبق من دونهم رَدُّ
أتَوْا يثقلون الأرض من فوق شُزَّبٍ ... إذا أسرعت في الخط أثقلها السردُ
يواريهمُ نسج الحديد عليهم ... فما فيهمُ مَنْ مِنْهُ جارحةٌ تبدُو
فلولاكمُ لم يَنْهَهُمْ عن حريمنا ... وعن حرمة الإسلام جمعٌ ولا حشدُ
ولكنكم قَبَّلْتُمُوهُمْ ذوابلاً ... من الخَطّ لُدّاً مشرعوها هم اللّدُّ
وخضتم عجاجاً يُرمِدُ الجوّ نَقْعُهُ ... ولكنه تَحْيى به الأعين الرُّمْدُ
فما انجاب ذاك النقع حتى طَرَحْتَهم ... فرائس تقتات الوحوش بها بعدُ
وصارت حياضاً للمياه جَماجِمٌ ... مُفَلّقَةٌ فاستجمع الزاد والوِرْدُ
فلا تطمع الآمالُ فيما مَلَكْتُمُ ... فما تَتَخَلّى عن فرائسها الأسْدُ

فهذه القصيدة اللامعة تنظر إلى قصيدة قالها أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي في مدح محمد بن سيار بن مكرم التميمي .. في وزنها ومعانيها وفي قافيتها ..

وله (رائعة) في مديح (ثمال) المرداسي ، يقول فيها فيما يقول :

أبا صالح أنت حُسْنُ الزما ... ن وحُسْنُ الرُّواءِ بحسن العَلَمْ
إذا نظم المدحَ فيك امرؤ ... وجدناك أشرف مما نظمْ
إمِنّا بقربك صرفُ الزما ... ن فنحن الحَمامُ وأنت الحرمْ

ومضى إلى أن يقول :

جزى الله خيراً ظهور الركاب ... وأحْسَنَ عَنّي جزاء القلمْ
فقد كنتُ ألْتمسُ الأكرمين ... وأطْلُبُ للمدح أهْلَ القِيَمْ
فلما وجدتُ بني صالح ... وجدتُ الغِنى وعَدِمْتُ العَدم
وثَمّرْتُ من فضلهم نِعْمَةً ... وجاهاً ومالا ولحماً ودمْ
ملوك إذا ما عَدَدْتَ الملوك ... عَدَدْتَ الملوك لهم في الحشمْ
خَدَمْتُهُمُو في قميص الشباب ... وأخدمهم في قميص الهرمْ

ومن روائعه أيضاً قوله يمدح ثمالاً المرداسي :

كذا لا تزال رفيعَ الرُّتَبْ ... كثيرَ العدو كثير الغَلَبْ
وقد وهب الله هذا النعيمَ ... وما يَرْجِعُ الله فيما وَهَبْ

إلى أن يقول :

إذا سَلّمَ اللهُ رُوح الأمير ... فَأهْوَنُ شيء ذَهَابُ الذهبْ
ومن كَسِبَ الحمد في الخافِقَيْن ... فَلَيْسَ يبالي على ما كَسَبْ
فخذ ما صفا من لذيذ الحياة ... ودع لسواك الأذى والنّصَبْ

ومن جيد قصائده : (الرائيةُ) التي يقول فيها يمدح ثمالاً المرداسي :

أقول لصحبي بِجَوِّ الغُمَيْرِ[1] وقد ضل حادي المطايا وحارا
تَيَامَنْتُمُ عن بلاد المعز فعوجوا يساراً تصيبوا يسارا
ولاقوا أميراً قليل النظير يحب الثناء ويَشْنَا النُّضَارا
كريمَ النجار عفيفَ الإزار حوى المكرمات وشاد الفخارا
أعاد وأبدى وللفضل أسدى وللقِرْنِ أردى وللريح بارى
كريم الصنيعة ضخم الدسيعة سهل الشريعة لم يأت عـارا
غَنَاءُ الفقير ونعم النصير إذا المستجير اليه استجارا
يَفُكُّ الأسارى ويحمي العذارى ويُعْطي المَهارى ويُفْني المِهارا
إذا حَلَّ في البدو ، زان العمود وإن حَلَّ في الْحَضْر زان الجدارا
أبا صالح قد فَضَلْتَ الملوك فَعُدْتَ يميناً وعادوا يَسَارا
وألبسك الله ثوب الوقار فلا نزع الله عَنْكَ الوقارا
تحَوَّلْتَ بالامس عن موضع فآنَسْتَ داراً وأوْحَشْتَ دارا

ونالت أبا الفتح قَوَارِصُ الألسن من المنافسين والحسدة ، وكل ذي نعمة محسود ، وكان هذا الموقف بالنسبة اليه يماثل موقف سلفه أبي الطيب المتنبي الذي توفي قبل ميلاده بست وعشرين سنة فقد كان سيف الدولة إذا تأخر مدح المتنبي له شق عليه ذلك ، فيحضر من لا خير فيه فيتقدم اليه بالتعرض للمتنبي في مجلسه بما لا يحب . وذات مرة أنشد المتنبيُ سيفَ الدولة قصيدته (الميمية) السائرة .. وقال له فيها معرضاً بمن يتعرض له في غيابه بمجلسه :

وجاهل مَدَّهُ في جهله ضحكي حتى أتته يَدٌ فرّاسَةٌ وفم

[1] الغمير – بالتصغير – : موضع في ديار بني كلاب عند التلبوث .. فهو من منازل قوم ممدوحه ثمال المرداسي الكلابي . وفي ذكره لفتة مناسبة دلت على دقة ملاحظة وحسن ذوق شعري من الشاعر .

ثم يعود إلى سيف الدولة ويخاطبه بقوله معاتباً على ارخائه العنان للمتغرضين المتعرضين له في غيابه :

إن كان سركمُ ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكمُ ألمُ

وقد أثرت أيضاً على ابن أبي حُصَيْنَة هذه القوارصُ الخفية التي تقرضه في غيابه ، فقال :

ذري عَذَلي فَشَأنُكِ غير شَانِي ولا تتملكي طَرَفَيْ عِنَاني
ورُدّي يا ابنة السُّلميِّ قلبي فقد فارقتُ قلبي ما كفاني

وهو هنا يتغزل بسلمية من بنات عمه .. ثم يصل إلى هدفه فيقول مُوَرّياً ومُكَنّياً والكناية أبلغ من التصريح :

أحِبُّ من السّماذع كُلّ نَدْبٍ كريم الخِيمِ مأمونِ اللسان
يَعِفّ عن الخنا ويَشِفّ حِلْماً كما شفت ذُرى عَلَمَيْ أبَانِ

ثم يصرح بما يريد أن يقوله وأن يوجهه إلى مغتابيه بحضرة الأمير المرداسي :

وأمْقَتُ كل مُغْتابٍ نَمُومٍ حَرِيص بالنميمة غير واني
ألا بئس الحديثُ حديثُ زُورٍ يُبَلِّغُهُ فلانٌ عن فلانِ

ثم يمعن في كشف ذات صدره لأولئك النّمامين الحَسَدَةِ فيقول :

مضى العيد السعيد وغبْتُ عنه وفاز الناس قبلي بالتهاني
فَهَلاّ أحسن الشعراءُ غَيْبي وكَفّوا عن عتابهمو لساني
فقد حضروا فما نابوا منابي ولا سَدّوا وإنْ كثروا مكاني
وكم طلبوا اللحاق وما تهدّتْ قرائحهم إلى هذي المعاني

أعابوني بِقَرْواشٍ ؟ [1] وعَيْبِي بِقَرْواشٍ جمالي في زماني
وليس أبو المنيع وإن توالت إليّ صلاتُهُ كمن اصطفاني
كلا الملكين أولاني جميلاً ولكنّ الجميل لمن بداني
ولو أني بُليتُ بهاشميّ خؤولته بنو عبد المدان
لهانَ عليّ ما ألْقَى ولكن تَعَالَيْ فانظري بمن ابتلاني
أعلّمه الرماية كلّ يومٍ فلما اشتدّ ساعده رماني

والأبيات الثلاثة الأخيرة قديمة ضمنها الشاعر قصيدته .. ومما يسترعي الانتباه مخاطبته في أحد هذه الأبيات الثلاثة للسُّلَمِيَّة التي تغزل فيها .. فقال معدلاً صيغة البيت الأصلية :

لهان عليّ ما ألْقَى ولكن تعاليْ فانظري بمن ابتلاني

وأصل البيت هكذا :

لهان عليّ ما ألقى ولكن تَعَالَوْا فانظروا بمن ابتلاني

وكما أسهم المتنبي بقصائده الخوالد في مواكب الجهاد الإسلامي الذي كان يقوم به على بن عبد الله التغلبي (سيف الدولة) بما ينظمه وينشده إياه من قصائد ظاهرها مديح سيف الدولة وباطنها الإشادة بجهاده وكفاحه لنصرة الإسلام والدفاع عن حوزته ودياره وثغوره .. كذلك كان للأمير ابن أبي حصينة نصيبٌ طيب في هذا الميدان ... ففي ديوانه قصائد عصماء من هذا القبيل ، ونحن هنا نقدم للقارئ أبياتاً

---

[1] أبو المنيع قرواش ابن المقلد بن المسيب العقيلي صاحب الموصل والكوفة .. كان أديباً شاعراً وسياسياً ماهراً دامت امارته خمسين عاماً ومات سنة ٤٤٤ هـ سجيناً . ويبدو أن الشاعر ابن أبي حصينة كانت له صلة به ، إلى صلته بآل مرداس . فلذلك وجد الوشاة هذه الثغرة فدخلوا منها على الطعن في أبي الفتح عند الأمير المرداسي في غيابه . وربما وجدوا منه أذناً صاغية .. فنظم الشاعر السلمي ابن أبي حصينة هذه القصيدة يمدح بها الأمير المرداسي ويعتذر له ويدفع عن نفسه كيد الخصوم .

مختارة من إحدى هذه القصائد .. وقد قال ابن الوردي عنها : إنه في (سنة ٤٢٦ هـ وصلت الروم إلى حلب ، فقاتلهم صاحبها شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس ، وتبعهم إلى عزاز ، فقتل وغنم . وكان اسم ملك الروم أرمانوس ، فقال أبو الفتح الحسن بن عبد الله ابن أبي حصينة المعري (السُّلمي) من قصيدة طويلة أنشده إياها بظاهر قنسرين » . وأورد ابن الوردي الأبيات التي اخترنا منها ما يلي :

إلى نصر وأيُّ فتى كنصر ... إذا حلّتْ بمغناه الركابُ
أمُنْتَهِكَ الصليب غداة ظلت ... حُطاماً فيهم السُّمْرُ الصِّلابُ
جُنودُكَ لا يحيط بِهِنّ وصف ... وجُودك لا يحصله حسابُ
وَذِكْرُكَ كله ذكر جميل ... وفعلك كله فعل عُجابُ
و (أرمانوس) كان أشد بأساً ... وحَلّ به على يدك العَذابُ
أتاك يَجُرّ بحراً من حديد ... له في كل ناحية عُبابُ
إذا سارت كتائبه بأرض ... تزلزلت الأباطح والهضابُ
فعادَ وقد سَلَبْت الملك عنه ... كما سُلِبَتْ عن الميْتِ الثيابُ
فما أدناه من خير مجيءٌ ... ولا أقصاهُ منْ شَرٍّ إيابُ
فلا تسمع بطنطنة الأعادي ... فإنهمُ إذا طَنُّوا ذُبابُ !
ولا ترفع لمن عاداك رأساً ... فإنّ الليث تنبحه الكلابُ

ويلوح لي أن هذه القصيدة البائية الماتعة الرائعة تنظر من قريب أو من بعيد إلى (بائية) المتنبي التي تماثلها في الوزن والقافية وإن كانت تزايلها في الموضوع والهدف .. ولا سيما في قول أبي الطيب المتنبي :

وجُرْمٍ جَرّهُ سُفهاء قوم ... فَحَلّ بغير جارمه العقابُ

فهو قريب الشبه والسمات من قول ابن أبي حصينة :

وارمانوس كان أشد بأساً وحل به على يدك العذابُ

وكما أن لابن أبي حصينة مدائح فله مَرَاثٍ نشير هنا إلى إحداها وهي التي قالها في سنة ٤٤٣ هـ حينما توفي زعيم الدولة أبو كامل بَرَكَةُ ابن المقلّد بن المسيب العُقيلي – شريك أخيه قرواش في ملك الموصل – بتكريت . قال ابن أبي حصينة من قصيدة طويلة :

من عظيم البلاء موت العظيم ليتني مِتُّ قبل موت الزعيم
يا جفوني سُحّي دَماً أو فَحَمّي صَحْنَ خدي بعبرة كالحميم

وحينما توفي ، في سنة ٤٤٤ هـ ، قرواش معتمد الدولة أبو منيع ابن المقلّد العُقَيْلي صاحب الموصل مسجوناً بقلعة الجَرّاحيّة رثاه الأمير أبو الفتح السلمي بقصيدة باكية منها قوله :

أمثل قرواش يذوق الردى يا صاح ما أوقح وجه الحِمَامْ

وله مَرَاثٍ أخرى مدوّنة في ديوانه المطبوع . ومن أهمها رثاؤه لصديقه الحميم أبي العلاء المعري الذي أملى لديوانه شرحاً قال في مقدمته عنه : (وكان مولاي الأمير الجليل أبو الفتح الحسن بن عبد الله ابن أبي حصينة سألني أن أسمع شِعْرَهُ ، فقرئ عليّ ما أنشأه من أنواع القريض ، فوَجَدْتُ لفظه غير مريض ، ومعانيه صحاحاً مُخْتَرعَةً ، وأغراضه بعيدة مبتدعة . وهو ، وإن كان متأخراً في الزمان ، فكأنه من فرط عهد النعمان ، ومن سمع كلامه علم أنه لم يغير شهادة ، ولا خرم في ابداع الكلام سيادة [1] » .

وشهادة كهذه من إمام في الشّعْر واللغة والعلوم كأبي العلاء المعري ، لا شك انها ترفع إلى القمة مستوى الشاعر المشهود له فيها برفعة المكانة الشعرية ..

---

١ مقدمة ديوان ابن أبي حصينة لأبي العلاء المعري ، ص ٣ ، طبع دمشق .

يقول الأمير أبو الفتح السُّلمي في رثاء صديقه أبي العلاء المعري :

العلم بعد أبي العلاء مُضَيّعُ والأرض خالية الجوانب بلقعُ
أوْدى وقد ملأ البلاد غرائبـاً تسري كما تسري النجوم الطّلّعُ
ما كنتُ أعلم – وهو يودع في الثرى –
أن الثرى فيـه الكواكب تودعُ

ثم يقول فيه أيضاً :

تتصرم الدنيا ويأتي بعـده أُمَمٌ وأنت بمثله لا تسمع

ثم يقول فيه أيضاً :

قصدتك ُطلاّب العلوم ولا أرى للعلم باباً بعد بابك يُقْرَعُ

هذا وللأمير أبي الفتح جولات في ميادين الحكمة .

* * *

قال :

أشدّ من فاقة الزمـان مُقامُ حُرٍّ على هوانِ
فاسترزق الله واستعنه فإنّه خير مُستْعانِ
وإن نبا منزلٌ بحُرٍّ فمن مكان إلى مـكان

وقال :

إذا المرء لم يرض ما أمْكَنَهْ ولم يأت من أمْرِه أحْسَنَهْ
فدعه فقـد ساء تدبيره سيضحك يوماً ويبكي سَنَهْ

* * *

وقد طُبع الشرح الذي أملاه أبو العلاء المعري على ديوان ابن أبي حُصينة السّلَميّ في دمشق ، وتولى تحقيقه محمد أسعد طلس ، وقـد وصفه محققه وصفاً قيّماً ، قـال : ان ابن أبي حُصَيْنة سار فيه على

الطريقة التي سار عليها في (معجز أحمد) و (اللامع العزيزي) و (عبث الوليد) .

وكان أبو العلاء المعري قد بدأ إملاءه بشرح القصيدة التي أولها :

هل بعد شيبكَ من عذر لمعتذر فازجر عن الغيّ قلباً غير منزجرِ

واختتمه بشرحه للقصيدة التي أولها :

كم تُكْثِرَانِ العذل والتفنيدا أفتحسبان المستهام رشيدا ؟

توفي الأمير أبو الفتح الحسن بن عبد الله المشهور بابن أبي حصينة السُّلَمي المعري سنة ٤٥٦ هـ أو ٤٥٧ هـ.[1] وربما كانت وفاته في «سروج» .

النظّام المصري : جبرائيل بن ناصر بن المثنى السلمي

قال عنه العماد الإصفهاني الكاتب : (لقيته بدمشق على باب جيرون ، نافق السوق ، كثير الزبون ، ثم عاد إلى مصر ، عند المملكة الصلاحية بها ، ودارت رحى رجائه بالنجح على قطبها ، وقصد اليمن عند افتتاح الملك المعظم شمس الدولة توران شاه ، لها . وكان وَعَدَهُ بألف دينار ، فقبضها منه وحصلها ، ولم يزل بمصر مستقيم الحال ، مُثَمَّرَ المال ، آلِفاً صعود جَدّه — أي حظه — بالصعيد ، عارفاً سعود حظه بالمزيد ، إلى أن نَسَبَ اليه والي قوص أنه يُوَاطِئ الخارجي بها في آخر سنة اثنتين وسبعين (بعد الخمسمائة) فطلبه وصلبه ، بعدما سلبه . وذلك في المحرم سنة ثلاث وسبعين

---

١ المراجع : مقدمة محمد أسعد طلس لديوان ابن أبي حصينة ، مع شعر ابن أبي حصينة ، وشرح أبي العلاء المعري أو تعليقاته على ديوانه الذي قام بطبعه ونشره المجمع العلمي العربي بدمشق ، وكذلك ديوان محمد بن سلطان المشهور بابن حيوس ، من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق أيضاً .

(بعد الخمسمائة) – بقوص. ووَقَعَتْ إليّ من شعره قصيدةٌ بخطه، نظمها في سيف الدين أخي صلاح الدين، عند خروج الكنز [1] بأسوان، وقتله والفتك به، والفتك بالسودان، من جملتها:

ومن ذا يطيق الترك في الحرب إنهم بَنُوها وكل الناس زور وباطلُ
حُماةٌ كُماةٌ كالضراغمِ، خيلُهم معاقلُهم، والخيل نعم المعاقل

ومنها في صفة الجيش:

بجيش يضيع الليل فيه إذا سرى وتُخْفِـي نجومَ الجو منه القساطلُ
إذا ما خَبَتْ فيه المشاعل عاضها من أيدي الجياد المنعلات المشاعل
وتَطَّرِدُ الراياتُ فيه كأنها أفاعٍ إلى أوكارهن جوافل
فما لاح ضوء الصبح حتى تحكمت لهم في أعاديهم قناً ومَنَاصِل
كأن مُثَار النقع سحبٌ وبَيْضَهُم بروقٌ تلالا فيه، والدم وابل

ومنها:

لكم يا بني أيوب في البأسِ والنّدى مذاهب تُعيي غيركم ومداخل
ألَنْتُمْ لنا الأيام من بعد قسوة وحليتموها، وهي قبل عواطل
وقلدتمونا البِيضَ تُثْقِلُ بالحُلى عَواتِقَنَا أعنادها والحمائل
ضربنا بها أعداءكم فجيادنا لها من دماء المارقين خلاخل

وله من أخرى:

أما مل من عذلٍ عاذلي فيطرح حلي على كاهلي
لقد أطمع النَّفْسَ في سلوة يخيبها طمعُ العاقل
ومن غمر هذا الهوى أنني لأعشقُ من عشقه قاتلي

---

١ الكنز: رجل ثار فقتل.

أحِبّ فأقتلُ نفسي فلا أفوز من الحب بالطائل
ولي كل يوم وقوف على حِمىً ، وسلام على راحل
متى يسأم القلب من هجركم فيصغي إلى عذل العاذل ؟
ويبطل سحر الجفون التي بها يعمل السحر في بابل
ويخلو فؤاد امرئ لم يزل من الوجد في شغل شاغل
متى وجدت لكم وحشة تعللت بالشبح الماثل

* * *

صِلُوا واعطفوا واحْسنوا [1] وجودوا فلا خير في باخل
فلستُ بتارك حق الهوى ولو أنني منه في باطل
ولكن إذا مضّنِي جَوْرُكم شكوتُ إلى الملك العادل
مليك مشى الناس في عصره من العدل في منهج سابل

* * *

أقامَ الجهاد على سوقه وحرب كحرب بني وائل
ففي كل يوم له جحفل يُغِيرُ على الشّرْكِ بالساحل

* * *

فديناك يا من سنا وجهه يفوق سنا القمر الكامل
وإنك أنفع في عصرنا من الغيث في البلد الماحل
أنلت الرعية ما فاتها من الشرك في عصرنا الزائل
فأضحت من العدل في غامر وأمست من الأمن في شامل

---

١ الهمزة في : (وأحسنوا) همزة قطع . لأنه فعل أمر ماضيه « أحسن » فوصل الهمزة في البيت كان بحكم ضرورة الوزن في الشعر .

ويروي لنا العمادُ الأصفهاني الكاتب قصيدة أخرى ، شفيفة الأسلوب رقيقة المعاني . وهي في الغزل . ومطلعها :

زاد بي شوقي فَبُحْتُ　　وجرى دمعي فَنُحْتُ
أيها العاذل هـل يُثْـ　　نِـي لِسَانَ العذل صَمْتُ
إنَّ نَعْتَ البدرِ والشّمْـ　　سِ لِمَنْ أهواه ، نَعْتُ[1]

أبو عبد الله الخضر بن عبد الرحمن السلمي الدواتي المعدل

ذكره العماد الأصفهاني في كتابه (خريدة القصر وجريدة العصر) . والدواتي نسبة عامية للدواة ، وهي نسبة مخالفة للقاعدة النحوية ... فالقاعدة تقول : إن صحة النسبة إلى الدواة: دَوَوِيّ ، ومنه لقب أبي علي ابن الرئيس خليفة الدووي[2] .

---

١ خريدة القصر ، وجريدة العصر – قسم شعراء مصر – ص ١٤٠ – ١٤٢ ، الجزء الثاني ، طبع مصر .

٢ خريدة القصر ، وجريدة العصر : ذيل الصفحة ٢٦٠ بالقسم العراقي ، الجزء الثايني ، طبع المجمع العلمي العراقي بغداد ، ١٣٨١ هـ = ١٩٦٤ م .

شاعرات من بني ُسليم

ريطة بنت العباس بن أنس السُّلمي
المعروف بالأصم

كانت ريطة تعيش في الجاهلية . وهي إحدى شواعر بني ُسليم .
قالت ترثي أباها أو أخاها أو زوجها :

لعمري وما عمري عليَّ بهين لنعم الفتى أرديتمو آل خثعما
وكان إذا ما أورد الخيل بيشَةً إلى هضب أشراك أناخ فألجما
فأرسلها رهواً رِعَالاً كأنها جراد زفته ريح نجد فأتهما
فأمسى الحوامي قد تَعَفَّيْنَ بعده وكان الحصى يكسو دوابرها ، دما
فآبت عشاء بالنهاب وكلها يُرى قلقا تحت الرحالة أهضما
وكانت إذا ما لم تطارد بعاقل أو الرس خيلا ، طاردتها بِعَيْهَمَا
وكان ِثمالَ الحي في كل أزمة وعِصْمَتَهُمَ والفارسَ المتغشما
وينهض للعليا إذا الحرب شمرت فيطفؤها قهراً وإن شاء أضرما
فأقسمتُ لا أنفك أُحْدِر عبرة تجود بها العينان مني لتسجما[1]

ويدلنا ذكر ريطة السلمية لإيراد المرثيّ للخيل إلى بيشة وغيرها ،

---

١ أعلام النساء ، لعمر رضا كحالة ، ص ٤١٠ و ٤١١ .

وَوَصْفُها لخيله يدلنا ذلك على كثرة وجود الخيل لدى سُليم في الجاهلية، كما أشار اليه المؤرخون. ولهذا نفسه نجد كثرة من شعرائهم وفرسانهم يكثرون في قصائدهم من ذكر الخيل في كل مناسبة .

الخنساء تماضر السلمية

يقول بشار بن برد : (ما قالت امرأة شعراً إلا وظهر الضعف فيه ..) قيل له : والخنساء ؟ قال : (تلك غلبت الفحول) .

ويقول بروكلمان أن (الخنساء بلغت في الرثاء أقصى مراتب الشهرة) .

وكان دريد بن الصمة من أشراف قومها وشعرائهم ، قد خطبها — وهو شيخ فردته ، وتزوجت بعد ذلك بمرداس بن أبي عامر السلمي ، والد عباس بن مرداس . وبعد وفاة زوجها مرداس تزوجها عبد الله بن عبد العزى .

وقد رثت أخويها : معاوية وصخراً بقصائد[1] في غاية الرقة وتفيض بمشاعر الحزن المتفجرة . وقد أقامت بمكة بعد غزوة بدر بقليل ، وكانت تناهز الخمسين عاماً عندما زارت عمر ، وعائشة رضي الله عنهما بالمدينة فيما بعدُ . ولا يعرف تاريخ وفاتها بالتحديد .

وكانت تنافس هنداً في سوق عكاظ ، في عظم المصيبة عن قتلاها في الجاهلية ، وقتلى هند في بدر .

في ذات يوم دخلت الخنساء على أم المؤمنين عائشة فأنشدتها قولها في رثاء أخيها صخر :

ألا يا صخر إن أبْكَيْتَ عيني فقد أضحكتني زمناً طويلا

---

[1] قصائدها في الرثاء ، مجموعة في ديوان شعرها المطبوع .

فقالت لهـــا عائشة : أتبكين صخراً وهو جمرة في النار ؟ فقالت الخنساء : يا أم المؤمنين ذاك أشدُّ لجزعي عليـــه ، وأبعثُ لبكائي . وعُدَّ هذا الجواب من الأجوبة المسكتة .

عمرة بنت مرداس السُّلمية

أخت عباس بن مرداس السُّلمي . وهي شاعرة مقلة مخضرمة . أمها الخنساء .. فعمرة إذن نشأت في محيـــط مزدهر بالشعر .. أمهـــا شاعرة وأخوها شاعر ، وعَمَّاها شاعران . وقد أوردت « حماسةُ أبي تمام » أبياتاً لعمرة تعتبر من جيد الشعر . قالت :

أعينيَّ لم أختلكما بخيانـــة أَبَى الدهر والأيام أن أتصبرا
وما كُنْتُ أخْشى أن أكون كأنني بعيرٌ إذا يُنْعَي أخيَّ تحسرا
ترى الخصم زوراً عن أُخَيَّ مهابةً وليس الجليسُ عن أُخيَّ بأزورا

وهكذا سلكت عمرة في رثائها الحزين الجميل الأسلوب والمعبـــر عن عواطفها – مسلك والدتهـــا وإخوتها في الرثاء .. ومن يشابه « أهله » فما ظلم .

ويقول بروكلمان : إن عمرة بنت الخنساء ورثت عن أمها ملكة الشعر ، وإن بعض أشعار عمرة بقيت في ديوان أمها[1] .

ولعمرة أخ اسمه يزيـــد ، كان قد قَتَلَ قيس بن الأسلت في بعض حروبهم ، فطلبه بثأره هارونُ بنُ النعمان بن الأسلت ، حتى تمكن من قتله ، فقتله ، بقيس بن أبي قيس وهو ابن عمه ، فقالت عمرة ترثي أخاها يزيد : (اعيني لم اختلكما بخيانة) الأبيات الثلاثة المتقدمة آنفاً ..

---

١ تاريخ الأدب العربي ، لبروكلمان ، ص ١٦٤ ، الجزء الأول ، طبع دار المعارف بمصر .

ولها فيه مرثية أخرى تقول فيها :

أَجَدَّ ابنُ أُمِّيَ أنْ لا يؤوبا وكان ابنُ أُمِّيَ جَلْداً نجيبا

وعندما مات أخوها عباس بن مرداس بالشام سنة ١٦ هـ قالت ترثيه :

لِتَبْكِ ابْنَ مِرْداسٍ على ما عراهم عَشيرَتُهُ إذ حُمَّ أمْسِ زَوَالُها
لدى الخصم إذ عند الأمير كفا همو فكان إليها فَضْلُها وحلالُها
ومعضلةٍ للحاملين كَفَيْتَهَا إذا أنْهَلَتْ هُوجَ الرياح طِلاَلُها

ولها قصيدة بائية ذكرت فيها الأقيصر بن نشبة الذي مات صغيراً ، وتعرض لأخيها : شداد ، لأنه كان شامتاً بموته . وقد جاء فيها قوله :

مَنْ مُبْلِغٌ عنِّي فُلاناً رِسَالَةً فَمَا أنْتَ عن قَوْلِ السِّفاهِ بمُعتَبِ[1]

وقد رثت عمرة ابنة مرداس ، أباها مرداس بن أبي عامر ، وكان يقال له (الفيض) لفرط سخائه ، تقول عنه فيها :

و(الفَيْضُ) فينا شهاب يُستَضَاءُ به إنا كذلك فينا تُوجَدُ الشُّهبُ[2]

وتوفيت عمرة سنة ٤٩ هـ[3] .

حبيبة بنت الضحاك السلمية

الضحاك هو أبو سفيان السلمي . وهي شاعرة من شاعرات العرب . وكانت تحت العباس بن مرداس المولود في عهد النبي (ص) على قول

---

١ شاعرات العرب ، جمع وتحقيق عبد البديع صقر ، ص ٢٧٢ – ٢٧٦ ، منشورات المكتب الإسلامي . والدر المنثور في طبقات ربات الخدور لزينب علي العاملي ، ص ٣٥٢ و ٣٥٣ ، طبع المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣١٢ هـ .

٢ شاعرات العرب ، ص ٢٧٤ .

٣ شاعرات العرب ، ص ٢٧٢ .

صاحب كتاب « شاعرات العرب » فعلمت حبيبة بإسلامه فغضبت وارتحلت وقالت قصيدة تؤنبه . منها :

ألم ينه عباسَ بن مرداس أنني رأيت الورى مخصوصة بالفجائع

ثم قالت له :

لعمري لئن تَابَعْتَ دين محمد وفَارَقْتَ إخْوَانَ الصفَّا والصنَّائعِ
لَبَدَّلْتَ تلك النَّفْسَ ذُلاًّ بعِزةٍ غداة اختلاف المُرهَفَاتِ القواطعِ [1]

شاعرة سلمية غير مسماة

هذه شاعرة سُلمية لم نقف على اسمها .. وقد ذكرها ثعلب في مجالسه بسنده قال : أخبرني أبو الزبير ثابت بن عبد الرحيم قال : أنشدتني امرأة من بني سُليم :

وإنَّ امرأ أمسى ودون حبيبه سواسٌ فوادي الرَّسِّ والهميان
لمعترف بالنَّأيِ بعد اقترابه ومعذورة عيناه بالهملان
فما ريح ريحان بمسك بعنبر برند بكافور بدُهنة بان
بأطْيَبَ من ريا حبيبي لو انني وجدتُ حبيبي خالياً بمكان [2]

وقد اورد « لسان العرب » البيتين الأولين . في مادة (سوس) وعزاهما لثعلب . وقال عن « سواس » : موضع : واستشهد بالبيت الأول عن ذلك .

---

١ شاعرات العرب ، ص ٦٢ .

٢ مجالس ثعلب ، ص ٥٩٩ و ٦٠٠ ، القسم الثاني ، طبع دار المعارف بمصر ، تحقيق عبد السلام محمد هارون .

ريا بنت الفطريق السُّلمي

ترجمتْ لهذه السلمية – التي لم أتأكد بعـــدُ أنها من بني سُليم بن منصور – ترجمتْ لهـــا زينب بنت علي العاملي فقالت : « كانت ذات جمال باهر وأدب ظاهر ، ولها معرفة بأشعار العرب ، وكانت تقول الشعر الجيد ، عشقها عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري علِقَها بمسجد الأحزاب في المدينة المنورة يوم متنزه ، إذ هو جالس في المسجد، ودخل عليه نسوة ، وفيهن جارية لم يرَ مثلها ، فوقفت وقالت : ما تقول في وصل من يطلب وصلك ؟ ثم مضت ولم يعرف لها خبر ، فلما كان في اليوم الثاني توجه إلى مسجد الأحزاب وجلس في المكان الذي كان فيـــه بالأمس ، وإذا بالنسوة أقبلن ولم يرَ فيهن الجارية . فقلن له : ما ظنك بطالبة وصالك ؟ فقال : وأين هي ؟ قلن له : مضى بها أبوهـــا إلى السماوة ، فأنشد :

خليليَّ ! « ريا » قد أجَدَّ بكورها وسارت إلى أرض السماوة عيرها
خليليَّ قد غشيتُ من كثرة البكا فهل عند غيري عبرة أستعيرها ؟

وتوجه إلى أبيهـــا هو وصاحب له ، فأكرم وفادتهما ، وسألهما عن أمرهما . وقال : أذكرا حاجتكما .. فأخبراه بخطبة عتبة إلى ابنته . فقال : ذلك إليها . فدخل وأخبرها بذلك ، فأجابت وشكرت له عتبة ، فقال : قد نُميِيَ إليَّ أمرُكِ معه ، وأقسم : لا أزوجك به . فقالت : إن الأنصار لا يُردون ردّاً قبيحاً ، فإن كان ولا بد ، فأغلظ عليهم المهر . فقال: نِعْمَ ما أشرْتِ به ! ثم خرج فقال : قد أجبتُ ، ولكن على ألف دينار وخمسة آلاف درهم هجرية ، ومائة ثوب من الأبراد والخز وخمسة أقراص من العنـبر ، فَضَمِنَّا ذلك ، وقالا له : إذا أحضرناهـــا لك أَجَبْتَ ؟ قال : أَجَبْتُ ! فأحضروا له ذلك ، فأولم أربعين يوماً ، ثم أخذها ومضى ، فلما قارب المدينة خرج عليه خيل كثيرة فقاتل عتبة

حتى قُتِلَ ، فحين علمت رَيّا بموته جاءت وبكت بكاءاً مُرّاً حتى أبكت عليه من كان حاضراً وأنشدت :

تصبرتُ لا أني صبرت وإنما | أعلل نفسي أنّها بِكَ لاحِقَهْ
ولو أنصفت روحي لكانت إلى الردى | أمامَكَ من دون البرية سابقهْ
فما أحد بعدى وبعدك منصف | خليلا ولا نفس لنفسي موافقهْ

ثُمّ شهقت شهقة فماتت ، فواروهما التّراب في قبر واحد ، فنبت على قبرهما شجرة ، فسموها « شجرة العروسين » [1] .

---

١ الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ، ص ٢١٣ .

رواة من بني سُليم

نقصد بالرواة هنا ، رواة العلم المتعلق بلغة العرب وأماكنهم وتاريخها وتاريخهم وأشعارهم وأخبارهم . وإلى هؤلاء الرواة العرب والأعراب بصفة عامة يرجع كثير من ثراء رصيدنا العلمي والأدبي عن العرب في جاهليتهم وفي صدر إسلامهم .

وقد ذكرنا في هذا الفصل من تسنى لنا الإلمام بهم أو بما سجلوه لنا في رواياتهم التي كتبت عن بني سُليم منهم وكانوا معتمدين بحق فيها .

عرام بن الأصبغ السُّلمي

كان عرام أحد أعراب بني سُليم المتفتحي الأذهان ، الراغبين في نشر المعلومات التاريخية والجغرافية والنباتية والاجتماعية التي عرفها بحكم جولاته في بلاد العرب . وقد رأيناه يؤلف كتيباً موجزاً مكتنزاً بالمعلومات التي جمعها من هنا وهناك . وقد سماه : « أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه » .

والكتاب يحوي المعلومات التي تحصل عليها عرام عن تهامة والحجاز ، وقلما يعثر عليها الباحث في غيره . فهو من هذه الناحية أحد المراجع المهمة في التعريف بماضي الأماكن التي تحدث عنها في زمن الجاهلية وفي

عهد الإسلام حتى عصره .

وكان عرام يعيش في القرن الهجري الرابع . ونسخة كتابه المطبوعة يرويها السيرافي عن أبي محمد السُّكَّرِي عن أبي سعد عن عبد الرحمن المعروف بأبي الأشعث الكندي عن عرام [1] .

وقد نشر هذا الكتيب المفيد نشراً علمياً على نفقة الشيخ محمد نصيف ويوسف زينل رحمهما الله وتولى اخراجه وتحقيقه والتعليق عليه الأستاذ عبد السلام محمد هارون وطبع بمصر سنة ١٣٧٣ هـ في ٨١ صفحة من الحجم دون المتوسط ، ووضعت له الفهارس العامة اللازمة .

رُواةٌ آخرون من بني سُليم

روى الهجري عن رواة سُلميين منهم : محمد بن الرياحي السلمي ، ومحمد بن يزيد الحض السلمي ، وموسى بن رُبَيْق بن صبَّاح من بهثة ابن سُليم ، ويحي بن الخير من خُفاف سُليم والحبيبي السلمي ، والحضي السلمي ، والحريمي السلمي ، وأبو سفيان السلمي ، وأبو عروة السلمي ، وشغنوب بن صالح السمالي السلمي ، والصويعة وأبو محمد عبد الله بن موسى البهثي وغيرهم [2] .

---

١ مقدمة كتاب جبال أسماء تهامة وسكانها ، لعبد السلام محمد هارون .

٢ أبو علي الهجري للأستاذ حمد الجاسر .

شعراء الشعر (الحميني) أو النبطي من بني سليم

عقد الأستاذ خير الدين الزركلي في كتابه : (ما رأيت وما سمعت) فصلاً خاصاً بشعر البُداة ، ويقول عن هذا الشعر البدوي : إنه مختلف في لغته وأوزانه عن الشعر الصحيح أو القريض ، وقال عنه : (ويسمونه « الحميني » ولم أعلم اشتقاق هذه اللفظة ولا أصلها) .

وأضاف إلى ذلك قوله : « ويُسَمُّونَ المساجلة بين الشاعرين منهم : « قصيداً » . كما يسمون القصيدة الطويلة أو القصيرة « نشيداً » . ويسمون القصائد على الاطلاق : « مَجَالِسِيَّات » . ويعرف عندهم اللغز باسم : « الغبوة » .

وهم يقولون للشاعر إذا أحسن : « صح لسانك » بدلاً من قول العرب الأقدمين للشاعر المُجِيد : « لا فض فوك » .

وقلّ من شعراء البادية من يتفق له أن يتلقى في صغره شيئاً من مبادئ علوم العربية ، أما من تهيأ له ذلك فيستعين بسليقته الشعرية على نظم شيء من الشعر الصحيح وقد تكون فيه معان جديدة توحي بها اليه بداوته وصفاء قريحته ..

ومن شواهد هذا النوع من القريض البدوي الفصيح ، بعضُ شِعْرِ الوقدانيّ ، ومنه قوله في رثاء أمير مكة الشريف عبد الله بن محمد بن عون :

المُلكُ لله والدنيـــا مداولة وما لِـحَيٍّ على الأيام تخليد
والناس زرع الفنا والموت حاصده وكل زرع إذا ما تم محصود

وشعر البادية اليوم وقبل اليوم ينتشر بالواسطة أو بالرواية على التعبير الدقيق ، فهو في كيانه وتنقله وذيوعه وانتشاره يشبه شعر العرب الفصحاء قبل ظهور الإسلام ، إذ كان له رواة يحفظونه في صدورهم وينقلونه إلى الجماهير بألسنتهم ، فَيُحْفَظُ عنهم ويُرْوى جيلاً فجيلا .

وهناك رواة للشعر الحميني معروفون .

ويبدو أن شعراء الشعر الحميني في البادية هم حملة مقاليد اللغة بين البادية ، فلهم الحق في التصرف في مقاليدها كما تملي عليهم قرائحهم وكما تستدعيه منهم الأوزان الشعرية التي يصنعونها . وهم في هـــذا شبيهون أيضاً بشعراء العرب القدامى .

ولغة الشعر الحميني « بدوية عامية صرف » ومن شواهد هذا تعبيرهم في شعرهم بقولهم : (إليا) في معنى (إذا) : (إليا نصيتَ الرَّبع) أي إذا قصدت الرَّبع . فنصا عندهم بمعنى (قصد) ولِـنَـصا مشتقاتها : (يَـنْصى) مضارع ، و (إنْصَ): فعل أمر ، و (ناصيه) : قاصِدُه — اسم فاعل وهكذا . ويقولون (لا جاك) والمعنى : (إذا جاءك) ويقولون (برْضُه) أخذاً من عامية مصر ، فان مصر كانت ذات خلطة قديمة بالحجاز بدوه وحضره .

وفي صيغة (تنصى) بمعنى (تقصد) يقول محمد الجبرتي السلمي :

سلامْ رَدّيَه وفَى مِنْ بَالي تَـنْـصَى الرجال والمحلّ الغالي

وفي (اليا) بمعنى (إذا) يقول حبيب بن قليشان السلمي :

سُوَّاةْ الطريدْ الْيَـا عطى حاجر المعطوف على الـنَّـجَـرّة اللّي متبعها تباريها

و (اللّي) عندهم بمعنى (الذي) ومن شواهد ذلك قول حسين ابن هندي السّلمي :

يا للّي سَقَيْتَ الأرض من غُرّ الأمزانْ

يا لِلّي خَلَقْتَ الورشْ في رُوس الأفنانْ [1]

وشعراء البادية كغيرهم من البادية يُسَكّنُونَ أواخر الكلمات . وهم يسمون الجواب « رداداً » . وفي لغتهم كثير مما لا تنطق به العامة في مصر والشام ، وفيها كثير من الكلمات المتفرعة من العربية الفصحى الباقية على ما كانت عليه قبلاً . وهذه توارثوها عن أسلافهم . وقد دخلت إلى لغتهم كلمات كثيرة من الاقطار المجاورة أيضاً .

وللحميني بحور ومقاطع يعرفها شعراؤه بالسليقة ، كما كان العربي القديم يعرف أوزان شعره ويُجْري عليها قصائده بالسليقة .

ويبتدئ شعراؤهم شعرهم الحميني بمقياس معروف لديهم ، فيقولون قبل أن يبدؤوا في نظم القصيدة : (يا لا لا لا للي ، لي لا لا لا لا للا) أو ما يتفق مع النغم الذي يريد الشاعر البدويُّ أن ينظم القصيدة فيه ، ومن ثم يرتجل قصيدته ، فلا يختلف فيها البيت عن الآخر وزنا وقافية ، وإنما دليله الوحيد هو النغمُ الذي تَفَوَّهَ به واللالاتُ التي نَطَقَ بها مقدماً ليس غير .

وإذا برع أحدهم في شعر الحميني فقد لا يحتاج إلى تقديم (اللالات) هذه فيما ينظم .. يكتفي بسليقته ودربته على قول الشعر بمقتضاها وعلى مقياسها ذوقيّاً وسليقيّاً فيأتي شعره موزوناً على الأوزان المصطلح عليها لديهم فيه كما أراد تماماً .

وشعراء البادية أقرب إلى الطريقة الإفرنجية في أوزان شعرهم ، لأنهم يعتمدون على المقاطع وهي كالأسباب في عروض الشعر العربي ،

---

[1] ما ورد في أربعة الأسطر الأخيرة من الصفحة السابقة (٥٠٥) وثلاثة الاسطر الأولى من هذه الصفحة هو من كلام المؤلف . وما قبلهما وما بعدهما مأخوذ من كتاب « ما سمعت وما رأيت » بتلخيص من المؤلف .

ويدل على هذا أنهم لا تكاد تمر بهم كلمة ذات ثلاثة حروف متحركة إلا سَكَّنُوا أحدها ، فليس في شعرهم (متفاعلن) ولا (مفاعلتن) .

وطريقة الأخذ بالمقاطع هي الشائعة في شعر أكثر اللغات وفي شعر جميع لغات أوروبا مثل الانكليزية والفرنسوية والألمانية وغيرها .

وخلاصة القول في أوزان الحميني أن شعراءه يشبهون شعراء العرب قبل وضع العروض وذلك بإخراجهم القصيدة متساوية مع المطلع . وميزان الشعر الحميني يتركز في المقاطع : (لا لا لا) ، وتَسْكِين المتحرك . ومَدُّ أحد المتحركين كثير في شعرهم .

ولهم أسماء لبعض أنواع الشعر الحميني : فيسمون (المجرور) لما يلتزم فيه الشاعر (التسميط) مثل قول أحد شعراء البادية حين اضطرمت نار الحرب بين العرب والاتراك في أيام النّهضة حيث تحصن الأتراك في جبل عكابة (جبل حول الطائف) وأخذ العرب يرمونهم من (شَرَقْرَق) وهو جبل حول الطائف ، ومن (شُبْرَةَ) حتى أزالوهم عن مواقعهم :

عكابه رموك . من شرقرق وشبره . ببندق ميازر
ولا والله فتلك فيك . تظلين عبره . لكل النواظر

والبندق هنا بمعنى الرصاص .

وبالجملة فان أوزان الشعر الحميني تشبه أوزان شعر العامة في مصر والشام ، فهي كالزجل والمعنّى والقراديات ، فكلاهما معتمد على المقاطع .

وهناك اختلاف دقيق بين الشعر الحميني لدى البادية ولدى الحاضرة .. فشعر البادية فيه وعورة على فهم الحضري ، وشعر الحاضرة قريب من لغتهم . ومن أمثلة تمايز الشعرين في الأسلوب واللهجة قول زيد بن هويشل من (نشيد) :

الظّفِرْ [1] لا بُدّ من صغره يبين ظَفِرْ ، ويكرم سبال الغـانمين
كل قالات [2] الرجال الْهَا فَطِينْ قبل يبلغ بالعدد عشرين عـام

وقول الشريف عبد الله بن محمد بن هزاع من « نشيد » أيضاً :

آه من قلب تَعَنّى وانقسمْ أتعب الأعْيانْ واغْداني سَقِيمْ [3]
في هوى من فاق حُسْنُهْ واستتم فاق جمع الْخُودْ لم جالُهْ حتيمْ [4]

ومن شعر الحميني (الرّدَح) وتسميه هُذَيْلٌ ، الرَّجَزَ ، (وكلاهما بفتح أوله وثانيه) وهو في عرفهم أن يسير جمع من الناس أو يصطفوا وقوفاً يتوسطهم شاعرهم ، فيبدأ باللالات ثم يرتجل البيت من الحميني ، فيعيدونه جميعاً هازجين ، ويستمر ويرتجل حتى ينتهي من (نشيده) أي قصيدته (*) .

* * *

وبعد ، فقد قدمنا ما سبق ، ليستبين على ضوئه حقيقةُ شعر الحميني السلمي وألوانه ، وهو الشعر الذي عقدنا له هذا الفصل .. وذكرنا ما أمكننا ذكره من شعرهم وشعرائهم فيه .

حبيب بن قليشان السلمي

هو من شعراء الشعر النبطي ، من بني نَوّالٍ إحدى بطون بني سليم

---

١ الظفر بفتح فكسر : الشاب .
٢ قالات : أقوال .
٣ الأعيان : العيون .
٤ لم جاله : لم يجيء له . حتيم : شبيه ونظير .
(*) راجع كتاب ما رأيت وما سمعت ، للأستاذ خير الدين الزركلي ، من ص ١٦٢ إلى ص ١٧٩ .

الموجودة اليوم في ديارها في أعالي الحجاز ، بين الحجاز ونجد . .

توفي حبيب قبل نحو ٩٠ عاماً . واسم (حبيب) الذي سمي به ، هو اسم قديم في بني سليم : سَمَّوا به في الجاهلية وصدر الإسلام وضحاه ، وقد مر بنا في فصل : (أمراء وزعماء ومحتسبون وفرسان وقادة وولاة وموظفون من بني سليم ، اسم (نبيشة بن حبيب السُّلمي) ومر بنا في فصل (العلماء السلميين) (عبد الملك بن حبيب) ومر بنا اسم (يربوع ابن حبيب) الذي هو أيضاً عتبة بن فرقد السلمي في فصل (صحابة من بني سليم) ، ومر بنا اسم (حبيب بن ربيعة) في ذلك الفصل أيضاً .

يقول حبيب بن قليشان النوالي السّلمي يصف سيره على راحلته السَّبُوق وقد قابلته (دَوْرِيَّةُ *) عساكر الترك واستجوبوه ، فأفادهم بأنه حامل بريد رسمي كلفه الحاكم — أمير مكة — بإيصاله . فلم يصدقوه وهددوه بالقتل فما خاف منهم ثم تركوه ومضى لسبيله حتى أدى مهمته كما يجب .

أقوله وأنا طرقي مع الديره اللِّي خُوفْ
على وَسْقْ ١ هِجْنٍ شائبات مقاربها

لِيَا ٢ حثها المشعابْ تسبق عام الشّوُفْ
تذاري كما اذّارَى الهائبْ يراعيها

سُواة الطريد ٣ الّياعَطَى حاجر المعطوف
على الجُرَه ٤ اللّي تبعها بتاريها

* الدورية : كلمة كانت تستعمل في عهد الاتراك ولا تزال . ومعناها : طائفة من جند يسيرون ليلا أو نهاراً في الأماكن للتفتيش وتوطيد الأمن .

١ وسق : ظهر .

٢ ليا : اذا . المشعاب : عصا ذات رأس منحن .

٣ الطريد : الغزال .

٤ الجرة : الأثر .

ذبحْها الظّما والجوعْ والْحقتها الماحوفْ
ولا غير أواريها ولا غير لا أداريها
نَصّانِي[1] عساكرْ خيلْ وأرسانهن أقوفْ
مع الوادي اللِّي نَبّْ ساله يواليها
وقالوا : وِش انْتْ ؟ وقلت : أنا واحد مكلوفْ
مكلفــني الحاكم مكاتيب أوديها[2]
وقالوا : تموتْ ! وقلت : ما أنتم سلوك الموتْ
ونفسَ الْبِنَادِم[3] علمها عند واليها

مطلق بن عُضَيِّب المطرودي النوالي السلمي

أحد شعراء الشعر النبطي من بني سُلَيم . توفي قبل نحو ٨٠ عاماً .

ومن شعره النبطي أو العامي قوله يخاطب الشريف عون الرفيق باشا إبان إمارته على مكة فيما يتعلق بالعناية ببني سليم :

قال النّوالي[4] واقْ[5] عالي البتيلِ[6] في رأس ضلع السليم ضلع طويلِ
في المرقب اللي مــا بداه الذليلِ واللّي عن المقسوم روحه مداريه

* * *

١ نصاني : قصدني . وفي مراجع اللغة : نصاه : قبض بناصيته ، وانتصاه : اختاره .
٢ أوديها : أعطيها لأهلها .. « وأدى » : من معانيها أعطى . قال الله تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » .
٣ (البنادم) كلمة بمعنى (بني آدم) ، دخل فيها لكثرة استعمال العوام ما يسمونه التركيب المزجي ، في اللغــة الفصحى ، مثل (عبشمي) في النسبة إلى (عبد شمس) . والتركيب المزجي ، في بعض الأحيان ، يقتضي حذف بعض الحروف من الكلمات الممزوجة ببعضها .
٤ النوالي : نسبة إلى بني نوال .
٥ واق : طلع ذروة الجبل .
٦ البتيلي : الضلع المرتفع .

مطلق بدع [1] زين اللحن ثُم غنَّاه قاف [2] كما در الْبِكَارْ الْمُعَفّاه
ولا كما ذوب العسل من خلاياه ذوب العسل جني النحل من مشاريه

* * *

ولا بِيَّهْ [3] إلا مرهفات النحايلْ ومسلب [4] تكلم بها كل عائل [5]
نبيعها من خوف قيل لقايلْ كم مِقْلَدٍ [6] من صدر راعيه نرميه

* * *

ولا بِيّهْ إلا ناعمات الودايا اللِّي عليها عاكفين البنايا
كم واحدٍ خلت عياله قوايا جريدهن الخضر يبست علاويه

* * *

ولا بِيّهْ إلا الْقُودْ [7] عوج العراقيب اللِّي على عضمانها يتعب الذِّيب
واللِّي بقى منهم نشيله مصاويب كم فازت بروحْ وفقراء تخليه

* * *

ولا بِيّهْ إلا ناطحين المعازيب فأوساقها يَقْدَوْنها [8] بالمشاعيب
إما نكيفة [9] قوم والا مغاييب والا طُرَيْقيّ يبي [10] من يعشّيه

* * *

---

١ بدع : نظم قصيدة .
٢ القاف : قصيدة .
٣ ولا بيه : لا أخشى إلا من الحسود .
٤ المسلب : البندقية .
٥ عائل : شاب تائه .
٦ مقلد : حزام الرصاص .
٧ القود : الإبل .
٨ يقدونها : يسوقونها .
٩ نكيفة : الرجوع بعد الغزو .
١٠ يبي : يريد .

واللّي يحط البيت من فرع الأبيات كيف يتهنى فيه ويقيم ويبات
وهم لياجوا ياخذونه بالأنعات[1] يلقى عليه الدرب ولا مُغَبِيّهْ

* * *

ولا بيِيَّهْ إلا ان كان جونا لساير بيناتهم سُواة شط الذخائر
وهم يبون افْكَاكَهَا بالبصائر وهم لهم بيتٌ على الدرب نبنيه

* * *

مبني على فنجال وابْهارَهْ الهيلْ لنجو ضحى وان كان لافين بالليل
واليوم ما نلقاه يا حَيْل أبا لْحَيْلْ عَدَمَتْ تكاليفه وعَدْماً أوانيه

* * *

ولا بيِيَّهْ الا حـال أميرَ القبيلهْ من حال صابه ما معي فيه حيله
غاوي كما تغدي شباة النحيلهْ لا منتحي روحيه ولا قادر انتحيه

* * *

يا (عون باشا) دونك أربع قبائلْ لنا يَرمون [2] الشّرَكْ [3] والحبائلْ
حَطُّوا لَنَا عَلَى دُرُوبَكْ دلائلْ نَبِيي المُواجَهْ مبرْ ما نقدر انجيه

* * *

وقال (العلاوي) : لي عليهم قديمه قرشين فوق المصبحه والمقيمه
إخلاف ساير [4] لوما هي غنيمه لو حق ما أنكرته ولا انكرت راعيه

* * *

---

١ الإنعات : الإشارة إلى شيء ما .
٢ يرمون : يضعون ويكيدون .
٣ الشرك (بفتح الشين المثلثة والراء المهملة بعدها كاف) : المكيدة .
٤ سائر : نظام القبيلة السائر عليها .

لِنْ جيت[1] أطْلِعْ[2] يَمْ سيدي شكيّهْ
دونه مراقص خيل وملاحميّهْ
وأحْرَابْ دونَهْ ، وقومْ لَظِيّهْ تَحُولْ من دونه وتَقْصُرْ بباغِيه

* * *

وانْ كانْ رُحْنَا للبنادر مَسافير رحنا على حد الحداد السواطيرْ
في ديرة الدُّولَهْ ، وحرب المناعيرْ والِلّي ذبحنا ، له دلائل تَقَدّيّهْ

محمد الجبرتي السلمي

يسمونه « الشاعر الكبير » . وهذه أبيات متفرقة من شعره النبطيّ . ويلاحظ أنه أقرب إلى أوزان الشِّعْر العربيّ المعروفة قديماً ، وأقرب في تعابيره إلى تعابير اللغة العربية الفصيحة . يقول :

سَلاَمْ عَلَيْكُمْ من كبير الجباريت
من الهاجس الِلّي فيه بايع وشاري
وانا حاكم الشُّعَّار[3] حكم العفاريت
كما الصقر يوم انّهْ يحكم الْحَبَاري

والبيتان السابقان يدلاننا على مدى اعتزاز محمد الجبرتي السلمي بشاعريته بين قومه .. كما يدلاننا على بلاغته في الوصف وإبراز العواطف .

ويقول :

سلامْ رَدّيَّهْ وَفَى مِنْ بالي تَنْصَى[4] الرجال والمحلّ الغالي

---

١ جيت : أردت .
٢ أطلع : أرفع .
٣ الشعار : الشعراء .
٤ تنصى : تقصد .

من لاَ لُهْ أوّلْ لا يجي لُهْ تَـالي   لاَ بُدّ مِنْ يَومْ نَصُفّ[1] احسابه

* * *

والحي لا بد تجي له فَاقَهْ   مثل الحصاهْ اللّي عَلى المطراقَهْ
إن طقها رأس القدم طَقّاقَهْ   مَنْ طَقّ بابَ الناس طَقّوا بَابَهْ

وهو في أبياته الأربعة هذه ينحو نحو الشعر العربي الجاهلي في الحكمة الاجتماعية ..

وله يصف لنا كيف سطا عايه (الناموس) — البعوض — ليلاً وحرمه لذيذ النوم حتى أصبح عليه الصباح وهو سهران :

البارحَ النّامُوسْ سَرّى عَلَيّهْ   جَاني بقُوّاتُهْ وقوم لَظِيّهْ[2]
سَهْرَانْ حتى الصبح تُومي[3] يَديهْ   وأصْبَحْتْ من فِعْلِ النواميس سهرانْ

حميد حويمد الجبرتي

ظفرنا له ببيتين قالهما في (الحكمة الدينية) :

الْعَاجِلَهْ لِمُجَمّعِينَ الْحُطامِ   وَالآخِرَهْ لِلْمَسْكَنَهْ والفُقَارا[4]
ومن لا يصَلّي ما قُبِلْ له صيامِ   حيث الصّلاة لكل مسلم شعارا[5]

عتيق الله عُضيب المطرودي السلمي

نظم هذه القصيدة قبل أكثر من ستين عاماً . ويبدو أنه أخو مطلق

١ نصف : نتحرى .
٢ لظية : من اللظى . أي شديدة الباس .
٣ تومي : من الايماء ، أي تتحرك ذات اليمين وذات الشمال .
٤ الفقار جمع فقير .
٥ الشعار : العلامة .

ابن عُضيب المطرودي الذي سبق ذكره آنفاً :

قال النوالي بدا في مستقل البتيلْ [1]
في مرقب من صلاة الصبح بادي حَجَاه [2]
أطري عليّ نهار فيـه الشليلْ
لا عاده الله ،نهار ، ولا نهار كماه [3]
صاح المصبح ضحى لِمرَاوْقينْ الحقيلْ
نادى بصوت شهير كل من قام أحاه [4]
قلنا : علامك ؟ قال : المال جاكم جفيلْ
والمال الآخر تقَافى والْمَلَحْ في قفاهْ [5]
ثم احتزمنا وأخذنا كل سرداً جليلْ
نار الْقَبَسْ في جلبها ما تَعُوز الوشاهْ [6]
نار القبَسْ في جلبها ما تعيز الفتيلْ
ومَسَلّبَات هوى الخاطر وغاية مناهْ !
نرمي جدا والشاب وكلّ لبس ثقيلْ
حتى التحقنا بهم في الصّمْد [7] وزن النباهْ [8]

---

١ معنى : مستقل : أعلى . البتيل : الجبل .
٢ حجاه – بفتح الحاء – أعلاه .
٣ الشليل : الانهاك في السلب والنهب .
٣ كماه : أصلها : كما هو ، أي مثله .
٤ أحاه أصله : (وحاه) من الوحي أي السماع .
٥ الملح – بفتح الميم واللام – : البارود .
٦ السرد : البندقية بدون غلاف . وجليل بمعنى ضخم .
٧ نار القبس : القمع . الوشاة : حركة طويلة ، والمقصود ان البنادق سريعة الصواب .
٨ الصمد : يقصد بـه المكان المتسع . النباة : يقصد المحل العالي . من النبوة بمعنى المكان المرتفع .

اللاشْ يدرق يبي الْفيـّهْ [1] وعمرٍ طويلْ
ما حسب إنه على مَادَهْ تجيه الوفاهْ [2]

أوصيك يا اللّي تضم الهرج بنت الذليل
يأتي ولدها كما خاله قليل مزاهْ [3]

يا ليت يا ليت لوما هي التمني حصيلْ
قلنا سمعنا لقومانه نهاراً مغزاهْ

أظن منهم تطيب النفس دون المسيلْ
من دون وادي العمق قدام يقطع وراهْ

الذيب لِنْ [4] جاع يلقى لُهْ طعام سبيلْ
يلقى العتيبي غدا له والذيابي عشاهْ

وإن كان ما كفاه يلقى الشيخ زاداً جزيلْ
شفناه يرمي بروحه يوم رَبّي رماهْ

ومُسَلّب [5] مع عياله يكسبون الجميلْ
يعرف حلاهم [6] وأنا ما أعرف هذا من هذاهْ

يا روق [7] جا دونكم عَيـْزُوم مثل القفيلْ
لكن بأسرع ما أدرجنا عليه الرحاهْ

١ اللاش : الجبان . يدرق : يختفي في غيره . الفية : الظل من الفيء .
٢ ماده : اجله .
٣ تضم : تفهم . مزاه : هيبته .
٤ لن – بكسر اللام وسكون النون – بمعنى : لئن .
٥ مسلب : البندقية المجردة من غلافها .
٦ حلاهم : أي صفاتهم .
٧ يا روق : الروقة بطن من عتيبة . وعيزوم : بطن من عتيبة يقال لهم العوازم . والقفيل : الجبل .. يقول : انهم سرعان ما ألحقوا بالعوازم ، الهزيمة ، وأدرجوا عليهم الرحى ، أي وضعوا عليهم الرحى .

راعي .... يبي له في العواني مقيــلْ
حرِّم عليه المقيل إن كان عزّب نقاهْ

اما يجيبه على سبل النقا والدليلْ
والا نجيبه على سبله ودرب عطاهْ

حسين بن هندي السلمي

شاعر سلمي معاصر . وشِعْرُهُ مثل معاصريه نبطي ، ويمتاز بوضوحه ، وهو رئيس قرية الكامل أم قرى المنطقة ومركز الحكم والإمارة .

له من قصيدة نبطية قوية البناء ضمنها نصائح وارشادات لابنه :

قال :

يا الله طلبناك الهدايَهْ والإيقانْ
يَا للّي خلقتَ الورشْ[1] في روس الأفنانْ

يَا للّي سَقَيْتَ الأرضْ من غُرّ الأمزانْ
يا مهجي[2] الحيعان من كل مشهاهْ

* * *

اني طلبتك ستر ، فوق الرفــاقهْ
من هجرة جاتنا على غير فاقهْ

---

١ الورش : النبات .
٢ مهجي : مطعم ومشبع .

فيها وسيم الحق مـــاله سياقه
وان كان تطالب حق ما عاد تلقاه

مبارك عبد التواب الصادري النوالي الربعي السلمي

شاعر سلمي ، نبطيّ الشّعر ، وهو من أوائل من قدموا من ديارهم إلى جُدة ، ابتغاء التقدم التجاري والثقافي .. ويعتبر الاثريّ الأول بالنسبة لمواطنيه ، لاهتمامه بآثار منطقته قبل غيره وركوبه المشقات في التعرف على تلك الآثار والتعريف بها . قال هذه القصيدة يوصي حفيده لابنته خـــالد أحمد سالم باكواسة بمكارم الأخلاق . وقد ذكر في قصيدته هذه انه بلغ نحو ٥٠ عاماً ولم يرزق بأبناء ذكور :

أقول بسم الله في كُلّ مَجْهاه — وأنا الحبيبْ أهواهْ في كل نيّهْ
ويقول ابن ثواب وسُهْل ما غابْ — لي جُرحْ دوبه طابْ وأعادْ فيّهْ
أعادْ نصفَ الليلْ هَيْل بلا كيلْ — وأنا ما أحبّ الميْلْ منّي وَفيّهْ
يا ربّ عـــافيني ولا تبتليني — وانت عَوِيني في بيَان وخفيّهْ
إنت شفيت أيوبْ من كلّ مكروبْ — يا ربّ يا مطلوبْ ربّ البريّهْ
شَافي لي الأجْراحْ والدّمّ سَفاحْ — والصّبْرْ منّي باحْ مما عَليّهْ
يا ربّ وايشْ اقول والقلبْ مهذول — أريدْ منكْ احلْولْ توحي إليّهْ
يا ربّ أنا محتار وكأنّي على نارْ — يا عالم الأسرار ربّ البريّهْ
يا ربّ راسي شاب ما أعرفْ الأسبابْ — يقَلْلُونْ لي الأصحابْ هاذي عطيهْ
يا خَالِدْ أبوَصّيكْ لا عاش شانيك — أُوْصيكْ في دِينَكْ تَراها وصيه
وصيةَ القرآن في كل الأزمان — وصّى بها الديان كل البريهْ
أوْصيك بآخوانك في طولتْ زمانك — الله معْوانكْ وخُذْ بالوصيهْ

إخوانك القصارْ جَمْرَهْ مِنَ النارْ وصيّةَ القهار أقوى وصيهْ
يا خالد أنا أهواكْ وما أشوف حلياكْ وحيّاتْ رَبّ انْشاكْ مالك سويهْ
حُبّكْ هوايَهْ نابعْ مِنْ حَشايَهْ وانْتَهْ مُنايَهْ في الضّحى والعشيهْ
والله ما بَنْساكْ لوْ طالْ مَشْحاك [1] ولو عنّي رُحْتَ في الْحَضْرَمِيّهْ
وما أخافْ عني تروحْ والقلبْ مجروح جَدّك يا خالدْ لُه عَلومٍ خفَيهْ
يعلم بها الوالي جَوِيدْ الحِبالي اللّهْ لاذالي ويعلمْ ما بيّهْ
ويا خالدْ الجيران في كُلّ الأزمان وَصيّةَ الرحمن وفي الجاهليهْ
أُوْصِيك بُهْ لو جارْ ولو باح الأسرار أقبل له المعذار ولو جاتْ خَطيّهْ
وخيلانكْ السلمانْ ذَرّ فينْ الايمانْ هَيْهاتْ ويا خيلانْ فعلْ وحميهْ
أهْل الكرم والشّعر ذَبّاحَة التّمر تاريخهم يَخْبِرْ رَجالٍ شَفيّهْ
ورَبْعَكْ لا تنساهم ترى ما كِماهم رُدّ السلامْ وخُصّهُمْ بالتحيهْ
تُجّارْ محترمينْ في الْحِينْ والْحِينْ اللّي في حضرموت واللّي هنَيّهْ
ولا بد فيه يُقال من بعض الأحوالْ والناسْ قيلْ وقالْ فيهم سجيهْ
يا خالدْ احذرهم ولا تَتْمِنْهُمْ لا بُدّ ما منهم بَيانْ وخفيهْ
إحذر من الضّحّاك ولو كان سلاّك لا بد ما يَدْهاكْ بأكبرْ دهيهْ
يَدَوّرْ الْغَرّاتْ في كل الاوقات حتّى يحنّي سَلّةَ النّافعيّهْ
واحذرْ من المكّارْ في كل الاقطارْ تراهْ شَرّ ونارْ نارُهْ قويّهْ
تري الرجال اجناس في جملة الناسْ فيهم ذَهَبْ وَنْحاسْ على السويه
واحذرْ من الشّيْنينْ في الحين والحين وخلّكْ مع الزّيْنينْ على السويه
والناس فيه تقولْ من غير معقولْ ويا خالد أنا أقول خالدْ شفيّهْ
يا خالد أنا أهْواكْ وحياتْ مولاكْ واللّهْ ماشْ سواكْ عندي هنَيّهْ

---

[1] بعدك في مكان تفضله على غيره .

إنْتَهْ حبيبي والله اللّي رقيبي وأنته نصيبي في بَيانْ وخفيهْ
إنته حياتي وإنته ملجأ بنـاتي إذا جاءت وفاتي من لهم يا شفيهْ
إذا غبت في مغيابْ وضَوْء القمر غاب من يُقْري الغُيّاب في الحرْمْسيه [1]
ويا خالد الضيفانْ من كل الأوطان عَبِّي لهم دلّه بها شـاذليّهْ
وأكثر بِدَقّ الهيل في الصبحْ والليلْ في دِلالْ صُفْرْ ونجِرْ هنا لك وليه
رحّبْ بهم يا شبّ واطلب من الربّ والرّزّ صُبّهْ صَبّ للألْفويّهْ [2]
والعودْ والماجودْ ولو كان مَحْدُودْ وافْتَحْ لهم قَلْبَكْ بزين التحيّهْ
وكَثِّرِ الترحابْ لالِنْ جاكْ غُيابْ وأقسمْ لِلْغُيّاب أكثرْ تحيّهْ
حتى انهمْ يَقْلُونْ [3] في البيت مأمون وسَهْرَ العُيُونْ ولا يخون الوصيه

وقد نظم مبارك هذه القصيدة في ١٦ المحرم ١٣٩١ هـ .

وقصائد الوصايا للأبناء لها سابقات في قديمِ الشّعْرِ العربيّ وحديثه .

عثرنا في كتاب : (ما رأيت وما سمعت) للأستاذ خير الدين الزركلي على قصيدة للشريف حامد بن عبد الله : « نشيد » طويل يوصي به ابنه (سعداً) ، ومنها قوله في المطلع :

يقول حامد يوم هَجْرَسْ [4] بالغنا
حديثْ أحلى من حليب القود

ويقول :

عسى الله يخلّي لي « سعد » يحتضي [5] بي
لا أستوي في قبري الملحود

١ الحرمسية : الظلام .
٢ الألفوية : هم الضيوف .
٣ يقلون : يقولون .
٤ هجرس بالغنا : رفع صوته بالغناء .
٥ يحتضي : يحظى . لا أستوي : إلى أن أستوي .

ويبدأ وصيته له فيقول :

أنا أوصيك مني يا سعد واستمعْ لي
افطن ولا تنس وصـاة العودْ
أوصيك في أسناع الشكالهْ تفيدها
ترى الشكالهْ حبلهـا ممدودْ [1]
وأوصيك في ضيفك الْيَا جاك حَشّمُهْ
تَجَمّلْ ورحّبْ بهْ على الْماجُودْ [2]

فوصايا الشريف حامد بن عبد الله لابنه ، وحسين بن هندي السلمي لابنه ، ومبارك عبد التواب السلمي لحفيده من ابنته هي من هذا النوع من « النشيد » أي « القصيد » في شعر الحميني الذي هو شعر باديتنا الوحيد اليوم .

ومن وصايا الآباء للأبناء أو أبناء الأخ ومن يشبههم في شعر العرب القدامى قصيدة نونية وصى بها لبيد ابن أخيه ولم يكن له ولد ذكر ، فهو من هذه الناحية يشبه حالة مبارك السلمي حينما نظم قصيدته النبطية في وصية حفيده لابنته ، ومنها قول لبيد من تلك القصيدة يخاطب حفيده لابنته :

وافعل بمالك ما بدا لك ، إن مُعَاناً أو معينا
واعفف عن الجارات وامنح هن ميسرك السمينا
وابذل سنام القدر إنّ سواءها دُهْمـاً وجونا
ذا القدر ان نَضجَتْ وعَجِّـ ـلْ قبله ما يشتوينا
ان القدور لواقـح يَحلبْنَ أمثل ما رُعينا [3]

١ الشكالة : الشجاعة .

٢ اليا : إذا . الماجود : الموجود .

٣ يقول لابن أخيه: اذبح الإبل السمان للضيوف والضيفات وعجل قبل نضج لحم الإبل ما تشتوي الجارات . ان القدور لقائح تحلب لناحرها من الشرف والحمد والذكر الحسن أكثر مما يطعم فيهن . ومعنى : « رعين » : استحفظن وجعل فيهن .

ويمضي لبيد في وصيته لابن أخيه وذلك عندما شعر لبيد بوطأة الكبر ، فيقول في القصيدة ذاتها :

وإذا دفنت أباك فاجـ ـعَلْ فوقه خشباً وطينا
وصفائحاً صُمّاً رَوَا سيها يُسَدّدْنَ الغضونا
ليَقِينَ وجه المرء سفسا ف التراب ولن يقينا
ثم اعتبر بثناء رهطك إذ ثوى جدثاً جنينا
وتراجعوا غُبْرَ المرا فق من أخيهم يائسينا
تلك المكارم إن حفِظْـ ـتَ فلن تُرى أبداً غبينا[1]

* * *

ومن أجود قصائد الوصايا وأروعها وأمتعها قصيدة يزيد بن الحكم الثقفي معاصر الفرزدق وجرير .. وهو يوصي فيها ابنه (بدراً) بمكارم الأخلاق ، ويدله على طرق المجد المؤثل والثناء المستطاب .. يقول :

يا بدرُ — والأمثالُ يضربها لذي اللب الحكيمُ
دُمْ للخليل بوُدّهِ ما خير ودٍّ لا يدومُ
واعرف لجارك حقه والحق يعرفه الكريمُ
واعلم بأن الضيف يو ماً سوف يحمَدُ أو يلومُ
والنـــاس مُبْتَنَيانِ محمود البناية أو ذميمُ
واعلم بُنَيّ فإنه بالعلم ينتفع العليمُ
أن الأمور دقيقهـــا مما يهيج له العظيمُ

ويمضي فيقول له :

قد يُقْتِرُ الْحَوِلُ التقيُّ ويكثر الْحَمِقُ الأثيمُ

[1] ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، ص ٢١٥ و ٢١٦ .

يُمْلَى لذاك ويُبْتَلَى هذا ، فأيّهما الْمَضِيمُ ! ؟

ويمضي فيقول في ختام وصاياه لبدر ابنه الأثير لديه :

واعلم بأن الحرب لا يَسْطِيعُها الْمَرِحُ السَّؤُومُ
والخيل أجودها الْمُنَا هِبُ عند كَبَّتِها الأزومُ [1]

وأعتقد أنه لو تتبّع باحثٌ دواوين الشِّعْرِ العربيّ القديم لوَجَد الكثيرَ مِنْ هذا النوع من الشّعر العربيّ الرصين .

---

١ ديوان الحماسة لأبي تمام ، ص ٤٦ – ٤٩ ، الجزء الثاني ، طبع مطبعة السعادة بمصر .

كلمة شكر واجبة

أشكر للأصدقاء الأماثل ، ما أمدوني بـه من المراجع التي لم تكن لدي . وهؤلاء هم :

● صاحب المعالي الشيخ محمد سرور الصبان الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ، فقد أهداني كتاب « العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » لتقي الدين الفاسي ، بكامله . واستفدتُ منه كثيراً .

● سعادة الصديق الأستاذ خير الدين الزركلي ، فقد فتح لي مكتبته العامرة ببيروت وأفدت منها كثيراً .

● سعادة الصديق الأستاذ السيد عبيد مدني : فقد أمدني من مكتبته العامرة بالمدينة المنورة بكتاب « الدر المنثور في طبقات ربات الخدور » لزينب بنت علي العاملي المطبوع في مطبعة بولاق الأميرية بمصر سنة ١٣١٢ هـ .

● سعادة الأستاذ الصديق السيد حبيب محمود أحمد ، فقد أمدني من مكتبته العامرة بالمدينة المنورة . بالجزء الثاني عشر من كتاب « دائرة المعارف الإسلامية » الترجمةالعربية بمصر .

● سعادة الأستاذ الصديق أحمد عبد الغفور عطار ، فقد أمدني من مكتبته العامرة بمكة المكرمة بديوان العباس بن مرداس السلمي .

● سيادة الدكتور عزة حسن المدير العام لدار الكتب الوطنية الظاهرية بدمشق ، فقد أعارني من مكتبته العامرة بنسخته المخطوطة من كتاب « من سُمّيَ من الشعراء عمراً » لابن الجراح .

● كما أشكر للأخوان : الشيخ حسين بن هندي والشيخ مبارك عبد التواب والسيد عبيد السلميين ، ما زودوني به من معلومات عن ديارهم ومن قصائد « حمينية » لشعرائهم وغير ذلك .

إني أشكر للجميع فضلهم وصنيعهم ، جزاهم الله عني خير الجزاء .

مراجـــع الكتاب

القرآن الكريم .

صحيـح البخاري .

تاريـخ واسط – لأسلم بن سهل الرزّاز .

صفة جزيرة العرب – للهمداني .

صبـح الأعشى – للقلقشندي .

تعليقات محمد بن بليهد على صفة جزيرة العرب – للهمداني.

تقرير البعثة الزراعية الأمريكية إلى المملكة العربية السعودية .

جزيرة للعرب – لمصطفى مراد الدباغ .

كتاب أخبار مجموعة – لمؤلف مجهول .

أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه – لعرام بن الأصبغ السلمي .

الرحلة اليمانية – لشرف عبد المحسن البركاتي .

العبر وديوان المبتدأ والخبر ... لعبد الرحمن بن خلدون .

معجم البلدان – لياقوت الحموي .

كتاب الأمكنة والمياه والجبال – لمحمود بن عمر الزمخشري .

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم – للبشاري .

وفاء الوفاء – للسمهودي .

تهذيب الألفاظ – لابن السكيت .
التراتيب الادارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية العلية – لعبد الحي الكتاني .
تعليقات أوغشت هفير على كتاب النبات والشجر – للأصمعي .
القاموس المحيط – للفيروزآبادي .
تاج العروس – لمرتضى الزبيدي .
شرح ديوان الحطيئة – لابن السكيت والسكري والسجستاني .
مدائن صالح – لمحمد عبد الحميد مرداد .
المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – لجواد علي .
دائرة المعارف الإسلامية – الترجمة العربية بمصر .
الأعلاق النفيسة – لابن رستة .
معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي – للمستشرق زامباور ، ترجمة زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود .
مجلة المنهل .
تحقيق أمكنة في الحجاز وتهامة – لعبد القدوس الأنصاري .
بين التاريخ والآثار – له .
المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية – تأليف ل. س. تويتشل ومساهمة ادوارد ج. جورجي : ترجمة شكيب الأموي .
لسان العرب – لابن منظور .
تهذيب اللغة – لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري .
جمهرة أنساب العرب – لابن حزم .
تاريخ العرب قبل الإسلام – لجواد علي .
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب – لأحمد بن محمد المقري التلمساني .
البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب – للمقريزي .
تعليقات عبد المجيد عابدين على كتاب البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب .

فهرس المخطوطات العديد — لعلوش وعبد الله الرجراجي .
درة الحجال في غرة أسماء الرجال — لابن القاضي .
قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان — للقلقشندي .
تاريخ الجزائر في القديم والحاضر — لمبارك الميلي .
التعريف بابن خلدون — لابن خلدون .
تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب — لعبد الرحمن ابن عبد الكريم الأنصاري .
الاشتقاق — لابن دُريد .
مجلة كلية الآداب السنوية بجامعة الرياض .
الأعلام — لخير الدين الزركلي .
العمدة — لابن رشيق .
مقاتل الطالبيين — لأبي الفرج الأصفهاني .
معجم ما استعجم — للبكري .
الطبقات الكبرى — لمحمد بن سعد .
أيام العرب في الجاهلية — لمحمد أحمد جاد المولى وزميليه .
العقد الفريد — لابن عبد ربه .
أيام العرب في الإسلام — لمحمد أحمد جاد المولى وزميليه .
الاكليل — للهمداني .
جداول أمراء مكة وحكامها — للشريف مساعد بن منصور .
درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة — لعبد القادر الجزيري الأنصاري .
مرآة الحرمين — لابراهيم رفعت .
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة — لأبي المحاسن .
فتوح البلدان — للبلاذري .
تاريخ الأمم والملوك — للطبري .

سيرة ابن هشام — لابن هشام .
مختصر سيرة ابن هشام — لمحمد بن عبد الوهاب .
الكامل في التاريـخ — لابن الأثير .
طبقات علماء افريقية وتونس — لمحمد بن أحمد بن تميم القيرواني .
ديوان ابن أبي حُصَيْنَة السلمي .
ديوان ابن حَيُّوس .
إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان — لأحمد بن أبي الضياف التونسي .
الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى — لأحمد بن خالد الناصري .
تاريـخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي — لحسن ابراهيم حسن .
الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية — لابن منقذ القسنطيني .
الارتسامات اللطاف في خاطر الحاجّ إلى أقدس مطاف — لشكيب ارسلان .
تاريـخ افريقية والمغرب — للرقيق القيرواني .
ترجمـــة القاضي أبي بكـــر بن العربـي — لمحب الدين الخطيب — في مقدمته لكتاب العواصم من القواصم .
المقدمة — لابن خلدون .
مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية — لناصر الدين الأسد .
علماء يُنسبون إلى مدن أعجمية وهم من أرومة عربية — لناجي معروف .
العواصم من القواصم — لأبـي بكر بن العربـي .
سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر — لمحمد خليل المرادي .
معجم قبائل العرب — لعمر رضا كحالة .
قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية — لأحمد أمين .
نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب — للقلقشندي .
تاريـخ السودان — لنعوم شقير .

ميزان الاعتدال في نقد الرجال – للذهبي .
اللبُّاب في تهذيب الأنساب – لابن الأثير .
تقريب النواوى – للنووي .
تدريب الراوي شرح تقريب النواوي – للسيوطي .
القاموس الإسلامي – لأحمد عطية .
الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ – للسخاوي .
محمد عبده – لعباس محمود العقاد .
الاستيعاب في معرفة الأصحاب – للحافظ أبي عمر بن عبد البر .
المعارف – لابن قتيبة الدينوري .
قصص العرب – لمحمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم .
الحماسة الشجرية – لابن الشجري هبة الله بن علي العلوي الحسني .
العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين – لتقي الدين الفاسي .
البيان والتبيين – للجاحظ .
جمهرة اللغة – لمحمد بن الحسن بن دريد الأزدي .
الموشح – للمرزباني .
الشعر والشعراء – لابن قتيبة .
من سُميّ من الشعراء عمراً « نسخة مخطوطة قديمة » – لابن الجراح .
الإصابة في تمييز أسماء الصحابة – لابن حجر العسقلاني .
الكامل – للمبرد .
العقد الفريد – لابن عبد ربه .
تهذيب التهذيب – لابن حجر العسقلاني .
تاريخ بغداد – للخطيب البغدادي .
معرفة القُرّاء الكبار على الطبقات والأعصار – للذهبي .
مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم – لطاش كبرى زاده .
مقدمة ديوان العباس بن مرداس السلمي – ليحيي الجبوري .

ديوان العباس بن مرداس السلمي — تحقيق يحي الجبوري .
ديوان الحماسة — لأبي تمام .
معجم الشعراء — للمرزباني .
المحبر — لمحمد بن حبيب الهاشمي البغدادي .
لباب الآداب — لأسامة بن منقذ .
خزانة الأدب — للبغدادي .
الأغاني — لأبي الفرج الأصفهاني .
الهفوات النادرة — لغرس النعمة أبي الحسن محمد بن هلال الصابي .
ديوان الأخطل .
الحلة السيراء — للقضاعي .
مرآة الجنان — لليافعي .
ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك — للقاضي عياض.
الإحاطة بأخبار غرناطة — للسان الدين الخطيب .
أخبار القضاة — لوكيع .
الفهرست — لابن النديم .
الحلل السندسية — لشكيب أرسلان .
جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس — لأبي عبد الله محمد بن فتوح الحميدي .
تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس — لأبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف المعروف بابن الفرضي .
تاريخ الأدب العربي — لبروكلمان .
حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر — لعبد الرزاق البيطار .
الوافي بالوفيات — لصلاح الدين الصفدي .
التاج المكلل — لصديق حسن القنوجي .
شذرات الذهب في أخبار من ذهب — لابن العماد الحنبلي .

معجم الأدباء – لياقوت الحموي .
تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين – لابن شامة الدمشقي .
ديوان الخنساء السلمية .
الدر المنثور في طبقات ربات الخدور – لزينب بنت علي العاملي .
ما رأيت وما سمعت – للأستاذ خير الدين الزركلي .
المسالك والممالك – للاصطخري .
ديوان لبيد بن ربيعة العامري .
معجم المؤلفين – لعمر رضا كحالة .
أئمة الفكر الاسلامي – لرضوان علي الندوي .
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة – لابن حجر العسقلاني .
الحلل السندسية في الأخبار التونسية – لمحمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج .
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع – للسخاوي .
معجم المطبوعات العربية والمعُرَّبة – ليوسف إليان سركيس .
تاريخ اليعقوبي .
المحمدون من الشعراء وأشعارهم – لعلي بن يوسف القفطي .
بلاد العرب – للحسن بن عبد الله الأصفهاني .
المصون في الأدب – للحسن العسكري .
مجالس ثعلب – لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب .
شاعرات العرب – لعبد البديع صقر .
نور القبس المختصر من المقتبس – لأبي المحاسن اليغموري .
خريدة القصر وجريدة العصر – للعماد الأصفهاني .
أمالي الزجاجي .
مختصر شرح التبريزي على ديوان الحماسة لأبي تمام الطائي .

الشعر والشعراء – لابن قتيبة .
العمدة في صناعة الشعر ونقده – لابن رشيق القيرواني .
رسالة الغفران – للمعري .
تحقيق رسالة الغفران – لبنت الشاطيء .
داهيـــة العرب أبو جعفر المنصور مؤسس دولة بني العباس – لعبـــد الجبار الجومرد .
مقدمة محمد الطاهر بن عاشور لديوان الأخطل .
شرح أبي العلاء المعري – لديوان الأمير ابن أبي حصينة السلمي .
مقدمة محمد أسعد طلس لديوان أبي الفتح ابن أبي حصينة السلمي .
أعلام النساء – لعمر رضا كحالة .

موضوعات الكتاب

صفحة

تصحيح الأغلاط المطبعية في الكتاب

لا يخلو كتاب منسوخ أو مطبوع من وجود أغلاط نسخية أو مطبعية فيه ، مهما يتحر الناسخ أو الطابع .. وقد تتبعنا الأغلاط المطبعية الواردة في هذا الكتاب ، بقدر الامكان والجهد . فأثبتنا تصحيحها في البيان التالي :

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
بقوة	بقوة	٧	٢٢ و ٢٣
الأمراً	الأمراَء	٨	٢٣
وذلك	ولذلك	١٨	٢٢
طبيعة	طبعية	١٩	٢
الإمارة	الإمامة	٢٠	٢١
مَرَنَةٌ	مَرِنَةٌ	٢١	٢١
حِسْيٌ الهدار	حِسْيُ الهدار	٣١	١٧
٩٨٠ هـ	٧٨٠ هـ	٣٦	١
المجار	المجاز	٣٦	١٣
عَمْرٍ ،	عَمْرو	٣٨	١٥
مسلمي	السلمي	٣٩	٤
وحفوت	وحفرت	٤٠	٩
صنعه بنو سليم حسب ما لدينا	صنعه بنو سليم أو صُنِعَ لهم حسب	٤٤	٧
القدية	القرية	٤٥	٧
لمنطقة	المنطقة	٤٥	٢٢
للسلمي	السلمي	٤٧	١٤
للكامل	الكامل	٤٨	٩
الناس – ألوانهم	الناسِ – ألوانهم –	٥٠	١٧
والذي سجل لنا عنه	ما سجل لنا عنه من		
أن لعسفان	أن لعسفان	٥٠	١٩
حامل	صامل	٥٦	٢٢
كما سيأتي في هذا البحث	(الصواب حذف هذه الجملة)	٦٤	٥
والى سلامة	والنسب إلى سلامة	٦٧	٤
ربوع	يربوع	٧٠	١٩
الشراعية	الشراعبة	٧٧	١٢
صعدا	فيها صعدا	٧٧	٥
أسعد صبر	سعد صبر	٨٢	٢
قمحيوها	قمحييها	٨٦	٢٢
بتو فلان	بنو فلان	٩٣	١٨
له سليم	به من سليم	٩٤	١

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
حرب الجاهلية	عرب الجاهلية	١٠٢	١٦
بلطيمة	لطيمة	١٠٥	٤
اختربت	احتربت	١٠٦	٥
وجنئا	وجئنا	١٠٧	٧
والحارت	والحارث	١١١	٧
حتي	حتى	١١٥	١
شُرْبَحاً	شُرَيْحاً	١١٥	١٤
وحيثما	وحينما	١١٧	١١
الحرئين	الحرتين	١٢٤	١٠
(١٠٨ — ٢٥٤	(١١٠ — ٢٥٤	١٣٨	٦
البئر	التبر	١٣٨	٦
الحادي عشر	العاشر	١٤٤	٢٠
١	٢	١٤٥	٩
والأغر بن حاتم	والأغر ابن حاتم	١٥٢	١ و ١١
جعفر المنصور	أبي جعفر المنصور	١٥٣	١
البَحْرِ	الْبَحْرُ	١٥٣	١٥
بتي	بني	١٦٠	١٧
فيئهما	فيهما	١٦١	٢
العالم	العلم	١٦٢	٢٠
يُصَدِّقُ	يُصَدَّقُ	١٦٥	٨
نظويته	نظريته	١٦٥	١٩
سياسية	سياسة	١٦٦	١١
هيط	هبط	١٦٦	١٨
بلادمحهم	بلادهم	١٦٧	١٧
خلفا	خلقا	١٦٧	٢١
وقطع بني خفاف	وقطع السلميين	١٦٨	١١
رئيساً	رؤساء	١٦٩	٥
بتي	بني	١٦٩	١٤
السباسة	السياسة	١٦٩	٢٢
نفسة	نفسه	١٧٣	١٨
اليروز	البروز	١٧٦	٥
وما عدا	وعدا	١٧٨	١٨
والجيل	والجبل	١٨٤	٢
ونقع	وتقع	١٨٤	٨

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
بالتكير	با كثير	١٨٥	١٦
وقي افريقية	وفي افريقية	١٨٧	٤
خلغ	خلع	١٨٨	١٢
للأمين	الأمين	١٨٨	١٣
بمائة وثمانين	بمائة وخمس وثمانين	١٩١	٣
قبلية	قبيلة	١٩٢	١٦
ذكرت	ذكر	١٩٢	١٧
الشعية	الشعبة	٢٠٦	٢
التقاليد	والتقاليد	٢٠٧	٤
منه	عنه	٢٠٩	٩
ونصالحه	ويصالحه	٢١١	٥
لقظ	لفظ	٢١٣	١٤
التكربتي	التكريتي	٢١٥	٧
يغزوها	يغزو	٢١٥	٢١
والأمنال	والأمثال	٢١٥	٢١
وأرْخ	وأرْخِ	٢١٧	٦
مصر إلَى مصر	مرة إلى مصر	٢٢١	٧
المسادة	المادة	٢٢٣	١٧
للقارىء	القارىء	٢٣٠	١٩
ليست عمل	ليست عملاً	٢٣١	١٣
فقان	فقال	٢٣٣	٦
ألَسْتُ	ألَسْتَ	٢٣٤	٤
بل	بلى	٢٣٤	٤
وبما	وبم	٢٣٥	٣
وافردنا	وربما أفردنا	٢٤٠	١٦
الانا	الإناء	٢٤٣	٢
لا الله إلا الله	لا إله إلا الله	٢٤٥	٢١
وشتت	وتشتت	٢٤٨	١٩
ذا حظ	كان ذا حظ	٢٥٠	١٦
ما أورده	أن ما أورده	٢٥٠	١٧
الفتج	الفتح	٢٥١	١٤
التفح	الفتح	٢٥٢	٢٠
عمل	عجل	٢٥٢	١٧
صلى الله عليه	صلى عليه	٢٦٤	١٠

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
المنذي	المدني	٢٨٤	٢٢
١ كتاب الاكليل	(١) الجزءالأولمن كتابالاكليل	٣٠٤	١٨
مَقْدَمَه	مَقْدَمَهُ	٣٠٨	١٢
الشلمغاني	الشلغاني	٣١٦	١٧
ذكوه	ذكره	٣١٨	١٦
والد اسحق	والد أبي اسحق	٣٢٦	١٦
ابن اسحق	أبو اسحق	٣٢٧	٦
لمحة	ملحة	٣٥٤	١١
مرداس	عباس	٣٦١	٣
أرْوَدَ رفق — دهر	أرود — رفق — دهر	٣٦٥	٢٢
فيلاخا	فيلارخا	٣٦٨	٩
عين عاملا	عين محمد بن خزاعي عاملا	٣٦٩	٢٥
يُلْتَمَسُ	يُلْتَمسْ	٣٧٦	٣
عُقابُ . . الجتاح	عُقابِ . . الجناح	٤٠١	٤
والأعال	والأعمَال	٤٠٢	١١
وأننفي	وأنتفي	٤٠٣	١٥
السابع	السادس	٤٠٩	١٠
بثمانية قرون ونيف	بقرنين ونيف	٤٠٩	١١
ال ثاء	الرثاء	٤١١	١١
الصخر	صخر	٤١٤	٨
من أملها	من أهلها	٤٢٦	٢٢
زهو	وهو	٤٢٧	١٣
لاَبِسَيْنُ	لابِسَيْنِ	٤٣٠	١٢
موقطه	موقفه	٤٣١	٣
هامةٌ	هامةً	٤٤١	١٧
علي أبي حصينة	علي بن أبي حصينة	٤٨٠	١٣
السادس	الخامس	٤٨٢	١٢
صرفُ	صرفَ	٤٨٤	٧
وعشرين	وثلاثين	٤٨٥	١٥
ابن أبي حصينة	أبا العلاء المعرّي	٤٩٠	٢٠
يمسجد	بمسجد	٥٠٠	٦
بني آدم	ابن آدم	٥١٠	١٨
بنسخة	نسخة	٥٢٦	٤
للقيروز آبادي	للفيروز آبادي	٥٢٨	٥
شعراء الشعراء	شعراء الشعر	٥٣٦	٢٢